

من الذات الى المؤسسة

حسين بركة الشامي

مؤسسة دار الاسلام


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

المرجعية الدينية

من الذات إلى المؤسسة

بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

المرجعية الدينية
من الذات إلى المؤسسة

تأليف

حسين بركة الشامي

● **المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة**

المؤلف: حسين بركة الشامي.

الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

طبع من هذا الكتاب ٢٠٠٠ نسخة في مطبعة الصدر.

الناشر: مؤسّسة دار الاسلام

ISBN: 964-90249-0-5



مؤسسة دار الإسلام

Dar AL-Islam Foundation
61 Anson Road, London, NW2 3UY, U.K
Fax: (0044) 181-208-4354

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والمَلائكةُ وَأُولُوا العِلمِ قَائماً بِالقِسطِ لا إِلٰه إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحكِيمُ﴾.

(آل عمران / ١٨)

الاهداء

إلىٰ الإمام السيد محمّد باقر الصدر
رائد الفكر وشهيد المرجعية المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعود فكرة هذا الكتاب الىٰ سنوات خلت، ربما زادت علىٰ عقد من الزمـن، وقد أثارتها في نفسي، جملة من العوامل والمحفزات، لعل من أبرزها ما كان يحتدم في ساحتنا السياسية من حرب باردة بين فصائل المعارضة العراقية، فـيما كـانت الحرب الحقيقية مشتعلة علىٰ خطوط التماس بين ايران والعراق.

لقد ظهرت في تلك السنوات الكثير من الأفكار والمفاهيم والصـيغ، كـانت متأثرة بالعوامل السياسية الواقعية تارة، وبالإنفعال السياسي تارة أخرىٰ. وكان من أكثرها سطوعا مسألة الارتباط بالجمهورية الإسلامية، والعـلاقة بـالولي الفقيه، والموقف من الأحزاب الإسلامية، وغير ذلك من القضايا التي كانت تولد بتأثير الجو السياسي الساخن.

ومن تلك العوامل أيضاً، دخول التاريخ كجزء هام في الحرب البـاردة، فـقد شهدت السنوات الأخيرة من عقد الثمانينات، محاولات مكثفة لتصوير التـاريخ الاسلامي القريب والأحداث المعاصرة وفق رؤىٰ خـاصة، ممـا كـان يـثير في

داخلي الخوف على الماضي والحاضر في الوقت نفسه.

لقد كنت أقرأ وأسمع الأحداث التي عاصرتها في النجف الأشرف وفي بقية مناطق العراق، بشكل لا يطابق الحقيقة، كما كان يثير الحزن في داخلي، أن ما تكتبه الصحف وما تعرضه من شؤون هامشية، سيتحول ذات يوم الىٰ تاريخ، وللأسف سيكون تاريخا ناقصا، لا ينطق بالحقيقة كما هي.

لفت نظري أيضاً ظهور العديد من الدراسات الصادرة عن المراكز والمؤسسات الغربية، تتناول تاريخ الشيعة، وخصوصياتهم السياسية والاجتماعية والفكرية، وتحاول تحليل مواقف علمائهم، وحركاتهم السياسية. وكانت تلك الدراسات تعرض الحالة الشيعية، وفق منهجية غربية، وبالاستناد الىٰ ثوابت العقل الغربي، ونظرته التقليدية عموما، وللتشيع والشيعة بشكل خاص.

فكانت تلك الدراسات تبتعد عن حقائق التاريخ والفكر الشيعي، وتقدم صورة أخرىٰ فيها شكل الشيعة، مشوهة في ملامحها. ربما حرص بعض مؤلفيها على الموضوعية، لكن بعدهم عن عالم الشيعة، ومرتكزاتهم المنهجية، وعدم استيعابهم لمنهج التفكير عند الشيعة وعدم إحاطتهم بالظروف السياسية والاجتماعية، للوسط الاسلامي، هي التي جعلتهم لا يصيبون الحقيقة إلا في بعض جوانبها.

والىٰ جانب هذه الدراسات الغربية، كانت هناك هجمة منظمة، تحاول أن تمس الوسط الشيعي بسوء، وكانت تتعمد التشويه وقلب الحقائق. وقد لعبت الموازنة السياسية في بعدها الدولي الأبرز في هذا المجال، وذلك في محاولة منها لتحجيم امتدادات الثورة الاسلامية. وكانت الدوائر الدولية ترىٰ أن ايران هي الداعمة لكل الوجود الشيعي، وأن الشيعة مراجع وعلماء وجماهير، يمثلون واجهة ايرانية، وهي نظرة لا نصيب لها من الصحة.

ظلت هذه النظرة هي التي تحكم الدوائر الدولية، وذلك انسجاما مع موقف النظام العراقي الذي كان يمثل جبهة المواجهة الأولىٰ ضد ايران وضد التحرك الاسلامي بشكل عام. لكن مجازفة صدام حسين في الكويت عام ١٩٩٠ م، نبهت تلك الدول بقسميها الاقليمية والغربية، الىٰ بعض أخطائها، وبينت لهم أن الشيعة هم ضحية صدام حسين، وأن معارضتهم لنظامه، تقوم علىٰ أسس عادلة وانسانية.

لكن ذلك لم يصل الىٰ درجة القناعة، بحيث تتخلىٰ بعض القوى الاستكبارية عن عدائها التقليدي للشيعة، مثل الولايات المتحدة الاميركية. ففي الانتفاضة الشعبانية المباركة ـ آذار ١٩٩١ م ـ كان الرئيس الاميركي (بوش)، يدعو الىٰ اسقاط نظام صدام حسين، لكنه بعد أن تأكد بأن الانتفاضة الشعبية، ستأتي بالشيعة الى الحكم، أمر قواته بتخفيف الضغط عن الجيش العراقي، لتمكينه من ضرب الانتفاضة، وبذلك قدمت أميركا خدمة تاريخية لصدام حسين، مقابل حرمانها الشعب العراقي من أكبر فرصة لتقرير مصيره.

وقد ظهرت في أعقاب تحرير الكويت والانتفاضة الشعبانية، دراسات عربية وغربية، تتحدث عن هذا المقطع الحساس، وكان المظلوم في هذه الكتابات، التاريخ الشيعي المعاصر قبل غيره.

وهناك عامل آخر كان له دوره في تحفيزي علىٰ مشروع هذا الكتاب، ذلك هو عدم وجود دراسات مستوفية للتجربة الشيعية المعاصرة. فرغم أن هناك الكثير من الدراسات والكتب التي صدرت في فترات مختلفة، ولها أهميتها وقيمتها، إلا أن الحاجة التي كنت أتحسسها ويتحسسها غيري، هي ضرورة دراسة التاريخ الشيعي وفق منهجيات متعددة، وأقصد بذلك عدم الاكتفاء بالجانب التأريخي الصرف، بل الاهتمام بتحليل التاريخ من زوايا متعددة، فليست الوقائع التاريخية خاضعة لقالب ثابت، بل هي بحاجة الىٰ دراسة متنوعة الأبعاد.

وفي تقديري أن هذه الدراسات المتنوعة هي التي تعطي للتاريخ قيمته الحقيقية، وتجعل منه مادة تثقيفية كبيرة في البناء الحضاري. لأنها تساهم في اكتشاف عناصر التأثير لأحداث الماضي في الحاضر، وهذا هو دور الدراسات التاريخية الحية.

ان الحركات الاسلامية (الشيعية) لم تهتم بكتابة تاريخها بالشكل الوثائقي المطلوب، مما يؤدي الىٰ فقدان الكثير من حقائق التاريخ، وقد تتصور بعض هذه الحركات ان كتابة التاريخ الخاص هو شأن داخلي تختص به الحركة في اطارها التنظيمي. وقد تكون هذه النظرة صحيحة لكن الذي نلاحظه عدم كتابة حتىٰ هذا التاريخ الخاص بالحركة الّا في حدود ضيقة.

وفي تقديري أن الاهتمام بالتاريخ هو شأن عام يتعلق بوعي الامة وحركتها، ولا ينحصر بدائرة الحركة وأفرادها، وتنعكس آثاره علىٰ مجمل الجوانب الثقافية والسياسية لجماهير الامّة، في الحاضر والمستقبل.

فيما كانت هذه المسائل تعتمل في داخلي، واتحدث فيها مع بعض الأصدقاء، فيشجعونني على الشروع بالكتابة، إندلعت إزمة مجنونة في الوسط الشيعي، وهي التي توجهت بالهجوم علىٰ آية الله الفقيه المجاهد السيد محمد حسين فضل الله (حفظه الله)، وقد كانت هذه الهجمة مدروسة ومدعومة ومخطط لها أن تستمر لعدة سنوات. ويبدو أن أصحابها وجدوا أن الزمن سيلقي بهم بعيدا ويبدد أحلامهم، ما لم يستهدفوا مفاصل التحرك الاسلامي الواعي، وقواه الصانعة والمبدعة. وقد وجدوا في السيد فضل الله الرمز الكبير والتحدي الجديد لمواقعهم، ورأوا فيه النموذج المتكرر للامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض). فسعوا الىٰ وأد الحالة الآن قبل الغد، لكن فاتهم أن الرموز الشاخصة لا يمكن أن تندثر بحفنة تراب، ولا يمكن للشعلة المضاءة أن تنطفي بنفخة من أفواه فاغرة.

كل تلك العوامل والمحفزات دفعتني بقوة لتقديم هذا العمل الذي قد أكون في

بعض المواطن ضغطت على الاجزاء الحساسة من العصب الحي لكنها المهمة التي آمنت بها في هذا المشروع.

يشتمل هذا الكتاب علىٰ مدخل تمهيدي وخمسة أبواب.

تناولت في الفصل التمهيدي (مسؤولية الحوار) ضرورة العملية الحوارية في الحياة الفكرية، وانها خط اسلامي أصيل في التبليغ والدعوة والبناء الفكري. وحاجتنا الماسة لأن نعيش روحية الحوار في كل آفاق حياتنا الاجتماعية.

الباب الأول من الكتاب والذي يحمل عنوان: (المؤسسة الدينية الشيعية ... عودة الى الماضي ورؤية نحو المستقبل)، يشتمل علىٰ ثلاثة فصول.

بحثت في الفصل الأول، تطور المؤسسة المرجعية عند الشيعة منذ غيبة الامام المهدي (ع) والىٰ مرحلتنا المعاصرة.

وفي الفصل الثاني ركزت الحديث عن حاجة الأمة الى المرجعية الرشيدة، من خلال السياقات العامة لاوضاعها الاجتماعية والسياسية والفكرية.

وقد ختمت هذا الباب، بدراسة الدور المطلوب من علماء الدين تجاه الأمة.

أما الباب الثاني، فقد درست في فصوله الخمسة العلاقة بين المرجعية الدينية وبين الأحزاب الاسلامية. حيث تم فيه تحليل ظاهرة الحزب الاسلامي في التاريخ الشيعي المعاصر. ثم خصصنا الفصول الثلاثة الأخيرة من هذا الباب، لدراسة تاريخ وفكر وتجربة حزب الدعوة الاسلامية، باعتباره يمثل النموذج المعاصر للعلاقة بين الحزب الاسلامي وبين المرجعية الدينية.

الباب الثالث من الكتاب، (دور المرجعية في تنقية المنبر الحسيني)، خصصناه لدراسة اهتمام المرجعية بالمنبر الحسيني، باعتباره يمثل واجهتها الواسعة مع الأمة. وقد درسنا فيه آراء الشهيد الشيخ مرتضى المطهري وتناولنا أيضاً دراسة المعالم الرئيسية لشخصية الدكتور الشيخ احمد الوائلي، بوصفه عميد المنبر الحسيني

المعاصر.

في الباب الرابع من الكتاب، درسنا موضوع الاصلاح في حـركة المـرجـعية الدينية. وقد اخترنا مراجع وعلماء مارسوا الاصلاح في مجـالات مـتنوعة. مـع تحليلنا لظاهرة الاصلاح وشخصية المصلح.

أما الباب الخامس من الكتاب، فقد تركز حول دراسة مشروع السيد فضل الله، في المرجعية، والذي يحاول فيه نقل المرجعية الى الحـالة المـؤسساتية. وقـد تناولنا فكر سماحته الحركي وآراءه في المرجعية.

وخصصنا الفصل الأخير مـن الكـتاب، لاسـتعراض الأزمـة المـفتعلة التي أثيرت ضد سماحة السيد فضل الله، وهي الأزمة التي انطلقت من دوافع مصلحية وذاتية، تحدثنا عنها في هذا الفصل.

وفي تقديرنا ان الحديث عن هذه الأزمة مسألة ضرورية لأنه يدخل ضمن تاريخنا المرجعي.

نسأل الله ان يحقق من وراء هذا الكتاب الذي يُعدُّ الكتاب السـنوي الثـاني لمؤسسة دار الإسلام، خدمة لأبـناء الأمـة الإسـلامية، في عـلاقتهم المـبدئية والعقائدية مع المرجعية الدينية، من أجل ان تكـون مـؤسسة، تخـدم الإسـلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام. والله من وراء القـصد وهـو حسـبنا ونـعم الوكيل.

حسين بركة الشامي

لندن / جمادىٰ الأولىٰ ١٤١٩ هـ

مسؤولية الحوار

أكّد القرآن الكريم على الحوار الموضوعي الهادئ في العديد من الآيات الكريمة، قال تعالىٰ:

﴿إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾
(النحل / ١٢٥)

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلىٰ الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقّاها إلّا الذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت / ٣٣ - ٣٥)

﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن إلّا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾
(العنكبوت / ٤٦)

ولقد حدثنا القرآن في الكثير من الآيات الشريفة عن الحوارات التي عقدها

الأنبياء عليهم السلام مع الأقوام التي بعثوا إليها، حيث كان تبليغ رسالتهم ودعوة الناس إلى الحق إنما يقوم أساساً على الحوار الهادئ.

في سورة هود نجد قصة نوح عليه السلام مع قومه، وكيف أنه عليه السلام إعتمد الحوار العلمي إلىٰ أبعد الحدود، لكنهم أصروا على الضلال:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه إني لكم نذير مبين. أن لا تعبدوا إلّا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلّا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلّا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ (هود / ٢٥ ـ ٢٧)

كان هذا منطق الكافرين المستكبرين في مواجهة دعوة النبي نوح عليه السلام، ورغم أن هذا المنطق يعبر عن حالة مستحكمة من التكبر والتمرد على القيم الإنسانية، وشعور أجوف في الإستعلاء لا يريد أن يخوض أي عملية حوار، لكن النبي نوح (ع)، لم ينه الحوار وينسحب من ساحاتهم، لأن ذلك هو مايريدونه بالضبط فإنسحابه يعني إنتصارهم، إنما واصل الحوار معهم من النقاط التي أرادوا إنهاء العملية الحوارية عندها:

﴿قال ياقوم أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون. وياقوم لا أسئلكم عليه مالاً إن أجري إلّا علىٰ الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون. وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكّرون. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين﴾

(هود / ٢٨ ـ ٣١)

لقد خاطبهم نوح عليه السلام بحميمية عندما قال لهم (ياقوم) حيث نسبهم إليه، ونسب نفسه إليهم، وكان يتلطف في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم

ويبصّرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها ، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم . .مبدأ الإختيار في العقيدة والإقتناع بالنظر والتدبر ، لا بالقوة والسلطان والاستعلاء[١] .

ثم يحاول عليه السلام أن يفهمهم أن هروبهم من دعوته إذا كان نتيجة خوفهم من الخسارة المالية التي تترتب عليهم بما يفرضه عليهم الرسول لمصلحته الشخصية ، فان عليهم أن يطمئنوا إلىٰ أن الأنبياء لن يطلبوا أجراً من أحد لأن أجره علىٰ الله في الدنيا والآخرة . ثم ينعطف إلىٰ أتباعه، الفقراء البسطاء الذين لا يقفون في المستوىٰ الأعلى من الهرم الاجتماعي الطبقي الذي يقيس الناس بمقياس المال والجاه والنسب والقوة ، ليعلن لهم أنه لايمكن أن يطرد هؤلاء المؤمنين، فإنهم سيلاقون الله تعالىٰ ويقدمون له نتائج أعمالهم وسيجدون عند الله المقام الكبير والشأن العظيم[٢] .

والحوار الهادئ هو اسلوب رسول الله ﷺ الاول في نشر دعوته في مكة وخارجها ، فلم تحدثنا كتب السيرة المعتبرة عن موقف متشنج للرسول ﷺ تخلىٰ فيه عن الحوار الهادئ، ولجأ إلىٰ اسلوب آخر مع الناس الذين كان يدعوهم إلىٰ الايمان بالتوحيد وبرسالته الخاتمة .

رغم كثرة الأذى الذي تعرض له الرسول ﷺ من قبل قريش من استهزاء وسخرية واتهام ورمي الأوساخ وتسليط الصبيان لرميه بالحجارة وغيرها من الاساليب . . رغم كل ذلك الأذىٰ إلّا أن الرسول ﷺ لم يتخل عن الحوار كخط عام، وأساس في طرح رسالته ودعوة الناس اليها .

لقد وقفت قريش هذا الموقف الارهابي العنيف من الرسول ﷺ بعد أن

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١٨٧٤/٤ .

(٢) محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم ، ص ٢٢٣ .

أدركت أنها ستهزم بالحوار، وأنها عاجزة عن الوقوف أمام منطق الرسالة والرسول، لذلك لجأت إلى العنف، والارهاب، والتشكيك ورمي الرسول ﷺ بشتى التهم الباطلة كالسّاحر والمجنون وغيرها من تهم العاجزين، وهي تعلم كل العلم أن كل تلك التهم باطلة مفتراة عليه ﷺ، لكنه العجز عن مجاراته والوقوف أمام دعوته الالهية التي يحركها في الوسط الاجتماعي من خلال العقل والوجدان.

وخلال تلك السنوات كانت قريش تبذل كل جهودها من أجل قتل الحوار وقطع كل الطرق أمام حركة الفكر، فقد لجأت إلى التشويش ومنع أصحاب الرسول من قراءة القرآن الكريم، لكي تمنع الناس من الإستماع إلىٰ كلام الله سبحانه، يروي إبن هشام في سيرته قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي فيقول:

(كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها فمشىٰ إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له: ياطفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل ـ يقصدون الرسول ﷺ ـ الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرّق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسّاحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته فلاتسمعن منه شيئا.

قال: فوالله ما زالوا بي حتّىٰ أجمعت أن لاأسمع منه شيئاً ولا اكلمه، حتّىٰ حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة.. فقمت منه قريبا فأبىٰ الله إلّا أن يسمعني بعض قوله.. فسمعت كلاما حسنا.. فقلت في نفسي والله إني رجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني

أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته .. فمكثت حتىٰ انصرف رسول الله ﷺ إلىٰ بيته فاتبعته حتىٰ إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يامحمد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا فوالله مابرحوا يخفونني أمرك حتىٰ سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، فأبى الله إلّا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليّ امرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا أحسن منه ولا امراً أعدل منه. فأسلمت وشهدت شهادة الحق). سيرة ابن هشام ١/٤٠٧

إن أمثال هذه الحوادث كانت تحدث أمام قريش فترىٰ أن لقاء الناس برسول الله ﷺ واستماعهم إلىٰ حديثه كاف لأن يقنعهم بالدخول إلىٰ الإسلام، في حين أنها عاجزة تمام العجز عن منع الناس عن الرسول من خلال الحوار، فكان موقف قريش يتمثل بالأساليب الملتوية والارهابية والتخويفية لإبعاد الناس عن الرسول، فكانت قبل مواسم الحج تستنفر طاقاتها لمنع لقاء الحجيج بالرسول ﷺ.

وعندما ارسل رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين إلى الحبشة، حاولت قريش منعهم من الهجرة لكنها فشلت في ذلك، فأرسلت وفداً إلى النجاشي ليساومه علىٰ إعادتهم إلىٰ مكة، لكن الوفد فشل في هذه المهمة، فقد إستطاع المسلمون المهاجرون أن يكسبوا موقف النجاشي ويحصلوا على دعمه من خلال الحوار الهادئ.

فشلت قريش في كل محاولاتها الارهابية والتشويشية لأن هذه المحاولات عاجزة عن إسكات صوت الحق، وهي إنما لجأت إلىٰ تلك الاساليب لأنها لاتريد لغة الحوار، ومن يعجز عن الحوار يلجأ إلىٰ الاساليب الملتوية.

وسار علىٰ نهج الرسول ﷺ في الحوار الهادئ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فالامام علي عليه السلام اعتمد الحوار مع خصومه عندما غصبوا حقه في الخلافة، وكذلك فعلت بضعة الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان لإحتجاجاتها علىٰ أبي بكر وأحاديثها مع الأنصار وخطبتها البليغة الرائعة في مسجد أبيها ووصيتها ذات الموقف الإحتجاجي البليغ، لقد كان لكل ذلك أكبر الإثر في تعريف الامة بحقها الضائع وحق زوجها المغصوب. ولم يكن هناك أفضل مما فعلته (سلام الله عليها) لمصحلة الإسلام في ظل تلك الظروف، فما فعلته كان أفضل الخيارات لأنها المعصومة المنزّهة عن الخطأ.

وعندما بايعت الأمة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، ثم خرج عليه أصحاب الجمل، بذل الامام عليّ عليه السلام كل جهوده السلمية من أجل منع الحرب، فقد أراد حل الأزمة بالطرق الحوارية. وقد اوصىٰ عليه السلام جيشه بذلك فقد روى الحاكم في المستدرك ٣/٣٧١: (لما كان يوم الجمل نادىٰ عليّ في الناس: لايرمين رجل بسهم ولايطعن برمح ولايضرب بسيف ولاتبدأوا القوم بالقتال، وكلموهم بألطف الكلام فإن هذا مقام من أفلح فيه فلح يوم القيامة).

ويروي المؤرخون أن جيش البصرة وهم أصحاب الجمل عندما تأهبوا للبدء في قتال جيش الامام عليّ عليه السلام أرسل لهم رسولاً يحمل بيده المصحف الشريف يدعوهم إلىٰ مافيه لعل ذلك يمنع من وقوع الحرب، لكنهم قتلوه ورفضوا الحوار. ثم باشر أصحاب الجمل القتال فرموا معسكر الامام بالسهام وقتلوا نفراً منهم، وكان أصحاب الامام عليه السلام يطلبون منه أن يرد عليهم بالقتال، ولكنه كان يتأخر في ذلك علىٰ أمل أن يعود القوم إلىٰ رشدهم فلا تقع الحرب.

وفي آخر لحظة لم يترك الامام عليه السلام محاولات الحوار فدعا طلحة والزبير إلى الحوار، وتحدث اليهما مذكّراً اياهما بحقه الشرعي وببيعتهما له وما أخبر به الرسول ﷺ الزبير في خروجه ظلما على الامام علي عليه السلام، وبعد كل تلك

المحاولات أصر أصحّاب الجمل على القتال فكانت تلك الكارثة المأساوية التي نخرت جسم الامة الإسلامية. [انظر: تاريخ الطبري وفتوح ابن أعثم وشرح النهج في أحداث الجمل].

وعلىٰ هذا النهج الثابت سار أبناؤه الأئمة عليهم السلام فكان الحوار ومنطق العقل هو الخيار الأول الذي يتبعونه مع الناس ومع خصومهم ومخالفيهم، وقد علّموا شيعتهم علىٰ هذا المنهج وأعدّوا أجيالاً من العلماء الذين انتشروا في مختلف الأمصار لينشروا فكر أهل البيت عليهم السلام عبر الحوار والمحاججة، ولم ينتشر التشيع مدى الدهور إلّا من خلال الحوار العلمي الرصين.

وتتحدث كتب التاريخ عن مناظرات الأئمة مع المخالفين والخصوم من المذاهب الأخرىٰ.. ومع الزنادقة والفلاسفة من الأديان وأصحاب النحل المختلفة. وعلىٰ هدىٰ مدرستهم سار تلامذتهم اعلام التشيع ورموز الطائفة الذين أرسوا أسس المدرسة الشامخة لأهل البيت عليهم السلام، ولم يرد عن الأئمة عليهم السلام أو أحد تلامذتهم أنه رفض الحوار والمحاججة، وقدّم عليه إسلوباً آخر، فذلك ليس من أخلاق مدرستهم القرآنية التي هي الإسلام الأصيل الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

روىٰ أبو القاسم الكوفي في كتاب (التبديل) أن إسحاق الكندي، فيلسوف العراق في زمانه، اخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوما علىٰ الامام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له أبو محمد عليه السلام:

أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن.

فقال التلميذ: نحن تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو غيره.

فقال أبو محمد عليه السلام: أتؤدي اليه ما ألقيه اليك.

قال: نعم.

قال: فصر اليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فاذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة اسألك عنها فانه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت اليها، فانه سيقول: من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فاذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت اليه فتكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلىٰ أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له:

أعدّ عليّ، فاعاد عليه، فتفكر في نفسه، رأىٰ ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر.

وفي المناقب ج ٤٤ ص ٤٢٤: فقال:

أقسمت عليك إلّا اخبرتني من أين لك.

فقال: انه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

فقال: كلا ما مثلك من اهتدىٰ إلىٰ هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك.

فقال: امرني به أبو محمد.

فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت، ثم أنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

تشير هذه الرواية إلىٰ أهمية الحوار العلمي الهادئ في الوصول إلىٰ نتائج كبيرة

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٠، ص ٣١١.

علىٰ مستوى العمل الفكري، كما تبيّن طريقة أهل البيت عليهم السلام في إدارة الحوار وأساليبه المتنوّعة، فقد يدخلون الحوار بصورة مباشرة، وقد يوكلون المهمة الحوارية إلىٰ أشخاص آخرين، وذلك حسب طبيعة الظرف والحاجة.

لقد تواصلت عطاءات أهل البيت عليهم السلام في هذا الاتجاه، فأسس أتباعهم ورواد مدرستهم الإسلامية الأصيلة، منظومة العلوم الإسلامية المختلفة في العقائد وعلم الكلام والفقه والأصول وغيرها، وذلك من خلال النشاط العقلي الذي ميّزهم عن غيرهم من المسلمين، وتفوقوا عليهم عبر الحوار العلمي المتين والمحاججة الموضوعية الهادفة، فكان لهم قصب السبق في الميادين العلمية، في حين كان مخالفوهم يلجأون في الكثير من الحالات إلىٰ أساليب العنف والتشهير والتشكيك، مستغلين قربهم من السلطان وميول الحكّام إلى العقائد المخالفة لعقائد اهل البيت عليهم السلام.

وعلىٰ طول التاريخ الشيعي نلاحظ أن الحوار هو السمة البارزة لهذا التراث العملاق، وأن الحوزات الشيعية الرائدة في بغداد والحلة وكربلاء والنجف كانت تنمو وتتطور وتؤسس النظريات الكبيرة في مختلف المجالات، من خلال ظاهرة الحوار والنقاش والمباحثة العلمية. ولعل هذا من أبرز ما يميز حوزات الشيعة ومدارسهم الدينية عن غيرهم، وهو موضع فخر وإعتزاز وشموخ الشيعة علىٰ مدى الدهور.

بل إننا نلاحظ أن الفترات التي تقل فيها ظاهرة الحوار والمباحثة، لاتشهد نمواً فكرياً،وتظل تعيش حالة الجمود والتوقف، حتّىٰ تعود فيها الحيوية من خلال عودة البحث والمناقشة والحوار. كما حدّثنا التاريخ عن الفترة التي أعقبت وفاة الشيخ الطوسي قدس سره. حيث يفسر ظاهرة الجمود تلك أستاذنا الكبير الامام الشهيد الصدر (قدس سره) في كتابه (المعالم الجديدة للأصول) بأنها حدثت لأن الشيخ الطوسي عندما أسس حوزة النجف الأشرف لم تكن هذه

الحوزة الفتية تضم علماءً على نفس مستوىٰ حوزة بغداد التي تركها الشيخ الطوسي (ولهذا كان لابد ـ لكي يتحقق ذلك التفاعل الفكري الخلاق ـ أن يشتد ساعد الحوزة الفتية التي نشأت حول الشيخ في النجف حتّىٰ تصل إلىٰ ذلك المستوىٰ من التفاعل من الناحية العلمية، فسادت فترة ركود ظاهري بانتظار بلوغ الحوزة الفتية ذلك المستوى، وكلف ذلك العلم أن ينتظر قرابة مائة عام ليتحقق ذلك ولتحمل الحوزة الفتية أعباء الوراثة العلمية للشيخ حتّىٰ تتفاعل مع آرائه وتتسرب بعد ذلك بتفكيرها المبدع الخلاق إلى الحلة)[1].

ويضيف الامام الشهيد الصدر (قدس سره) سبباً آخر إلىٰ نشوء ظاهرة الجمود تلك، بقوله: (ان نمو الفكر العلمي والأصولي لدى الشيعة لم يكن منفصلاً عن العوامل الخارجية التي كانت تساعد على تنمية الفكر والبحث العلمي، ومن تلك العوامل عامل الفكر السني، لأن البحث الأصولي في النطاق السني ونمو هذا البحث وفقاً لأصول المذهب السني كان حافزاً باستمرار للمفكرين من فقهاء الإمامية لدراسة تلك البحوث في الاطار الامامي، ووضع النظريات التي تتفق معه في كل ما يثيره البحث السني من مسائل ومشاكل والاعتراض على الحلول المقترحة لها من قبل الآخرين)[2].

وعندما بدأ التفكير الاصولي السني في تلك الفترة ينكمش وينضب، فإن التفكير العلمي لدىٰ فقهائنا فقد أحد المثيرات المحركة له، الأمر الذي يمكن أن نعتبره عاملاً مساعداً في توقف النمو العلمي، كما يقول السّيد الشهيد.

وقد انتهت تلك المرحلة علىٰ يد العالم الكبير إبن إدريس الذي أعاد للنشاط العلمي الشيعي حيوته وقابلياته الابداعية من خلال مناقشاته الجريئة لآراء

---

(١) الشهيد محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للأصول، ص٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص٦٧.

الشيخ الطوسي، في كتابه (السرائر) في مقابل كتاب الشيخ الطوسي (المبسوط).

ومن عطاءات الحوار في الحياة العلمية الشيعية أنه ساهم في بلورة وتطوير الكثير من النظريات العلمية والأفكار الأساسية في الأوساط الشيعية، ودفع بالبحث العلمي إلىٰ مراحل متقدمة إلىٰ الأمام. وهي حالة ما كانت لتحصل لولا حرية البحث وفسح المجال مفتوحاً أمام حركة الحوار ليأخذ مدياته المطلوبة في الحياة العلمية. فكل حقول المعرفة وآفاق الفكر هي مادة للحوار والنقاش، وكل نظرية وفكرة لدىٰ علمائنا هي موضع دراسة وتحليل، كما أن آراء علماء وفقهاء الشيعة تظل مطروحة للأخذ والرد من قبل تلامذتهم ومعاصريهم والأجيال اللاحقة، وهذا هو الذي حفظ تراث الشيعة من الجمود وأبقاه حياً متواصلاً. فالجهد العلمي الذي يتوصل اليه أحد السابقين لاينتهي بموته ويتجمد في حدود فترته الزمنية، انما يتعمق ويمتد ويتأصل من خلال مناقشات العلماء في الأجيال اللاحقة، الأمر الذي جعل الفكر الشيعي سلسلة متواصلة الحلقات، يثري اللاحق نتاج السابق. وما التقدم الهائل الذي حققه علم الأصول عند الشيعة الأمامية، إلّا نتيجة البحث والمناقشة الحرة وفق الأسس العلمية الرامية للوصول إلى الحقيقة.

ونلاحظ ايضا أن الكثير من الكتب الهامة والقيمة التي صنّفها علماء الشيعة كانت كتباً حوارية، تجمعت فصولها وأبوابها من خلال مناقشة أفكار علماء المذاهب الأخرىٰ، والرد عليهم بصورة علمية رصينة، أو من خلال تبادل المراسلات الحوارية والردود علىٰ أفكار بعضهم البعض حتّىٰ تكون الغلبة لعلمائنا لأن آراءهم هي آراء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن تلك الكتب كتاب (دلائل الصدق) الذي كان ردوداً متبادلة بين العلامة الحلي وبين الفضل بن روزبهان، وقد أضاف إلىٰ هذه الردود العلامة الكبير المغفور له الشيخ محمد حسن المظفر (قدس سره) تعليقاته وآراءه فكان كتاباً رائعاً في محتواه. ومنها

كتاب (منهج الرشاد) للعالم الكبير الامام جعفر كاشف الغطاء (قدس سره) وهو جواب علىٰ رسالة بعثها اليه إمام الوهابيين سعود العنزي، ومن تلك الكتب التي كانت في حقيقتها حوارات مطولة بين علمائنا وغيرهم والتي انتهت بـالاعتراف بأحقية عقيدة أهل البيت عليهم السلام كتاب (المراجعات) للأمام السـيد عـبد الحسين شرف الدين (طاب ثراه).

كما جمعت مناقشات وحوارات عدد كبير من علمائنا مع مـفكري المـذاهب والأديان الأخرىٰ، وصدرت في كتب مستقلة، وهي تشهد بقدرة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على الحوار الفكري وتمسكهم بمنطق البحث العـلمي، واعـطاء العقل دوره المـتميز في قـضايا الفكـر، ومـن تـلك الكـتب حـوارات العـلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (قدس سره) مـع أحـد المسـتشرقين حـول التشيع، وكتاب الردود المتبادلة حول كتاب السقيفة للمغفور له المجـدد الشـيخ محمد رضا المظفر (قدس سره)، وصولاً إلى الكتب العـديدة لحـوارات آيـة الله السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله) مع الصحفيين والمفكرين والباحثين من مختلف المذاهب من المسلمين والمسيحين، والتي عـرض فـيها سماحـته حـلول الإسلام الاصيلة لمشاكل الحياة وبالشكل الذي أثـار اعـجاب الآخـرين مـن المذاهب الأخرىٰ وحتّىٰ من المسيحيين.

إن الحوار هو سمة علمائنا ومراجعنا علىٰ مرّ الدهور والفترات، وهم قد أخذوا هذا المنهج العلمي من أئمتهم عليهم السلام الذين حفظوا مكانة العلم وقيمته في الامة والحياة الإسلامية.

وخلافاً لمنهج الأئمة عليهم السلام، نلاحظ أن رفض فكرة الحـوار واللجوء إلىٰ أساليب التشويه والتشكـيك والإتهـام بـالتهم البـاطلة كـالشرك والكـفر وغيرها، هي من الأساليب التي أثـارها ضـدهم مخـالفوهم مـن أعـداء أهـل البيت عليهم السلام والتشيع، فلقد لجأ هؤلاء إلىٰ هـذه الأسـاليب بـعد أن عـجزوا عـن

الدخول مع علمائنا في حوار علمي ومطارحات موضوعية.

وقد يلجأ أعداء مدرسة أهل البيت إلى العنف عندما يعجزون عن منازلة علمائنا فكرياً، كما حدث مع العالم الفذّ الشهيد الأول رضوان الله عليه، ومع الشهيد الثاني، ومع الشهيد الثالث التستري صاحب (إحقاق الحق) وغيرهم الكثير من شهداء الفضيلة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد أراد الأعداء فعل الاسلوب نفسه ولأكثر من مرة مع سماحة آية الله المجاهد السيد فضل الله، حيث تعرض لأكثر من محاولة إغتيال إشتركت فيها المخابرات الاميركية والاسرائيلية إلىٰ جانب بعض الأنظمة الأقليمية في المنطقة مثل المحاولة الفاشلة في بئر العبد عام ١٩٨٩ والتي راح ضحيتها المئات من الابرياء. وكذلك أكثر من عدوان بالقذائف علىٰ منزله في بيروت، ولا يزال سماحته مستهدفاً من قبل أعداء الإسلام لأنهم يدركون دوره الطليعي في نشر الوعي الإسلامي الحركي بين أبناء الامة الإسلامية، ودوره المعطاء المؤثر في الاوساط الشيعية منذ أكثر من نصف قرن من الزمن.

الموقف الإسلامي من الرأي الآخر

يروي العلامة الطبرسي في كتابه الإحتجاج أن المأمون العباسي جمع للإمام الرضا عليه السلام عدداً كبيراً من علماء النصارىٰ والمجوس وغيرهم من أهل الملل والنحل لمناظرته والدخول معهم في حوار مفتوح، وقد ناظرهم الإمام عليه السلام مناظرةً حرةً قدم فيها فكر الإسلام ودحض عقائدهم ومقالاتهم[1].

وينقل عن أحد الملحدين أنه قال للمفضل بن عمر بعد أن رأىٰ منه حدّة في الكلام: (ياهذا إن كنت من اهل الكلام كلمناك، فإن ثبتت لك حجّة تبعناك، وإن

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١٩٩/٢.

لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد فما كان هكـذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمـعت، فما أفحش في خطابنا، ولاتعدىٰ في جوابنا، وأنه للحليم الرزين، العاقل الرصـين، لايعتريه خرق ولاطيش ولانزق يسمع كلامنا ويصغي إلينا، ويتعرف حجتنا، حتّىٰ إذا استفرغنا ما عندنا وظننا أننا قطعناه، أدحض حـجّتنا في كـلام يسـير وخطاب قصير يُلزمنا به الحجة، ويقطع العذر ولانستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)[1].

هكذا كان الأئمة عليهم السلام في قضايا الفكر حتّىٰ مع الزنادقة والمـلحدين يتحاورون بالإسلوب الهادئ والحجة القاطعة التي ينتصرون فـيها لعـقيدتهم. وقد أثّرت منهجيتهم في الحوار في نفوس الملحدين والأعداء. كانت مـواقـفهم عليهم السلام هادئة رصـينة لأن المسـألة تـدور في أجـواء المـناقشة الفكـرية ولامكان في هذه الأجواء للإنفعال والسب والشتم وغـير ذلك مـن الاسـاليب البعيدة عن روح العلم وأخلاق الفكر.

إن من يملك القوة في فكره والثقة في نفسه لايخشى الحوار العلمي، بل يرحب به ويدعو اليه.. أما الذي لايملك هذه المواصفات فنراه يتهرب من الحوار ويلجأ إلىٰ الاساليب التشهيرية وطرق الإتهام والسب بل وحتّىٰ العنف عندما يواجـه الفشل والهزيمة. ومما يؤاخذ علىٰ ابن تيمية أنه كان شديداً علىٰ من يخالفه الرأي فبدل أن يدخل معه في حوار علمي، فإنه يلجأ إلىٰ إتهامه بأبشع التهم الخارجة عن أخلاق الإسلام، وكان كثير السب والشـتم للـعلماء الذيـن يخـالفهم الرأي والعقيدة. وقد جرىٰ علىٰ هذا المنهج البعيد عن الإسلام وعن كـل أخـلاقيات المنطق العلمي، طائفة من المسلمين يكـفّرون كـل مـن يخـالفهم الرأي دون أن

---

(١) الطبرسي / الاحتجاج / ج ٢ ص ٦٩.

يدخلوا معهم في نقاش وحوار، فتهمة الكفر والشرك جارية على لسانهم في كل حديث مع المسلمين الآخرين، والأكثر من ذلك أن الضرب والعنف وسيلتهم في التعامل مع من يخالفونه الرأي عندما يعجزون عن رده بالسب والإتهام بالكفر.

ورد عن الإمام عليّ قوله: ما حاججني عالم إلّا غلبته وما حاججني جاهل إلّا غلبني. وهذه مسألة طبيعية فالعالم يقدّر أبعاد الفكرة ويحترم الرأي المقنع، أما الجاهل فليس لهذه المقاييس أي اعتبار عنده.

الباب الأول

المؤسسة الدينية الشيعية

عودة إلى الماضي ورؤية نحو المستقبل

- المرجعية الشيعية.. دراسة في التجربة
- حاجة الأمة إلى المرجعية الرشيدة
- مسؤولية العلماء اتجاه الأمة.

الفصل الأول

المرجعية الشيعية

دراسة في التجربة

بعد غيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشريف، كانت المؤسسة المرجعية تتجه نحو نمط جديد من التركيب القيادي يختلف ذاتياً وهيكلياً عن مرحلة ما قبل الغيبة. فالقيادة التي كانت منحصرة في شخص الامام المعصوم عليه السلام كانت تمثل قيادة عامة تشمل كل ميادين الحياة، ويرجع اليها الفرد المسلم في كل شؤونه الفكرية والاجتماعية والسياسية. وكانت تمثل قمة الهرم في تركيبة المؤسسة الدينية، فلا مشاركة لموقع الامام المعصوم ولا منافسة على مهامه ولاإعتراض على رأيه. لأن المسلمين الشيعة الامامية يعتقدون بوجود إمام واحد في عصره، معصوم عن الخطأ والزلل، وأن قوله وفعله وتقريره حجة، وأن الراد عليه كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي هو رد على الله تعالى.

وبغيبة الامام المنتظر عليه السلام الكبرى عام ٣٢٩ هـ، انتقلت القيادة إلى الفقهاء الذين ألزم الامام الغائب شيعته بالرجوع اليهم لسد الفراغ الكبير الذي تركته غيبته عليه السلام. فراح الناس يرجعون في شؤونهم إلى الفقهاء ليستفتونهم في أمور دينهم ودنياهم، باعتبار أن الفقيه الجامع للشرائط هو نائب عن الامام الغائب، فقد جاء عن الامام العسكري عليه السلام قوله: (فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه).

من هنا بدأ التحول الجديد في الجهاز القيادي للمرجعية وراح يبلور نفسه في

نمط جديد لم يكن ممكناً في الفترات السابقة، فمع فقدان الزعامة الدينية صفة العصمة وانتهاء مرحلة تعيين القيادة المتمثلة بالامام الغائب ﷺ، أصبح الفقهاء هم الامتداد الطبيعي لخط الامامة، لأنهم نواب الامام المهدي، وعلى الناس أن يرجعوا اليهم في شؤون الدين والدنيا. وصار بإمكان أي فرد مؤمن أن يتبوأ رتبة النيابة عن الامام إذا استطاع أن ينال القدر المطلوب من الفقه واصوله والحديث وقواعده وما يتعلق بهما من مستلزمات ومقدمات، وتوفرت فيه الشرائط والمواصفات من ورع وتقوىٰ وكفاءة.



الشيخ مرتضىٰ الأنصاري

ولقد مرت القيادة المرجعية بعد الغيبة الكبرىٰ بعدة أطوار:

ففي الطور الاول اعتمدت على الاتصالات الفردية بين علماء مجتهدين وقواعد شعبية في البلاد التي يقطنها اولئك العلماء، فيفتونهم ويجيبونهم على ما يواجههم من مسائل شرعية في مختلف شؤون حياتهم. وتطورت هذه الحالة عندما كان يتوزع تلامذة المرجع في البلاد لأسباب مختلفة فيجيبون الناس عن مسائلهم الشرعية وفق آراء أساتذتهم المراجع، وهكذا بدأت الأوساط الشيعية تتعرف علىٰ أسماء مراجعها وآرائهم الفقهية.

ثم تطورت عملية اتصال الفقيه المجتهد بالقواعد الشعبية، حيث راح المجتهد يبادر بإرسال وكلاء عنه إلىٰ مختلف المناطق والاطراف ينقلون رأيه في المسائل

التي تهم الناس . ومن مجموع هؤلاء الوكلاء والمبلغين المرتبطين بالمرجع ، بدأت ملامح الجهاز المرجعي تتشكل بالتدريج ، ولعل من ابرز الفقهاء الذين وضعوا أسس هذه المرحلة هو الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي رضوان الله عليه (٧٨٦ هـ) الذي أرسل وكلاءه إلىٰ مختلف مناطق بلاد الشام وأمر بجباية الحقوق الشرعية . وبذلك أنشأ كياناً دينياً قوياً للمسلمين الشيعة لأول مرة في تاريخ المرجعية ، وكان انشاؤه لهذا الكيان من أهم الأسباب التي أدت إلىٰ مقتله كما يرىٰ ذلك السيد الشهيد الصدر قدس سره .

واستمر تطور دور المرجعية حتّىٰ وصل إلىٰ مرحلة التمركز والاستقطاب ، حيث برزت مرجعيات كبرىٰ غطت مساحات واسعة من العالم الإسلامي ، ولعل في طليعة الفقهاء في هذا الطور هو الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى عام ١٢٢٨ هـ، فقد امتدت مرجعيته إلىٰ كل الشيعة في العالم الإسلامي ، وفرض رضوان الله عليه قيادته بكل كفاءة وقوة في المجالات الفكرية والإجتماعية والسياسية مثل تصديه للهجوم الوهابي على النجف الأشرف ، وإنهاء الفتن الأهلية في المجتمع العراقي ، وتحمل الأعباء المالية للناس أمام الحكومة العثمانية وغير ذلك من المهام الكبيرة[١] .

ثم تطور دور المرجعية إلىٰ قيادة الامة في صراعها مع الاستعمار والقوىٰ الأجنبية التي غزت بلاد المسلمين ، فتصدىٰ مراجع الدين إلى الكثير من القضايا المصيرية للأمة وخاضوا معارك حاسمة ضد الغزاة المستعمرين في العراق وايران والشام .

تعدد المرجعيات :

تمتاز الحوزات الشيعية بعمق الدراسة وصرامة البحث العلمي ، فالمجتهد

---

(١) راجع مقدمة كتاب منهج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء .



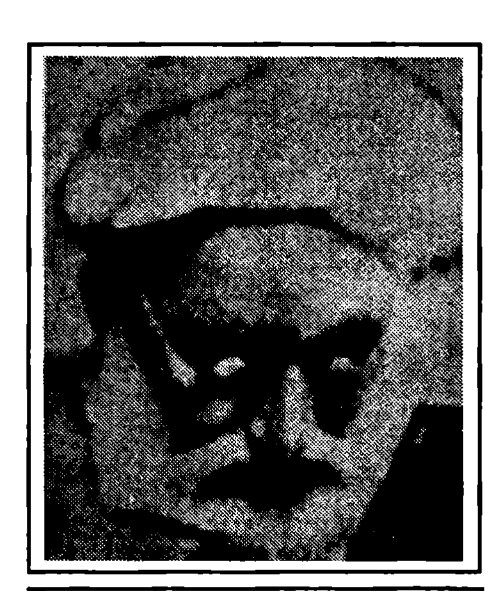
الشيخ عبد الله المازندراني، الشيخ حسين الخليلي، الآخوند الخراساني

لايكون مجتهداً حتّىٰ يقطع مراحل دراسية محددة وثابتة لايمكن تجاوزها، وحتّىٰ يتوفر علىٰ حصيلة علمية كبيرة في مجالات العلوم الإسلامية التي تمكنه من عملية استنباط الاحكام الشرعية من مصادر الشريعة وهي الكتاب والسنة. ولا يبلغ رتبة الاجتهاد إلّا عدد محدود من الدارسين في كل فترة زمنية، وعادة تستغرق الدراسة الحوزوية فترة طويلة من العمر حتّىٰ يصل الطالب إلىٰ رتبة الاجتهاد، ومن ثم يصبح بمقدوره أن يتأهل لموقع المرجعية.

وعادة يكون العمر هو العامل الحاسم في مسألة المرجعية، ففي الفترة الواحدة هناك عدة مجتهدين تتوفر فيهم صفات مرجع التقليد. إلّا أن المرجعية العامة لا تنعقد لواحد منهم إلّا بعد وفاة معاصريه، وهي حالة دائمة التكرر في الحياة الشيعية. فمثلاً بعد وفاة الميرزا الشيخ محمد حسن الشيرازي صاحب فتوى التنباك، برز أكثر من فقيه للمرجعية حيث توزع المقلدون علىٰ كل من السيد اليزدي والشيخ الخراساني والميرزا حسين الخليلي، وبعد وفاة الأخيرين صارت المرجعية العامة للسيد اليزدي منذ عام ١٩١١م وحتّىٰ وفاته عام ١٩١٩م.

وبعد وفاة السيد اليزدي توزعت المرجعية علىٰ عدة مراجع كان أبرزهم الميرزا محمد تقي الشيرازي صاحب ثورة العشرين، يليه الشيخ فتح الله

الأصفهاني والشيخ حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ مهدي الخالصي. وقد انعقدت المرجعية الدينية العامة للسيد الأصفهاني بعد وفاة الآخرين. وهكذا ظلت المرجعية متأثرة باعتبارات العمر والزمن وصولاً إلىٰ يومنا هذا.



الشيخ محمّد تقي الشيرازي

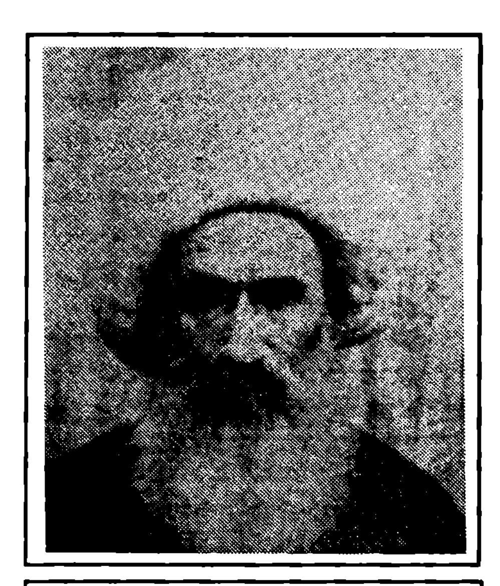
علىٰ طول هذا المسار التاريخي، ظلت المرجعية الشيعية تمثل الزعامة الدينية المطلقة، وقد تأكدت هذه القوة من خلال المواقف الكثيرة التي وقفتها المرجعية ازاء حالات وأحداث كبيرة شهدتها الساحة، فكان الإلتزام الجماهيري بمواقف المرجعية قوياً ثابتاً ،بحيث أن السلطات الرسمية أدركت بعمق هذه الحقيقة، فحاولت إستفراغ قوى المرجعية من التأثير في الساحة.

ولعل تجربة المرجعية في الفترة المتأخرة ودخولها الحياة السياسة بثقل كبير، دفع السلطات الحاكمة إلى التعامل مع المراجع بصورة خشنة، ومارست ضدهم إجراءات قاسية، فقد تعرض الامام الخميني للنفي من إيران، وواجه السيد محسن الحكيم مضايقات السلطة البعثية في العراق، وتعرض السيد الشهيد الصدر للإعتقال عدة مرات حتىٰ استشهد على يد السلطة عام ١٩٨٠م.

إن هذا التلخيص السريع حول المرجعية الدينية، ننطلق منه في تثبيت جملة من المرتكزات التي نراها أساسية في الخط العام لتحرك المرجعية:

أولاً: إستطاعت المرجعية عبر تاريخها الطويل أن تحافظ علىٰ استقلاليتها

الشخصية، فلم تكن مؤسسة تابعة للحكومات في البلاد الإسلامية .إن الاستقلالية كخط عملي ثابت سارت عليه المرجعية جعلها تتحرك بمرونة وقوة علىٰ ساحة الأحداث، فكانت تتخذ موقفها علىٰ اساس من رؤيتها وقناعاتها وفهمها للظروف المحيطة، وهذا ما جعل محاولات الضغط المضادة تواجه بثبات من قبل مراجع الدين. وقد تنبهت



شيخ الشريعة الأصفهاني

الحكومات إلىٰ هذه الظاهرة فحاولت عبر ممارسات عديدة إلىٰ ربط المؤسسة المرجعية بالجهاز الإداري للدولة. ولكن محاولاتها كانت تصطدم بحقائق ميدانية أبرزها الارتباط المباشر بين الجماهير الشيعية والمرجعية، حتّىٰ ولو كان هذا الارتباط يفتقد إلى الصيغة الأدارية والتنظيمية المطلوبة.

وفي ضوء ذلك من الأهمية الكبيرة أن تستمر حالة إستقلالية المرجعية في البلاد التي تحكمها أنظمة غير إسلامية، وهذا ما يستدعي دعم المرجعية وتصعيد قوة التلاحم بينها وبين الجمهور، لأن القاعدة الشعبية تمثل قوة كبيرة تعطي المرجعية صلابة الموقف في الحالات الصعبة.

ثانياً: تحظى المرجعية الدينية باحترام كبير باعتبار أنها إمتداد لخط الامامة، وكون المرجع يتصدىٰ للامور الشرعية نيابة عن الامام المعصوم عليه السلام ،هذا الاحترام الذي يصل إلىٰ حد التقديس، عنصر ايجابي كبير يمكّن المرجعية من أداء دورها في قيادة الجماهير المسلمة، وهذه النقطة تمثل ركيزة أساسية وعنصر

قوة للمرجع الديني في التصدي للمواقف والقضايا التي تواجه الامة ،مما يفرض على العلماء وأصحاب التوجيه الجماهيري تعزيز هذا الموقع لمراجع الدين في نفوس الأُمّة، بصرف النظر عن مسألة التقليد وتوزع جماهير الشيعة في تقليد هذا المرجع أو ذاك ، فالتحدي الذي يواجه المرجعية لاينظر إلى المقلدين إنما يستهدف الوجود المرجعي .

لقد أثارت مسألة التقليد وحجم دائرة المقلدين الكثير من الحساسيات بين أتباع المراجع ، وكانت تصل في بعض الأحيان إلىٰ خلافات علنية ومحاولة أتباع هذا المرجع توهين المرجع الآخر ، ظنّا منهم أن هذه العملية تخدم مرجعهم . إلّا أن الآثار المترتبة علىٰ هذه المواقف غير المسؤولة ، أضرت كثيراً بالموقف المرجعي العام ، إذ أنها ستنال بالنتيجة من موقع المرجعية وتقلل من قيمة النظرة الإجتماعية لمراجع الدين ، فضلاً عن مساهمتها في إضعاف الصف الشيعي الذي يعتبر تماسكه أهم عوامل قوته ، وبالتالي أهم عوامل قوة المرجعية كزعامة عامة للشيعة .

إن أعداء الإسلام وأعداء مدرسة أهل البيت عليهم السلام لاتهمهم شخصية المرجع بقدر مايهمهم إستهداف موقعه القيادي المؤثر في الساحة ، كما أن الحسابات الساذجة في زيادة عدد المقلدين هنا في مقابل إنقاصهم هناك ـ هذا علىٰ فرض أن العملية الدعائية تمت بعقلية هادفة ـ لاتعني أنها ستساهم في خلق مرجع قوي بإمكانه أن يخدم الشيعة عندما يمتلك قاعدة تقليدية واسعة ، بل اننا نرىٰ أنها تضعف الكيان المرجعي للشيعة ، لأن إضعاف أي مرجع هو إضعاف للكيان كله ، وهذا مايريده الأعداء . لذلك رأينا في الكثير من التجارب السابقة أن جهود الحكام المستكبرين والأجهزة المعادية كانت تتحرك في هذا الاتجاه ، فكانت أيديهم الخفية تغذي هذه العمليات الدعائية بصورة مغرضة .

وإذا نظرنا إلىٰ هذه المسألة من زاوية أخرىٰ فإننا نلاحظ أن هناك مواقف

ضخمة قدمت خدمات جليلة للتشيع، قام بها مراجع دين لايتمتعون بقاعدة تقليدية واسعة مثل المجدد الكبير الشيخ محمد رضا المظفر طاب ثراه، فالإصلاحات الكبيرة التي قام بها لم يقم بها غيره من المراجع الذين ثنيت لهم الوسادة في عصره. وكذلك الأمام الخميني قدس سره، فلقد حرك الأحداث في ايران بشكل أربك حكومة الشاه بداية الستينات مع أنه لم يكن آنذاك من مراجع التقليد البارزين. والشهيد الصدر قدس سره هو الآخر لم يكن المرجع الديني الأول في العراق ورغم ذلك حرّك الأحداث الثقافية والاجتماعية والسياسية بصورة لم يفعلها المراجع الآخرون.

كانت الخدمات التي قدمها أمثال هؤلاء المراجع على قدر كبير من الأهمية لمصلحة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.. وهم الذين أعطوا التشيع والمرجعية القوة التي فرضت وجودها على الساحات الإسلامية.. وهم الذين ساهموا بشكل أساس في ربط الأمة بالمرجعية بصورة واعية أكسبتها القوة الجماهيرية.

وخلاصة الفكرة، أن المرجعية الدينية هي كيان واحد وإن كانت متعددة بتعدد مراجع التقليد، وأن محاولة تجزئة المرجعية علىٰ أساس الأشخاص وتحويلها من صفة الكيان إلىٰ صفة الشخص، هي محاولة ضارة بالوجود الشيعي العام وبالكيان المرجعي برمته.

ثالثاً: عاشت المرجعية الدينية تجربة رائدة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي تمثلت في أطروحة المراجع الكبار، والتي كانت على الشكل التالي:

١ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء للافتاء.

٢ ـ الشيخ حسين نجف لإمامة الصلاة.

٣ ـ السيد بحر العلوم للتدريس.

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

(أجمع العلماء كالسيد الطباطبائي ـ أي السيد بحر العلوم ـ والشيخ حسين نجف، والشيخ جعفر، وأمثال هؤلاء علىٰ أن يوزعوا أمر التدريس والجماعة على المبرزين من علماء ذلك العصر. فجعلوا المنبر لنائب إمام العصر حجة الله المهدي، عليه رحمة المعيد المبدي، لكونه الأهم، فاعطي للأعظم، فلم يكن يرقى منبرا في زمانه سواه، وجعلوا أمر التقليد في سائر الأمصار إلىٰ وكيل الامام الأكبر الصادق جعفر.. وجعل الأئتمام بالناس لزين العابدين في زمانه، وقدوة الساجدين من اقرانه الشيخ حسين نجف)[1].

لقد استطاعت تلك الأطروحة أن توحد الجماهير الإسلامية إلىٰ حد بعيد، ولكن للأسف لم تستمر هذه التجربة في الفترات اللاحقة رغم ايجابياتها الكبيرة، وتحولت المرجعية إلى التعددية.

إن التعددية قد لاتشكل خللاً في حالة انسجام الرؤية العامة للمراجع تجاه الأحداث الحساسة في حياة الأمة والتي تستدعي موقفاً موحداً من قبل المراجع. إلّا أنها تنضوي علىٰ بعض السلبيات في حالة إختلاف توجهات المراجع في الرؤىٰ والمواقف، كما أن التعددية قد تفسح المجال أمام بعض المغرضين لإثارة الخلاف داخل الصف الشيعي، وهو ما عانى منه الوسط الشيعي ولايزال.

رابعاً: بعد التطورات التي شهدها الواقع الاجتماعي والسياسي في البلدان الإسلامية، وما نجم عنها من تحديات كبيرة، أصبح التحرك الإسلامي يمثل حقيقة أساسية في عالم اليوم، وهو ما يستلزم مواكبة المرجعية لأشكال

---

(١) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، تحقيق الدكتور جودت القزويني، ص ٤٩.

واتجاهات التحرك الإسلامي بمختلف صيغه واشكاله ،باعتبار أن الحركة الإسلامية مرتبطة بموقف المرجعية عضوياً، فهي تكون قوية مع وجود المرجعية القوية القادرة علىٰ استيعاب التحرك الإسلامي واشباع حاجاته ورعايته وحمايته.

ولقد أظهرت التجربة الإسلامية في العراق هذه المسألة بوضوح، فلقد حظيت الحركة الإسلامية في بدايات انطلاقتها دعم وتأييد المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم طاب ثراه، مما أكسبها قوة التحرك وسعة الإنتشار، وكانت السلطات البعثية في العراق تشخّص هذه العلاقة المنسجمة بين المرجعية وبين الحركة الإسلامية، إلّا انها لم تكن تجرأ علىٰ توجيه ضربة للحركة الإسلامية، حذراً من موقف المرجع السيد الحكيم الذي يتمتع بقاعدة شعبية واسعة قلما حدثت في تاريخ العراق الحديث. وقد إضطرت السلطة إلىٰ تأجيل مواجهتها مع الحركة الإسلامية إلىٰ ما بعد وفاته قدس سره. وقد تسرب عن أحد المسؤولين في الدولة آنذاك أن الحكومة تنتظر وفاة السيد الحكيم لتباشر تنفيذ خطتها في ضرب حزب الدعوة الإسلامية .وفعلاً نفّذت السلطة الظالمة تلك الخطة الارهابية وتعرضت الحركة الإسلامية إلىٰ مطاردة وحشية طويلة ذات فصول مأساوية. ولم تقف المرجعية التي خلفت الامام الحكيم نفس موقفه، إنما كانت وجهة النظر مختلفة تماما من حيث الموقف من العمل الإسلامي السياسي.

إن التلاحم بين التحرك الإسلامي وبين المرجعية من المسائل الحيوية في الحياة الإسلامية المعاصرة، خصوصاً بعد أن أصبحت المعركة مكشوفة وعلنية بين الأنظمة الاستكبارية وبين الإسلام.

ولما كانت هذه النقطة ترتبط بالبنى الفكرية للمرجع، فإن مشكلة التحرك الإسلامي ستظل مرهونة بشخص المرجع وطريقة تفكيره، ما لم يتم صياغة أسس علمية وموضوعية لجهاز المرجعية بحيث تكون له القدرة على النهوض

بالواقع الإسلامي إلىٰ مستوىٰ حركة السياسة العالمية.

إن المرجعية الدينية اليوم تواجه واقعاً جديداً يختلف عن الفترات السابقة بحكم التطورات والتعقيدات التي أفرزتها حركة السياسة في البلاد الإسلامية وعلى الساحة العالمية، وما رافق ذلك من انعكاسات علىٰ مجمل الاوضاع الإسلامية. كما أن المسألة لاتقتصر على الجانب السياسي وحده، انما هناك المسألة الثقافية والاجتماعية التي تستدعي إثارة عناصر التحفز في الوسط الإسلامي من أجل مواجهة نمط جديد من التحديات الحضارية التي تواجه الانسان المسلم في حياته العامة.

إن الاستيعاب الشمولي للواقع الإسلامي المعاصر بكل مفرداته وتعقيداته، يقودنا إلىٰ اتجاه محدد في النظر والتقييم والبناء يهدف إلىٰ بحث مسألة المرجعية علىٰ أعلى المستويات من قبل العلماء وذوي الوعي والمعرفة والاخلاص والكفاءة.. مع الأخذ بنظر الاعتبار ضخامة التطورات السياسية التي شهدها العالم، وما يوفره التطور العلمي من وسائل اتصال سريع ومن تقدم في المجالات الاعلامية والوسائل التثقيفية. هذا إلىٰ جانب تنامي الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين في مختلف بقاع العالم، وبروز الصحوة الإسلامية كقوة فكرية وسياسية تواجه تحديات كبيرة وتتحمل مسؤوليات جسيمة في حمل رسالة الإسلام ونشر فكر وهدىٰ أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن مدرستهم الأصيلة.

الفصل الثاني

حاجة الأمة إلى المرجعية الرشيدة

بعد أن سقطت الامة الإسلامية صريعة علىٰ يد الاستعمار، بـدأت مـرحـلة مختلفة من حياتها، فلم يعد الإسـلام هـو الذي يحكـم حـياتها ـ ولو بـصورته الظّاهرية ـ وتعرضت لسياسات مدروسة من قبل الاستعمار لمسـخ شـخصيتها ومصادرة هويتها الإسلامية، إذ ان الاستعمار كان يخطط بشكل ممنهج واعـتماداً علىٰ دراسات المستشرقين لتوجيه ضربة قـاصمة للاسـلام، تحـوله إلىٰ مجـرد طقوس وشعائر فارغة المحتوىٰ.

وعلىٰ امتداد عقود من الزمن نجحت الخطة الاستعمارية إلىٰ حـد بـعيد مـن خلال الاساليب المختلفة التي طالت ابناء الامة الإسلامية في المجالات التربـوية والثقافية والاجتماعية. وزرع الاسـتعمار في صـفوف الامـة العـناصر المـتأثرة بالغرب عن طريق الارساليات التبشيرية من جهة وإيفاد الطلاب المسلمين إلى البلاد الغربية لتلقي دراساتهم هناك، وتركت هذه العملية آثارها السـلبية عـلى المجتمع الإسلامي فيما بعد، ولاتزال المجتمعات الإسلامية تعاني من نـتائجها إلىٰ الآن.

كما أن الأجهزة الاستكبارية شجعّت التيارات الفكرية المستوردة في العـمل بحرية علىٰ أرض المسلمين، فنشطت الحركات العلمانية والكافرة في المجـتمعات الإسلامية، واتخذت اشكالا سياسية مختلفة من اقليمية وقـومية ومـاركسية، كانت تلتقي جميعها في هدف مشترك هو إبعاد الدين الإسلامي عن الحياة العامة،

وخلق حاجز بين ابناء الامة وبين علماء الدين.

ونتيجة لشراسة الحملة ومنهجيتها استطاعت الاجهزة الاستعمارية أن تنجح في هذا السبيل. والذي مكّنها من ذلك عدم اهتمام مراجع الدين في الأعم الأغلب بشؤون السياسة، واستغراقهم في الشؤون الحوزوية والبحث العلمي.

ورغم أن البحث العلمي الإسلامي كان يحقق انجازات كبيرة على الصعيد الحوزوي، إلّا أن الجانب الثقافي المتصل بالوضع العام كان يزداد تردياً نظراً لإنصراف العلماء عنه وترك المجال حراً لأعداء الإسلام يعملون بحرية كاملة.

وقد ظهرت بعض الصرخات الواعية التي نادت بضرورة إحداث الاصلاح في الواقع الإسلامي، كان المبادر فيها السيد جمال الدين الأفغاني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، فلقد شخّص هذا الرجل الفذ أسباب الخلل في البلاد الإسلامية، وأدرك مصدر الخطر الذي يتعرض له المسلمون في حاضرهم ومستقبلهم، فحمل لواء الاصلاح في الأقاليم الإسلامية التي تنقل فيها مثل ايران والعراق ومصر وغيرها، وكان شجاعاً جريئاً في طرح أفكاره الاصلاحية بصورة موضوعية نالت الاعجاب والاستحسان من قبل قطاعات مختلفة من أبناء الامة. واستطاع أن يوجد قاعدة من المؤمنين بأفكاره والسائرين علىٰ دربه في البلدان التي حلّ فيها.

لكن صرخة السيد جمال الدين وحركته الاصلاحية لم تحقق النتائج التي كان يتطلع اليها، والسبب في ذلك يعود إلىٰ أن السيد جمال الدين رغم سعة ثقافته وغزارة معلوماته وقدرته الخطابية المتميزة، إلّا أنه لم يكن مرجعاً دينياً. وهذه مسألة علىٰ قدر كبير من الاهمية في الوسط الشيعي، إذ أن الشيعة يتلقون من المرجع بشكل أكبر بكثير مما يتلقونه من العلماء غير المراجع لاسيما في القضايا المصيرية، لذلك كان تأثير السيد جمال الدين في الأوساط السنية أكثر من تأثيره في الأوساط الشيعية.



السيد محمّد حسن الشيرازي

وهناك مسألة أخرىٰ في هذا المجال وهي أن السيد جمال الدين أشيع عنه في ذلك الوقت أنه لايحظىٰ بتأييد المرجعية العليا للشيعة ، وكانت هذه النظرة كفيلة بأن تحجم دوره وتؤثر سلباً علىٰ حركته في الأوساط الشيعية لاسيما في العراق حيث مركز المرجعية الدينية .

ومع ذلك فقد كانت لجهوده ونشاطاته عطاءاتها في بعض البلدان الإسلامية ، ففي ايران ساهمت آراؤه وتحركاته في زرع بذور فكرة المشروطة أو الحركة الدستورية التي انطلقت مطلع هذا القرن في ايران والعراق على يد علماء الدين . كما أن حركته الاصلاحية حفّزت بعض العلماء فيما بعد على التحرك والعمل لإنقاذ الأوضاع المتدهورة في البلاد الإسلامية .

رغم سيطرة حالة الجمود علىٰ الاوساط الإسلامية ،إلّا أنه في بعض الفترات كانت تظهر شخصيات رائدة في عالم المرجعية تمارس الدور المطلوب الذي تنتظره الامة في حياتها . ومن هؤلاء العظام الميرزا حسن الشيرازي قدس سره الذي تصدى بكل صلابة وحسم لمسألة النفوذ التجاري البريطاني في ايران ، وتدخّل بقوة لإحباط اتفاقية (التنباك) بين حكومة ناصر الدين شاه والشركات البريطانية ، وهي الاتفاقية التي كان من شأنها لو نفذّت أن تعرض المزارعين

والتجار الايرانيين وبالتالي الشعب الايراني إلىٰ متاعب اقتصادية كبيرة.

لقد درس الميرزا الشيرازي قدس سره الموضوع بدقة وتعرف علىٰ ابعاد الاتفاقية واضرارها علىٰ اقتصاديات الشعب المسلم في ايران. وعندما توصل إلى القناعة التامة الواضحة في هذا الشأن، أصدر فتواه الشهيرة بحرمة التدخين، وكانت الاستجابة ملفتة للنظر، حيث امتنع الشعب بأسره عن التدخين. وقيل أن الالتزام بالفتوىٰ سرىٰ مفعوله إلىٰ داخل قصر الشاه نفسه مما أثار دهشته وأدرك أنه لايمكن أن يقف أمام قرار المرجعية الحاسم .فلم يعد بامكانه أن يتحدىٰ هذا التلاحم التاريخي بين المرجعية والامة، واضطر إلى التراجع عن موقفه وإلغاء الاتفاقية.

بعد حادثة التنباك شهدت الساحة الإسلامية في ايران والعراق ظهور حركة المشروطة التي قادها الآخوند الخراساني صاحب الكفاية قدس سره، وكانت حركة سياسية ضخمة استطاعت ان تسيطر على الساحة الايرانية عموماً وتفرض ارادتها على الحكم الملكي وتضطره إلىٰ الاستجابة لمطاليب العلماء والجماهير في إقرار الحياة الدستورية في البلاد. وكان من شأن هذه الحركة أن تؤدي إلىٰ قيام حكومة اسلامية لولا تدخل العناصر المشبوهة والمنحرفة إلىٰ قيادة الحركة وسيطرتها علىٰ مجريات الامور في الظروف الحسّاسة. واستغلت هذه العناصر حالة الاختلاف في صفوف العلماء وإنقسام مواقف المراجع حول الحركة ومشروعيتها، فتمكنت الأيدي المرتبطة بالدوائر الاستعمارية من حرف المسيرة ومصادرة الحركة .

ربما تكون هناك ملاحظات ووجهات نظر كثيرة حول هذا الموضوع تناولها الكتاب والمؤرخون، إلّا أن الذي يعنينا هنا أن المرجعية كانت تلبي حاجة الامة، وكان التلاحم بين المرجعية والجماهير يقهر القوى المعادية ويضطرها للرضوخ إلىٰ قرار المرجعية وإرادة الامة. كما أن الذي يعنينا أيضا الاشارة إلىٰ أن موقف

المرجعية من أجل أن يعطي نتائجه المطلوبة على أرض الواقع وبشكل يضمن استمراره المعطاء في مستقبل الامة، لابد من امتلاكه النظرة الشمولية الواعية الدقيقة لكل أبعاد القضية حتىٰ لاتتعثر المسيرة وسط الطريق أو تتلكأ خطواتها أو تتعرض للمصادرة والاحتواء.

ومهما يكن من أمر فان الامة وصلت إلىٰ قناعة كافية بأن مرجعيتها قادرة علىٰ حسم المواقف الصعبة.. وفي المقابل فإن الدوائر الاستكبارية أدركت من جهتها خطورة موقع المرجعية ودورها الكبير في التأثير على الاحداث وقيادة الامة. وقد انطلقت من هذا الادراك في رسم مخططاتها ومشاريعها على المدى البعيد لإيجاد حاجز بين الامة، والعمل من أجل انهاء الدور القيادي للمرجعية في الحياة السياسية.

لم تمض فترة طويلة علىٰ الاحداث السابقة حتىٰ اندلعت الحرب العالمية الاولىٰ عام ١٩١٤م، وتعرضت البلاد الإسلامية لخطر الاحتلال الغربي الصليبي. وهنا كان الموقف التاريخي الاخر للمرجعية الشيعية، فقد أفتى مراجع الدين في النجف وكربلاء والكاظمية بوجوب الجهاد والتصدي للمعتدي الكافر. واستجابت الجماهير المسلمة لهذه الفتاوىٰ بكل قوة واندفاع، لاسيما وأنها وجدت علماءها في مقدمة الصفوف يتقدمون إلىٰ ساحات الجهاد لمواجهة العدوان.

ومع أن الحرب انتهت لصالح الاستعمار الذي سيطرت قواته على العراق وغيره من البلاد الإسلامية، إلّا أن المرجعية لم تلق السلاح وظل موقفها المعارض للإحتلال ولمشاريعه السياسية هو السمة البارزة والخط العام الذي التزمت به وأكّدته للأمة من خلال الفتاوىٰ والنداءات والإحتجاجات التي كانت تصدرها للرأي العام الإسلامي والدولي.

وكانت الوقفة الخالدة للمرجع الديني الميرزا محمد تقي الشيرازي (قدس



السيد محمّد سعيد الحبوبي مع مجموعة من العلماء المجاهدين

سره) إحدى المحطات الهامة في تاريخ المرجعية المعاصر، فلقد أعلن قدس سره الثورة الشعبية المسلحة علىٰ الانجليز فيما عرف بثورة العشرين، وهي الثورة التي أجبرت قوات الاحتلال علىٰ تشكيل الحكومة العراقية.

وعندما وجدت المرجعية الدينية أن الحكومة التي شكلتها السلطة الانجليزية كانت صورية لاتعبر عن إرادة الامة، وأن المشاريع التي فرضها على الشعب العراقي لاتنسجم مع تطلعاته ولا تحقق أهدافه التي ضحى من أجلها، واصل مراجع الدين مواقفهم البطولية في معارضة السياسة الاستعمارية، مما أحدث إرباكاً خطيراً في أوضاع السلطات المحتلة، وتعطلت مشاريعها السياسية في العراق.

قلنا إن الاجهزة الاستعمارية بعد أن أدركت قوة المرجعية وتأثيرها في الأحداث .. وأحست بخطورة التلاحم بين المرجعية والامة علىٰ سياساتها وبرامجها، أخذت تخطط لتوجيه ضربة لهذا التلاحم الإسلامي المتين، وكانت خطتها ذات بعدين:

الاول: توجيه ضربة عاجلة مباشرة للمرجعية باعتبارها الموقع القيادي الميداني للأمة، بحيث تفصل المرجعية عن جماهيرها.

الثاني: تحويل نتائج الخطوة الاولى في إبعاد المرجعية عن الامة ميدانياً إلىٰ حالة دائمة في الوسط الشيعي، وذلك من خلال الوسائل التربوية والثقافية التي تؤثر علىٰ توجهات الامة ومعنوياتها وارتباطها العقائدي بقيمها الإسلامية وبتراثها الديني.

كانت الخطوة الاولىٰ متمثلة في إبعاد ونفي مراجع الدين وعلماء المسلمين البارزين من العراق إلىٰ إيران وذلك لإنهاء حالة التلاحم الوثيق بين المرجعية والامة، وعزل القيادة عن قواعدها الجماهيرية. وقد نجحت هذه السياسة في تمرير المخططات الاستعمارية وفرض مشاريعها على الساحة العراقية.

وبعد هذه الخطوة بدأت تنفيذ البعد الثاني في هذه السياسة الاستكبارية المعادية للاسلام، حيث عملت السلطات علىٰ دعم وتقوية الاتجاهات السياسية والحركات العلمانية المضادة للعقيدة الإسلامية، فإنتشرت الثقافات القومية والماركسية في المجتمع الإسلامي، وساد الفكر المستورد على الشارع الثقافي من خلال الاعلام والكتب والنشريات والمدارس والنوادي الثقافية وغير ذلك من أوجه التأثير الثقافي. ومع انحسار دور المرجعية كانت السياسة التثقيفية المضادة تبسط مظاهر الانحراف على الساحة عموما.

ورغم ظهور بعض المحاولات الجادة لإعادة الامة إلىٰ أصالتها، إلّا أن التيار المعادي كان شديداً بحكم كونه مدعوماً من الاجهزة الرسمية ومبرمجاً بدقة في الدوائر الاستكبارية.

ومع مرور الزمن كانت الثقافة المضادة لاسيما الفكر الشيوعي يتسرب بقوة واندفاع إلىٰ الأجيال الإسلامية. حتّىٰ أن الخمسينات من هذا القرن كانت فترة السيطرة الشيوعية والقومية علىٰ مجتمعنا الإسلامي. في مقابل انحسار الإسلام الحركي من الساحة، حتّى الشعائر الحسينية دخل اليها الشيوعيون أعداء الدين. ولو أن الأمور سارت علىٰ ذلك المنوال لما بقي للإسلام في مجتمعنا سوىٰ

الاسم والطقوس الفارغة من المحتوى العقائدي الأصيل.

ولادة التحرك الإسلامي

في تلك الأجواء القاتمة وفي النصف الثاني من الخمسينات، بدأ تفكير ثلة من العلماء الواعين والشباب الرسالي المثقف بضرورة مواجهة الانحراف المطبق على الساحة، وإعادة الامة إلىٰ أصالتها الإسلامية قبل أن يستفحل الخطب أكثر وتموت كل الآمال وامكانات الإنقاذ.

كان في مقدمة تلك الصفوة استاذنا وقائدنا المرجع الشهيد السيد الصدر (قدس سره) الذي أقدم علىٰ أكبر مشروع حركي اسلامي في تاريخ العراق الحديث، عندما أسس حركة اسلامية تقوم علىٰ أساس الفكر الإسلامي الاصيل الذي أرسته مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وقد أطلق علىٰ هذه الحركة اسم (الدعوة الإسلامية) إستهداءً بتجربة رسول الله ﷺ عندما بدأ دعوته في مجتمع الجزيرة المشرك، وقاده إلىٰ نور الايمان والهداية على الطريق المستقيم.

لقد استطاعت هذه الحركة خلال فترة قصيرة أن تحدث تغييراً كبيراً في المجتمع العراقي، حيث واجهت التيارات العلمانية والماركسية تراجعاً ملحوظاً من الساحات التي كانت تسيطر عليها. وانتشرت مظاهر التدين والالتزام بالتعاليم الإسلامية في المدارس والجامعات، وعادت المساجد إلىٰ رسالتها الاصيلة فقد كان حضور الشباب المؤمن فيها واضحا بعد أن كانت أشبه بالمهجورة ولايدخلها إلّاكبار السن.

لانريد هنا أن نتحدث عن الانجازات الكبيرة التي حققتها الحركة الإسلامية علىٰ صعيد التغيير الإسلامي في العراق، فهذا ما تناولته الكتابات الكثيرة التي أرّخت لتلك الفترة من تاريخ التحرك الإسلامي، ولكن نكتفي بالإشارة إلىٰ مسألة أن الكتب التي بدأت تطرح في الساحة الثقافية، كانت تختلف عن النهج



السيد الشهيد محمّدباقر الصدر

الذي كان سائداً في تلك الفترة، حيث بدأت مرحلة جديدة من الطرح الثقافي كانت تتميز بتقديم الفكر الإسلامي الذي يعالج حاجات الأمة في المرحلة التي تعيشها وتعدّها للمستقبل المطلوب، وذلك علىٰ أساس الفكر الإسلامي الأصيل. فلأول مرة في تاريخ الفكر الحديث يتصدى السيد الشهيد الصدر للأفكار الماركسية والرأسمالية والتيارات الفلسفية العلمانية، ويناقشها بموضوعية متجردة علىٰ قدر كبير من الدقة والشمولية ويثبت انحرافها عن الصواب وعجزها عن حلّ مشكلة المجتمعات الانسانية، وبذلك حوّل المعركة من الدفاع إلى الهجوم، وأجبر أصحاب التيارات المضادة إلى الدفاع بعد أن كانوا هم البادئين بالهجوم وكان الاسلاميون هم الذين يدافعون علىٰ طول الخط.

وإلىٰ جانب كتابات الامام الصدر العملاقة، ظهر ولأول مرة أيضا المنهج الحركي في الكتابة الذي كان يعالج الحاجات الميدانية اليومية للعاملين في طريق الإسلام، ومشكلات الامة الإسلامية وكيفية ايجاد الحلول الموضوعية لها، وكان من الراود الأوائل لهذا المنهج الفكري الاصيل سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله الذي تربت علىٰ كتاباته وكتابات رفيق دربه الشهيد الصدر أجيال العاملين المضحين للاسلام باخلاص وصدق، ويكفي أن نقول أن عشرات الآلاف منهم استشهدوا علىٰ هذا الطريق من أجل الإسلام العظيم.

وقد شجعت هذه المنهجية الحركية علىٰ بروز تيار من الكتابات الفكرية ذات الطابع الحركي الذي يعالج القضايا الاجتماعية والثقافية والتاريخية على أساس اسلامي أصيل، وبما يخدم حاجات الامة.

لقد أخذ النشاط الإسلامي يأخذ مواقعه الطبيعية في أوساط المجتمع بعد أن أقصي عنها لعقود عديدة، واستعادت الامة هويتها الإسلامية وثقتها بمرجعيتها القائدة المتحركة التي تتصدىٰ بقوة لقضاياها، وتبذل كل ما بوسعها من أجل تمكين ارادتها وتحكيم قيمها الإسلامية الاصيلة في الحياة. فبدأت بالالتفاف حولها والسير في خطاها المباركة.

دور المرجعية في حياة الأمة

في التجارب السابقة التي استعرضناها، كان الوعي الجماهيري يمثل مرتكزا هاما واساسيا في حركة الأحداث، فمع غياب الوعي الجماهيري يصبح من السهل على القوى المضادة أن تتسلل إلىٰ داخل الجسم الإسلامي فتزرع فيه عناصر التمزق وعوامل التخلف وكل ما من شأنه أن يحقق أغراضها المعادية للإسلام، ولقد رأينا كيف أن هذه القوىٰ كانت تنشط في الاجواء المغلقة التي تجد فيها أفضل وسط للتحرك والانطلاق في مشاريعها التخريبية.

ومع الوعي الجماهيري تقف هذه القوى عاجزة عن القيام بأي دور ونشاط، لأن الجمهور يحبط مشاريعها ويجهض أية محاولة تستهدف المجتمع الإسلامي.

من هنا كانت الدوائر الاستكبارية تولي أهمية خاصة لمسألة الوعي عند الأمة ،وترصد بدقة مفاصل الوعي والثقافة فيها من أجل أن تصمم الخطط المضادة التي تحاول تعطيل هذه المفاصل وشلّ حركتها.

لقد استطاعت المرجعية الحركية أن تصنع مرحلة جديدة في حياة الأمة الإسلامية من خلال توسيع دائرة اهتماماتها لتشمل القضايا الاجتماعية

والسياسية التي تخص البلاد الإسلامية، وتتصل بحياة المسلمين اليومية، بعد أن كانت معزولة عن هذه القضايا ولاتعيش إلّا اهتماماتها الخاصة. فلقد تصدت المرجعية الحركية لكل شأن وقضية لها علاقة بواقع المسلمين، وأعتبرت أن هذا من صلب مهامها ورسالتها تجاه الامة، وأن رفع المستوى الفكري والثقافي لعموم أبناء الامة من المسائل الأساسية والحيوية التي تضطلع بها، باعتبار أن المواجهة بين الإسلام وبين الكفر العالمي تحتاج إلىٰ وعي جماهيري كبير على الاصعدة الثقافية والاجتماعية والسياسية، من أجل ان يتمكن ابناء الإسلام من رصد أية محاولة تستهدف الواقع الإسلامي بكل دقة وموضوعية، ومن أجل أن يتمتعوا بالإستيعاب الشامل لكل الأجواء والظروف التي تحيط بهم، وبذلك لايمكن لأي قوة أن تتسلل إلىٰ مواقعهم وتنفذ في عمقهم.. ولايمكن لأي مشروع مضاد أن يحقق أغراضه في المجتمع الإسلامي، لأن الامة الإسلامية بوعيها ستقف بوجهه بكل حكمة وصلابة وستدافع عن اسلامها وعقيدتها بكل وضوح وموضوعية.

إن المرجعية الحركية في منهجها العام الذي انتهجته في طريق نشر الوعي والثقافة الحركية بين صفوف الأمة، وعبر جهود مضنية مخلصة، تمكنت من وضع المخططات المعادية في زاوية ضيقة، حيث كشفت للأمة أبعاد السياسة الاستكبارية، وما هو المطلوب من الجماهير الإسلامية أن تقوم به في التصدي لأية محاولة تستهدف الإسلام والمسلمين. وبذلك حدث التلاحم التاريخي بين الامة وبين قيادتها المرجعية، هذا التلاحم الذي يشكل تحولا هائلا في حركة الامة ومسارها الحضاري العام، ويعد تهديدا خطيرا لكل القوى المعادية الطامعة في بلاد المسلمين وفي المجتمعات الإسلامية. وقد وجدنا جميعا خلال العقود الثلاثة الماضية كيف أن الامة الإسلامية في ايران والعراق ولبنان وقفت بكل قوة وثبات أمام التحديات الأستكبارية الدولية والإقليمية، إستجابة لقياداتها الدينية الحركية، بحيث كانت تلك الفترة فترة التراجع الاستكباري

الذي تعرض لأكثر من هزيمة.

ورغم أن الأجهزة المعادية حاولت بكل امكاناتها وتجاربها ومخابراتها أن تستعيد مواقعها السابقة وأن تعوض الخسائر التي منيت بها، إلّا أن محاولاتها باءت ثانية بالفشل، نتيجة القاعدة الواسعة من أبناء الإسلام الواعين والمنضوين تحت قياداتهم الدينية.

الفصل الثالث

مسؤولية العلماء اتجاه الأمة

من المسائل الهامة في الواقع الاجتماعي، ضرورة قيام علماء الدين بـدورهم الميداني مع الجماهير، من أجل خلق حالة ثقافية عامة تنهض بالمستوى الثقافي للأمة. فقد تعرضت الامة الإسلامية خلال الفترات السابقة لمحاولات مـضادة استهدفت عقيدتها وأصالتها الإسلامية. كما أن الظـروف الصـعبة التي عـاشتها خلال القرون الماضية تركتها تعيش حالة مأساوية من الفقر والجهل الذي سيطر علىٰ قطاعات واسعة منها. ولاتزال الكثير من المجتمعات الإسلامية تعاني آثار التخلف والجهل، بحيث تشكل الأمية نسبة كبيرة مقارنة بالمتعلمين.

كان الجهل هو الحالة التي أرادها الاستعمار للأمة الإسلامية من اجل فرض سيطرته عليها لأطول فترة ممكنة، وحتىّٰ يمكنه من إمتصاص ثرواتها الكـبيرة التي تتمتع بها. ورغم أن الظروف السياسية تبدلت بشكل ملموس منذ النصف الثاني من هـذا القـرن، إلّا أن بـرامج التـعليم والتـوعية الجـماهيرية في البـلدان الإسلامية، لاتزال متردية إلىٰ حد كبير، وهناك العـديد مـن الحكـومات التي لاتولي التعليم والتربية الثقافية الأهمية المطلوبة ،مـقارنة بـاهتماماتها في تـقوية وتدعيم الأجهزة الأمنية والعسكـرية لأنـظمتها، بحـيث أن مـيزانـية التسـلح والإنفاق العسكري والأمني يفوق بأضعاف مضاعفة ميزانية التعليم.

كما يجب أن نضع في الاعتبار أن التـعليم والتـثقيف الحكـومي له أغـراضـه ومصالحه الخاصة، فهو يسير وفق المنهج الحكومي الذي يريد تربية أبناء الأمة

على الثقافة التي تخدم نظام الحكم ،بصرف النظر عن قيمها وإنسجامها مع المفاهيم الإسلامية. وربما تحاول جاهدة طمس أصالة الفكر الإسلامي ،وتقديم الأفكار والمفاهيم التي تخدم مصالحها من قبيل إبعاد الدين عن السياسة، وتحويله إلىٰ مجرد طقوس وشعائر وممارسات عبادية فارغة من محتواها الحقيقي الذي يريده الإسلام.

إن هذه الصورة للثقافة العامة في البلاد الإسلامية، لابد أن تدفع علماء الإسلام إلى القيام بدورهم الحقيقي في نشر الافكار الإسلامية ومفاهيم الدين الأصيلة في الأوساط الاجتماعية، وهي مسؤولية كبيرة وخطيرة، باعتبار أن للعالم الديني مكانته في المجتمع، وأن أبناء الأمة ينظرون اليه على أنه الرجل الذي يطرح رأي الإسلام. ولعل هذه النظرة إلى العالم الديني هي التي دفعت الحكام منذ القدم إلىٰ محاولة إحتواء العلماء وإخضاعهم لسلطتها ،من أجل أن يساهموا في توجيه الثقافة الجماهيرية بالشكل الذي يريده الحاكم ،فنشأت نتيجة ذلك طبقة وعاظ السلاطين التي تسببت في الكثير من المحن والمشاكل ،إثر ما نشرته من إنحرافات لإرضاء الحكام، فضللت قطاعات واسعة من الأمة وأبعدتهم عن القيم الإسلامية الصحيحة .

ومن الحقائق التاريخية أن ظاهرة وعاظ السلاطين لم تتسرب إلى القيادات الدينية الشيعية ،فلم يخضع مراجع الشيعة للإغراءات المقدّمة من قبل الحكام والسلاطين، وظل موقف المراجع نزيهاً في هذا الجانب إلىٰ أبعد الحدود. لكن هذا لم يمنع من إنسياق فئة من المتلبسين بلباس أهل العلم، وراء الأطماع الدنيوية فمالئوا الحكام وساروا في ركابهم.

ونظراً لحساسية الوسط الشيعي من مسألة الحكم نتيجة نظرتهم اليه على أنه غير شرعي، فقد كان هؤلاء يتميزون بسهولة وترفضهم الأوساط الشيعية على

مستوى الجمهور وعلىٰ مستوى الوسط العلمي.

إن من أهم عوامل قوة الموقف العلمائي الشيعي وعدم خضوع الحوزات الشيعية لتوجيه وإرادة السلطات الحكومية، هو استقلال الحوزات من الناحية المالية، وعدم اخذها أي دعم مالي من الحكومات. خلافاً لبقية المذاهب الإسلامية التي تخضع مؤسساتهم الدينية للحكومة بشكل رسمي، حيث يكون عالم الدين السني موظفاً عند الدولة يتقاضىٰ مرتبه الشهري على الصلاة والخطبة وغير ذلك من المهام.

إن علماء الشيعة يعتمدون على الحقوق الشرعية التي يدفعها الشيعة من خمس أموالهم إلى المراجع مباشرة أو إلىٰ وكلائهم، وبواسطة هذه الحقوق يسيّر مراجع الدين شؤون الحوزة من قبيل مرتبات الطلبة ومهمات التبليغ والإرشاد الديني ودعم المؤسسات والنشاطات الإسلامية في مختلف المجالات والحقول.

إن استقلالية المؤسسة الدينية الشيعية في الجانب المالي،وإن كان قد منحها قوة أمام الحكام، إلّا أنها في الوقت نفسه تعرضت لمضايقات كثيرة من قبل الحكومات في محاولة لتجفيف مصادرها المالية، وهذا ما لاحظناه في الممارسات المختلفة التي قامت بها السلطة البعثية في العراق والتي حاولت تجريد المرجعية من المصادر المالية كمصادرة الأموال المودعة باسم المراجع أو ممثليهم في المصارف، ووضع يدها على العديد من الأوقاف الشيعية، كما أن السلطة البعثية أقدمت علىٰ خطوة مخالفة لكل القوانين الرسمية عندما صادرت كل الأموال المرصودة لتأسيس جامعة الكوفة والتي كانت مشروعاً علمياً ضخماً تصدت له المرجعية في النجف الأشرف لرفع المستوى الثقافي والتعليمي وسط الأمة في مختلف الاختصاصات. إضافة إلىٰ ذلك فإنها أصدرت قانون تأميم التعليم الذي كان الغرض منه نقل المدارس والمعاهد العلمية التي أسسها علماء الشيعة من إشراف



ثلة من الاساتذة الفقهاء والطلبة أمام مبنىٰ جامعة النجف الدينية ـ العراق ـ

العلماء إلىٰ إشرافها المباشر، ونتيجة ذلك صادرت كلية الفقه في النجف الأشرف التي أسسها المصلح الكبير الشيخ محمد رضا المظفر، وكلية إصول الدين التي أسسها في بغداد العلامة السيد مرتضى العسكري.

لقد تعرضت الحوزات الشيعية إلىٰ هجمات عديدة من قبل أعداء أهل البيت، ومارست الحكومات ضد مراجع وعلماء الشيعة مختلف الضغوط من أجل تحجيم دورهم الرسالي ومنع تأثيرهم في أوساط الأمة، وهو التأثير الذي كان على الدوام يعطي نتائج في غير صالح السلطات المتحكمة في مقدرات الشعوب.

إن السلطات الحاكمة تريد من الحوزة الشيعية ومن مراجع وعلماء الدين أن يعيشوا همومهم الخاصة بعيداً عن هموم الأمة والساحة السياسية، ومن أجل أن تحقق هذا الهدف مارست ضدهم أشد الضغوط، وقد تعرضت الحوزة في الكثير من الفترات إلى الملاحقة والمطاردة الشرسة، وقدم علماء الحوزة الكثير من الشهداء، وقد جمع العلامة الأميني شهداء الحوزات العلمية في كتاب خاص أسماه (شهداء الفضيلة).

ولا أدل علىٰ دور الحوزة الشيعية في نشر الوعي والثقافة في وسط الامة

والتصدي لقضاياها الاجتماعية والسياسية ، من المواقف التي سطرها مراجع الدين في العراق وايران والشام ولبنان والتي كانت كلها مواقف بطولية تصدوا فيها للإحتلال الأجنبي ولعمليات مصادرة حقوق الامة ولمحاولات التثقيف المضاد.

والأكثر من ذلك أن الحوزة العلمية إستطاعت أن تصنع أكبر إنجاز جماهيري في التاريخ الحديث ، عندما قاد الامام الخميني (رضوان الله عليه) الجماهير المسلمة في ايران وأسس دولة إسلامية تقوم على أساس الفكر الإسلامي الأصيل ، رغم كل التحديات الدولية والاقليمية . وقد صنع الامام الخميني بنهضته المباركة حالة اسلامية عامة في المنطقة الإسلامية بأسرها ، حيث تنامى الوعي الإسلامي الحركي ، وتحركت المشاعر الواعية في النفوس لتنفض غبار العقود الماضية وتتخلص من حالة الاسترخاء وفقدان الثقة التي خلفتها مراحل الخضوع للأجهزة الاستعمارية وتحكم السلطات الإقليمية بإرادة الشعوب المستضعفة.

ورغم أن هذا الانجاز الهائل وغيره من الانجازات الجماهيرية التي قام بها علماء المسلمين ومراجع الدين ، يرجع في حقيقته إلىٰ عطاءات الحوزات الشيعية ، إلّا أن هناك ظاهرة لايمكن غضّ النظر عنها وهي وجود تيار في الحوزة يعارض هذا النوع من التحرك ، وقف بوجهه محاولاً عزله ،بل وإخراجه من الحوزة لو تمكن من ذلك.

إن هذا الاتجاه يرىٰ أن مهمة عالم الدين تنحصر في الدرس والبحث وشؤون الحوزة العلمية الخاصة فحسب ، أما الأمة بما تعانيه من مشاكل وتحديات فهو أمر ليس من إختصاصها .وقد تحدثنا عن ممارسات ومظاهر هذا الاتجاه في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

وفي الحقيقة ان هذه النظرة للتقليديين من العلماء والمراجع، لم تعد تُقنع الجمهور الشيعي، نتيجة التطورات الكثيرة التي حدثت في الحياة العامة للأمة الاسلامية، ونتيجة التحديات الخطيرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون ولاسيما أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إن الدور الحقيقي المطلوب من المرجع الديني هو أن يكون متفاعلاً مع مجتمعه وحاضراً في الساحة الاجتماعية والسياسة والثقافية بشكل فاعل، وأن يتمتع بالحس السياسي المرهف والفهم الاجتماعي العميق والمتابعة الثقافية الواسعة لما يطرح في الساحة الاقليمية والدولية، وذلك من أجل أن يؤدي دوره بكفاءة في مهمة توجيه وقيادة الامة باتجاه أهداف الإسلام العليا. فالعالم الديني ليس صفة تشريفية يكتسبها الدارس في الحوزة العلمية أو المنتسب إلىٰ عائلة علمية، انما هو عنوان الشخص صاحب الرسالة الكبرىٰ والمسؤولية الضخمة، وكلما ارتفع موقعه ازدادت مسؤولياته، وصولاً إلىٰ مقام المرجعية الذي يعتبر الموقع الأعلى في المؤسسة الشيعية، مما يفرض على المرجع تحمل أكبر المسؤليات تجاه الامة في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية.

الباب الثاني

اشكالية العلاقة بين المرجعية الدينية والأحزاب الإسلامية

الفصل الأول

كيف نكتب تاريخ الأمس

في حدود علمي لم تظهر إلىٰ الآن دراسة علمية تتناول بـالبحث والتـحليل، ظاهرة الأحزاب الإسلامية، سواء من الناحية الاجتماعية أو السـياسية، فكـل الذي كُتب في هذا المجال يتركز حول الجانب التاريخي. مع ملاحظة أن ما كُتب يشكل نسبة ضئيلة من ناحية الكم، إذ يمكن بسهولة رصد الكتب التي تناولت العمل الحزبي الإسلامي وحصرها في بضعة كتب. وفي مـقابل ذلك نـلاحظ أن هناك دراسات عديدة تناولت الأحزاب العلمانية ودرستها بتوسع سواء أكانت كظاهرة سياسية أو ككيانات تنظيمية.

وقد يتصور البعض أن مردّ ذلك يعود إلىٰ قلة الأحزاب الإسـلامية، وعـدم وجود تجارب حزبية اسلامية مقارنة بالأحزاب العلمانية، مما لايسمح بالكتابة عن النشاط الحزبي الإسلامي إلّا في حدود ضيقة، وأن محدودية العدد لاتشكل ظاهرة تستدعي الدراسة والبحث.

وفي تصورنا أن قلة الكتابة والبحث في هذا المجال يعود إلىٰ أسباب أكثر عمقاً من ذلك، لعل في مقدمتها الموقف من النشاط الإسلامي الحديث بشكل عـام، ومحاولة مـصادرة المـوقف الإسـلامي في صـناعة الحـدث التـاريخي، وإيجـاد تفسيرات غير إسلامية للأحداث التي شهدتها بـلادنا وعـاشتها أمـتنا خـلال المرحلة القريبة الماضية من تاريخنا المعاصر. وهذا ما يبدو بـوضوح في محـاولة تفسير المواقف الكبيرة التي صنعها علماء ومراجع الديـن في تـصديهم للـهجمة

الإستعمارية، وفق وجهات نظر قومية وماركسية، وقد شهدت المكتبة التاريخية الكثير من الدراسات التي صوّرت التاريخ المعاصر على أنه نتاج لعوامل قومية ووطنية ومادية بعيداً عن الدوافع الإسلامية والموقف المبدأي الذي وقفه علماء الشيعة تجاه الغزو الاستعماري.

لقد كانت كتابة التاريخ على الدوام مسألة هامة في حساب الحكومات، لأنها تمثل عملية تربوية وتثقيفية مؤثرة في حياة الشعوب، ومن هنا خضعت كتابة التاريخ لرقابة وتوجيه السلطات. فكان من الطبيعي والحالة هذه أن تنحسر وجهة النظر الإسلامية في كتابة التاريخ، في مقابل الإتساع المدعوم للكتابات غير الإسلامية. مما جعل التفوق الكمي يميل إلى الكتابات الأخرى بشكل كبير مقارنة بالكتابات الإسلامية.

وهناك عامل آخر في هذا السياق، وهو أن الإهتمام الجاد في كتابة التاريخ الإسلامي المعاصر ولاسيما فيما يتعلق بالساحة العراقية باعتبارها المركز التاريخي للمرجعية الدينية، ظهر في فترة متأخرة تعود إلى أوائل الثمانينات، وكان للمهاجرين الاسلاميين الفضل في محاولة كتابة التاريخ الإسلامي المعاصر وإبراز الدور المشرق للمراجع وعلماء الدين الشيعة في صناعة الأحداث.

لكن المشكلة التي رافقت هذه النهضة التدوينية، هي تأثر الكتابة والبحث بالجو السياسي السائد في المعارضة العراقية عموما والإسلامية على وجه الخصوص. فخلال الثمانينات كانت العلاقات بين فصائل المعارضة الإسلامية العراقية تعيش أزمة حقيقية.. بحيث كان يصعب إلتقائها في عمل مشترك رغم وحدة الفكر والهدف والمحنة. وقد وصلت الحساسية فيما بينها لدرجة انسحابها إلى الشارع والأوساط الجماهيرية، وتقسّم الناس في المهجر على أساس التقسيم السياسي لأطراف المعارضة الإسلامية، مما شكّل ظاهرة سلبية في الجانب الاجتماعي. فبدل أن يتوحد أبناء الشعب العراقي من مهاجرين ومهجرين في

صف واحد، فإنهم توزعوا علىٰ إنتماءات متقاطعة يصعب جمعها وتوجيهها في طريق موحد. وقد تركت هذه الظاهرة آثارها على الكثير من أبناء الشعب العراقي، حيث تضاءل الأمل في نفوسهم وفقدوا الثقة في القيادات المتصدية، فراحوا ينظرون إلىٰ ما يطرح في الساحة على أنه شعارات مجردة خالية من المضمون الحقيقي للعمل الجاد.

والأخطر من ذلك أن أطراف المعارضة أرادت توظيف الجمهور في صراعاتها وحساسياتها مع بعضها البعض، فكانت عملية توجيه الإعلام والعمل الثقافي بمختلف مجالاته في اتجاه الأزمة. وأخذت بعض صحف المعارضة الإسلامية تخصص علىٰ صفحاتها مقالات تنال من هذا الطرف وذاك، بدل أن يكون همها الأول توعية الجمهور وتحشيده روحياً ومعنوياً لصالح القضية الإسلامية.

في هذا الجو المشحون كان التاريخ جزءاً من معادلات الأزمة، ورقماً من أرقام الصراع، فقد حاولت الأطراف المتنافسة كتابة التاريخ الإسلامي الحديث حسب وجهة النظر التي تخدم مصالحها وأغراضها، وهي عملية على قدر كبير من الخطورة كما هو واضح، فالتاريخ مسؤولية كبيرة يجب أن تحاط بالحياد الموضوعي وبالطابع العلمي النزيه، وأن أكبر إساءة للتاريخ هي محاولة توظيفه للمصالح الذاتية وإخضاعه للمزاج الخاص. لكن سخونة الجو وإحتدام الصراع شغل بعض الكتاب عن هذه المسؤولية، وجعلهم ينساقون في تيار الأزمة فنسوا رسالة القلم ومسؤولية الكلمة.

وفي ضوء ذلك ظهرت الكثير من المقالات والدراسات والأحاديث والتصريحات الصحفية التي حاولت رسم صورة التاريخ الإسلامي الحديث حسب ما تقتضيه مصالحها، فكانت النتيجة أن طُرح أكثر من تاريخ لوقائع قريبة، وقُدم أكثر من تفسير لمواقف لاتزال عالقة في ذاكرة العراقيين.

ونستطيع أن نقدر حجم الخسارة التي مُنيت بها الحقيقة التاريخية، نتيجة

إخضاع المجال التاريخي للعامل السياسي. كما نستطيع أن نقدر الخطورة المترتبة علىٰ ما حدث عندما تتحول الأحاديث الصحفية والمقالات والكتابات الأخرىٰ إلىٰ مصادر تاريخية يرجع اليها الباحثون فيما بعد، فيستندون في دراساتهم علىٰ معلومات كتبت في أجواء الإنفعال والحساسيات الملتهبة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أنه توسع أكثر من ذلك عندما برزت محاولات عديدة من قبل أطراف المعارضة الإسلامية لعرض وتفسير أحداث التاريخ منذ مطلع هذا القرن وفق رؤىٰ منتمية. وكان من الطبيعي أن يستتبع ذلك كلام حاد من قبل هذا الطرف ضد الآخر كرد فعل علىٰ ما صدر منه من تفسير لحدث تاريخي سابق، وكانت الردود لا تخضع للجانب العلمي ولا تنطلق من رغبة موضوعية في دراسة التاريخ، بقدر ما كانت منطلقة من دوافع وأجواء المعركة السياسية والإعلامية.

لقد ظهرت محاولات كتابة التاريخ الإسلامي الحديث في العراق، في الوقت الذي كانت فيه المعركة السياسية بين فصائل المعارضة العراقية تدور حول مسألة مشروعية العمل الحزبي. حيث تعرض العمل الحزبي الإسلامي لحملات شديدة شككت في شرعيته من الأساس، واتهمت إطروحة الحزب بأنها إطروحة منحرفة بعيدة عن الإسلام، وكان المستهدف من هذه الحملة (حزب الدعوة الإسلامية)، وقد حاول اللاحزبيون بكل إسلوب توجيه الطعن لحزب الدعوة.

كانت الحملة التي واجهها الحزب، تحمل الكثير من التهم والتشكيكات التي كانت تصدر بعد تفكير ودراسة من قبل خصومه، ويمكن تلخيص العناوين الرئيسية لها بما يلي:

اولا: إن العمل الحزبي صيغة غربية أدخلها المستعمر الكافر في بلاد المسلمين لتمزيق الساحة وبث الفرقة بين صفوف الأمة الواحدة.

ثانيا: ان الامام الشهيد الصدر حرّم العمل الحزبي، وأن حزب الدعوة على هذا الاساس يخالف الشهيد الصدر.

ثالثا: ان الجمهورية الإسلامية في ايران تعارض العمل الحزبي، ولابد لحزب الدعوة أن يطيع إرادة الجمهورية الإسلامية وينهي وجوده. وأن الجمهورية الإسلامية تتبنىٰ إطروحة (حزب الله) ويجب الالتزام بهذه الاطروحة ونبذ ما سواها من صيغ حزبية.

رابعا: ان حزب الدعوة لايؤمن بنظرية ولاية الفقيه التي طرحها الامام الخميني، ولايلتزم بولايته على المسلمين، لأن للحزب فقيهه الخاص به.

خامسا: يقلد اعضاء حزب الدعوة السيد الخوئي الذي لايؤمن بولاية الفقيه، في حين أن المطلوب من الجميع تقليد الامام الخميني والانضواء تحت قيادته.

سادسا: يسير حزب الدعوة نحو الانحراف وأن مصيره سيكون مثل مصير منظمة مجاهدي خلق التي إنحرفت ومارست أعمالاً إجرامية ضد الثورة الإسلامية والشعب الايراني المسلم.

هذه بعض عناوين التهم التي وجهت لحزب الدعوة الإسلامية، والقائمة تطول لو أتينا علىٰ ذكرها.

في مقابل ذلك دافع حزب الدعوة الإسلامية عن أطروحته وعمله وتوجهاته، مرتكزاً على الشواهد التاريخية والوثائقية، ويمكن تلخيص العناوين الرئيسية لذلك بما يلي:

أولا: إن العمل الحزبي هو إسلوب من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يحدد الإسلام إسلوباً معيناً في الدعوة والتبليغ والتغيير على اساس الإسلام، بل ترك المجال مفتوحاً أمام المسلمين حسب مقتضيات الظروف. وأن

أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم مارسوا العمل المنظم بشكل أو بآخر في العديد من الفترات، نظراً لأن الحاجة كانت تملي إعتماد الاساليب السرية المنظمة.

ثانيا: ان حزب الدعوة الإسلامية ولد في أحضان الحوزة العلمية والمرجعية الدينية، فمؤسسه هو الامام الشهيد السيد الصدر قدس سره، وقد حضي الحزب بدعم وحماية المرجع الامام السيد محسن الحكيم قدس سره. وأن الشهيد الصدر حرّم إنتماء قسم من طلبة الحوزة العلمية المرتبطين بجهاز المرجعية فقط وليس كل الطلبة، وأنه طاب ثراه رفع هذا التحريم فيما بعد وكان حتىٰ إستشهاده على تنسيق دائم ومستمر مع قيادة الحزب حول أهم وأخطر القضايا التي تتعلق بالمواجهة مع النظام الحاكم في العراق.

ثالثا: ان الجمهورية الإسلامية لاتعارض العمل الحزبي، وهناك أحزاب اسلامية ولدت قبل إنتصار الثورة وظلت تمارس نشاطها في ظل الدولة الإسلامية، كما أن قادة الثورة ورجالها البارزين أسسوا الحزب الجمهوري الإسلامي بعد إنتصار الثورة مباشرة.

رابعا: ان حزب الدعوة يؤمن بولاية الفقيه إيماناً مطلقاً وقد تحدث عن موقفه في العديد من نشراته الداخلية وفي أدبياته وصحافته وتصريحات مسؤوليه. وانه يؤمن بأن ولاية الفقيه متمثلة بالامام الخميني الذي يجب طاعته والانضواء تحت لوائه والسير في ظل قيادته.

خامسا: ان أعضاء حزب الدعوة يرون في الامام الخميني قائداً ومرجعاً وأن الحزب ولأول مرة في تاريخه نادىٰ بمرجعيته إذ لم يسبق له أن تبنى رسمياً الترويج العلني لمرجعية بالإسم. وأن الحزب على كامل الاستعداد لحل نفسه فيما لو أصدر الامام الخميني أمره بهذا الشأن.

سادسا: ان حزب الدعوة الإسلامية يستمد أفكاره من الإسلام الأصيل

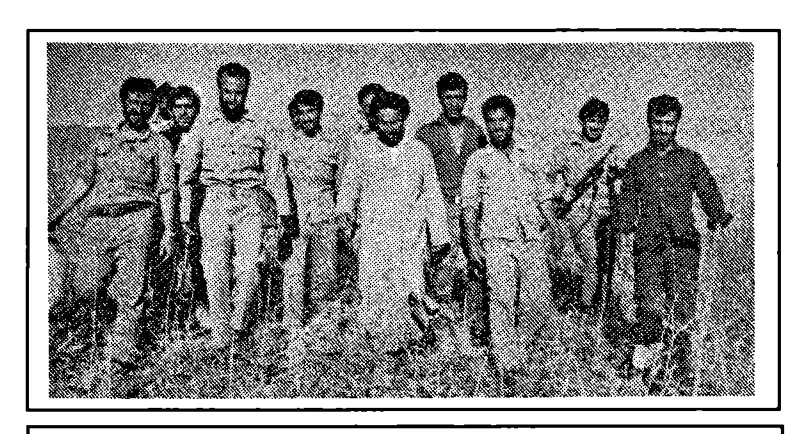
وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأن نظرياته وطروحاته وأدبياته لاتصدر إلّا بعد مراجعتها وإمضائها من قبل مجموعة من العلماء والمجتهدين المشهود بكفاءتهم العلمية وسلامة خطهم الفكري والسياسي.

وهناك عناوين أخرىٰ في مقابل الإتهامات الأخرى التي واجهت حزب الدعوة، وما ذكرناه يكفي لإيضاح الصورة.

إن كل عنوان من العناوين الأولىٰ كان يطرح من خلال مقالات ودراسات وأحاديث علنية علىٰ مدىٰ سنين عديدة، لم يكن بالإمكان إنهاء تلك الحالة عن طريق الحوار العلمي، لأن ما كان يحدث إنما هو نتيجة أجواء الاختلاف الحاد والتنافس السياسي والأزمة الساخنة، ولم يكن للجانب الموضوعي أي مجال في ذلك الجو.

لقد كانت التهم تصل إلىٰ درجة بعيدة كل البعد عن الإنصاف. وللتاريخ أقول إنني وخلال عملي كمسؤول لمعسكر قوات الشهيد الصدر، كنت أواجه الكثير من هذه الاتهامات، في الوقت الذي كنت فيه أدير شؤون المجاميع الجهادية في جبهات القتال منذ الأيام الأولىٰ لإندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية، ولم يكن لدي همٌّ أكبر من العمل الجهادي وتعبئة المجاهدين في هذا الاتجاه، وتنظيم مسائل العمل الجهادي في داخل العراق. وقد شهدت إستشهاد العديد من الأبطال الرساليين رحمهم الله، وودعت في مواقف كثيرة مجاميع جهادية إستشهد منهم الكثير. ولا أستطيع أن أنسى المواقف العديدة التي أحاط بنا الموت والأسر أنا وأخواني المجاهدين من قوات الشهيد الصدر مع المقاتلين من أبناء الجمهورية الإسلامية.

ورغم كل ذلك كنت عندما أعود من الخطوط الامامية لأمارس مسؤولياتي في المعسكر، أسمع الكثير من التهم الباطلة التي تصدر من بعض أطراف المعارضة الإسلامية فتجرح قلوب مجاهدينا الذين لم يصدر منهم إلّا الاخلاص والتضحية



المؤلف مع مجموعة من قوات الشهيد الصدر

في سبيل قضية الإسلام والدفاع عن الدولة الإسلامية، والذين ضربوا المثل الأعلىٰ في الصمود والتضحية والشجاعة، ولم يكونوا يطمحون بأي مقابل سوى مرضاة الله تعالىٰ، ولا أعتقد أنهم نالوا حقهم فيما بعد من قبل المعنيين بقضيتهم.

لقد جرحوا تلك القلوب العامرة بالإيمان والإخلاص والولاء، عندما كانوا يتهمون حزب الدعوة بأنه لايؤمن بولاية الفقيه وأنه يُثني أفراده من الذهاب إلىٰ جبهات القتال. والمؤلم أن هؤلاء الذين يطلقون التهم لم يذهبوا إلى الجبهة. وأنني أذكر جيداً أن أحد الأفراد تسلل هارباً من معسكرنا عندما علم بأننا سنتوجه في اليوم التالي إلى الخطوط الأمامية في بداية الحرب، وبعد فترة صار هذا الهارب أحد مروجي التهم ضد حزب الدعوة، وصار أحد الأسماء في الساحة، حيث ضلل بعض البسطاء. ثم تعرض لإعتقال القضاء الإسلامي في ايران، بعد ثبوت عدة تهم عليه، وتمكن من الهرب خارج الجمهورية الإسلامية.

كما كنت أواجه مشاكل لاحصر لها من العقبات المفتعلة التي يقوم بها البعض من أطراف المعارضة الإسلامية لغرض عرقلة مشاريع العمل الجهادي، وما يحتاجه من مساعدات ومستلزمات في تنفيذ عملياته ضد نظام الطاغية في بغداد. لقد كنت أبذل كل ما في وسعي من أجل تهيئة بعض المستلزمات التي

يحتاجها المجاهدون في عملهم الرسالي، وكم كان يحزّ في نفسي أن أسمع بجهود البعض وهو يحاول تشويه صورة المجاهدين لدى المسؤولين في الجمهورية الإسلامية، مع أن هذه المحاولات لاتخدم القضية العراقية، وأن المستفيد منها هم أعداء الإسلام بالدرجة الاولىٰ.

لقد أتيت علىٰ ذكر هذه السطور بشكل سريع من أجل أن ينظر القارئ الكريم إلى الصورة بوضوح، ليعرف كيف كانت الظروف معقدة في تلك السنوات الحزينة، وبالتالي يمكن أن نفهم طبيعة الكتابات والتصريحات التي صدرت في ذلك الجو المشحون المتأزم.

إن من الطبيعي أن تتأثر الكتابات التاريخية التي صدرت في تلك الفترة بالأجواء المضطربة آنذاك بما تميزت به من حساسيات وخصومات غير مبررة علىٰ الإطلاق. ولعل الباحث اذا ما عاد إلىٰ تلك الكتابات وقرأها بتجرد موضوعي، فأنه سيتعرف على مدى التأثر والانفعال الذي سيطر على الكتابات والمعالجات التاريخية لوقائع التاريخ الحديث.

لا أريد أن يفهم القارىء الكريم أنني أتهم جميع الكتابات التي تناولت أحداث التاريخ المعاصر، ولكني أحاول التمييز بين نمطين من الكتابات التاريخية التي ظهرت منذ الثمانينات في ساحات الهجرة:

الأول: هناك كتابات صدرت نتيجة ظروف الأزمة السياسية بين فصائل المعارضة الإسلامية، فكانت جزءً من معركة إعلامية، وهذه الكتابات تناولت تفسير الاحداث التاريخية أو إعادة صياغتها وفق مصلحة خاصة، كما أنها دونت الأحداث المتصلة بمرحلة المواجهة مع نظام الحكم في العراق، تحت تأثير حالات الانفعال والتنافس، الأمر الذي يقلل من قيمتها التاريخية كمصدر يمكن الرجوع اليه عند دراسة تاريخ هذه المرحلة الحساسة من تاريخ العراق.

الثاني: هناك كتابات ظهرت في هذه الفترة لكنها كانت تتسم بالموضوعية والحيادية، وهذه الكتابات تناولت أحداث ما قبل المواجهة أو مابعدها في دراسات ومقالات وكتب، محدودة من ناحية الكم لكنها ذات قيمة علمية تستحق التقدير. وقد ساهمت في سدّ النقص في الكتابات الحديثة لتاريخنا الإسلامي القريب.

إن ملاحظتنا هي مع النمط الأول من هذه الكتابات، وهي التي نوجه اليها اللوم والنقد، لأنها لم تتمسك بالحيادية العلمية ولأنها أدخلت وقائع التاريخ في معركة كان من الواجب على الجميع إطفاء نارها منذ البداية، وكان علىٰ أصحاب القلم أن يلقوا بأقلامهم علىٰ أقل تقدير، بدل أن يزجوا بها في معركة أضعفت الصف الإسلامي، ولم ينتفع من ورائها إلّا الخصوم الحقيقيون للإسلام وللخط الإسلامي في المعارضة العراقية.

لقد إستهلكت تلك المعارك الإعلامية والكلامية جهود وطاقات الكفاءات الإسلامية، في الوقت الذي كنا فيه جميعاً بحاجة إلىٰ أبسط جهد من أجل التقارب واللقاء.

لقد اتيت علىٰ هذا الحديث إنطلاقاً من ضرورة التشخيص الصريح وعرض الواقع كما هو، من أجل المساهمة في رسم خطوات الحاضر والمستقبل من خلال الحوار الهادئ وتضافر الجهود مع بعضها البعض. وأود الاشارة إلىٰ أنني سوف أتطرق إلى الشواهد التاريخية بمقدار حاجة البحث إلىٰ ذلك، وسيجد القارئ أن هناك شواهد صريحة إلىٰ حدود بعيدة، وما مردّ ذلك إلّا لإيماني بضرورة تجاوز حالات المجاملة، واللجوء إلى الصراحة من أجل خدمة الحقيقة التاريخية التي تشكل منطلقاً في الحاضر ونحو المستقبل، وهذا ما نحتاجه في كتابة تاريخنا كجزء من المسؤولية التي يتحملها الجميع من أبناء أمتنا الإسلامية.

في ضوء ما تقدم أوجه الدعوة إلىٰ إعادة النظر في ما كتب حول تاريخ المواجهة

مع نظام الطاغية في العراق، وضرورة كتابة هذه المرحلة الحساسة من تاريخنا الإسلامي. إنها مسؤولية أصحاب القلم من المثقفين والباحثين والإعلاميين، وعلينا أن نبادر إلىٰ تصحيح ماكتبناه في ظروف الأزمة وفي أجواء الانفعال، قبل أن يتحول إلىٰ مادة تاريخية تسيء إلى التحرك الإسلامي بشكل عام، لاسيما وأن الأقلام المغرضة من أعداء الإسلام ستتخذ من ذلك مادة لتشويه حقيقة الجهاد الإسلامي، وفي ذلك خسارة لنا جميعاً.

لقد مضت فترة من الزمن علىٰ تلك الأجواء المعقدة، ولابد من نظرة هادئة ومراجعة موضوعية لما حدث وما كتب، لاسيما وأن تجربة الأيام الماضية قد نبهت الجميع إلىٰ ضرورة الابتعاد عن الانفعال وأجواء التأزم. يضاف إلىٰ ذلك أن جماهير الشعب العراقي قد سأمت حالة الاختلاف والتشنج في القول والفعل، وقد اكتسبت من خلال التجربة الكثير من الوعي والاستيعاب والنضج، مما يستدعي أن يكون الخطاب بمستوىٰ وعيها وفهمها، لا أن يتأخر عنها ويظل أسير أزمة صارت جزءً من التاريخ.

ومع أن المهمة التاريخية وكما ذكرنا مسؤولية الكتاب والباحثين، فانها في هذه الحالة أصبحت مهمة جماهيرية أيضاً لأن أبناء الشعب العراقي الصابر تعرفوا من خلال الوعي الذي إمتلكوه على سير الأحداث ومجريات الأمور، مما يشكل في حقيقته رقابة واعية على الكتابة التاريخية. وهذه مسألة هامة لها دورها الإيجابي الكبير، وذلك عندما تكون الأمة هي الرقيب والشاهد على ماضيها وحاضرها، حيث تصبح عملية كتابة التاريخ أقرب إلىٰ روح الأمة، وبذلك تمتلك الوثائقية الصحيحة، فليس هناك مصدر أوثق من ذاكرة الشعوب.

الفصل الثاني

ظاهرة الحزب الإسلامي
في التاريخ السياسي المعاصر

لم تشهد الأوساط الشيعية حتىٰ نهاية العهد العثماني ظاهرة الحزب السياسي، وليس معنىٰ ذلك أن الوسط الشيعي كان بعيداً عن الوعي السياسي، فالأحزاب بشكل عام نشأت في فترة متأخرة من الحكم العثماني. ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت أحزاب سياسية في بعض أقاليم الدولة العثمانية كانت ذات طابع علماني، إستقطبت عدداً من ضباط الجيش والمثقفين والوجهاء. ولم يعرف عن تلك الأحزاب إهتمامها بالتحرك في الأوساط الجماهيرية. ولعل الظروف الصعبة وتدهور الحالة الثقافية التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية، كانت تحول دون إهتمامهم بالأحزاب السياسية.

وبالنسبة للأجواء الإسلامية لم يكن العمل الإسلامي قد تحول إلىٰ حاجة إجتماعية، باعتبار أن الشكل العام للدولة كان إسلامياً في مظهره، ولم تكن الثقافة الحركية قد وصلت إلىٰ مرحلة تشخيص المخاطر الفكرية المضادة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية نتيجة دخول الأفكار العلمانية. وحتىٰ محاولة السيد جمال الدين الأفغاني في تأسيس جمعية (أم القرىٰ) كانت محاولة إصلاحية ضمن المنهج الاصلاحي الذي آمن به وتحرك على أساسه، ويبدو أنها تحركت في أجواء محدودة ولم تصل إلىٰ مستوى الحزب السياسي[1].

---

(١) حسين الشامي، جمال الدين الأفغاني.. محاولة لفهم جديد، مجلة الفكر الجديد، السنة الخامسة العدد ١٥، شوال ١٤١٧.

وبشكل عام كان النشاط الإسلامي يسير في رتابة تقليدية بعيداً عن الأجواء السياسية التي كانت بدورها تعيش حالة جمود، نتيجة الصيغ الإدارية للولايات العثمانية التي كانت خالية من أية مرونة في الممارسة السياسية، فالسلطات المحلية كانت بيد الوالي الذي يتلقى أوامره من عاصمة الدولة، وتكاد تكون مهامه مقتصرة على الجانب الأمني والأقتصادي، وعلى صراعاته مع المنافسين بمنصب الولاية[١].

هذه الأجواء الرتيبة لم تشكل أي محفز نحو الإهتمام بالحياة السياسية من قبل الأوساط الإسلامية، وكان الموقف الإسلامي يظهر في الظروف الحرجة والمواقف الهامة، حيث تبادر المرجعية الشيعية إلىٰ اتخاذ موقف حاسم في مثل هذه الحالات، كما حدث في فتوى التنباك التي تحدثنا عنها في الباب الأول من هذا الكتاب، وكما حدث في قضية المشروطة التي تناولناها باختصار في الباب الرابع عند الحديث عن الآخوند الخراساني.

ومع أن حركة (المشروطة) كانت تمثل نقلة نوعية كبيرة في التوجه السياسي، حيث كانت موضع إهتمام ونشاط المراجع والعلماء، إضافة إلى الطبقات الإجتماعية المختلفة.. ومع أنها كانت تشكل تياراً في مقابل تيار آخر مضاد لها، إلّا أنها لم تكن ذات اتجاه حزبي تنظيمي. ولو أنها نظمت نشاطها وفق صيغة تنظيمية دقيقة، لأمكنها المحافظة على النتائج التي حققتها، ولمنعت الوجودات المنظمة التي كانت تتحرك في إيران من مصادرتها وسرقة نتائجها والإلتفاف على الحركة الجماهيرية، وبالتالي حرفها عن المسار الذي أراده مراجع الدين وعلماء المسلمين.

(١) راجع في هذا الخصوص: رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله عن التركية، موسىٰ كاظم نورس.

ورغم أن الشيعة كانوا مبعدين عن السلطة ولم تكن علاقتهم بها حسنة، نظراً للحالة الطائفية السائدة والتي دفع الشيعة ثمنها على مـرّ العـصور، إلّا أن ذلك لم يدفعهم إلىٰ إتخاذ موقف سياسي معارض ضد الدولة العثمانية. وحتّىٰ الانتفاضات والثورات التي كانت تشتعل في المناطق الشيعية لم تكن ذات طابع سياسي منظم يتحرك وفق أهداف بعيدة المدىٰ، إنما كانت تنشب نتيجة ظروف محلية وكـانت السلطات العثمانية تواجهها بقسوة وقمع شديدين[١].

إن الأحداث المتفرقة التي شهدتها الساحة الإسـلامية والتي شـاركت فـيها المرجعية الدينية مثل ثورة التنباك وحركة المشروطة، ساهمت في خلق تـوجه سياسي في الأوساط الدينية، وكانت بمثابة البذور الأولى نحو المشاركة السياسية فيما بعد، وذلك انطلاقاً من تقدير المرجعية الشيعية للموقف الشرعي المـطلوب منها ومن الجماهير المسلمة تجـاه الاحـداث والمخـاطر التي تـتعرض لهـا بـلاد المسلمين. ففي عام ١٩١١ م عندما تعرضت ايران وليبيا لهجوم عدواني ـ كما مرّ بنا سابقاً ـ من قبل الدول الاستعمارية[٢]، كان موقف المرجعية الدينية يمثل حالة متطورة جداً من الإهتمام السياسي والوعي العميق لأحداث الساحة الدولية[٣]، وهو ما يشير إلىٰ حقيقة هامة هي أن المرجعية الشيعية وإن كانت في خطها العام مهتمة في الشؤون العلمية الحوزوية، إلّا أنهـا تمـتلك الوعـي الكـبير لمجـريات الساحة، وهي على أهبة الإستعداد للقيام بفعل سياسي أو عسكري مؤثر إذا ما دعت الحاجة لذلك.

---

(١) راجع: د.علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث.

(٢) مجلة لغة العرب، العدد الخامس، تشرين الثاني ١٩١١م.

(٣) راجع مواقف الشيعة في هذا الخصوص: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ٣ ص ١٨٨. وكذلك مجلة المستقبل العربي تشرين الأول ١٩٨٢. وعبد الرحيم الرهـيمي، تـاريخ الحـركة الإسلامية في العراق ص ١٥١. وعلي الخاقاني، شعراء الغري ج ٧ ص ٣٤.

لقد كان مراجع وعلماء الدين الشيعة علىٰ مستوىٰ كبير من التفاعل مع الاحداث السياسية الخطيرة التي تواجه المسلمين، وقد تميزت حركتهم في مثل تلك الأحداث بالنشاط الجماهيري العام بعيداً عن الصيغ الحزبية التنظيمية.

لم تكن فكرة العمل الحزبي قد دخلت الوسط العلمي الشيعي بعد. لكنه بدأ يتعرف على الظاهرة الحزبية في الساحة العراقية بالتدريج، فبعد عام ١٩٠٨م وهي السنة التي أعلن فيها الدستور في الدولة العثمانية، تأسست عدة فروع لجمعية الإتحاد والترقي في المدن العراقية، كان بعضها في المدن الشيعية مثل النجف وكربلاء والحلة.[١] ثم تأسس بعد ذلك فرع لحزب الحرية والإئتلاف المعارض لجمعية الإتحاد والترقي، وكانت المنافسة بين الطرفين شديدة، ومحورها محاولة كسب الوجهاء وأصحاب النفوذ إلىٰ صفوفهما.

لقد شهدت الظاهرة الحزبية تطوراً ملحوظاً في بدايات العقد الثاني من القرن العشرين، حيث بدأت تظهر بعض الفروع لأحزاب عربية في العراق، بعد أن كانت الأحزاب مرتبطة بالحياة الحزبية التركية وتعكس ما يحدث في اسطنبول[٢]. وكان لهذا التحول أثره في اقتراب أجواء الحوزة العلمية من ظاهرة العمل الحزبي فيما بعد.

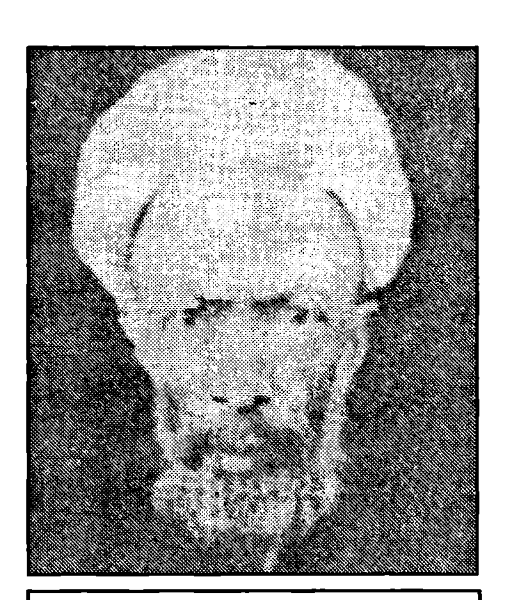
كانت أول مشاركة من قبل علماء الشيعة في الأحزاب السياسية هي تلك المتمثلة في إنضمام الشيخ محمد باقر الشبيبي، والشيخ محمد رضا الشبيبي في جمعية النادي الوطني التي تأسست أواخر عام ١٩١٢ في بغداد[٣]، والتي ضمت أشخاصاً مختلفين في الديانة والمعتقدات.

ليس لدينا أية وثيقة تشير إلىٰ أن انتساب الشيخين الشبيبيين كان بتنسيق مع

(١) حسن شبّر، العمل الحزبي في العراق ص ١٣.

(٢) حول هذه الأحزاب راجع: د. فاورق صالح العمر، الأحزاب السياسية في العراق.

(٣) حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ص ٢١.


الشيخ محمّد جواد الجزائري

المرجعية الدينية، أم أنه جرىٰ بدون تنسيق، لكن الذي يمكن أن نرجحه هو عدم وجود تنسيق من هذا القبيل، وفي الوقت نفسه لم تكن هناك ممانعة من قبل المرجعية في إنتمائهما. والذي يدعونا إلى القول بعدم وجود ممانعة هو أن الشيخين بقيا يحظيان بأحترام المرجعية الدينية لاسيما الشيخ محمد رضا الشبيبي.

إن هذه المشاركة المحدودة لعالمين شيعيين في العمل الحزبي، ساهمت في السنوات القليلة اللاحقة في جعل الظاهرة الحزبية ممارسة مقبولة ومعتمدة من قبل علماء الشيعة، ومبادرتهم في تأسيس حزب سياسي مركزه النجف الأشرف. كان ذلك أواخر عام ١٩١٧م بعد أن دخلت الجيوش البريطانية الأراضي العراقية، فقد بادر علماء الدين في النجف الأشرف وفي مقدمتهم الشيخ محمد جواد الجزائري والسيد محمد علي بحر العلوم إلىٰ تأسيس (جمعية النهضة الإسلامية)[1]. ومع أن هذه هي التجربة الحزبية الأولى لعلماء الشيعة، إلّا أنها تميزت بالوعي الكبير والكفاءة العالية في رسم الهيكلية الحزبية المطلوبة، وفي تحديد مجالات وآفاق تحرك الجمعية، إضافة إلىٰ وضوح الأهداف التي تسعى للوصول اليها.

لقد كانت جمعية النهضة ذات اتجاه عقائدي متميز وهذا ما يتضح من خلال

---

(١) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج١ ص ٣٦.

منهاجها التنظيمي، حيث جاء في إحدىٰ مواده :(السعي لإعلاء كلمة الإسلام وسعادته وترقيته، ومراعاة القانون الأعظم وهو الشرع الشريف المحمدي)(١).وقد أكدت الجمعية ضرورة الارتباط بالمرجعية الدينية، حيث جاء في منهاجها أن الجمعية المركزية لها تتألف من (١٢) عضواً من علماء الدين يرأسها المرجع الديني الأعلى، ويكون مركزها في المدينة التي يقيم فيها المرجع الديني.

لم يطل عمر الجمعية ففي عام ١٩١٨م اندلعت ثورة النجف بقيادة أحد أعضاء الجمعية، وبعد أن قمعتها القوات البريطانية قامت بمحاكمة رجال الجمعية ضمن الثوار، وأصدرت بحقهم أحكاماً بالسجن والاعدام، وقد صدر بحق رئيس الجمعية ونائبه حكم الإعدام لكنه خفف إلى النفي(٢).

إتساع ظاهرة الحزب الإسلامي

إن جمعية النهضة الإسلامية يمكن اعتبارها الولادة العملية الأولىٰ في الظاهرة الحزبية الشيعية، لكنها كانت الولادة الناضجة المؤثرة. وهي مسألة تشير إلىٰ أن قوة العمل الحزبي وكفاءته ككيان سياسي مؤثر في الساحة، يتوقف على القاعدة الفكرية للمؤسسين وعلى الظروف التي يولد فيها. فجمعية النهضة الإسلامية إرتكزت علىٰ قاعدة فكرية شاملة وهي العقيدة الإسلامية، وكان يشرف على الالتزام بها واستيحاء مضامينها الفكرية والعقيدية، قادة الجمعية وهم من كبار

---

(١) محمد علي كمال الدين، الثورة العراقية الكبرى ص ٦٦.

(٢) حول أحداث ثورة النجف و دورجمعية النهضة فيها راجع:

عبد الرزاق الحسني، ثورة النجف.

حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز.

محمد باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها.

العلماء في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. كما أن الظرف السياسي كان يفرض مواجهة الاستعمار البريطاني وفق صيغة تنظيمية سرية تباشر عملية التوعية الجماهيرية وإعداد الأمة باتجاه الثورة.

ورغم أن عمر الجمعية كان قصيراً وأن توقيت الثورة لم يكن بقرار من قيادة الجمعية، مما زجها في مواجهة قبل أوانها وعرضها لضربة عنيفة انحلت الجمعية علىٰ اثرها.. رغم كل ذلك إلّا أن الوسط العلمي الشيعي لم يفقد قناعته في العمل الحزبي ، بل أنه وجد في هذا الاسلوب وتبعاً لتلك الظروف، خياراً متقدماً فيما تعيشه البلاد من أوضاع سياسية. وسرعان ما تشكلت تنظيمات شيعية سرية خلال نفس الفترة ، كانت جميعها مرتبطة بمراجع الدين.

في النجف الأشرف تم تأسيس الحزب النجفي السري الذي ضم الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ حسين الحلي[1] والشيخ عبد الحسين مطر إلىٰ جانب عدد من رؤساء العشائر والشخصيات الاجتماعية. كانت مشاريع هذا الحزب تتم بالتنسيق مع المرجع الثائر الميرزا الشيرازي، وكان لهذا الحزب دور بارز في إشعال ثورة العشرين الكبرىٰ ضد الاحتلال البريطاني في حزيران ١٩٢٠م[2].

وفي كربلاء أسس الشيخ محمد رضا، نجل الميرزا محمد تقي الشيرازي جمعية سرية ضمت في عضويتها علماء الدين والشخصيات الاجتماعية المعروفة مثل السيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد حسين القزويني.

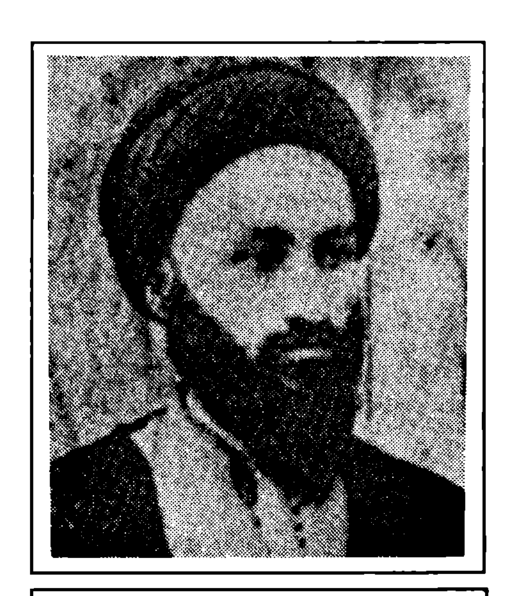
وفي الكاظمية أسس السيد أبو القاسم الكاشاني وبدعم من المرجع الديني، شيخ الشريعة الأصفهاني، جمعية سرية قامت بدور تعبوي هام في الكاظمية، مما

---

(١) هكذا ورد اسمهُ واظن ان الصحيح هو الشيخ عبد الحسين الحلي.

(٢) محمد علي كمال الدين، الثورة العراقية الكبرىٰ ص ٧٤.

جعل السلطات البريطانية تبذل جهوداً كبيرة للوقوف علىٰ قيادة هذه الجمعية، وكان لهذه الجمعية علاقات تنسيق مع رؤساء العشائر[١].



السيد هبة الدين الشهرستاني

والملاحظ علىٰ هذه التنظيمات الحزبية أنها كانت أكثر إهتماماً بالجانب العملي من الجانب الفكري والثقافي، ولعل ذلك يعود إلىٰ محاولة تعبئة الأمة باتجاه الثورة المسلحة، الأمر الذي كان يستدعي نشاطاً ميدانياً تعبوياً، ولذلك كانت تتحرك في أوساط العشائر العراقية بشكل نشط وفاعل.

وهناك ملاحظة اخرىٰ تأتي في هذا السياق، وهي أن جمعية النهضة الإسلامية التي سبقت هذه الجمعيات في التأسيس والتي مثلت إنطلاقة الظاهرة الحزبية الإسلامية في الوسط الشيعي، كانت أكثر تطوراً من الجمعيات التي ولدت بعدها، سواء في الصيغة التنظيمية أو المنهجية الحركية. في حين أن الحالة الطبيعية أن تكون الجمعيات اللاحقة أكثر تطوراً من السابقة، علىٰ أساس أنها تستفيد من التجربة الماضية. لكن الذي يفسر هذه الظاهرة أن الواقع السياسي العام في العراق كان يتطلب عملاً ميدانياً سريعاً.. فكان العمل التنظيمي يركز نشاطه نحو خلق وتهيئة مستلزمات الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني.

---

(١) حول هذه الجمعيات راجع: حسن شبر، العمل الحزبي في العراق، ص ٧٣-٧٨.

لذلك لم يستغرق في الجوانب الفكرية والصيغ التنظيمية الدقيقة.

ونسجل أيضاً في هذا المجال ملاحظة ثالثة وهي أن أهداف العمل الحزبي قد صارت أكثر تلائماً مع الظروف ومع حسابات الواقع السياسي العام. فبينما كانت جمعية النهضة الإسلامية تضع تحرير كافة البلدان الإسلامية، وتوحيدها في كيان واحد كهدف كبير لها، فان التنظيمات التي ولدت بعدها إكتفت بتحديد الهدف في الحصول علىٰ استقلال العراق، وتحريره من الاحتلال البريطاني.

توقف العمل الحزبي

إن ولادة العمل الحزبي في الاوساط الشيعية وسرعة تبنيه من قبل المرجعية وكبار العلماء خلال فترة قصيرة وبالشكل الذي حدث في الساحة العراقية، كان من المفروض أن يتعمق في الحياة السياسية ويتحول إلىٰ ظاهرة بارزة في الواقع العراقي، بحكم القوة التي يستمدها من موقع العلماء ومن القاعدة الجماهيرية الواسعة المرتبطة بموقف علماء الدين. لكن التجربة التاريخية كانت خلاف ذلك، فلم تتحول ظاهرة الحزب الإسلامي إلىٰ حالة دائمة في الاوساط العلمية الشيعية، بل انها توقفت تماماً بعد أحداث ثورة العشرين. وقد استمر هذا التوقف لفترة طويلة زادت على الثلاثة عقود من الزمن، حتّىٰ عاد العمل الحزبي مرة ثانية في الخمسينات من هذا القرن.

وفي الفترة التي توقف فيها العمل الحزبي الشيعي، كان الموقف السياسي على مستوىٰ كبير من الاهتمام عند مراجع الدين الشيعة، حيث واكبوا الاحداث السياسية مواكبة دقيقة، وكان لهم الحضور المتميز في الساحة للدرجة التي أربكت مشاريع الحكومة ووضعت السلطات البريطانية أمام أزمة حقيقية في تنفيذ خططها السياسية الرامية إلىٰ تقنين السياسة العراقية وفق الصيغة الدستورية التي تريدها.

لقد كان المشروع البريطاني في إدارة العراق يقضي بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني من خلال معاهدة سياسية، الأمر الذي رفضه مراجع الدين الشيعة أشد الرفض، وأعلنوا معارضتهم للانتداب ولأية معاهدة تتم في هذا الاتجاه، وبشكل عام كان موقف علماء الشيعة معارضاً للحكومة العراقية التي شكلها الانكليز وطالبوا بتشكيل حكومة منتخبة من قبل الشعب[١]، لأنهم إعتبروا أن الحكومة المؤقتة معينة من قبل سلطات الاحتلال ولاتمثل إرادة الأمة في العراق.

لقد كان لمعارضة مراجع وعلماء الدين الشيعة الدور الأكبر في التأثير على الأحداث السياسية، فرغم إنتهاء ثورة العشرين، ونفي رجالها وتجريد مناطق الفرات من السلاح، إلّا أن المرجعية التي كانت بزعامة شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس سره) واصلت دعوتها للعمل المسلح ضد الانكليز والحكومة المؤقتة، كما أن الشيخ محمد رضا نجل الميرزا الشيرازي كان يواصل إتصالاته برؤساء العشائر من منفاه في خارج العراق[٢]. الأمر الذي جعل بعض المناطق تتهيأ لثورة ثانية علىٰ الانكليز.

إن هذه التطورات الحساسة فرضت علىٰ الإدارة البريطانية أن تجري تعديلاً أساسياً علىٰ مشروعها السياسي في العراق، فقد كانت الحكومة المؤقتة تريد ان تباشر إجراء انتخابات المجلس التأسيسي الذي يتولى مهمة كتابة الدستور، لكن بعد أن أحست بقوة المعارضة قررت تأجيل مشروع المجلس التأسيسي إلىٰ ما بعد تعيين شكل الحكم الدائم وتنصيب الملك علىٰ عرش العراق.

كان هناك عدة مرشحين لمنصب الملوكية في العراق، أبرزهم :الشيخ خزعل،

---

(١) عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق ص ١٨.

(٢) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ٢٣٨.

وعبد الله بن الشريف حسين، وأخيه فيصل.


الشيخ خزعل

في هذا الظرف الحساس لم يكن موقف المعارضة الشيعية بزعامة علماء الدين ورجال العشائر موحداً، فقد توزعت رغباتهم في مسألة المرشحين. فبعض رجال المعارضة الموجودين في الحجاز بايعوا فيصل بن الشريف حسين، في حين أراد بعض علماء النجف الأشرف وعلىٰ رأسهم الشيخ عبد الكريم الجزائري أن يكون الشيخ خزعل أمير المحمرة ملكاً على العراق، لكن الشيخ خزعل سحب ترشيح نفسه لصالح فيصل عندما أدرك أن الانكليز يريدون فيصلاً.

لقد اتخذ الإنكليز قرارهم بتنصيب فيصل ملكاً علىٰ عرش العراق، ومن أجل تهدئة المعارضة الإسلامية أصدرت قراراتها بالعفو عن المشاركين بثورة العشرين. وبدأت بتهيئة الأجواء لدخول فيصل إلى العراق.

حتّىٰ هذه النقطة ظل الانقسام موجوداً في مواقف علماء الشيعة حول مستقبل الحكم في العراق. وربما فسّر بعض الباحثين أن عدم وجود حزب سياسي يضم علماء الشيعة كما كان قبل ثورة العشرين هو السبب في هذا الإنقسام. قد يكون هذا السبب صحيحاً، لكن الذي نراه بشكل عام أن علماء الدين هنا إختلفوا في تشخيص المستقبل وفق اتجاهين مختلفين:

الأول: إعتبار أن المعارضة السياسية والمسلحة قد أعطت نتائجها، وفرضت



الملك فيصل

علىٰ الإنكليز إقامة الدولة العراقية وتعيين الحكـومة الدائمـة، وهـذا مكسب كبير لابد من القبول بـه، مع التأكيد عـلىٰ ضرورة إمـتلاك الحكــومة الإرادة المسـتقلة التي تـعبر عـن إرادة الشـعب وإلزام الملك بـالتمسك بـالدستور. وقـد مثل هذا الاتجـاه الشيـخ مـهدي الخالصي قدس سره.

الثاني: ومثله الشيـخ حسـين النـائيني والسـيد أبـو الحسـن الأصفهاني (قدس سرهما)، وهذا الاتجاه كان يعارض كل الترشيحات لمنصب الملكية، لأنه أساساً يعارض فكرة الحكومة في ظل الإنتداب، ويضع إسـتقلال العراق الحقيقي هدفاً رئيسياً لكل حركة ومشروع سياسي. وكان هذا الإتجاه هو الأكثر تأثيراً في الأوساط الشيعية، وقد ظهر ذلك واضحاً عند زيارة فيصل إلىٰ مناطق الفرات الأوسط والنجف وكربلاء، حيث كـان الإسـتقبال الجـماهيري ضعيفاً رغم جهود السلطات الادارية في تحشيد الناس لإستقبال المـلك القـادم بالشكل المناسب واللائق به، كما أن علماء الدين لم يخرجوا لإستقباله، وشاع بين الناس أن المرجعية لاتوافق علىٰ تنصيب فيصل ملكاً على العراق[١].

المواجهة السياسية

في آب ١٩٢١م تم تتويج فيصل مـلكاً عـلى العـراق، وبـدأت الإجـراءات

---

(١) عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ص ١٧٩.

السريعة لترتيب شكل الحكم العراقي وعلاقته بالحكومة البريطانية، وذلك عن طريق ربطه بمعاهدة سياسية طويلة الأمد تضع العراق تحت الإنتداب. وقد تم الإتفاق علىٰ معاهدة سياسية بين الحكومة العراقية وبريطانيا في هذا الشأن، وكان لابد من تنفيذ الخطوة التالية وهي إجراء إنتخابات المجلس التأسيسي على أساس أن المعاهدة لاتكون سارية المفعول إلّا بعد أن يصادق عليها المجلس. ومن هنا قرر مجلس الوزراء إجراء الانتخابات في تشرين الأول ١٩٢٢ م[١].

كان الانكليز علىٰ ثقة بأن الإنتخابات ستتم في موعدها المحدد وبدون مشاكل كبيرة، لاسيما وأن السلطة إتخذت عدة إجراءات أمنية سيطرت فيها علىٰ الاوضاع، وأبعدت عدداً من رجال المعارضة وعطلت الأحزاب والصحف المعارضة .لكن التقدير البريطاني لم يكن دقيقاً فسرعان ما تصاعدت المعارضة بقيادة علماء ومراجع الدين، حيث رفضوا مشروع الانتخاب وأعلنوا معارضتهم لهذه الخطوة باعتبار أن الانتخابات لايمكن أن تكون حرة، وأن المجلس سيصادق علىٰ معاهدة الانتداب وبذلك تتحدد الحياة السياسية في العراق خلافاً لتطلعات الأمة وإرادتها التي عبرت عنها بكل وضوح وصراحة منذ دخول الانكليز الأراضي العراقية، وقدمت من أجل إستقلالها التام التضحيات الجسيمة والأرواح الغالية، فهي لاترضى بحكم تابع للسلطة التي إحتلت أراضيه.

ذكرنا سابقاً أن علماء الدين بعد ثورة العشرين، لم يعتمدوا في تحركهم الاسلوب الحزبي في العمل السياسي. وقد إستمر غياب العمل الحزبي الإسلامي حتّىٰ في تلك الأجواء التي كانت تشهد تصعيداً ساخناً في المواجهة السياسية للسلطة. لكن في نفس الوقت برزت بوضوح مسألة العمل المنظم الذي ينسق

---

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١ ص ١١١.


الشيخ حسين النائيني

من خلاله العلماء والمراجع مواقفهم السياسية المعارضة. وكان لهذا التنسيق أثره الايجابي في تحريك، وصناعة الأحداث على الساحة. كما برزت ظاهرة العمل الحزبي في المهجر ومساندته للتحرك السياسي الإسلامي في داخل العراق. حيث وصلت من إيران نسخ من منشور أصدره المنفيون هناك إلى الشخ مهدي الخالصي يحمل عنوان (بيان الجمعيات الإسلامية في طهران) فيه هجوم عنيف علىٰ بريطانيا وسياستها في العراق[١].

وخلال تلك الفترة أيضاً طرح مراجع الدين قضية دعم العمل الحزبي في العراق، حيث أعلن كل من السيد (أبو الحسن الأصفهاني)، و(الشيخ حسين النائيني) و(الشيخ مهدي الخالصي) ضرورة مقاطعة الإنتخابات ما لم تتحقق للشعب المطالب التالية:

- إلغاء الإدارة العرفية.
- إطلاق حرية المطبوعات والاجتماعات.
- سحب المستشارين من الألوية (المحافظات).
- إعادة المنفيين السياسيين.

---

(١) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر ج ٢ ص ٢٨٧.

ـ السماح بتأليف الجمعيات.

وهذه هي المرة الأولى في تاريخ العراق السياسي التي يطالب فيها مراجع الدين بحرية العمل الحزبي، مما يشير إلىٰ انهم وإن كانوا قد تركوا مسألة تأسيس الأحزاب الإسلامية والإنضمام اليها، إلّا أنهم كانوا يقدرون أهميتها في دعم التحرك الجماهيري. والذي نراه أن مراجع الدين وكبار العلماء كانوا يرون في العمل الحزبي، اسلوباً تفرضه الظروف فقد تستدعي الأجواء السياسية إعتماده كخيار أول، وربما تتغير الظروف السياسية فلا حاجة للعمل الحزبي إنما يكون الخيار هو التحرك الجماهيري المباشر المعلن، كما أن بعض الحالات تستدعي دعم العمل الحزبي دون دخول العلماء المباشر فيه.

إن التنسيق المنظم بين مراجع الدين ساهم في إنجاح تحركهم السياسي المعارض بالشكل الذي أربك المشروع البريطاني، فقد أصدر المراجع الثلاثة السيد الأصفهاني، والشيخ الخالصي، والشيخ النائيني فتاواهم بحرمة الاشتراك في الإنتخابات، وكانت فتوى السيد الاصفهاني بالنص التالي:

(إلىٰ إخواننا المسلمين.. إن هذا الانتخاب يميت الامة الإسلامية، فمن إنتخب بعد علم بحرمة الانتخاب، حرّمت عليه زوجته وزيارته ـ أي زيارة العتبات المقدسة ـ ولايجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين)[1].

كما وقّع عددٌ من العلماء في النجف وكربلاء فتوىٰ مماثلة بمقاطعة الانتخابات وإعتبار من يشارك فيها خارجاً عن الإسلام، ووزعت بشكل واسع في مناطق العراق المختلفة[2].

كان حضور المرجعية الدينية يتسم بالفاعلية والوعي الكبير، فمع كل خطوة

---

(١) عبد الحليم الرهيمي ن تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ص ٢٦٠.

(٢) فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية البريطانية ص ٨٢-٨٣.

بريطانية مضادة، كان المراجع يقدمون علىٰ خطوة في مقابلها وبصورة سريعة. فعندما منعت السلطات الحاكمة توزيع الفتاوىٰ وأشاعت أن المراجع لا يعارضون الانتخابات، سارع المراجع الثلاثة إلىٰ إصدار فتوىٰ مشتركة أكثر قوة من السابقة نصت علىٰ ما يلي:



عبد المحسن السعدون

(بسم الله الرحمن الرحيم.. نعم قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل بادٍ وحاضر، فمن دخل فيه أو ساعد عليه، فهو كمن حارب الله، ورسوله، وأولياءه).

وإضافة إلىٰ هذه الفتوىٰ أصدر المراجع فتاوىٰ اخرىٰ كل على إنفراد، كما وزعت بيانات تدعو إلىٰ مقاطعة الانتخابات والالتزام بفتاوى العلماء.

إن هذا التنسيق الدقيق بين مواقف المراجع جعل تأثيرهم كبيراً في الساحة الجماهيرية، مما وضع السلطة أمام أزمة حقيقية، واجهت فيها الفشل الكامل، الأمر الذي إضطرها للإستقالة من الحكم.

تم تعيين عبد المحسن السعدون رئيساً للوزراء، وقد كانت مهمته الأساسية إجراء الانتخابات بأي شكل، لذلك حاول الانكليز دعمه من أجل إنجاح مخطط المشروع الإنتخابي، فتم تخفيض مدة المعاهدة من عشرين سنة إلىٰ أربع سنوات لتهدئة المعارضة الإسلامية، كما تم التخطيط لتأجيل الانتخابات مؤقتاً لإمتصاص معارضة المرجعية وإعداد الظرف المناسب لتنفيذ المشروع

الإنتخابي.

لكن مواقف السلطة لم تخف على المرجعية، فقد إستمر المراجع في تأكيد مواقفهم الرافضة للإنتخابات، بل أنهم صعدوا من معارضتهم عندما أعلن الشيخ الخالصي نقض بيعته للملك فيصل في مهرجان ضخم عقده في مدرسته العلمية في الكاظمية قال فيه: (لقد بايعنا فيصلاً ليكون ملكاً على العراق بشروط وقد أخل بتلك الشروط فلم يعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة).

لقد أدركت السلطة أن المعارضة الإسلامية لايمكن تحجيمها أو السيطرة عليها طالما بقي مراجع الدين في الساحة، فهم مصدر قوة الشعب العراقي، وهم الذين يرسمون له الموقف والقرار، وأن الأمة تدين للمرجعية بالولاء الكامل، مما يجعل من المستحيل تنفيذ أي مشروع سياسي يرفضه مراجع الدين. من خلال هذا الفهم قررت السلطات الحاكمة عزل القيادة المرجعية عن الامة لتتمكن من فرض سياستها على الساحة. فكان قرارها الظالم بنفي علماء ومراجع الدين إلىٰ ايران في حزيران ١٩٢٣م وسط إجراءات أمنية مشددة[١].

العلماء والسياسة.. المرحلة الجديدة

بعد فترة من وجود العلماء المنفيين في ايران عادوا إلى العراق بعد أن أعطوا تعهداً بعدم التدخل في الشؤون السياسية، كما تذكر ذلك بعض الكتب التاريخية. وقد تعرض الباحثون إلىٰ هذه المسألة عبر وجهات نظر مختلفة، وإعتبرها البعض منهم مؤشراً علىٰ تراجع المرجعية عن حركة الاحداث، مما استتبع ذلك ضياع الامة ووقوعها ضحية السياسات الاستعمارية التي أخضعتها لمخططاتها الاستكبارية، بعد أن ابتعد العلماء عن دورهم الحقيقي في توجيه الامة وقيادتها

---

(١) لطفي جعفر فرج، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، ص ٩٠ – ٩١.

ميدانياً. وربما يحمّل هذا القسم من الكتاب والباحثين ،علماء الدين مسؤولية تدهور الوعي الاجتماعي والسياسي، على اساس ان المرجعية استغرقت في همومها الخاصة، وتركت الامة بعيدة عن التوجيه والارشاد.

لكننا نرىٰ أن هذه الآراء بحاجة إلىٰ مراجعة موضوعية لظروف عودة العلماء وإعطائهم تعهداً بعدم التدخل في الشؤون السياسية، باعتبار أن الحدث التاريخي لايمكن أن نفهمه بالموازين الحالية التي نعيشها، إنما يجب فهمه من خلال ظروفه الاجتماعية والسياسية التي ولد فيها.

إن من المؤكد أن مراجع الدين والعلماء لم ينهاروا أمام قساوة الضربة التي تعرضوا لها، ولم يسبق لمرجع شيعي أن تنازل عن مواقفه المبدأية نتيجة الضغط المضاد حتّىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ سجنه أو قتله طالما يرىٰ أن التراجع يمثل ضرراً بالاسلام وبالمسلمين. وعلىٰ هذا فان عودة العلماء لم تكن تنازلاً عن المبدأ أو تراجعاً عن الموقف، بل كانت لها ظروفها الخاصة التي تستدعي دراستها بتجرد وموضوعية. ونلخص رأينا في هذه القضية بالملاحظات التالية:

أولا: لقد عاد العلماء المنفيون إلى العراق عام ١٩٢٤م أي بعد أن تم إجراء الانتخابات التي بذلوا كل جهودهم من أجل إفشالها، لكن السلطة استطاعت أن تفرضها على الشعب العراقي. وبذلك تكون جولة المواجهة قد حسمت في غير صالحهم، وتم في أعقابها رسم معالم السياسة والحكم في العراق .وهذا يعني أن بقائهم في المنفى أو عودتهم لايؤثر بأي حال من الأحوال على موضوع الانتخابات أو على الواقع السياسي الذي عارضوه بالأمس، فلقد خطى الزمن خطوته الكبيرة، وخُطىٰ الزمن يستحيل إرجاعها.

ثانيا: بدأت السلطات البريطانية تخطط لتفتيت وحدة الشعب العراقي مستغلة غياب كبار العلماء عن الساحة، وهذا يعني أن بقاء العلماء في المنفى سيكون له أثره السلبي على وحدة الأمة في العراق، حيث ستقف فئات الأمة

لوحدها في مواجهة الخطط الاستعمارية، ولم تكن آنذاك قد وصلت إلىٰ مرحلة النضج التي تستطيع من خلالها تقدير السياسات البريطانية البعيدة المدىٰ. ويكفي للتدليل على هذه النقطة أن الملك فيصل إستطاع قبيل نفي العلماء من زيارة بعض مناطق الفرات الأوسط والتأثير علىٰ قناعات شيوخ العشائر في مسألة الانتخابات، مما أحدث شرخاً في وحدة الموقف الجماهيري المعارض.

ثالثا: كانت السياسة البريطانية تهدف فيما تهدف إليه، إلىٰ نشر الفكر العلماني والصليبي في الأوساط الشعبية، والعمل على فصل الأمة عن قيادتها الدينية، وكان هذا الهدف يمتلك بعداً استراتيجياً في العقل الاستعماري، فلقد كانت مشكلة الاستعمار الاساسية هي التلاحم العقائدي بين الأمة والمرجعية، وقدرة المرجعية علىٰ رصد الأحداث السياسية وإتخاذ المواقف المطلوبة في مواجهة المخططات المضادة، وللأجهزة الإستعمارية تجارب مريرة في هذا الخصوص. لذلك سعت إلىٰ إحداث فجوة عقائدية بين الأمة وعقيدتها الإسلامية، ولكي يتحقق ذلك كان لابد من عزل الامة عن العلماء والمراجع، وهذا ما تحقق من خلال نفي العلماء خارج العراق.

رابعا: علىٰ مرّ التاريخ بذل علماء الشيعة كل جهودهم من أجل المحافظة على الحوزة العلمية، وتنشيط البحث العلمي مهما كانت الظروف المحيطة بهم صعبة وقاسية .وقد نجحوا في إبقاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام حية متجددة على مر الزمن، ولما كانت الأوضاع في ايران لاتساعد على النشاط العلمي آنذاك مقارنة بالحوزة النجفية، لذلك رأى المراجع المنفيون أن الدراسات الحوزوية ستتعرض إلى التراجع والضعف، وأن الحوزة العلمية ستفقد مكانتها السامية التي كافح كبار المراجع من أجل وصولها إلى المستوى الذي وصلت اليه. الأمر الذي جعلهم يفكرون في ضرورة العودة إلىٰ مواقعهم الطبيعية وإستكمال دورهم العلمي والإرشادي للحوزة وللأمة.

خامسا: إن عودة العلماء إلى العراق لم تكن بصورة متفرقة فردية، إنما حدثت من خلال موقف جماعي مشترك[١]، مما يشير إلىٰ أنه صدر بعد دراسة لمجمل الأمور والأوضاع السائدة آنذاك. وليس كما يتصور بعض الباحثين أن عودتهم كانت نتيجة التنافس فيما بينهم، إذ أن التنافس كان يفترض أن يدفعهم إلى العودة بشكل متفرق، لا أن تكون عبر قرار جماعي وموقف مشترك.

بعد عودة العلماء إلى العراق كانت السياسة العامة للدولة قد تم ترتيبها وفق الصيغة التي أرادها الانكليز، وهنا بدأت المرحلة الثانية من المشروع الاستعماري والمتمثلة في إبعاد الإسلام عن الساحة وتحويله إلىٰ شعائر شكلية خالية من المضمون الحقيقي الأصيل. فقد شجعت الاتجاهات الإلحادية والعلمانية والتبشيرية، وتعرض العراق إلىٰ حملة ممنهجة في هذا الاتجاه، حيث إنتشرت البعثات التبشيرية في العديد من المناطق، وتأسست الجمعيات والأندية والأحزاب العلمانية، وكانت الثقافة الرسمية تسير في الاتجاه المعادي للإسلام.

خلال تلك الفترة كانت النشاط الإسلامي بشكل عام يتعامل مع الأوضاع دون المستوى المطلوب، فقد انشغلت المرجعية بالشؤون الحوزوية، ولم يكن لها الحضور السابق في الساحة السياسية والثقافية والاجتماعية.

إن تلك الاوضاع حفزت جماعة من العلماء على التصدي لحالة التدهور التي تمر بها الامة فأقدموا علىٰ عدة خطوات مؤثرة كان لها دورها المؤثر في المجالات التي تحركت فيها .وقد تميز هذا التحرك بنمطين:

الأول: إعتماد التحرك الفردي في مواجهة الحملة المضادة، وقد مثل هذا الاتجاه الشيخ حبيب آل إبراهيم العاملي، والشيخ محمد جواد البلاغي، والسيد

---

(١) ماعدا الشيخ مهدي الخالصي فأنه رفض العودة وآثر البقاء في المنفىٰ.

محسن الأمين. فلقد مارس كل واحد من هؤلاء الأعلام رحمهم الله دوره الطليعي في التصدي للهجمة المضادة، ونشر الوعي العقائدي والثقافي في صفوف الأمة، فالشيخ حبيب العاملي تصدىٰ للبعثات التبشيرية في جنوب العراق وكان له الدور الكبير في حفظ عقائد الناس هناك، وإيقاف النشاط الصليبي[١]. والشيخ محمد جواد البلاغي تصدىٰ أيضاً للفكر الصليبي والاسرائيلي، وكذلك للفكر الالحادي وأصدر عدة كتب عالجت القضايا الفكرية والعقائدية والفلسفية باسلوب علمي وحوار هادئ، فكان لها تأثيرها في الأوساط الاجتماعية[٢]. أما السيد محسن الأمين فقد قام بأدوار اصلاحية متعددة في أكثر من مجال كما سيأتي بنا ان شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب.

الثاني: إعتماد التحرك المؤسساتي في العمل الثقافي، وقد مثل هذا الاتجاه الشيخ محمد رضا المظفر من خلال تأسيسه جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف والتي كان لها الدور الرائد في تربية الأجيال الإسلامية وإعدادها تربوياً وفكرياً بما يتلائم مع متطلبات المرحلة، وسيأتي الحديث عن ذلك في الباب الرابع أيضاً.

كان هذا على المستوى الفكري.

أما على المستوى السياسي فقد كانت الحياة السياسية تكاد تكون من مختصات الشخصيات العلمانية والقومية بالدرجة الاولىٰ، ولم يكن للإسلاميين حضور فيها باستثناء عدد قليل من الشخصيات. فخلال تلك الفترة تراجعت ظاهرة الحزب الإسلامي بشكل ملحوظ، حيث غابت الاحزاب الإسلامية من الساحة ولم يشكل علماء الدين أي حزب أو جمعية سياسية. لكن بعض العلماء

---

(١) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢ ص٣٠٤.

(٢) السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، المجلد الرابع، ص ٢٦١.

وكبار المجتهدين كانت لهم مشاركتهم السياسية وعلاقاتهم المؤثرة في الشخصيات وبعض الأحزاب السياسية، وقد برز في هذا الإتجاه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي أستطاع أن يصنع أحداثاً سياسية هامة مع العشائر العراقية، وأجبر بعض الوزارات علىٰ الاستقالة. كما كان له (قدس سره) دوره المتميز في الساحة الفكرية والثقافية.

عودة النشاط الحزبي الإسلامي

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت تحولات كبيرة في الواقع السياسي العام في العراق. فالقومية أصبحت اتجاهاً قوياً في الساحة من خلال الأحزاب السياسية والثقافة السائدة، كما أن الشيوعية سيطرت علىٰ قطاعات واسعة من أبناء الامة وكانت الثقافة الماركسية لها تأثيرها الكبير على الجامعات والاوساط الشعبية. فيما كانت معالم التحرك الإسلامي تأتي في المستوى الثاني بعد هذه الوجودات. وقد حفزت هذه الاوضاع بعض الاوساط الإسلامية إلىٰ إعتماد العمل الحزبي المنظم من أجل مواجهة الانحراف الفكري في الساحة، فعادت ظاهرة الحزب الإسلامي مرة أخرىٰ إلى الواقع العراقي، لكنها هذه المرة تميزت بالسرية التامة والتخطيط الدقيق، كما أنها تميزت بالتركيز على الجانب الفكري بالدرجة الاساسية، في حين كانت التجربة السابقة للاحزاب الإسلامية تولي إهتمامها الاول على الجانب السياسي والتعبوي باتجاه العمل الجهادي المسلح. والسبب في هذا التحول الإستراتيجي يعود إلىٰ تغير الاوضاع السياسية، ففي السابق كان هدف العمل الحزبي الإسلامي هو التصدي للسياسة الاحتلالية والسعي لتحرير العراق في صيغة مستقلة تامة، لكن هذا الهدف قد تجاوزه الزمن وأصبح الهدف المطلوب هو التصدي للمشروع الاستكباري الكبير الذي يستهدف عقيدة الامة الإسلامية، الأمر الذي جعل العمل الحزبي الإسلامي

يصوغ منهاجه علىٰ هذا الاساس ويعمل علىٰ إعـادة قـيم وروح الإسـلام إلى الواقع العام. أما مشروع العمل المسلح فلم يكن مطروحاً في المراحل الأولى من العمل الحزبي الجديد.

كانت هذه هي الظروف العامة التي نشأت فـيها الأحـزاب الإسـلامية بـعد الحرب العالمية الثانية وبالتحديد في مطلع الخـمسينات المـيلادية .وقـد كـانت البداية مع حركة الشباب المسلم التي تأسست عام ١٩٥٣م على يد الشيخ عـز الدين الجزائري في النجف الأشرف ثم إمتد نشاطها إلىٰ مدينة كربلاء المـقدسة، كانت الحركة تعقد مجلساً كبيراً في كربلاء كل اسبوع. وقد أخذت أفكارها تنتشر بين صفوف الشباب .

كانت حركة الشباب المسلم تتخذ من مدرستي الجزائري، والخليلي الصغرى في النجف الاشرف مقراً لها، وكانت تصدر من هناك مجلة (الذكرىٰ) الشهرية.

وأعقب نشوء حركة الشباب المسلم، تـأسيس تـنظيم آخـر بـاسم مـنظمة المسلمين العقائديين، وقد تحـرك هذان التـنظيمان في أوسـاط مخـتلفة كـما امـتد نشاطهما خارج العراق.

وفي عام ١٩٥٧م تأسس حزب الدعوة الإسلامية وكان يمثل نقلة نوعية في العمل الحزبي الإسلامي، وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم ان شاء الله.

إستنتاجات

بعد أن تحدثنا في هذا الفصل عن ظاهرة الحزب الإسلامي في تـاريخ العـراق المعاصر، وتاريخ التحرك الإسلامي بشكل عام، نوجز نتائج الدراسة بما يلي:

▣ إن ظاهرة الحزب الإسلامي ولدت في فترة مبكرة من تاريخ العمل الحزبي في العراق، وقد تميزت أول ولادة حزبية (حزب النهـضة الإسـلامية) بـالوعي

وسعة الأفق والإلتزام العميق بالجانب العقائدي. كما تميزت بالدقة التنظيمية علىٰ مستوى التخطيط العملي والنظري بحيث كانت هذه التجربة أكثر وعياً وكفاءة من الناحية التنظيمية والمنهجية من التجارب الحزبية الأخرى التي ظهرت قبلها، رغم أن هذه التجارب كانت تستمد فكرها وتجربتها من أحزاب كبيرة في تركيا ومصر.

لقد كانت التجربة الإسلامية الاولىٰ في العمل الحزبي نابعة من ظروف الساحة ومنسجمة مع حركة الزمن، فلم تعش الاستغراق النظري، إنما ركزت على الجانب العملي الذي يخدم الهدف الذي تسعى اليه، وهذا ما جعل تأثيرها هاماً في الساحة السياسية بحيث أن إنتكاستها السريعة نتيجة الظروف الطارئة لم يتحول إلىٰ صدمة في الواقع السياسي الإسلامي، إذ ان مشوارها قد إستكملته حركة المعارضة الإسلامية في أعقاب انهيارها مباشرة.

◘ عاشت التجربة الإسلامية في العمل الحزبي حالة التعددية في بدايات انطلاقتها، وبالتحديد بعد انحلال حزب النهضة الإسلامية، مما يشير إلىٰ قناعة الوسط الإسلامي في تلك الفترة ـ قبيل ثورة العشرين ـ بالعمل الحزبي، والنظر اليه علىٰ أنه الاسلوب الامثل الذي يستطيع أن يحرك الأحداث والذي تفرضه طبيعة الزمن. ولم تفرز التعددية الحزبية حالة التنافس بين الأحزاب الإسلامية، مع أن التنافس عادة ما ينشأ بين الأحزاب التي تولد في ظرف واحد وتمارس نشاطها في ساحة واحدة. وقد يقال أن أجواء السرية هي التي منعت حدوث التنافس فيما بين تلك الأحزاب، لكننا نرىٰ خلاف ذلك، علىٰ أساس أن السرية كانت معتمدة بالشكل الذي يمنع العاملين في صفوف الأحزاب من إنكشاف أمرهم من قبل السلطات، في حين كانت العلاقات بين الأحزاب نفسها مفتوحة وهناك تنسيق فيما بينها. وهذا يعني أن العمل الحزبي كان يعيش المسؤولية الكبيرة تجاه القضايا التي يؤمن بها ويسعى إلىٰ تحقيق أهدافها، ولما كان الهدف

مشتركاً بين الجميع، فان الأحزاب سارت مع بعضها البعض في طريق واحد نحو هدفها الأساس.

◘ وإستكمالاً للملاحظة السابقة، فأن هناك ظاهرة أخرىٰ تميزت بها التجربة الإسلامية في العمل الحزبي، وهي أن الإنتماء للحزب لم يكن يعني التوقف في التحرك ضمن إطار الحزب وحده، فلقد كان الرجال الحزبيون يمارسون عملهم السياسي في بعض الأحيان بعيداً عن أجواء الحزب دون أن يشكل ذلك خللاً على المستوى التنظيمي، أي أن الغرض من التحرك كان يُفهم على أنه من أجل القضية وليس من أجل الحزب طالما أن هذا التحرك لايتعارض مع منهجية الحزب وأهدافه.

وهناك ظاهرة أخرىٰ تأتي في هذا السياق وهي أن عدداً من الحزبيين كانوا ينتمون إلىٰ أكثر من حزب في وقت واحد، وكانت تعددية الانتماء تتم بعلم الأحزاب، وربما كانت تتم بقرار من بعض الأحزاب، ومن خلال هذه التعددية كان التنسيق يزداد تعمقاً بين الاحزاب الإسلامية.

◘ شهدت التجربة الإسلامية في العمل السياسي إختفاء ظاهرة الحزب بشكل سريع بعد فترة من النشاط الساخن، وقد توقف العمل الحزبي عندما أصبح النشاط العام ذا طابع سياسي. ولم يكن هذا التوقف في الممارسة الحزبية نتيجة موقف سلبي من الفكرة الحزبية حيث أن مراجع الدين طالبوا في فترة توقف العمل الحزبي بالسماح في تأسيس الأحزاب. وفي نظرنا أن علماء الدين تعاملوا مع الأحداث برؤية موضوعية، وفهم حركي كبير، فهم يعتمدون العمل الحزبي عندما تستدعي الظروف ذلك، وعندما تتطلب الأوضاع تحركاً علنياً مباشراً مع الأمة كانوا يلجأون إلىٰ صيغة جماهيرية مفتوحة، إذ أن المطلوب هو الموقف المؤثر المتحرك مع حركة الزمن، لا التجمد علىٰ نمط واحد من العمل السياسي.

◘ تعامل الوسط الإسلامي مع فكرة الحزب على أنه يقتصر على الفعل السياسي، والعسكري، ولم يعط له دورٌ ثقافي، وربما كانت هذه الرؤية من الأسباب التي غيّبت العمل الحزبي لفترات طويلة. وقد تغيّرت هذه الرؤية بعد الحرب العالمية الثانية حيث شهدت الساحة العراقية ظهور النشاط الحزبي الذي يمارس النشاط الثقافي بالدرجة الاساسية مثل جماعة الأخوان المسلمين وحزب التحرير، ومنظمة الشباب المسلم، وحزب الدعوة الإسلامية.

إن هذا التطور الجديد في العمل الإسلامي من خلال النشاط الحزبي، إنما نشأ كإستجابة طبيعية لعامل الزمن، حيث كانت الأجواء العامة تستدعي منهجية تنظيمية لمواجهة الهجمة العلمانية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية، لقد كانت هذه الانطلاقة علىٰ قدر ملموس من الوعي، والتأثير كما سنتناول ذلك في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل الثالث

حزب الدعوة الإسلامية
دراسة في الفكر والتجربة

تمثل مسيرة حزب الدعوة الإسلامية تجربة علىٰ قدر كبير من الغنىٰ والأهمية في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، ولا تقتصر هذه الأهمية على الساحة العراقية فحسب، إنما تمتد لتشمل بعض البلدان الإسلامية، وذلك لأن نشاط حزب الدعوة توسع جغرافياً فخرج عن حدود العراق ومارس نشاطه في عدة دول أخرىٰ بصورة مؤثرة وفاعلة. وعلىٰ هذا فهو الحزب الإسلامي الشيعي الوحيد الذي إلتزم منذ البداية بالشمولية التنظيمية فلم يقتصر في عضويته ونشاطه على العراق والعراقيين، بل ضم في عضويته جنسيات مختلفة وصلت إلىٰ مواقع قيادية ومسؤوليات هامة في هيكله التنظيمي منذ فترات تأسيسه الأولىٰ وهي ظاهرة تستحق التأمل والدراسة عند محاولة تقييم الأسس النظرية والمتبنيات العملية لهذا الحزب الإسلامي الرائد.

ولم تشهد تجارب العمل الإسلامي تجربة حركية مماثلة لتجربة الدعوة الإسلامية، من حيث البناء الفكري والمواصلة العملية وقوة التأثير على الساحة، وهذا ما جعل منه موضع رصد ودراسة الأجهزة المختصة في مراكز القوىٰ الأقليمية والدولية. ولا نظن أن هناك حركة أو حزباً إسلامياً (مثل حزب الدعوة الإسلامية) وصلت إلىٰ مستوى التأثير في الساحة الاجتماعية بحيث صار يمثل صفة تطلق على كل من يلتزم الإسلام بوعي وحركية .وفي هذا المجال يكون حزب الدعوة الإسلامية هو الحزب الثاني بعد جماعة الأخوان المسلمين من

حيث الموقع الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي.

منذ بداية الثمانينات بدأ إهتمام الباحثين بدراسة حزب الدعوة الإسلامية وذلك بعد أن دخل مرحلة المواجهة مع نظام الحكم في العراق، وبدأت آثاره تظهر في أكثر من ساحة إسلامية. وقد صدرت الدراسات الأولى في الصحافة الغربية، ثم أعقب ذلك صدور دراسات إسلامية عن تاريخه ودوره في الساحة العراقية. وفي نظرنا أن الدراسات التي تناولت هذا الحزب الإسلامي لم تستطع أن تحيط بحركته بشكل متكامل رغم الجهود العلمية التي بذلها بعض الباحثين في دراساتهم، ومردّ ذلك يعود إلىٰ الأسباب التالية:

أولاً: ان الدراسات التي تناولت تاريخ ومسيرة حزب الدعوة الإسلامية ركزت علىٰ جانبه السياسي بالدرجة الأولى، ورغم أن هذا الجانب له أهميته الكبيرة في مسيرة الحزب، إلّا أن حزب الدعوة في حقيقته يمتلك بعداً فكرياً وإجتماعياً له أهمية تفوق حركته السياسية، وحسب رؤيتنا لمسيرته فإن قوته السياسية ما كانت لتتم لولا القاعدة الفكرية الصلبة التي يستند عليها والتي إنطلق منها في تصميم حركته السياسية. كما أن قاعدته الجماهيرية وتأثيراته الاجتماعية هي التي مكنته من القيام بالمهمة السياسية بشكل قوي وفاعل.

ثانياً: ركز الباحثون في دراساتهم على الفترة التي خاض فيها حزب الدعوة الإسلامية كفاحاً مسلحاً معارضاً ضد السلطة الحاكمة في العراق، وإنطلقوا من هذه الفترة في محاولة فهم مجمل التاريخ العام للدعوة الإسلامية. وهذا ما جعل الكثير من الدراسات تتأثر في تفسير تاريخ ما قبل المواجهة بمجريات الأحداث والمواقف التي أفرزتها المواجهة، بمعنى أن الدراسات نظرت إلىٰ ماضي الحركة بعين الحاضر ووفق مقاييسه.. فكان الحاضر بالنسبة لها هو الأساس في فهم الماضي والمنطلق نحوه. وهذه منهجية معكوسة تماماً، إذ أن الماضي لايفهم إلّا من خلال ظروفه وأجوائه الخاصة.. كما أن منهجية البحث التاريخي تفرض أن

يكون الماضي هو المنطلق نحو الحاضر.

إن الفارق كبير جداً بين هاتين المنهجيتين، فالأولى التي إعتمدها الكثير من الباحثين فرضت عليهم أن يتأثروا بجو المواجهة ويتعاملوا معه علىٰ أنه خلاصة تاريخ الدعوة الإسلامية ومحور حركتها، في حين أن المواجهة لم تبدأ إلّا حين إنتهت مرحلة كاملة من مسيرة الحزب، وهي المرحلة التغييرية التي دامت أكثر من عقدين من الزمن والتي كان لجرياتها وتفاعلاتها ونتائجها السبب الأهم في تفجر المواجهة مع النظام الحاكم في العراق. وعلى هذا فأن هذه المنهجية أوقعت معتمديها في الكثير من الأخطاء عند محاولتهم تفسير مسار الدعوة الإسلامية وتحليل مواقفها، لأنها قامت علىٰ أسس غير صحيحة إن لم نقل سطحية.

إن المنهجية التي نؤكد عليها في دراسة حزب الدعوة الإسلامية ـ أو أي حركة تاريخية ـ تبدأ من الجذور وتدرس الظروف العامة التي ولدت فيها وفق مقاييس تلك الظروف، ثم تنطلق منها في تفسير الخطوات اللاحقة وصولاً إلى المراحل القريبة أو الحاضرة. ولعل القارئ الكريم سيكتشف أهمية هذه المنهجية في دراستنا الحالية إن شاء الله.

ثالثاً: كتب الكثير من الباحثين دراساتهم عن الدعوة الإسلامية من خارج جهازها التنظيمي، ولذلك لم يكن بمقدورهم فهم جو الحركة بالشكل المطلوب والكافي. وهذه مشكلة تواجه الباحث عند محاولته دراسة أي حركة أو حزب سري، لأن للأحزاب أجواءها الخاصة التي لايمكن أن تُستوعب من خلال القراءة والسماع والتحليل، إنما تحتاج إلىٰ معايشة واعية من داخل جسم الحركة. وهذا ما نلاحظه في الدراسات التي تناولت العديد من الحركات السياسة كالاخوان المسلمين والحزب الشيوعي. فقد صدر عدد كبير من الكتب والدراسات حول هاتين الحركتين، لكنها لم تصل إلىٰ مستوى العدد المحدود جداً من الكتب التي كتبها الأعضاء المرتبطون بها. فكتاب (ذكريات لامذكرات)

للمرحوم الاستاذ عمر التلمساني رسم صورة واضحة المعالم عن جماعة الأخوان المسلمين من المتعذر أن نجدها في أي كتاب آخر من الكتب الكثيرة التي كـتبها باحثون من خارج الجماعة.

كما أن كتابات مالك سيف، وعزيز الحاج عكست صورة الحزب الشيوعي العراقي بشكل يفوق في أهميته الكتابات الأخرىٰ، رغم أن أصحابها بذلوا جهوداً علمية كبيرة في دراساتهم. وقد حاول الشيوعيون التـقليل مـن قـيمة وأهمـية كتابات مالك سيف، وعزيز الحاج علىٰ أساس أنهما تركا الحزب الشيوعي واتخذا موقفاً سلبياً منه، لكن هذا في نظرنا لايقلل من أهمية كـتاباتهما بـاعتبار أن مـا تناولاه كان يختص بالفترة التي عاشا فيها داخل الحزب الشيوعي.

إن المعايشة مسألة أساسية في دراسة الحركات التنظيمية لأنها تمكن الكاتب من النظر إلى الحركة من الداخل.. هذه النظرة التي من خلالها يمكن معرفة أجواء صنع القرار وظروف اتخاذ الموقف. إضافة إلىٰ أنهـا تعطي التحليل والتقييم صفة موضوعية قريبة جداً من الحقيقة، وهذا ما لايمكن أن يتاح للباحث الذي يستند إلىٰ معلومات خارجية أو إلىٰ ما قيل وكتب عن الحركة.

وبعبارة واحدة إن المعايشة هي المصدر الموثوق الأول في دراسة أي حـركة سرية.

وفي هذه الدراسة عن حزب الدعوة الإسلامية لا أدعي أنني أمتلك المعايشة التفصيلية الكاملة لكل ظروف وملابسات حركة الدعـوة الإسـلامية، ولكـن الفترات التي عايشت فيها واقع الحركة ومـا يـتصل بـه، أتـاحت لي الإطـلاع المستوعب لجوها العام من حيث إتخاذ القـرار والمـوقف. كـما كـنت في بـعض الفترات السابقة جزءً من حركتها وفي صميم الأحداث التي مـرت بهـا، فـلقد مارست العمل الثقافي والتبليغي في عدة مناطق، كما مارست العمل الجهادي في الفترة التي كانت فيها المواجهة المسلحة هـي السـمة البـارزة لنشـاط الدعـوة

الإسلامية، وكان المشروع السياسي خاضعاً لجو العمل الجهادي المسلح.

كما أنني دخلت السجن مع مجموعة الشيخ الشهيد عارف البصري القيادية في حزب الدعوة عام ١٩٧٤ وتعرفت بشكل مباشر علىٰ أمور لايمكن معرفتها من خارج السجن، ومن يعش تجربة السجن في العراق يفهم الجو الحركي من بُعد لايدرك من الخارج. يضاف إلىٰ أنني عشت فترة المطاردة في السنوات الصعبة ومارست مهامي في العمل الجهادي داخل العراق، كل ذلك جعلني أعيش الحركة وأتفهم مواقفها وأجواءها عن قرب إن لم أقل عن تماس تنعدم فيه الفاصلة.

ظروف التأسيس

جاء في أدبيات حزب الدعوة الإسلامية أن تأسيسه قد تم في عام ١٩٥٧م وبالتحديد في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٧ للهجرة، أي أن تأسيسه كان في ذكرىٰ ولادة الرسول الأكرم ﷺ[1]. وتتحدث أدبيات الحزب عن فترة من الأعداد سبقت التأسيس تعود إلىٰ عام ١٩٥٦م، فقد جرت إجتماعات ومشاورات متواصلة بين عدد من علماء الدين والمثقفين الرساليين في النجف الأشرف، وكربلاء، وبغداد، كان في مقدمتهم الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) الذي تصفه أدبيات الدعوة الإسلامية بأنه مؤسس الحزب وعقله المفكر.

وهناك إتجاهان حول تفسير الأجواء والظروف التي رافقت تأسيس حزب الدعوة الإسلامية:

---

(١) لقد ذكر سماحة السيد الدكتور طالب الرفاعي في مذكراته المخطوطة أن تأسيس الحزب كان في عام ١٩٥٩م.

الأول: يرىٰ أن الفترة التي سبقت تأسيس حزب الدعوة كانت تتسم بالجمود الثقافي والحركي وبغياب الدور الإسلامي الواعي، وأن الساحة كانت خاضعة للتيارات القومية والشيوعية التي فرضت وجودها وثقافاتها على الواقع الإجتماعي العام في العراق. ولم تكن المواقف الإسلامية بالحجم الذي يتناسب مع خطورة التحديات، فلقد كانت بشكل عام تتحرك في نطاق محدود ومن خلال عدد قليل من علماء الدين والرساليين في المدن المقدسة الشيعية. وما عدا ذلك كان الحضور الإسلامي الواعي غائباً عن الساحة.

الثاني: يرىٰ أن الفترة التي سبقت تأسيس حزب الدعوة، لم تكن مجدبة حركياً بالصورة التي يرسمها الاتجاه الأول، حيث كانت هناك نشاطات جماهيرية ذات طابع حركي واع، وأن النشاط الإسلامي كان يتحسس بخطورة الهجمة العلمانية المضادة، وحاول مواجهتها من خلال بعض المشاريع الإسلامية ذات السمة الجماهيرية كالاحتفالات العامة في المناسبات الدينية، وكذلك من خلال بعض الكتب الإسلامية التي كانت تعالج المسائل الثقافية المطروحة في الساحة.

والذي نراه أن العمل الإسلامي بشكل عام خلال تلك الفترة لم يكن بحجم التحديات التي تواجه الأمة، لكنه كان في الوقت نفسه يمثل أحد العوامل المساعدة أو المحفزة علىٰ نشوء عمل اسلامي حركي، وهذا ما يمكن اكتشافه في التجارب الحركية عادة، حيث أن المقدمات الميدانية وإن كانت محدودة إلّا أنها تضع اللبنات الأولية لنشاطات أكثر قوة وعمقاً.

وقد إستفاد حزب الدعوة الإسلامية من تلك الأجواء إلىٰ حد كبير، بل أن المؤسسين درسوا بدقة التجارب الإسلامية السابقة والمعاصرة قبل أن يقدموا علىٰ تأسيس حزبهم، وهذا ما جعل تجربتهم الحركية تتسم بالغنى الفكري والتنظيمي، لأنها لم تنطلق من فراغ.. ولم تبدأ طريقها بمعزل عن تجارب العمل

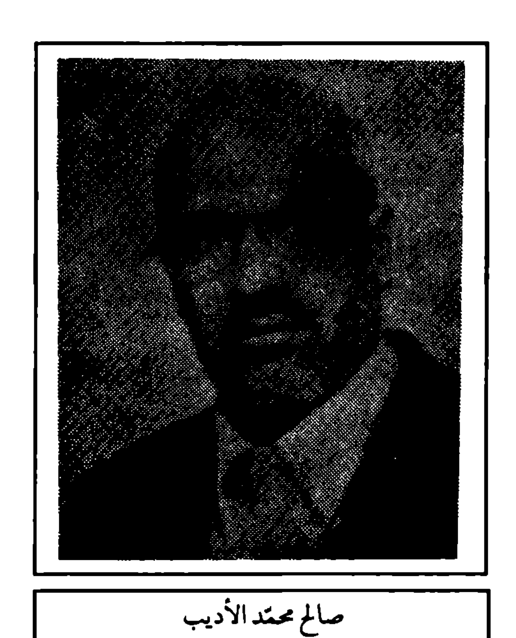
الإسلامي في الساحات الإسلامية المختلفة .

إن تجربة حزب الدعوة الإسلامية واحدة من أهم التجارب الحركية في التاريخ الإسلامي المعاصر ، وذلك يعود إلىٰ عدة عوامل يمكن أن نحصرها بما يلي :

أولا : لم ينشأ حزب الدعوة كردة فعل إرتجالية لظروف طارئة ، انما نشأ نتيجة تفاعل وتراكم جهود حركية وتجارب عديدة من قبل رموز العمل الإسلامي ، فهو الخلاصة الطبيعية لكل المقدمات التي سبقت تأسيسه والتي كانت تهدف إلىٰ إعادة الامة إلىٰ الأصالة الإسلامية . وعلى هذا فأن تأسيس حزب الدعوة الإسلامية ـ ومن وجهة نظر شمولية ـ لايختص بالمؤسسين وحدهم ، بل هو مشروع التحرك الإسلامي بشكل عام . فلقد استطاع المؤسسون وفي طليعتهم الامام الشهيد السيد الصدر أن يلخصوا جهود الحوزة العلمية والمرجعية الدينية والرساليين الحركيين في مشروع حركي سياسي منظم ، وذلك بالإستفادة من الأرضية التي هيأتها جهود الفئات السابقة خلال الفترات الزمنية التي سبقت التأسيس .

ثانياً : لم يضع حزب الدعوة الإسلامية في برنامجه هدفاً محدوداً ، بل انطلق من قاعدة عريضة باتجاه أهداف كبيرة وبنظرة شمولية بعيدة المدىٰ . مما جعل مرتكزات التأسيس تتسم بالقوة والعمق والشمولية ، الأمر الذي مكّنه فيما بعد من التوسع والمواصلة رغم صعوبة الطريق الذي سار عليه . ولو وضع الحزب لنفسه أهدافاً محدودة ، لما استطاع أن يستمر في العمل الحركي ولتوقف بعد فترة قصيرة من عمله ، كما حدث ذلك مع التجارب الحزبية التي ولدت في ظرف معين ثم تلاشت عندما تغيرت الظروف أو عندما واجهت ضغوطات قاسية . وسنتحدث عن هذه النقطة في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى عند الحديث عن أسس وأفكار حزب الدعوة الإسلامية .

ثالثاً: ومن نقاط القوة الأساسية التي أكسبت حزب الدعوة عمقاً وتأثيراً وامتداداً، هو ولادته في أجواء الحوزة العلمية وفي أوساط المرجعية الدينية. فلقد ساهم في تهيئة أجواء التأسيس جمع من العلماء في العراق، حيث درسوا الظروف العامة التي تمر بها الأمة الإسلامية، وتوصلوا إلىٰ ضرورة تأسيس حزب إسلامي يتحرك في ظل المرجعية الدينية ويتسع مجال عمله إلىٰ كل البلاد الإسلامية. ويبدو أن فترة الدراسة والإعداد إستمرت لما يقرب من سنة قبل أن يولد الحزب في إجتماع سري ضم الامام الشهيد الصدر والمرحوم العلّامة الشهيد السيد مهدي الحكيم والعلامة المحقق السيد مرتضىٰ العسكري والعلامة السيد محمد باقر الحكيم[١]، والمرحوم الاستاذ صالح محمّد الاديب، إضافة إلىٰ علماء ورساليين آخرين.

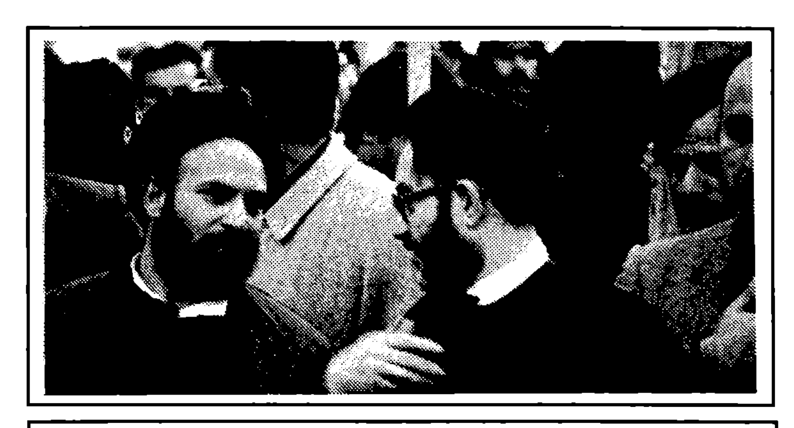


صالح محمّد الأديب

إن التأمل في شخصيات المؤسسين يعطي بوضوح عمق الصلة بين حزب الدعوة وبين المرجعية الدينية، فالسيدان مهدي الحكيم ومحمد باقر الحكيم كانا أبرز أنجال المرجع الكبير السيد محسن الحكيم (قدس سره)، وكان لهما الدور

---

(١) لم يصدر حتىٰ كتابة هذه السطور أي نص رسمي من حزب الدعوة الإسلامية عن أسماء المؤسسين ما عدا الشهيد الصدر، وقد إعتمدت في هذه المعلومات عن أسماء المؤسسين على أحاديث متفرقة في فترات مختلفة مع بعض الشخصيات القيادية وقدماء المنتمين إلى الحزب، وهناك أسماء أخرى لم أذكرها لأسباب أمنية.



المؤلف مع الشهيد السيد مهدي الحكيم ـ لندن ـ

البارز في أعمال ونشاطات المرجعية الدينية. أما الشهيد السيد الصدر (قدس سره) فقد كان في تلك الفترة علماً من أعلام الحوزة، والفكر الإسلامي وكان يسير بقوة نحو المرجعية الدينية بفضل المؤهلات الإستثنائية التي يتمتع بها (رضوان الله عليه).

رابعاً: لم تكن هناك أية فاصلة بين المرجعية والحوزة العلمية وبين الخط العام لتحرك حزب الدعوة. فالأهداف التي كان يسعى إليها الحزب وممارساته الميدانية علىٰ الأصعدة الاجتماعية والثقافية والفكرية، كانت هي في حقيقتها أهداف المرجعية الواعية، وعلماء الدين الحركيين، كما أن إنتماء عدد كبير من العلماء وطلبة الحوزة الدينية وخطباء المنبر الحسيني في صفوف الحزب ومنذ بدايات تأسيسه، جعل منه ذراعاً للمرجعية واتجاهاً ميدانياً في الأمة يتحرك وفق رؤىٰ وتصورات المرجعية والعلماء، وهذه مسألة علىٰ قدر كبير من الأهمية حيث أنها أكسبت الحزب ثقة المرجعية وكبار العلماء الواعين.

هذه العوامل أكسبت حزب الدعوة عناصر قوة حقيقية في مسيرته ومكنته من قطع اشواط عمله بكفاءة ميدانية مشهودة، حيث استطاع خلال سنوات

قليلة من بداية تأسيسه أن يستوعب أعداداً كبيرة من العلماء والخطباء والمثقفين وطلبة الجامعات، وهو ما انعكس بوضوح على الحياة الاجتماعية والثقافية في العراق، حيث أصبح الإلتزام الديني الواعي ظاهرة عامة في الوسط العراقي، وشهدت المساجد والمناسبات الدينية حضوراً مكثفاً من قبل الشباب المؤمن وهو ما كان غائباً عن الساحة العراقية، بل أن التيارات العلمانية والماركسية واجهت تراجعاً أمام حركة الوعي الإسلامي التي زرعها حزب الدعوة الإسلامية.

ولقد تحرك الوعي الإسلامي على كل الأصعدة والمجالات العامة، وكانت الحركة تتم بطريقة منسجمة بحكم إرتباطها التنظيمي. فمثلاً كانت حركة الكتاب الإسلامي الهادف الذي يعالج القضايا التي تهم الساحة تسير جنباً إلىٰ جنب مع حركة المحاضرات والندوات والاحتفالات الجماهيرية، فتقدم بذلك فكراً إسلامياً أصيلاً يثقف أبناء الأمة ويوجه أنظارهم إلى المخاطر التي تتعرض لها البلاد الإسلامية، وإلىٰ محاولات الأعداء لعزل الإسلام عن الساحة.

وفي الوقت نفسه كانت الحلقات الحزبية والثقافة الخاصة التي يتلقاها الدعاة تتحرك في الإتجاه العملي الذي يخدم حركة الوعي الإسلامي ويساهم في سرعة وصول الأفكار الأصيلة إلىٰ قطاعات الأمة. فلقد كانت الثقافة الدعوتية ثقافة ميدانية تنطلق من الواقع وتعالج مشاكله وتوجه الإهتمام نحو الساحة الاجتماعية بعيداً عن التجريد النظري وهذا ما سنتناوله إن شاء الله في الصفحات القادمة عند الحديث عن فكر الدعوة.

الملامح العامة لفكر الدعوة الإسلامية

أولىٰ حزب الدعوة الإسلامية أهمية خاصة للجانب الفكري في مسيرته

وتشكيلاته التنظيمية، وحسب دراستنا للتجارب الحزبية الإسلامية، فليس هناك حزب آخر اعطى الفكر أهمية مثلما أعطاها حزب الدعوة. والسبب في ذلك يعود إلىٰ أن إنطلاقة الحزب إنما قامت على أساس تغيير الواقع إسلامياً وأن المرحلة الأولىٰ من مراحل عمله كانت سمتها العامة العمل التغييري، الأمر الذي يستلزم إهتماماً فكرياً إلىٰ أعلى المستويات، باعتبار أن طبيعة المواجهة والمهام التغييرية لاتتحقق إلّا من خلال بنية فكرية وثقافية عالية المستوىٰ.

وقد ركز الحزب منذ بداية عمله على الكادر العلمي، وإستطاع أن يضم في عضويته رجالاً من الطراز الأول في المستوى الفكري، وهذا ما ساهم في أن يمتلك كادراً مقتدراً على العطاء الفكري والثقافي. ولاننسى أن وجود الامام السيد الصدر علىٰ رأس الحزب منحه قوة لايرقى اليها الشك في هذا المجال، فلقد كان (رضوان الله عليه) العبقرية الفذّة والاستثنائية في عالم الفكر الإسلامي بلا منازع، وعندما يكون قائد الحزب ومؤسسه رجلاً مثل الشهيد الصدر فأن من السهولة أن نتصور ما سيكون عليه فكر هذا الحزب، من حيث القوة والوضوح والأصالة الإسلامية.

وقد بذل السيد الشهيد الصدر جهوداً كبيرة من اجل وضع المرتكزات الاساسية للحركة، وكتب بنفسه النشرات الأولىٰ والأسس العامة للحزب. ولم يكتب الشهيد الصدر في حياته كل النشرات، بل أن القسم الأكبر كتب بأقلام قادة الحزب الاخرين وكادره المتقدم. والسبب في ذلك لايعود إلىٰ خروج السيد الشهيد من التنظيم، إذ أن هناك نشرات كتبت من قبل غيره قبل خروجه، كما كانت له مساهمات في بعض النشرات حتّىٰ بعد خروجه، إضافة إلىٰ أنه ظل يواكب ويشرف علىٰ فكر الحزب من أجل ضمان سلامته. بل أن السبب في ذلك يعود إلىٰ أن الشهيد الصدر لم يرد أن يحتكر لنفسه فكر الحركة، وفسح المجال لغيره من رجال الحزب لأن يشاركوا في هذه المسؤولية، لاسيما وأنهم على

مستوىٰ متقدم من حيث البناء الفكري.

لكن قوة الطرح الفكري للحزب والتي تضمنتها نشراته الداخلية، لم تحافظ علىٰ نفس المتانة الأولىٰ، إذ يجد الباحث أن النشرات التي كتبت في العقدين الأولين من مسيرته تميزت بعمق فكري وحركي أكثر من تلك التي كتبت منذ مطلع الثمانينات، وربما يدافع بعض رجال الحزب عن هذه القضية بارجاع السبب إلىٰ أن طبيعة المرحلة هي التي تقف وراء ذلك، على أساس أن المرحلة السياسية التي يمر بها الآن تستدعي معالجة المواضيع السياسية، وهذه المواضيع تتطلبِ إعطاء الموقف وليس الخوض في الآفاق الفكرية.

لكننا نختلف مع هذه الرؤية، فالفكر الحركي يمثل إتجاهاً في المعالجة بصرف النظر عن تخصص الموضوع الذي يناقشه، وليس في المعالجات الحركية فارق بين الموضوع السياسي والموضوع الفكري، لأن المطلوب هو إعطاء تصور ورأي وتفسير لمجمل الظروف التي يعيشها العمل والعاملون.

كما أن نشرات المرحلة السابقة كانت في معظمها ذات إتجاه سياسي، مثل:

نشرة (الخط العام في مجابهة الاحداث) الصادرة عام ١٣٨٤هـ.

ونشرة (الواقع السياسي للأمة الإسلامية) الصادرة عام ١٣٩٥هـ.

ونشرة (الاستعمار) الصادرة عام ١٣٩٦هـ.

ونشرة (العمل السياسي والثقافي) الصادرة عام ١٣٩٥هـ.

ونشرة (التخلف السياسي) الصادرة عام ١٣٩٧هـ.

ونشرة (المصطلحات السياسية في بلادنا) الصادرة عام ١٣٩٨هـ.

ونشرة (منهج التحليل السياسي) الصادرة عام ١٣٩٩هـ.

إن هذه النشرات وغيرها كتبت في المرحلة التغييرية وهي ذات طابع

سياسي، ومع ذلك كانت تتسم بالعمق والقوة وتعبّر عن فكر سياسي متين، لم نقرأه في نشرات الحزب التي أصدرها في مرحلته السياسية.

وقد يقال أن غياب مجموعة من الرواد من مسيرة حزب الدعوة الإسلامية نتيجة السجن أو الاستشهاد أو خروجهم من التنظيم، ساهم بشكل مؤثر في ضعف الطرح الفكري عما كان عليه سابقاً.

إن هذا الرأي يفسر جانباً من المشكلة وليس كل جوانبها. صحيح أنه من غير الممكن غض النظر عن الفراغ الهائل الذي أحدثه خروج الامام الصدر وإستشهاده (رضوان الله عليه)، فمساهماته الفكرية في نشرات حزب الدعوة الإسلامية ـ وفي الساحة الفكرية بشكل عام ـ لم يسدها أي مفكر آخر، لكن ليس كل الذين غابوا وغيّبوا عن التنظيم بمستوى الشهيد الصدر، كما أنهم لم يكونوا لوحدهم المسؤولين عن كتابة الفكر الخاص بالحزب. هذا بالاضافة إلىٰ أن كتابة النشرة لاتعني بالضرورة التخصص في مجال الكتابة، فالفكر التنظيمي له آفاقه الخاصة، فالشهيد الكبير عبد الصاحب دخيل لم يكن كاتباً بالمعنى المتعارف عليه في الاجواء الثقافية لكنه مع ذلك كتب العديد من النشرات القيمة التي أثرت فكر الحزب وتراثه الثقافي.

وفي تصوري أن الاسباب تعود إلىٰ الأوضاع الداخلية للحزب في الفترة التي عاشها في المهجر، ويمكن إيجاز هذه الاسباب بما يلي:

١ ـ مالت أجواء الحزب في المهجر إلى التعامل مع فكر الحزب على أنه مسؤولية محدودة في عدد من الاشخاص، في حين كانت في المرحلة السابقة تمثل مسؤولية عامة داخل أوساط الحزب مما كان يضمن لها العمق والثراء بحكم الاعتماد علىٰ قاعدة واسعة من الكفاءات، فهناك مساهمة من قبل دعاة غير قياديين في النشرات الحزبية. وقد أهملت هذه المسألة في فترة الهجرة مما أدىٰ إلىٰ عدم الاستفادة من الطاقات والكفاءات غير القيادية في هذا المجال، وهذا ما

إنعكس علىٰ قوة الطرح الفكري للحزب.

٢ ـ كانت المسؤوليات في المرحلة السابقة من مسيرة الحزب تقوم على أساس الكفاءة والفرز الميداني، في حين أصبحت في الفترة الثانية تقوم على أساس الانتخاب الذي إعتمد كمبدأ في تعيين القيادة وبعض اللجان المركزية، ورغم إيجابيات ومبررات الانتخابات من الناحية الميدانية، إلّا أنها تنطوي علىٰ بعض السلبيات، فهي لا تضع بالضرورة الكفاءة الحزبية في موقع المسؤولية المطلوبة، اضافة إلىٰ أنها قد تتأثر ببعض الحسابات الخاصة والذاتية التي تؤثر سلباً على مواقع المسؤولية.

٣ ـ نظرت الاوساط ذات القرار في الحزب للمهمة الفكرية نظرة أقرب إلى الوظيفية منها إلى المسؤولية التنظيمية، الأمر الذي جعل كتابة فكر الحزب تعيش في دائرة محدودة من الاشخاص، وقد كانت هذه الاوساط راضية بمستوى الطرح، مما أدىٰ إلىٰ بقاء الفكر الحزبي في نفس المستوىٰ دون أن يتطور ويتنامىٰ. بل أن هذا الفكر أخذ يتراجع من الناحية الكمية، إذ تباعد إصدار النشرة الداخلية بشكل ملحوظ رغم أن المرحلة فيها من التطورات والمستجدات ما يفرض ملاحقة سريعة، وما يستدعي رفداً فكرياً متواصلاً لأفراد الحزب.

ولا بد أن أؤكد أن هذه الملاحظة التي أثرتها حول فكر حزب الدعوة الإسلامية، لم أنطلق فيها من دافع سلبي، إنما اثرتها لإيماني بأن التجربة الفكرية لهذا الحزب الإسلامي الأصيل من أكثر التجارب الحركية غنى إن لم يكن أغناها، ولذلك لابد من المحافظة على العطاءات الفكرية لأنها مسؤولية أجيال ومسؤولية تاريخ بعيداً عن أي إعتبار شخصي.

بعد هذا الحديث عن فكر حزب الدعوة الإسلامية نحاول هنا الوقوف عند الملامح العامة لفكر الحزب، باعتبار أن دراسته لايمكن أن تكون متكاملة دون

التعرف علىٰ هذا الجانب المتميز من مسيرته، فلقد سبق وأن قلنا أن حزب الدعوة الإسلامية أولى الجانب الفكري، والثقافي أهمية كبيرة في مسيرته، وحركته العامة.

الأسس الفكرية للدعوة الإسلامية

كتب السيد الشهيد الأسس العامة للدعوة والتي ظلت تعرف باسم (الأسس) وعددها تسعة أسس، وهي تركز على بحث المرتكزات النظرية للحكم الإسلامي[١].

الأساس الأول: في هذا الأساس تعريف الإسلام والعقيدة والشريعة، فالاسلام بالمعنىٰ الاصطلاحي: هوالعقيدة والشريعة التي جاء بهما من عند الله تعالى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلىٰ الله عليه وآله.

والعقيدة هي: مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرسول ﷺ التي تعرّفنا خالق العالم وخلقه وماضي الحياة ومستقبلها ودور الانسان فيها، ومسؤوليته أمام الله، وقد سميت هذه المفاهيم بالعقيدة لأنها معلومات جازمة يعقد عليها القلب.

أما الشريعة: فهي مجموعة القوانين والأنظمة التي جاء بها الرسول ﷺ التي تعالج الحياة البشرية كافة الفكرية منها والروحية والاجتماعية بمختلف ألوانها من اقتصادية وسياسية وغيرها.

فالإسلام إذاً مبدأ كامل لأنه يتكون من عقيدة كاملة في الكون ينبثق عنها

---

(١) هناك إختلاف حول عدد الأسس، فقد ذهب البعض إلىٰ أنها أكثر من عشرة أسس، وكتب شبلي ملاط، في كتابه عن الشهيد الصدر بعنوان (تجديد الفقه الإسلامي)، أنها أكثر من ثلاثين اساسا. لكن دراستنا لهذه الأسس، ومقارنة اسلوب كتابتها مع غيرها، تجعلنا نقول أنها تسعة، كتبت بقلم الشهيد الصدر.

نظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة، ويفي بأمس وأهم حاجتين للبشرية وهما القاعدة الفكرية والاجتماعية[١].

الأساس الثاني: ويتناول تعريف (المسلم) وذلك على قسمين: فهناك المسلم الواقعي وهو من استسلم عن ايمان ويقين بالله واليوم الآخر ورسالة النبي ﷺ.. وهناك المسلم الظاهري وهو كل من شهد الشهادتين ولم يظهر منه إنكار لضروري من ضروريات الدين، ويعتبر كل من أعلن الشهادتين في عرف الدولة الإسلامية مسلماً مساوياً في الحقوق والواجبات لسائر المسلمين.

الأساس الثالث: وهو تحت عنوان (الوطن الإسلامي) يتناول موضوع إستحقاق الدولة الإسلامية للأرض، وذلك علىٰ نوعين: إستحقاق سياسي باعتبارها الادارة السياسية العليا للاسلام، أي المسؤولة عن الكيان السياسي للمبدأ الإسلامي والموظفة الشرعية على تطبيقه ونشره وحمايته.

أما الاستحقاق الآخر فهو ما تستحقه الحكومة الإسلامية من الأرض باعتبارها الممثل الأعلىٰ للأمة الإسلامية والوكيل الشرعي عنها في حقوقها وأملاكها، وهو ما يسمىٰ بالاستحقاق المالكي.

(وهذا الاستحقاق بنوعيه حكم شرعي لابد في استنباطه وتحديد دائرته من الأدلة الشرعية. أما تحديد الأرض التي يصح وصفها بالوطن الإسلامي فهو ليس حكماً شرعياً، فيكون المرجع فيه العرف السليم الذي يقضي في تعريف الوطن الإسلامي بأنه: كل ما يسكنه المسلمون من أقطار الأرض).

الاساس الرابع: وهو بعنوان (الدولة الإسلامية) حدّد الامام الصدر رؤية حزب الدعوة الإسلامية حول الدولة بشكل عام وحول الدولة الإسلامية

---

(١) راجع النص الكامل للأسس في الملحق الوثائقي من هذا الكتاب.

بشكل خاص، ثم تناول بالتحديد الدقيق أنواع الدول الإسلامية والحكم الإسلامي بشأن كل واحدة منها. ويمتلك هذا الأساس وما يليه من أسس أهمية كبيرة في التفكير الإسلامي العام، إذ لم يسبق أن طرحت هذه الأفكار بالشكل الدقيق الذي طرحه الامام الصدر، فقد كانت مثل هذه المعالجات غائبة عن الساحة الثقافية الإسلامية قبل تلك الفترة. كما أن هذا الاساس له أهميته القصوىٰ في المسار الفكري والعملي لحزب الدعوة الإسلامية باعتبارها تحدد موقفه السياسي من الدول القائمة، وباعتبار أنه يسعى إلىٰ تأسيس الحكم الإسلامي في إحدىٰ مراحل عمله، ولذلك لابد أن يجدد نظريته بشأن الحكم والدولة الإسلامية وشؤونها الاساسية، وهو ما أوضحه السيد الشهيد في هذا الاساس (الرابع) والأسس الخمسة الأخرىٰ.

جاء في هذا الموضوع أن الدول على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الدولة القائمة علىٰ قاعدة فكرية مضادة للإسلام كالدولة الشيوعية والدولة الرأسمالية ،(وحكم الإسلام في حق هذه الدولة أنه يجب على المسلمين أن يقضوا عليها وأن ينقذوا الإسلام من خطرها إذا تمكنوا من ذلك بمختلف الطرق والاساليب التبشيرية والجهادية، لأن الإسلام في هذه الدولة حتّىٰ بصفته عقيدة موضع للهجوم وموضع للخطر، فتكون الحالة معها حالة جهاد لحماية بيضة الإسلام ، غير أن وجوب جهاد هذا العدو لايعني بطبيعة الحال القيام بأعمال تعرض العاملين للخطر دون نتيجة ايجابية)[1].

النوع الثاني: الدولة التي لاتمتلك لنفسها قاعدة فكرية معينة كما هو شأن الحكومات القائمة علىٰ أساس إرادة الحاكم وهواه، وهذه الدولة دولة كافرة وليست دولة إسلامية، وإن كان الحاكم فيها والمحكومون مسلمين.(فما لم يكن

---

(١) نشرة الأسس، الأساس رقم (٤) بعنوان: الدولة الإسلامية.

الحكم اسلامياً مرتكزاً على القاعدة الإسلامية فهو حكم الكفر والجاهلية كما جاء ذلك في الحديث الشريف: الحكم حكمان حكم الله عزوجل، وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله فقد حكم بحكم الجاهلية).

ويحدد حزب الدعوة الموقف من هذه الدولة وكما كتبه الامام الصدر بأن (الحكم الشرعي في حق هذه الدولة أنها ليست دولة شرعية، ويجب على المسلمين هدمها وإبدالها بدولة إسلامية، وكذلك فأن وجوب ابدالها لا يعني القيام بأعمال تعرض العاملين للخطر دون احتمال نتيجة إيجابية، كما أن الطرق التي تستعمل في سبيل هدمها وإبدالها تقدر من حيث درجة العنف والقوة طبقاً لمدى الخطر الذي يتهدد الإسلام منها، وطبقاً لامكانات العاملين، وإحتمال عود جهادهم بنتيجة علىٰ الإسلام)[١].

النوع الثالث: الدولة الإسلامية التي تقوم على اساس الإسلام وتستمد منه تشريعاتها. والدولة الإسلامية هذه علىٰ ثلاثة أنحاء:

النحو الأول: أن تكون جميع التشريعات التي تقوم بها الدولة مستمدة من القاعدة الفكرية الإسلامية، بحيث أن سير الدولة التشريعي والتنفيذي يكون منسجماً ومتفقاً مع متطلبات الإسلام وأحكامه وبصورة مضمونة دون أي قصور أو تقصير. وهذا إنما يتأتىٰ فيما اذا كانت السلطة الحاكمة معصومة من الخطأ والهوىٰ كالسلطة الحاكمة أيام النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وحكم الإسلام بحق الدولة من هذا النوع أنه يجب اطاعتها ولا يجوز التخلف عن أوامرها وقراراتها التي تصدرها بصفتها سلطة حاكمة بحال من الاحوال.

النحو الثاني: أن تكون بعض التشريعات والتنفيذات متعارضة مع الإسلام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تجدر الإشارة أن هذه الأسس كتبت في عام ١٣٨١هـ(١٩٦١م).

تعارضاً ناشئاً من عدم اطلاع السلطة الحاكمة علىٰ حقيقية الحكم الشرعي أو طبيعة الموقف. وحكم الإسلام بحق الدولة من هذا النوع:

١ ـ يجب على العارف من المسلمين أن يشرح للدولة ما تجهله من أحكام الإسلام.

٢ ـ يجب على المسلمين اطاعة هذه السلطة في كل الحقول والمجالات التي تشملها صلاحياتها الشرعية.

٣ ـ إذا اصرت السلطة الحاكمة علىٰ وجهة نظرها الخاطئة عن حسن نية ولم يمكن لمن يختلف معها في وجهة نظرها ان يثبت لها رأيه، فاذا كانت القضية من القضايا التي يجب فيها توحيد الرأي كالجهاد والضرائب وأمثالها وجب على المخالف اطاعة أمر الدولة وإن كان معتقداً بخطأها. وإن لم تكن القضية مما يجب فيه توحيد الرأي كان للمخالف أن يطبق في مجاله الخاص اجتهاده المخالف لاجتهاد الدولة.

النحو الثالث: أن تشذ الحكومة في تصرفاتها التشريعية أو التنفيذية فتخالف القاعدة الإسلامية الاساسية عن عمد مستندة في ذلك إلىٰ هوىٰ خاص أو رأي مرتجل. وحكم الإسلام في هذه الدولة:

١ ـ يجب على المسلمين عزل السلطة الحاكمة واستبدالها بغيرها لأن العدالة من شروط الحكم في الإسلام، وهي تزول بانحراف الحاكم المقصود عن الإسلام، فتصبح سلطته غير شرعية، ويشترط في ذلك أن يتوصل المسلمون إلىٰ عزل السلطة بغير الحرب الداخلية.

٢ ـ واذا لم يتمكن المسلمون من عزل الجهاز الحاكم، وجب عليهم ردعه عن المعصية طبقاً لأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة المقدسة.

٣ ـ واذا استمرت السلطة المنحرفة في الحكم فان سلطتها تكون غير شرعية

ولا يجب على المسلمين اطاعة أوامرها وقراراتها فيما يجب فيه اطاعة ولي الأمر إلّا في الحدود التي تتوقف عليها مصلحة الإسلام العليا[١].

ونلاحظ في هذا الأساس أن الشهيد الصدر رسم للحزب الخطوط العامة لتعامله مع الحكومات والانظمة السياسية القائمة، لتكون بمثابة القاعدة الاستراتيجية التي تحكم مواقفه وعلاقاته بحسب الظروف والأوضاع التي يمر بها. وهي تعكس الرؤية البعيدة المدى التي كان يتمتع بها الامام الشهيد (رضوان الله عليه).

الأساس الخامس: وهو بعنوان (الدولة الإسلامية دولة فكرية) وفيه يتم تناول رؤية الدعوة الإسلامية لأنواع الدول بصورة عامة وذلك بتقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ الدولة الأقليمية: وهي التي تعكس في وحدتها السياسية الوحدة الأقليمية.

٢ ـ الدولة القومية: وهي التي تستمد وحدتها السياسية من القومية الموحدة.

٣ ـ الدولة الفكرية: وهي التي ترتكز في وحدتها السياسية على وحدة فكرية معينة. والدولة الإسلامية من هذا القسم.

وجاء في تعريف مفهوم الوحدة الفكرية بأنه: (إيمان جماعة من الناس بفكرة واحدة تجاه الحياة، يقيمون علىٰ اساسها وحدتهم السياسية، وهذه الوحدة هي الوحدة الطبيعية والجديرة بأن ينشأ علىٰ أساسها كيان سياسي موحد متمثل في دولة ،بعكس الوحدة العاطفية، لأن العاطفة لما كانت لا تعني بطبيعتها الموقف السياسي للأمة ولا نظرتها العملية نحو الحياة، فبالتالي لايمكن أن توجد للأمة

---

(١) نشرة الأسس، الأساس رقم (٤).

حكماً ونظاماً، لأن الحكم والنظام إنما يوجده الفكر، ولذا كان الفكر هو القاعدة الطبيعية للحكم، وكانت الوحدة الفكرية هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسية المتمثلة في الدولة تعليلاً علمياً).

ويحدد الشهيد الصدر نظرة حزب الدعوة لآفاق الدولة الإسلامية علىٰ أساس أن الدولة الفكرية (لاتعترف لنفسها بحدود إلّا حدود ذلك الفكر، وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في أوسع مدىٰ إنساني ممكن، وكذلك الدولة الإسلامية فانها دولة ذات رسالة فكرية التي هي الإسلام، والإسلام دعوة انسانية عامة بعث بها النبي ﷺ إلىٰ الانسانية كافة في مختلف العصور والبقاع، بقطع النظر عن الخصائص القومية والاقليمية وغيرها. فالاسلام رسالة عالمية لا اقليمية ولا قومية.

الأساس السادس: وعنوانه (شكل الحكم في الإسلام)، ويتناول هذا الأساس تعريف الحكم في الإسلام، وتحديد المهام التي تتطلبها الدولة الإسلامية، ثم تقسيم شكل الحكم في الإسلام إلىٰ قسمين:

الأول: الشكل الإلهي: والمقصود به حكم المعصوم، ويتفق المسلمون جميعاً بأن حكومة الرسول ﷺ كانت من هذا الشكل من الحكم، لكن الإختلاف حدث في تحديد الاشخاص الذين ثبت لهم الحق في ممارسة الحكم بهذا الشكل، فالسنة يرون إنحصار هذا الشكل من الحكم بالرسول، بينما يعتقد الشيعة بأن هذا الشكل من الحكم ثبت بعد الرسول ﷺ للأئمة الأثني عشر عليهم السلام المنصوص عليهم بصورة خاصة.

الثاني: الحكم الشوري أو حكم الأمة: (والمصدر التشريعي لهذا الشكل من الحكم قوله تعالىٰ: ﴿وأمرهم شورىٰ بينهم﴾ (الشورىٰ / ٣٨)

فإن هذه الآية الكريمة الواردة في سياق صفات المؤمنين التي تستحق المدح

والثناء، تدل على إرتضاء طريقة الشورىٰ وكونها طريقة صحيحة حينما لا يوجد نص من قبل الله ورسوله، وأما حيث يوجد النص فلا مجال لاعتبار الأمر شورىٰ لأنه سبحانه يقول ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب / ٣٦)

فالأمر إنما يجوز أن يكون شورىٰ بينهم اذا لم يقض النص الشرعي بقضاء معين، ومن الواضح أن مسألة شكل الحكم في الوقت الحاضر لم تعالج في نص خاص علىٰ مذهبي الشيعة والسنة معاً. وبكلمة أخرىٰ أن الشورىٰ في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم فيصح للأمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدة منها، وتختار لتلك الحكومة الشكل والحدود التي تكون أكثر اتفاقاً مع مصلحة الإسلام ومصلحة الأمة، وعلىٰ هذا الأساس فان أي شكل شوري من الحكم يعتبر شكلاً صحيحاً ما دام ضمن الحدود الشرعية)[١].

الأساس السابع: ويتناول بحث الشروط التي يجب توفرها في ممارسة الأمة إختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم، وهذه الشروط هي:

١ ـ أن يكون الإختيار ضمن الحدود الشرعية الإسلامية وغير متعارض مع شيء من أحكام الإسلام الثابتة.

٢ ـ أن يكون الإختيار أكثر إتفاقاً مع مصلحة الإسلام التي تعني الوضع الأفضل للاسلام.

٣ ـ أن يكون الإختيار أكثر إتفاقاً مع مصلحة المسلمين.

---

(١) هذه الرؤية للشهيد الصدر تغيرت فيما بعد، وأخذ يميل إلىٰ نظرية ولاية الفقيه أو الجمع بينها وبين نظرية الشورىٰ، وقد طرح حزب الدعوة الإسلامية نظرته في هذا الخصوص على أساس ولاية الفقيه.

وقد كان الامام الصدر يرىٰ أن وعي الأمـة للاسـلام وللـظروف الحـياتية والدولية هو المقياس الذي تتوقف عليه ممارسة إختيار شكل الحكـم والجـهاز الحـاكم، فإذا كانت تتمتع بالوعي المطلوب فـلها أن تخـتار شكـل الحكـم وأن تنتخب الجهاز الحاكم الذي يتولىٰ إدارة شؤونها. أمـا إذا لم تكـن الأمـة بهـذا المستوىٰ لعدم وجود وعي عام للاسلام وبالتالي عدم معرفة الحدود الشرعـية التي يجب أن تراعى في الإختيار، فلابد لحزب الدعوة الإسلامية أن يقيم في الأمة شكلاً للحكم الإسلامي ويختار جهازاً حاكماً، حـتّىٰ يجـيء الظـرف المـناسب لإستفتاء الأمة لإختيار شكل الحكم.

وقد تطورت هذه الرؤية عند الحزب، كما ورد في كراس (برنامجنا)[١].

الأساس الثامن: يـتناول تحـديد مـفهومي الأحكـام والتـعاليم. فـأحكام الشريعة الإسلامية هي الاحكام الثابتة التي بينت في الشريعة بدليل من الأدلة الأربعة، الكتاب والسنة والاجماع والعقل، فلا يجوز في هذه الاحكام أي تبديل أو تغيير، لأنها ذات صيغة محددة وشاملة لجميع الظروف والأحوال، فلا بد من تطبيقها دون تصرف.

أما التعاليم أو القوانين فهي أنظمة الدولة التـفصيلية والتي تـقتضيها طـبيعة الأحكام الشرعية الدستورية لظرف من الظروف، ولذا فهي قوانـين مـتطورة تختلف باختلاف ظروف الدولة. ومنشأ التطور فـيها أنهـا لم تـرد في الشريـعة مباشرة وبنصوص محددة، وإنما تسنبط من أحكام الشريعة علىٰ ضوء الظروف والاحوال التي هي عرضة للتغير والتبدل.

الأساس التاسع: ويطرح فيه الامام الشهيد الصدر الرأي الفقهي بشأن مهمتي الإفتاء والقضاء. حيث يرىٰ أن للمجتهد العادل الحق في ممارسة هاتين المهمتين

---

(١) راجع قسم الملاحق في نهاية الكتاب.

فهما من مهامه وليستا من مهام الحكم.

ويوضح الشهيد الصدر في هذا الخصوص أنه في حالة وجود إختلاف بين الفقهاء (في بيان الأحكام الشرعية، وجب أن يُنظر إلىٰ طبيعة الحكم المختلف فيه فإن كان حكماً يلزم على الدولة أن تتبنىٰ فيه اجتهاداً معيناً وتجعله الاجتهاد السائد في المجتمع الإسلامي كالاحكام التي بمجالات السياسة والاقتصاد والجهاد، فان الحاكم أما أن يكون مجتهداً أو يختار اجتهاداً من تلك الاجتهادات ويتبناه، لأن هذا الانتخاب والتبني لاجتهاد معين داخل في رعاية شؤون الأمة ومن الواجبات الشرعية على الحاكم).

أما إذا كان الاختلاف بين الفقهاء في المسائل التي لاتضر بالدولة وبكيان الأمة، ففي هذه الحالة لايجوز للدولة أن تتبنى اجتهاداً معيناً بل توكل الأمر لكل مسلم مكلف أن يرجع إلىٰ رأي مقلده.

هذا في مجال الإفتاء.. أما في مجال القضاء، فقد كتب الشهيد الصدر في هذا الأساس:

(ان حق القضاء لا يثبت للحاكم بمجرد كونه حاكماً، بل يثبت لمن نصت عليه الشريعة نصاً خاصاً كالقضاة الذين كان يعينهم المعصوم عليه السلام في زمانه، أو نصاً عاماً كما هو الحال في المجتهد العادل بصورة عامة، فكل مجتهد عادل يتمتع بحق ممارسة القضاء)[١].

هذه بصورة مختصرة الأسس التي كتبها الامام الشهيد الصدر لحزب الدعوة الإسلامية، وقد أدخل عليها (رضوان الله عليه) تعديلات وشروح فيما بعد نتيجة ما توصل اليه من آراء فقهية، وقد آثارنا الرجوع إلىٰ هذه الصيغة من الأسس

---

(١) الأساس رقم (٩).

حرصاً علىٰ تاريخية الموضوع، وللتعرف على التوجه الفكري العام لحزب الدعوة منذ بداية تكون مرتكزاته الفكرية.

الخط الفكري العام للدعوة الإسلامية

بعد إستعراضنا للأسس العامة لحزب الدعوة الإسلامية، نأتي على دراسة وتعريف أهم الخطوط العامة لفكر هذا الحزب، والتي رسمت خطه العملي في التحرك على الساحات الإسلامية المختلفة وفي مجالات متنوعة.

وضع حزب الدعوة الإسلامية لنفسه هدفاً كبيراً واسعاً، بحيث أصبحت مساحة العالم ـ وفق هذا الهدف ـ هي مجال تحركه وإهتمامه، فقد جاء في النظام الداخلي أن هدف الحزب هو:

(تغيير واقع المجتمع البشري إلىٰ واقع إسلامي، بتغيير المفاهيم والسلوك والأعراف والعلاقات علىٰ كل المستويات علىٰ أساس من العقيدة، والرابطة الأخلاقية الإسلامية، وإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية، تحقيقاً لإرادة الله سبحانه في عباده وإبتغاء مرضاته جل شأنه، وذلك عن طريق:

١ ـ تغيير الفرد المسلم وإعداد الطليعة المؤمنة الواعية المجاهدة القادرة علىٰ إحداث التغيير الإسلامي الشامل في النفس والمجتمع، إعداداً إسلامياً منظماً.

٢ ـ بعث الفكر الإسلامي الأصيل من جديد وتنقيته من الأفكار والمفاهيم الغريبة التي علقت به.

٣ ـ تهيئة الأمة فكرياً، وروحياً، وسلوكياً حتّىٰ تتغير معالم المجتمع بالتدريج ويتحقق المجتمع الإسلامي بجميع مقوماته.

٤ ـ تحرير البلاد الإسلامية من السيطرة الاستعمارية الكافرة، وتوسيع نطاق الثورة الإسلامية في العالم.

٥ ـ دعم وبناء الدولة الإسلامية، لتكون نواة لقيام الدولة الإسلامية الكبرىٰ.

٦ ـ دعوة العالم إلىٰ الإسلام)[1].

وفي ضوء ذلك فإن حزب الدعوة الإسلامية قد جعل مساحة تحركه تتسع لتشمل كل مساحة العالم، علىٰ أساس أن دعوة الإسلام عالمية لاتتحدد بإقليم أو قومية، وهذا ما جعله يسعىٰ منذ بدايات تأسيسه إلىٰ الإنفتاح على غير العراقيين، فقد إنضم في عضويته عدد غير قليل من العلماء والمثقفين من جنسيات إسلامية مختلفة. كما أن قيادته وحسب هذا المبدأ ضمت شخصيات من جنسيات اسلامية مختلفة.

وضمن هذا الخط الفكري فإن حزب الدعوة الإسلامية ورغم كونه حركة شيعية نشأت في مركز الحوزة العلمية الشيعية وعلى يد رجالها، إلّا أنه حاول الانفتاح علىٰ كل المسلمين، ودعا إلى الوحدة الإسلامية، فقد جاء في مقدمة النظام الداخلي تحت عنوان:

(المنهج في فهم الإسلام واستنباط أحكامه):

(تعتمد الدعوة الإسلامية الإسلام المأخوذ من خلال مصادره وهي: القرآن الكريم وسنّة المعصومين عليهم السلام المستقاة عن طريق الثقاة المتورعين... وضمن هذا الاطار تفتح الدعوة صدرها لجميع المسلمين، وتشجب كل أساليب وممارسات التفريق بين المسلمين، تحقيقاً لوحدتهم ومنعتهم)[2].

نلاحظ أن حزب الدعوة الإسلامية في هذا التوجه الواسع يشترك مع التجربة الحزبية الأولىٰ في الوسط الإسلامي العراقي المعاصر وهي تجربة جمعية النهضة

---

(١) مقدمة النظام الداخلي، ص١٣ ـ ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٥ ـ ١٦.

الإسلامية، كما مرّ بنا في الفصل الاول من هذا الباب. وإذا كانت الظروف السياسية القلقة والمستجدات الطارئة قد أوقفت نشاط حزب النهضة بعد فترة وجيزة من إنطلاقته، فإن الظروف السياسية الضاغطة التي مرت بها حركة الدعوة الإسلامية قد أعاقت هذا التوجه الشامل ومنعت إتساعها الميداني. فبعد أن كانت للحزب عدة فروع في أكثر من إقليم إسلامي حتّىٰ بداية الثمانينات، فان الظروف السياسية الدولية والاقليمية وانعكاساتها علىٰ وضعه الداخلي، قد قلصت من حجمه حيث إنفصل فرع لبنان وتحول إلىٰ (حزب الله)، كما أن الاوضاع السياسية الضاغطة فرضت علىٰ بعض فروعه أن تنهي نشاطها. وعملياً فإن سعة دائرة نشاط الحزب قد تقلصت بشكل كبير عما كانت عليه حتّىٰ أوائل الثمانينات.

لكن تقلص مساحة الحزب لم يقابلها تغير علىٰ مستوىٰ نظريته، فقد ظلت رؤيته كما هي مثبتة في أدبياته، باعتبار أنها سليمة من الناحية المفاهيمية، وأن ما طرحه بشأن مساحة العمل هو النظرية الإسلامية في العمل التغييري. أما الواقع السياسي ومتغيراته الضاغطة فلا تعني خطأ المفهوم من حيث المبدأ. لذلك لم يجر الحزب تعديلاً علىٰ أسس نظريته بتوجهاتها العالمية.

قد يقول البعض أن حزب الدعوة الإسلامية لم يكن واقعياً حين طرح نظرية البعد العالمي في التحرك، لكن يجب التأكيد أنه نجح طوال عقدين من الزمن في تحقيق مكاسب جيدة في مساره هذا، وتمكن من الاتساع بشكل مؤثر في الساحات الإسلامية، لكن الصدمة القاسية التي تعرض لها أواخر السبعينات، وأوائل الثمانينات والتي كانت موجهة له من قبل أطراف محلية ودولية وبصورة مكثفة، أعاقت مشاريعه الحركية وقلصت من مساحات تحركه السابقة.

وعلىٰ هذا فأن تجربته أثبتت صحة هذه النظرية وأنها كانت في الظروف التي تبلورت فيها تتميز بالواقعية العملية، ولم تكن تحليقاً في الخيال.

مصادر فكر الدعوة الإسلامية

لم يقيد الحزب مصادره الثقافية، إنما جعلها مفتوحة بحسب الحاجة طالما لاتتعارض مع مفاهيم وعقائد الإسلام، فالقرآن الكريم والسنّة المطهرة هما المصدران الأساس في فكره، ثم تأتي بعد ذلك مصادر أخرىٰ حددها الحزب بما يلي:

* نتاج المسلمين: (وهو كل نتاج اسلامي يستهدي بالقرآن الكريم والسنّة ويتعلق بأمر الإسلام والمسلمين من فلسفة، وعقيدة، وفقه، وتفسير، وتاريخ، وكتابات إجتماعية، وإقتصادية، وسياسية، وتربوية، وحضارية، وحركية.. فالدعوة تنظر إلىٰ هذا النتاج بتقدير على أنه نتاج للمسلمين جدير بأن نستفيد منه). وحددت الدعوة صحة هذا النتاج وسلامته من الخطأ كشرط للإستفادة منه.

* نتاج العلوم المختلفة: ويشمل كل الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم في مجالاته المتنوعة مما يتصل بعمل الدعوة الإسلامية.

* تجربة الدعوة: (الإستفادة في فكر الدعوة من التجارب التطبيقية التي مرت بها الدعوة، فندرس النتائج ونكمل النقص الذي نلاحظه ونصحح الخطأ الذي نكتشفه).

* تجارب الأمم والمجتمعات والاحزاب: (ونقصد بتجارب الأمم والأحزاب والناس: الإستفادة منها في عملية الدعوة كتاريخ، ووقائع جرت وفق سنة الله للحياة، والعلاقات... نستفيد من هذه التجارب دون أن نتأثر بما ينافي الإسلام)[١].

---

(١) مقدمة النظام الداخلي، ص ٤٩ـ ٥٠.

إن هذا الإتساع في مصادر الثقافة الدعوتية ينطلق من فهم الحزب وتقديره بأن عملية تغيير المجتمع علىٰ أساس الإسلام إنما تتوقف على الفهم الصحيح للإسلام، وعلىٰ فهم المجتمع، واساليب تغييره، وعلى الشخصية الإسلامية المغيرة، وهو ما يستدعي الإحاطة الكافية بالمفاهيم، والثقافة الإسلامية، إضافة إلى الثقافة الاجتماعية، والسياسية الواسعة. ومن هنا فقد شملت ثقافة حزب الدعوة الإسلامية الخطوط الأربعة التالية:

١ ـ الفكر العام: وهو الفكر الذي يوضح معالم الإسلام والمجتمع.

٢ ـ الفكر التنظيمي: وهو الفكر الذي يوضح الجانب الفني من عمل وعلاقات الدعاة بالدعوة.

٣ ـ الفكر السياسي: وهو الفكر الذي يوضح جانب الأحداث العامة في العالم الإسلامي، والعالم.

٤ ـ الفكر الايماني: وهو الفكر الذي يتعلق بتحسين سلوك الأفراد عموماً والدعاة بالخصوص)[1].

الإصلاحية والإنقلابية في فكر الدعوة

ناقش حزب الدعوة الإسلامية في أدبياته الأولى موضوع الدعوات الاصلاحية والانقلابية في العالم الإسلامي، على أساس أن تحديد شكل التحرك في هذا الخصوص من القضايا الاستراتيجية في الخط العملي للحزب، وقد صدرت في عام ١٣٨٠هـ نشرة خاصة حول هذا الموضوع كتبها الامام الشهيد الصدر جاء فيها تحديد مفهوم الاصلاحية والانقلابية في فكر الحزب والموقف الذي يتبناه من كل واحدة منها.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٨.

وقد جاء في تعريف الدعوة الاصلاحية: (هي التي تستهدف إصلاح جانب معين من جوانب الواقع متغاضية في حقل نشاطها العملي عن سائر جوانبه الأخرىٰ، وعن الركائز الاساسية التي يبتني عليها هذا الواقع بصورة عامة).

أما الدعوة الإنقلابية (فهي التي تدرك الواقع الذي تعيش فيه أمتها ولا تدين بهذا الواقع لأنه يناقض مبدأها جملة وتفصيلاً، فتعمل علىٰ تغييره، وذلك بحمل رسالة فكرية تبشر بها لإنشاء الحياة علىٰ قواعد تلك الرسالة وركائزها المحددة، حياة جديدة يعيش فيها الفرد، وينتظم المجتمع، وتعمل فيها الدولة)[١].

ويرىٰ حزب الدعوة الإسلامية أن إعتماد الطابع الإصلاحي أو الانقلابي يتوقف على الظروف التي يعيشها الإسلام في واقع الأمة الإسلامية. (فاذا كان الإسلام بما له من مبادئ وأنظمة هو القاعدة الرئيسية التي يبتني عليها نظام الحياة، فان على الدعوة الإسلامية أن تتخذ الطابع الاصلاحي. أما حيث يفقد الإسلام مركزه من القاعدة الأساسية ويستبدل بغيره من القواعد المعادية أو اللاقاعدة فان الدعوة الإسلامية في مثل هذه الحالة يجب أن تكون انقلابية)[٢].

إن رأي حزب الدعوة الإسلامية في هذا الخصوص يتحدد في ضوء الأسس الفكرية العامة والتي إستعرضناها سابقاً، فقد حدد الحزب مواقفه في إعتماد الطابع الاصلاحي أو الانقلابي إستناداً إلىٰ الأساس الرابع الخاص بالدولة الإسلامية وأنواعها.

وعلىٰ هذا فان الحزب يرىٰ أن الأوضاع العامة في البلاد الإسلامية حتّىٰ نهاية الحرب العالمية الأولىٰ، كانت تتطلب قيام دعوات إصلاحية وليست إنقلابية، فقد جاء في نشرة (دعوتنا إلىٰ الإسلام يجب أن تكون انقلابية):

---

(١) نشرة بعنوان(دعوتنا إلىٰ الإسلام يجب أن تكون انقلابية)، ثقافة الدعوة، القسم التنظيمي، الجزء الأول ص ٢٤.

(٢) مقدمة النظام الداخلي، ص ٢٢.

(وقد كان الإسلام حتّى الظرف الذي انتهى بنهاية الحرب العالمية الأولى هو القاعدة الرئيسية التي يبتني عليها كيان الأمة كلها، وكانت العقيدة الإسلامية هي القاعدة الفكرية للأمة والقاعدة الدستورية للدولة والأساس العام لمختلف ألوان النشاط الفردي والاجتماعي والسياسي. غير أن إعتبار الإسلام هو القاعدة من قبل الأمة بما فيها السلطة، لم يكن يعني عدم وجود الانحراف عنها، وعدم وقوع المخالفة والتحريف والاحتيال عليها، فقد كان يختلف مدى الثبات علىٰ هذه القاعدة باختلاف مدىٰ وعي الأمة للاسلام ومدىٰ اخلاص الحكام. ومن الواضح أن ظرفاً للاسلام كهذا كان يتطلب ـ بسبب ظهور الضعف والخلل الكبير في كيان الأمة والدولة ـ قيام دعوات ذات طابع إصلاحي لا إنقلابي، كما قامت بالفعل عدة دعوات اصلاحية استهدفت الحفاظ على القاعدة الإسلامية للدولة أو اصلاح الجوانب التي لا تنسجم مع هذه القاعدة)[١].

وحول الظروف التي نشأت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، يرىٰ حزب الدعوة الإسلامية، انها تتطلب عملاً إنقلابياً وليس إصلاحياً، لأن القوىٰ الاستعمارية إستعبدت العالم الإسلامي وأقصت العقيدة الإسلامية من القاعدة الرئيسية للأمة ففقدت أصالتها، وفرضت عليها أطر فكرية وسياسية غريبة عن عقيدتها. وقد ناقشت النشرة السابقة فكرة العمل الاصلاحي في ظل هذا الواقع، حيث جاء فيها[٢]:

(إن قضية الإسلام في مثل هذه الظروف ليست قضية إصلاح، بل قضية إنقلاب، والدعوات الاصلاحية التي قامت بانشاء المدارس الدينية تارة واصدار الكتب والمجلات الإسلامية تارة اخرىٰ، وتأسيس لجان للوعظ والارشاد مرة ثالثة، ونحو ذلك من ألوان الخدمة، ان هذه الدعوات وإن قدمت للاسلام

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم التنظيمي، الجزء الأول ص ٢٥.

(٢) من الضروري التأكيد أن هذه النشرة كتبت عام ١٣٨٠هـ.

خدمات جلىٰ تذكر فتشكر، ولكنها لا تعدو جميعاً أن تكون أعمالاً جانبية وليست من صميم المعترك، فان المعركة الرئيسية التي يخوضها الإسلام اليوم مع أعدائه انما تستهدف قبل كل شيء إسترداد القاعدة للاسلام وجعل العقيدة الإسلامية في موضعها الرئيسي من حياة الأمة، والقضاء على الواقع الفاسد والكيان القائم... الأمر ليس أمر شبيبة تفسدها المدارس، ولا أمر بيئة يجب أن تهذب وتنظف من الدعارة والفساد، بل أمر أمة يجب، أن تقام علىٰ أساس الإسلام لتسعد في الدنيا والآخرة... ولهذا فان دعوتنا دعوة انقلابية لانقاذ الأمة من واقعها الفاسد)[١].

وبناءً علىٰ هذا الفهم الذي يطرحه حزب الدعوة الإسلامية لواقع الأمة ولطبيعة الموقف الذي يجب إعتماده، يمكن أن نتوصل إلىٰ رأي مفاده أن الحزب لم يكن مقتنعاً ـ خلال فترة تأسيسه ونشاطه الأولي علىٰ الأقل ـ بأن الدعوات والمحاولات الإصلاحية التي ظهرت في الساحات الإسلامية كانت هي الشكل المطلوب من العمل الذي ينقذ الأمة، والذي يحتاجه الواقع الإسلامي في قضيته الأساسية.

وقد ناقش حزب الدعوة الإسلامية هذه المسألة في نشرة ثانية صدرت بعد عام من صدور النشرة السابقة، تحت عنوان (مانرتضيه من الدعوة الاصلاحية وما نرفضه منها) وقد كتبها أيضاً الامام الشهيد السيد الصدر قدس سره[٢]، جاء

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، الجزء الأول، ص٢٦.

(٢) عندما تم جمع نشرات الحزب في كتاب متعدد الأجزاء تحت عنوان (ثقافة الدعوة الإسلامية) وردت إشارة إلىٰ أن هذه النشرة وكذلك النشرة السابقة، شارك في كتابتها الشهيد الصدر، لكن الذي أعتقده أن النشرة كتبت بقلم الشهيد الصدر بكاملها كما يتضح ذلك من خلال الاسلوب وطريقة المعالجة التي يتميز بها السيد الشهيد، ولم يعهد عنه (قدس سره) أنه كان يستعين بغيره في كتابة النشرات أو غيرها من النتاجات الفكرية والحركية، كما أن حجم موضوع النشرة وطبيعته لايتحمل كتابته من قبل أكثر من

←

في مقدمتها:

(إن من القضايا التي يجب على الدعوة أن تعطي فيها فكراً واضحاً محدداً ،قضية الدعوة الاصلاحية إلىٰ الإسلام ، فان كثيراً من الجهود التي تبذل في سبيل القضية الإسلامية تتسم بطابع الدعوة الاصلاحية ، فكثيراً ما تتجدد حملات لمقاومة الانحلال الخلقي والخلاعة والسفور ، وتثار ضجة حول تعاطي المسكرات والمخدرات ، وتقوم جماعة بتنظيم نفسها للحفاظ علىٰ مظاهر شهر الصيام بالترغيب والترهيب ، أو لجمع الزكوات وإستثارة العواطف الإسلامية في الأغنياء وتوزيع تلك الاموال على الفقراء والمعوزين ، وهذه الالوان من العمل إشتغل فيها كثير من غيارى المسلمين معتقدين وجوبها ووفاءها بمهمة الدعوة الإسلامية ، بينما شجبها آخرون مؤكدين خطأ هذه الاعمال كلياً وداعين إلى العمل السياسي الذي يوجد المجتمع الإسلامي إيجاداً صحيحاً كاملاً)[١].

ثم تناقش النشرة هذين الاتجاهين من حيث المبدأ ، فتقرر خطأ كل منهما ، وتعتبر أن المبدأ الذي ينطلق منه العمل في هذا المجال هو المسألة الأساسية في تطابقه مع المنهج الإسلامي أو خروجه عنه ،ففيما يتعلق بموقف الحزب ونظرته إلى الدعوات الاصلاحية التي تنطلق على أساس أن أعمالها هي قضية الإسلام الرئيسية ،فانه يرىٰ فيها أنها ترتكب خطأً كبيراً بحق الأمة ، حيث جاء في النشرة:

(ان الواقع الاجتماعي للأمة اليوم واقع فاسد من جذوره ، والقيام بدعوة

← كاتب . ولعل الأخوة الذين أعادوا تنسيق النشرات في كتاب موحد إعتمدوا على معلومة غير صحيحة في هذا الخصوص . ولا يمكن أن يكون المقصود بهذه الاشارة أن فكر الحزب في النشرات التي يصدرها لاتكتب إلّا بعد مداولات ومراجعات من قبل القياديين فيكون الكاتب بمثابة المشارك في كتابتها ، لأن هناك نشرات ضمها الكتاب وأشير إلىٰ أنها كتبت بقلم الشهيد أبي عصام رحمه الله . وقد أثرت هذه الملاحظة لأهميتها التاريخية باعتبارها تتعلق بتراث الامام الصدر (قدس سره).

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية ، القسم التنظيمي ، الجزء الأول ، ص ٣٠.

إصلاحية إعتراف ضمني بأن الواقع سليم في اسسه، وأنه انما يحتاج إلىٰ الاصلاح والتنقيح، مضافاً إلىٰ هذا ما تقوم به الدعوات الاصلاحية من إبعاد الأمة عن معركتها الأساسية مع قوى الكفر والضلال، وإشغالها بأمور جانبية عن صراعها العنيف وإسدال الستار على التناقض المرير القائم بين متبنياتها من مفاهيم وأنظمة وبين ما يفرض عليها من افكار وقوانين، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلىٰ إنخفاض وعيها الحقيقي لواقعها الفاسد).

بعد هذه المقدمة التحليلية لطبيعة الدعوات الاصلاحية وعلاقتها بالواقع الذي تعيشه الأمة، تقرر النشرة الموقف من هذه الدعوات علىٰ أساس المنهج الإسلامي، وذلك بالقول:

(فطبيعة الدعوات الاصلاحية اذن لا تتفق مع طبيعة الإسلام وواقع الأمة اليوم، ولهذا كانت الدعوات الاصلاحية ترتكب خطأً بتقديمها دعواتها للأمة علىٰ أنها قضية الإسلام التي لابد للأمة أن تتبناها.. إن قضية الإسلام اليوم ليست مسألة منظمة تجمع الزكوات من بعض المحسنين، أو جماعة تؤدب المتجاهرين بالافطار أو تحث على الحجاب، أو تطالب بزيادة أجور العمال..وانما هي قضية التغيير الكلي والانقلاب الشامل، فكل محاولة لتغطية هذه الحقيقة وإبراز حاجة الأمة بشكل غير شكله الحقيقي، تكون تضليلاً للأمة وإبعاداً لها عن جهادها الحقيقي مع قوى الكفر والتسلط).

ثم تتحول النشرة إلىٰ مناقشة الخطأ الذي وقع فيه الرافضون للنشاط الاصلاحي بكامله وأعتبروه معيقاً للعمل الإسلامي، حيث توضح النشرة أن المقصود هو مبدأ العمل والأساس الذي تنطلق منه وليس الأعمال ذاتها، حيث جاء فيها إستكمالاً للفقرة السابقة:

(ولكن هذا لايعني بحال من الأحوال أن تكون الأعمال التي تقوم بها الدعوات الاصلاحية خطأ، ولايعني جواز إهمال تلك الأعمال وإعتبارها لغواً،

وهنا يكمن الخطأ الذي وقع فيه الاتجاه الثاني الذي أخذ بـه بـعض الانـقلابيين فشجب نشاطات الدعوات الاصلاحية وإعتبرها معيقة عن العـمل الاسـاسي للاسلام).

ويشرح حزب الدعوة الإسلامية في هذه النشرة الفارق الدقيق في هذا المجال والذي إلتبس على البعض، على النحو التالي:

(إن الدعوة إلى السلوك الخلقي النظيف وتطهير المجتمع من مفاسد الانحلال، ليست دعوة خاطئة، وإنما الخطأ القيام بذلك علىٰ شكل دعوة اصلاحية للواقع القائم، وإعطاء كلمة الإسلام في الانحلال الخلقي على أنها قضية الإسلام وهدف الإسلام، لأن الهدف الحقيقي للاسلام هو قلب الواقع لا ترميمه، فحين يدعى إلى القضاء على الرذيلة والشذوذ، لا بد أن يدعى اليه علىٰ أنه جزء من عملية التغيير والانقلاب في الأمة. وحين تكون الدعوة اليه قائمة على هـذا الاعـتبار تـصبح دعوة إلىٰ جانب من جوانب الانقلاب الأساسي الشامل. وهي وإن لم تختلف في المظهر عن الدعوة الاصلاحية، إلّا أنها تختلف عنها في الوعي وفي الفكـرة التي تحملها)[1].

ويوضّح الحزب في هذه النشرة بشكل أكثر تفصيلاً الأهمية البـالغة لمسـألة النظرة الاساسية التي ينطلق منها المشروع الإسلامي في معالجة الانحراف، لأن ذلك له علاقة بعملية توجيه الأمة حركياً وتوعيتها بظروفها التي تـعيشها، ممـا يستدعي الإلتزام الدقيق بالمنهج العملي الصحيح الذي تفهم من خـلاله الأمـة طبيعة التحرك ووفق أي خط يسير ومن أي منطلق يتحرك. جـاء في النـشرة ذاتها:

(وعلىٰ هذا فليس من طبيعة الدعوة الانقلابية أن تمتنع عن القيام بمثل تـلك الدعوات، وإنما من طبيعتها أن تنظر إلىٰ كل شيء تدعو اليه نظرة انقلابية بصفته

---

(١) المصدر السابق، ص ٣١ ـ ٣٢.

جزءً من كل، وهي لذلك تؤكد وتشرح للأمة دائماً عدم رضاها عن الواقع بكامله، وتوضح أن دعوتها لمحاربة تعاطي المسكرات والمخدرات في مدينة أو بلدة أو محلة ليست لأن الواقع يتطلب إصلاحاً في هذا الجانب فحسب، بل باعتبار ان جزءً من المخطط الانقلابي قد تهيأ له من الاسباب والاجواء ما لم يتهيأ لمحاربة الربا والقمار والرشوة مثلاً. وليس من الصحيح شرعاً أن يقال أن الدعوة الانقلابية لا ترضىٰ بتبذير جهودها في هذه الأمور البسيطة. فان الانقلاب الشامل لا يمكن أن يحصل دفعة واحدة في كيان الأمة، وحتّىٰ إذا أصبح الحكم إسلامياً فان هذا لا يعني في بعض الحالات الانقلاب الشامل، وانما هو الجزء الذي يختص بالحياة السياسية من الانقلاب).

وتختم النشرة هذا الموضوع الذي يعبر عن نظرة حزب الدعوة لمجمل المشاريع الإسلامية بالقول:

(إن خطأ الدعوات الاصلاحية يكمن في وعيها، لا في عملها الاصلاحي، ونحن مع إيماننا بالدعوة الانقلابية الجذرية، لا نرىٰ جواز إهمال المجال الاصلاحي، وإنما نرىٰ أن يفهم بروحه الانقلابية وباعتبار أنه جزء من كل مما يريده الإسلام)[1].

من خلال هذه النصوص نستطيع أن نتبين أن الخط الفكري والعملي لحزب الدعوة الإسلامية كان يركز بشكل دقيق علىٰ مسألة المبدأ الأساس في العمل الإسلامي، وكذلك على ضرورة وضوح المنهج العملي في كل مشروع من مشاريع التحرك الإسلامي التي تهدف إلىٰ خدمة قضية الإسلام. وهو في هذا الاتجاه يعبر عن تطور حركي متقدم مقارنة بالفترة التي تأسس فيها. وفي الوقت نفسه يمكن لنا أن نقدر حجم الخدمة الكبيرة التي قدمها الامام الصدر (قدس سره) للفكر الحركي لهذا الحزب وللساحة الإسلامية بشكل عام.

---

(١) المصدر السابق ،ص٣٢.

المرحلية في فكر الدعوة الإسلامية

تمثل المرحلية الخط الاستراتيجي العام لعمل حزب الدعوة الإسلامية، فقد خطط لمسيرته منذ بداية التأسيس أن يعتمد العمل المرحلي من أجل بلوغ الأهداف التي يسعى إليها.

وقد بحث الحزب في أدبياته ونشراته الداخلية نظريته في المرحلية في فترات مختلفة، وكانت أول نشرة تنظيمية أصدرها قد تناولت هذا الموضوع، ثم تلتها نشرات أخرىٰ في فترات مختلفة نتيجة تبلور مفاهيم وتصورات جديدة حول هذه النظرية[١].

وقد تعرض الحزب في أوائل الثمانينات إلىٰ نقد شديد من قبل خصومه حول نظريته في المرحلية، ورغم أن النقد كان في إتجاهه الحقيقي ينطلق من دوافع غير موضوعية نتيجة المعادلات المعقدة في ساحة المعارضة، إلّا أنه في الوقت نفسه شكّل دافعاً مهماً داخل أجواء الحزب لبحث نظريته في ظل التطورات الجديدة التي شهدتها الساحة السياسية، وقد كانت نتيجة البحث تأكيد الحزب على صحة نظريته، وأن الخلل يكمن في عدم إستيعاب النقّاد لمفهومها بالشكل الدقيق، فقد جاء في إحدى النشرات التي كتبت في مطلع الثمانينات:

(من المفاهيم التي أسيء فهمها من قبل بعض الأشخاص أو الجهات من خارج الدعوة هو مفهوم المرحلية في الدعوة.. ومفهوم عمل الدعوة في كل مرحلة.. بل وقد تسربت هذه الشبهة إلىٰ بعض الدعاة.. فاضطرب لديهم فهم هذه القضية، كما قد أفرز مفهوم المرحلية لدىٰ بعض الدعاة وضعاً سلبياً غير اعتيادي لمفهوم المرحلية إلىٰ درجة أثرّت على تكوين بعض الدعاة الفكري

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم التنظيمي، الجزء الأول ص٣٩٨.

والنفسي)[١].

وسنحاول هنا التعريف بنظرية حزب الدعوة الإسلامية في المرحلية حسب ما جاء في أدبياته.

إستمد حزب الدعوة الإسلامية نظريته المرحلية من المنهج الإسلامي في التغيير، علىٰ أساس أن المرحلية والتدرج من سنن الله تعالىٰ في خلقه وفعله وبعثه الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتشريعه الشرائع، وعلىٰ هذه السنّة عمل الرسول الأكرم ﷺ وإقتدىٰ به الأئمة عليهم السلام.

ويرى الحزب أنه بالاضافة إلىٰ كون المرحلية سنة من السنن الالهية في تغيير المجتمعات، فأن هناك عوامل موضوعية أخرىٰ أوجبت إعتماده التخطيط المرحلي، وقد جاء في النظام الداخلي تحديد أهم هذه العوامل بالنص التالي:

١ ـ الطبيعة الخاصة للتوعية الإسلامية: الوعي لا يتم إلّا بالقناعة والقناعة لاتحصل بالإكراه والارهاب والتضليل، هذه الطبيعة تفترض مرحلة زمنية يستغرقها إقناع عدد من الأمة ليتغيروا بالاسلام ويتحملوا مسؤولية الدعوة، وإقناع أوساط من الامة لنصرة التغيير وتأييده وتقبله.

٢ ـ الطبيعة الخاصة للواقع المعاصر: حيث تتضاعف في زمننا العقبات الموضوعية التي تجابه عادة كل عملية تغيير إجتماعي بفعل كيد المستعمرين وعملائهم الفكريين، والسياسيين المندسين في صفوف أمتنا، والمتسلطين عليها، وهذه الطبيعة أيضاً تفترض على الدعوة قدرة لا تحصل إلّا بالزمن وبالعمل الدائب اليقظ، والتخطيط المرحلي.

٣ ـ الاستهداء بتجربة الرسول ﷺ في عمله الرائد لبناء الأمة، وتجربة الأئمة عليهم السلام في عملهم لإستكمال هذا البناء وتثبيته للأجيال.

---

(١) صوت الدعوة، حول مفهوم المرحلية ومسؤوليتنا في هذه المرحلة.

٤ ـ ما استفادته الدعوة من التجارب الإسلامية المعاصرة في العمل المرحلي، وما تمدنا به تجربتنا الذاتية ايضاً فيه، والتي هي عامل إرفاد مستمر يبلور نظرتنا المرحلية ويزيدها وضوحاً وتحديداً)[١].

كما أوضح حزب الدعوة الإسلامية في أدبياته أن نظريته في المرحلية تعكس بشكل طبيعي الأدوار التي يمارسها الحزب في مسيرته التغييرية الطويلة، وأن التخطيط المرحلي وفق هذه النظرية يعتمد على أسس موضوعية ثابتة، فقد جاء في مقدمة النظام الداخلي وتحت عنوان (مفهوم المرحلية) تحديد الأسس العامة للمرحلية على النحو التالي:

١ ـ إن التخطيط المرحلي يعتمد على إكتشاف الواقع وإدراكه وليس على هندسة واقع الأمة وظروفها، وواقع طريق التغيير الناجح هو الذي يحدد نوع المسيرة التي يجب أن تسلكها الدعوة، ويمكننا بالتالي أن نقسم هذه المسيرة إلىٰ أقسام ومراحل.

٢ ـ إن الأمر الجوهري في المرحلية عندنا ليس التقسيم والتسميات، ولكنه المضمون الذي هو نظرية مسيرة الدعوة وتدرجها إلى الهدف. ولذلك تنظر الدعوة إلىٰ مضمون المراحل في الحركات الإسلامية التغييرية لا إلىٰ عددها وتسمياتها، كما أنها لا ترىٰ ضرراً من زيادة عدد المراحل أو نقصانها ما دام المضمون الذي تتبناه الدعوة مستوعباً ومحفوظاً.

٣ ـ إن عدد المراحل في الدعوة تقسيم أخذناه من الأطوار البارزة لمسيرة الدعوة في نظريتنا، كما أن اسم كل مرحلة إستمد من الطبيعة الغالبة لنوع الجهاد فيها.

٤ ـ إن لكل مرحلة من مراحل عمل الدعوة معالم تتجلىٰ فيها المرحلة أكثر

---

(١) النظام الداخلي، ص ٣٥ ـ ٣٦.

فأكثر، كما لكل منها أيضاً مقومات لا تتم ولا تتحقق المرحلة دون أن تتأكد الدعوة بأن هذه المقومات قد حصلت وأدت غرضها فيكون عندها الانتقال طبيعياً إلى المرحلة التالية)[١].

بعد هذه المقدمات التي أوضحنا فيها معالم نظرية حزب الدعوة الإسلامية في المرحلية ،نقدم هنا تعريفاً لمعالم كل مرحلة من المراحل الأربع التي قسم الحزب عمله علىٰ أساسها ،وذلك بشكل مختصر لما جاء في نظامه الداخلي:

(المرحلة التغييرية: وهذا المفهوم ينبع من عمق النظرة لحركتنا من حيث الأصل، فان الداعية يجب أن يفهم أن عمل الدعوة تغيير وبقدر ما يستطيع أن يغير من نفسه، من عقله، من سلوكه، يستطيع أن يشيد فيما بعد ﴿إن الله لايغيّر ما بقوم حتّىٰ يغيّروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد / ١١)

وهدف المرحلة في الحزب: أن يصنع كتلة من المجاهدين تتمكن من الناحيتين الكمية والكيفية من مباشرة عمل الدعوة بشكل علني عام.

وفي الأمة: أن يصبح في الأمة جماعات من أوساطها المختلفة على درجة من الوعي تجعلها تناصر الدعوة إلى الحكم الإسلامي الشامل وتؤيدها أو تتعاطف معها وتلهج بالاسلام أو لاتعاديه.

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو الطابع الفكري والاجتماعي الذي يصحبه عمل سياسي تغييري منسجم معه.

والسرية في هذه المرحلة طريقة عامة في عمل الدعوة، وتشمل سرية تنظيم الدعوة، وسرية الأسماء، والخطط، والاجتماعات، والتحركات التنظيمية. فلا يجوز للداعية أن يكشف للناس وجود الدعوة وأسماء من يعرف من الدعاة حتّىٰ لو تعرض للأذىٰ والضرر.

---

(١) المصدر السابق ن ص ٣٤ـ ٣٥.

المرحلة السياسية : من أعمالنا في هذه المرحلة تحريك وقيادة جماهير الأمة ضد الحكم الكافر ببيان الخطوط العامة للحكم الإسلامي ، وكشف زيف السلطة والتناقضات القائمة والنفوذ الكافر ، والدخول في صراع مسلح أو غير مسلح ضد الحكم العميل من أجل اقامة الحكم الإسلامي العادل .

وهدف هذه المرحلة :

في داخل الحزب : أن يكون افراد وأجهزة الحزب مدربين ومهيئين لتنفيذ المرحلة التالية ، والمساهمة في تسيير أمور الدولة عند اقامتها ، والتحضير لوضع أنظمة وقوانين الدولة علىٰ أساس الإسلام .

وفي الأمة : تهيئة الأمة وتعبئتها للمشاركة بفعالية في تنفيذ المرحلة التالية بنجاح وضمان إنصياعها للحكم الإسلامي الذي سيقام بايمان ووعي كافيين .

ومع السلطة : إضعاف الحكم الكافر في الاقليم وعزله عن الأمة تمهيداً لإسقاطه في المرحلة الثالثة واستلام الحكم .

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو الجهاد السياسي بالدرجة الأولىٰ وبشتى الوسائل والاساليب التي يقرها الشارع المقدس وتفرضها ظروف المرحلة ، ويكون الجهاد الفكري ثانوياً وبالقدر الذي تتطلبه عملية التغيير والمعركة السياسية والاعداد للمراحل التالية .

والطريقة العامة لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو إعلان العمل باسم الدعوة وتأكيد مركزها التغييري في المجتمع مع استمرار المحافظة على سرية الأشخاص والتنظيم والاجتماعات ونحو ذلك .

المرحلة الثورية : في هذه المرحلة تُهيأ الأمة لتأخذ السلطان من يد الكافر وأعوانه ، وعليه فسيكون رد الفعل عنيفاً من قبل السلطة الحاكمة كما سيكون رد الفعل عنيفاً جداً في هذه المرحلة من قبل العملاء الذين تسخرهم السلطة من

الغربيين والشرقيين.

وهدف هذه المرحلة: إسقاط الحكم الكافر ومواصلة إكمال التغيير الشامل وبناء المؤسسات الدستورية والقانونية والسياسية..علىٰ أساس الإسلام.

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة: هو الطابع الثوري إلىٰ أن يتم إسقاط آخر معقل من معاقل الكفر في الأقليم.

المرحلة الحكمية: واسمها مأخوذ من الحكم وهو رعاية شؤون الناس وتدبير أمور معاشهم ومعادهم، وهو يشمل فعلية الحكم ومراقبته وتوجيهه..

ولكي يكتسب الحكم الصفة الشرعية تجاهد الدعوة لأن يتوفر فيه أمران:

الأول: تنفيذ رعاية شؤون الأمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها.

الثاني: أن تكون الرعاية نفسها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام.

وفي هذه المرحلة تعمل الدعوة أيضاً على توفر المهام الأربع التالية التي تتطلبها الدولة الإسلامية:

١ ـ بيان الاحكام وهي القوانين التي جاءت بها الشريعة الإسلامية المقدسة بصيغتها المحددة الثابتة.

٢ ـ وضع التعاليم وهي التفصيلات القانونية التي تطبّق فيها أحكام الشريعة في ضوء الظروف ويتكون من مجموع هذه التعاليم النظام السائد لفترة معينة تطول وتقصر تبعاً للظروف والملابسات.

٣ ـ تطبيق أحكام الشريعة ـ والتعاليم المستنبطة منها ـ علىٰ الأمة.

٤ ـ القضاء في الخصومات الواقعة بين أفراد الرعية أو بين الراعي والرعية في

ضوء الأحكام والتعاليم)[١].

هذه بصورة عامة المراحل الأربع التي رسمها حزب الدعوة الإسلامية لمسيرته في العمل، وقد تكامل طرحها بهذا الشكل بعد مناقشات مطولة في أجواء الحزب الخاصة، لكنها من حيث الأساس قد تم الإتفاق عليها في الاجتماعات التأسيسية باعتبارها تمثل الخط الاستراتيجي لعمله، ومسيرته وسط الأمة، وفي الساحات التي يتحرك عليها.

علىٰ أن من الضروري التأكيد إلىٰ مسألة أخرى تتصل بنظرية الحزب في المرحلية، وهي أن المرحلية لايقوم عليها عمل الحزب كخط عملي عام فحسب، إنما تمثل أيضاً قاعدة عملية لعمل أعضائه أيضاً، وقد حددها الحزب في نشراته بأنها تشمل المجالات الثلاثة التالية في عمل الأعضاء:

١ ـ في تغيير الداعية نفسه بالاسلام: فبعض الأمور يمكن تغييرها دفعة واحدة إذا تنبه اليها الداعية كالاعتقادات الخاطئة وبعض الامور العملية وقليل من الامور النفسية، وبعض يحتاج تغييرها إلى المرحلية ومجاهدة النفس ومراقبة التطبيق ومعاودة عقد العزم والارادة، كصفات الانفعال والجبن والإنغلاب للشهوة وتغليب المكسب الشخصي على المكسب الرسالي..الخ.

٢ ـ وفي عمل الداعية مع الافراد: إن على الداعية أن يفكر في كيفية عرض الإسلام على الناس، ومن الخطأ أن يتصور أنها فرصة من المستمع لتحميله ما يمكن من الإسلام وتخليصه من أكثر ما يمكن من الإثم، وأن يعتقد أن المسلمين الذين يعتقدون بكل ما أنزل الله علىٰ رسولهﷺ لا يحتاجون إلى التدرج في تقريبهم إلىٰ الإسلام، فان ذلك قد يكون سبباً في ضياع هدفه وفشل تقريبهم إلىٰ الإسلام وسبباً في إبعادهم عنه.

---

(١) النظام الداخلي، ص٣٧ـ٤٥.

٣ ـ وعلىٰ صعيد المجتمع: يحتاج الداعية إلى المرحلية في مجال تعميم مفاهيم الإسلام النبيلة على الناس، وفي تصعيد حالة الصراع الفكري مع المفاهيم الجاهلية وفي كسر العرف الجاهلي وفي تثبيت العرف الإسلامي، وفي ممارسة هداية الناس وتوجيههم وتحسيس الناس بوجود الدعوة ونشاطها)[١].

هذه بصورة عامة نظرية حزب الدعوة الإسلامية في المرحلية، وقد أوضحنا مفهومها ومعالمها ومرتكزاتها كما وردت في نشرات الحزب ونظامه الداخلي، وقد سعينا إلىٰ مراجعة كل ما كتب حول هذا الموضوع من أجل الاحاطة بهذه النظرية وعرضها بصورة وافية.

ملاحظات حول المرحلية

ذكرنا أن نظرية حزب الدعوة الإسلامية في المرحلية قد تعرضت إلىٰ نقد وتساؤل من داخل الحزب وخارجه، وأن الحزب دافع عن نظريته وأكد إلتزامه بها.

لقد طرح التساؤل حول المرحلية بعد أن دخل الحزب في مرحلته الثانية، وما رافق ذلك من تطورات متسارعة في أوضاع العراق والمنطقة، وكان لانتصار الثورة الإسلامية في ايران الأثر الكبير في تصعيد الأوضاع السياسية وفي دخول الحركة الإسلامية في العراق في مواجهة دامية مع نظام الحكم ـ كما سنتحدث عن ذلك إن شاء الله في الفصل الخامس من هذا الباب ـ وما أعقب ذلك من هجرة أبناء الحركة الإسلامية إلىٰ خارج العراق، حيث أعاد حزب الدعوة الإسلامية تنظيماته في ساحات الهجرة لمواصلة مسيرته في المرحلة الجديدة التي دخلها.

في تلك الظروف المعقدة والصعبة بدأ التساؤل عن نظرية الحزب في المرحلية،

---

(١) النظام الداخلي، ص ٤٥ـ٤٦.

ومدىٰ إنسجامها مع حركة الأحداث ومع الواقع السياسي والاجتماعي. وكان من بين التساؤلات التي ناقشها الحزب ما أثير بأن الإلتزام بالمرحلية يجمّد الحزب في إطار المرحلة فلا تندفع في مواكبة حركة الساحة إذا لم تكن من معالم المرحلة التي يعيشها.

وقد أجاب حزب الدعوة الإسلامية علىٰ هذا الاشكال كما جاء في نشرة (حول مفهوم المرحلية ومسؤوليتنا في هذه المرحلة):

(ليس معنى المرحلية هو فرض أطر وقوانين عمل ادارية وعوائق حركية أمام الدعوة، وإدخالها في قالب يحدد حركتها وقراراتها ويشل مبادراتها ويفرض عليها وضعاً حتمياً جامداً يحول بينها وبين الصراع والمواجهة أو المبادرة السياسية.. إن من يتصور ذلك فانه لا يفهم ما تعنيه الدعوة بمصطلح المرحلية ومفهومها، فمن يتصور مثلاً أن الدعوة ترىٰ عدم جواز حمل السلاح ومواجهة أعداء الإسلام في المرحلة الأولى.. انما يقع في اشتباه وسوء فهم.. انما الدعوة ترىٰ أن قوتها وقدرتها ليست بالمستوى الذي من المواجهة واسقاط النظام الجاهلي واستئصال جذوره وبناء مجتمع ودولة اسلامية.. وليس المانع هو أنها في مرحلة فكرية وأنها لا تتبنىٰ استعمال القوة في هذه المرحلة.. فليست لدينا مرحلة لا نتبنىٰ فيها مواجهة الظلمة بكل قوة متيسرة لدينا)[١].

لكن هذه الاجابة لم تستوعب المسألة بشكل كامل، فقد تم تسليط الضوء على الجانب النظري فقط، في حين أن المشكلة تتركز في بعدها العملي الذي يتحدد علىٰ أساس المفهوم النظري. فالدعوة عندما أكدت الإلتزام بالمرحلية وبمعالم وأهداف كل مرحلة، فانها من الناحية العملية تكون قد صنعت توجهاً قوياً داخل التنظيم يستبعد أي طرح لاينسجم مع معالم المرحلة التي يعيشها

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم التنظيمي، الجزء الأول، ص٢٩٣.

الحزب، لأن العقلية التنظيمية قد تحددت علىٰ أساس المفهوم الذي أكـد عـليه الفكر التنظيمي، وهذا ما حدث بشكل عملي، فـلم يـتهيأ التـنظيم للإسـتعداد لخوض مواجهة مسلحة ،بل أن مثل هذا الاستعداد كان مرفوضاً داخل أجهزة التنظيم كما ذكر أحد القياديين (رحمه الله) في حديث خاص بأن الحزب رفض في بداية الستينات مقترحاً بتدريب بعض أفراده مع منظمة التحرير الفلسطينية علىٰ استخدام السلاح وفنون القتال علىٰ أساس أن ذلك سابق لأوانه.

وملاحظة أخرىٰ في هذا الاتجاه، وهي أن الفقرة السابقة التي قـرأنـاها مـن النشرة الداخلية للحزب، قد كتبت بعد إنتهاء المرحلة الأولىٰ، أي أنها أوضحت مفهوم المرحلية والالتباس الذي يقع به البعض فيسيئون فهمها، في وقت متأخر بعد أن تجاوز الزمن حركة الأحداث. وكان المفروض أن يأتي هذا الايضاح قبل هذا التاريخ بفترة طويلة وبشكل مفصل لا مجال فيه للإلتباس والاشـتباه، مـن أجل أن يتحول إلىٰ حقيقة عملية في المجال الحركي يأخذها أعضاء التنظيم بنظر الاعتبار وبنفس القوة التي تعاملوا بها مع أفكار الحزب الأخرىٰ، فإلتزموا بها وطبقوها وحركوها في اجواء الساحة بشكل ناجح.

المرحلية وعامل الزمن:

إن المرحلية كنظرية في العمل ترتبط إرتباطاً وثيقاً بعامل الزمن، فهي كـأي تخطيط ومنهج للعمل لا بد أن تأخذ بنظر الاعتبار قيمة عامل الزمـن في حـقل التطبيق، وتدرس كل النواحي المتصلة بهذا الجانب من أجل تـثقيف العـاملين بالشكل الذي يمكنهم من تطبيق النظرية بالصورة التي يكسبون بها الزمن. لكن هذا لم نلحظه في تجربة حزب الدعوة الإسلامية، فلقد إستغرق الحزب بالمرحلة الفكرية إلىٰ حد بعيد وللدرجة التي واجه فيها مشكلة وجود قطاع من أعضائه يتعاملون مع المرحلة الثانية بعقلية المرحلة السابقة، ولم يكن بمقدورهم التخلص

من آثارها علىٰ مستوى التفكير والتخطيط والعمل لشدة إندماجهم النفسي مع المرحلة الفكرية ، الأمر الذي جعل الحزب يناقش هـذه المشكـلة في نـشراتـه ويوضح مخاطر هذا الاستغراق علىٰ مسيرة العمل ، فقد جـاء في نـشرة (حـول مفهوم المرحلية) :

(وكما يقع صنف من الناس في الخطأ في فهم مفهوم المرحلية . . فان صنفاً مـن الدعاة قد يقع في خطر الاغراق في امتداد المرحلية وطغيان مـعالمها وأوضـاعها الفكرية والنفسية علىٰ شخصيته وتفكيره ، بحيث يصعب عليه أن يتصور ويفكر بمنطق واسلوب يختلف عن اسلوب المـرحـلة التي ألفـها . . لذلك فـان ظـروف وطبيعة وميزات ومعالم المرحلة الفكرية قد اتخذت طابع التقديس عند البعض . . والخطأ كل الخطأ أن تفرض هذه كأطار للعمل . . فتبقى الحركة تراوح في داخـل هذا الاطار . . وعندئذ سـتسبقها الاحـداث وتـتخلف عـن مسـؤولياتها . . لذا يتوجب على الدعاة والدعوة أن يفهموا مبدأ المرحلية ويطبقوه بـدقة وحـذر . . فلكل مرحلة ميزاتها ومعالمها الخاصة بها)[١] .

لكن هذه التوضيحات ـ وكما قلنا قبل هذا ـ متأخرة من الناحية الزمنية ، فلقد كان المفروض من الحزب أن يثقف أعضاءه منذ البداية علىٰ هذه المفاهيم حتّىٰ لا يقعوا في الاستغراق الخارج عن المعقول والذي يتنافى مع حركة الاحداث وواقع المرحلة . إن المطلوب من فكر الحزب ـ أي حزب كان ـ أن يعطي المفهوم الحركي في الوقت المناسب ليكون منهج عمل لا سيما في القـضايا الاسـتراتـيجية ، لا أن يطرح هذا المفهوم بعد الوقوع في التجربة الخاطئة ، فهو بصدد التـثقيف العـملي وليس العتاب واللوم .

لقد صاغ حزب الدعوة الإسلامية نظريته في المرحلية بطريقة تـعاملت مـع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

عامل الزمن علىٰ أنه خاضع للمرحلية، وقد ساهمت هذه الطريقة في بروز حالة الاستغراق في المرحلة الواحدة من جهة.. ومن جهة أخرىٰ فانها أهملت العلاقة بين الزمن والقرار، فقد جاء في نشرة(التخطيط والاعداد للمرحلة الثانية):

(ان من القضايا التي يقررها التنظيم ويؤكدها التخطيط ـ في هذا المجال ـ أن انتقال الحزب من مرحلة إلىٰ أخرىٰ لا يتم بقرار يصدره الحزب، وانما هو واقع يصل اليه كل من الحزب والأمة ـ في مجالات النمو والبناء ـ بعد استكمال مقومات المرحلة السابقة بصورة طبيعية)[١].

إننا نفهم من هذه الفكرة أن عامل الزمن خاضع للمرحلية، وفي رأينا أن المفروض أن تأخذ النظرية المرحلية عامل الزمن من وجهة أخرىٰ بحيث تجعله العامل المؤثر في صنع القرار.

وقد إلتفتت النشرة إلىٰ موضوع الزمن وناقشته في هذا المجال لكنها نظرت اليه بالنظرة التي تبعده عن صنع القرار، وذلك في معرض الحديث عن الاستعجال في عملية الانتقال إلى المرحلة الثانية، حيث جاء فيها:

(فقد يكون الدافع في تخطي المرحلة هو الاستعجال ورغبة الحزب في تحقيق أهدافه من أقرب طريق، ولو لم يكن هو الطريق الطبيعي، مع أن المقياس السليم الذي يجب أن يستهديه الحزب في سيره هو «سلامة البناء وصحة السير». ولا يصح تحكيم العامل الزمني في هذا المجال، كما لا يصح إخضاع السير لعامل الاستعجال. وذلك أن المسألة ليست مسألة زمن بمقدار ما هي مسألة بناء كتلة وإعداد أمة).

ويمكن أن نلاحظ أيضاً نظرة حزب الدعوة الإسلامية إلىٰ عامل الزمن من خلال التخطيط العام للمراحل التي وضعها لمسيرته ومعالم كل مرحلة منها، فهو

---

(١) ثقافة الدعوة الاسلامية، المصدر السابق ص ٣٤٦.

جعل الزمن خاضعاً للتخطيط المرحلي، ولم يعطه دوره الحقيقي المؤثر على هـذا التخطيط، وعلاقته الموضوعية مع حركة الاحداث وعملية صنع القرار.

إن الزمن لا يمكن أن يخضع للقرارات، انما القرار الدقيق هو الذي يأخذ عامل الزمن في حساباته وإعتباراته حتىٰ يأتي موضوعياً منسجماً مع الواقـع العـام في ظروفه السياسية والاجتماعية(١).

إن هذه الملاحظات التي أتينا على ذكرها لا تعني مخالفتنا للتخطيط المرحلي، فالمرحلية حقيقة ثابتة لا يصح إنكارها أو تجاوزها. كما أن نظرية حزب الدعوة الإسلامية في المرحلية هي الأنضج من بين التجارب الحركية الأخـرىٰ، لكـننا اشرنا إلىٰ ملاحظات في بـعض مجـالات التـطبيق بـالاستناد إلى التـجربة التي خاضتها هذه الحركة الإسلامية الرائدة.

موقع الأدب في فكر الدعوة

الأدب، عنصر هام في أدبيات الحركات السـياسية. حـيث تـوليه اهـتمامها الكبير، باعتباره أحد مجالات التأثير في الاوساط الجـماهيرية، فـهو يمكـن أن يخترق أي وسط ويستقر في الذاكرة، فلا يغادرها مهما كانت الضغوط، فالشعر يعانق الوجدان بشكل تلقائي، وتلك ميزته الأولىٰ وخصيصته البارزة.

وقد حرصت الحركات السياسية في البلاد العربية، وفي العـراق عـلىٰ وجـه خاص، علىٰ احتضان الشعراء. من أجل ان يكونوا لسانها الناطق والمعبر عـن أفكارها بين جماهير الأُمّة

وللشعر الحركي خصائصه المميزة، فالشاعر قد لا ينطلق بحرية مع احاسيسه الذاتية انما يتقيد بالبعد الحركي، ويتحدد بالنمط الفكري الذي ينتمي إليه وهو ما

---

(١) درسنا أثر عامل الزمن في التجارب الحركية في كتابنا (الزمن في حركة العاملين).

يطلق عليه بالشعر الملتزم أو الأدب الملتزم.

اعتمد التحرك الإسلامي في العراق علىٰ الشعر بشكل واضح. وهو يمتلك تجربة طويلة فمنذ الاحتلال البريطاني للعراق، كان للشعر دوره البارز في حركة الاصلاح. وقد تميز بالهدفية والوعي. وذلك لان الذين كتبوا القصائد السياسية كانوا من العلماء المجاهدين المتصدين لحركة الجهاد السياسية، مثل الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمّدرضا الشبيبي والشيخ محمّدباقر الشبيبي. وغيرهم من العلماء الشعراء.

وهناك ملاحظة جديرة بالدراسة وهي أن الشعر السياسي لم يكن مقتصراً علىٰ القريض، بل انه كان ينطلق من الاجواء الشعبية أيضاً وبالخصوص في المناطق العشائرية حيث كانت الاهازيج الحماسية هي مادة الثورة الملتهبة، والتي تعرف في العراق بـ(الهوسات).

وقد تحدث عن هذا الجانب المرحوم محمّد علي كمال الدين في كتابه (الثورة العراقية الكبرىٰ) حيث ادرج العديد من الهوسات والقصائد الشعبية التي قيلت أيام الثورة وبعدها، باعتبارها وثائق ادبية نادرة، تؤرخ للثورة وترسم بعض ملامحها.

وإذا تأملنا في الفترات الحساسة من تاريخ الأُمّة الإسلامية المعاصر، فاننا نلاحظ أن الشعر الإسلامي كان له حضور في الساحة الجماهيرية. وقد كتبت العديد من الكتب في هذا المجال والتي تناولت الأحداث الهامة. مثل قضية فلسطين. التي استقطبت باهتمام الشعراء الاسلاميين. وكتبوا فيها الكثير من القصائد.

وعندما كانت حركة الوعي الإسلامي تنمو في العراق، كان للشاعر الإسلامي حضوره المهم فيها. وقد كتبت الكثير من القصائد التي نشرت في الصحافة وأُلقيت في المهرجانات الجماهيرية. وقد برزت الكثير من الاسماء

اللامعة في هذا الاتجاه. مثل الشيخ اليعقوبي. والشيخ احمد الوائلي. والسيد محمّد حسين فضل الله والسيد محمّد جمال الهاشمي. وغيرهم من العلماء الواعين الذين أثروا الساحة الثقافية والادبية بنتاجاتهم الفكرية والادبية الواعية.

ان الاهتمام بالجانب الادبي والشعري علىٰ وجه التحديد. يُعد مسألة ضرورية في أدبيات الحركات السياسية. كما نقرأ ذلك في اصدارات الأحزاب والمنظمات السياسية. مثل الاخوان المسلمين الذين اصدروا (اناشيد الدعوة الإسلامية).

تميزت النشرات الأولىٰ لحزب الدعوة الإسلامية بالاهتمام بالجانب الادبي، وأدرجت قصائد مؤثرة وهادفة في صفحاتها. وكانت تدعوا إلى الاهتمام بالجانب الادبي كجزء من النشاط الثقافي للدعاة. علىٰ اساس ان الشعر يمكن أن يفجر طاقات الابداع عند الدعاة، وأن يخاطب اوساط الأُمّة بسهولة. ويمكن ان يعبر عن المفاهيم التغييرية بشكل لا يثير ردود فعل مضادة.

ولقد كان لأدباء الدعوة الاوائل وغيرهم حضورهم علىٰ صفحات النشرات بالشكل الذي يعكس الروح الادبية في الحركة وفي نفوس الدعاة. مثل قصيدة (الاساليب القديمة).

لكن هذا الاهتمام تراجع فيما بعد وأخذ الاهتمام بالجانب الادبي يغيب في الادبيات الخاصة للحزب. في الفترة التي دخل فيها الحزب المواجهة، أي في مرحلته السياسية. لم يعد للجانب الادبي حضور في ادبياته. مع ان المرحلة كانت تتطلب زيادة الاهتمام بهذا الجانب باعتبار ان المرحلة السياسية تحتاج نشاطاً اعلامياً وتعبوياً مكثفاً.

والشعر هنا يدخل كعنصر مؤثر في هذا النشاط. لقد ظهر العديد من الشعراء في هذه المرحلة. وقدموا نتاجات أدبية قيمة. لكن هذه النتاجات كانت تعبر عن جهود فردية وليست عن تخطيط مركزي. ومنهجية محددة.

الفصل الرابع

العلاقة التأريخية بين حزب الدعوة الإسلامية والمرجعية الدينية

خلال دراستنا للفترة التاريخية التي نشأ فيها حزب الدعوة الإسلامية، ومقارنتنا لبعض الدراسات والآراء التي تناولتها، وجدنا أن هناك إتجاهاً يحاول التأكيد علىٰ أن حركة الوعي الإسلامي التي سادت في الستينات في المجتمع العراقي هي من صنع حزب الدعوة الإسلامية وأنه وجّه العلماء بالاتجاه الحركي الذي إختطه.

ورأينا في هذا الخصوص أن حزب الدعوة الإسلامية نجح إلىٰ حد بعيد في صناعة حالة ثقافية إسلامية عامة وخلق إتجاه واع في أوساط الأمة، لكن هذا الإنجاز ما كان ليحدث لولا إعتماد الحزب الخط العام للمرجعية الدينية ولعلماء الدين. فحزب الدعوة لم يخرج عن التوجهات العامة للمرجعية الدينية وكان حريصاً تمام الحرص على التقيد بتوجهات المرجعية، والإلتزام العملي بمقرراتها وتوجيهاتها. وهذه مسألة طبيعية في نشاط الحزب الذي ولد في وسط الحوزة وفي أجواء المرجعية الدينية، وقد تعمق هذا الإتجاه مع مرور الزمن، فعندما تصدىٰ الامام الشهيد للمرجعية وجد حزب الدعوة نفسه معنياً أكثر من السابق بشؤون المرجعية وتوجهاتها العامة وسط الأمة.

وعلىٰ هذا فلا يمكن أن نقول أن حزب الدعوة إنسجم مع المرجعية أو أنه إلتقىٰ معها في الخط العملي الساعي إلىٰ خدمة قضايا الإسلام، بل أنه كان الكيان الحركي الذي يسير على أساس الخط المرجعي وتحت قيادته وإشرافه، فقد جاء

في نشرة داخلية صادرة عام ١٩٦٠م كتبها الأمام الصدر قدس سره تحت عنوان :(حول الأسم والشكل التنظيمي):

(ان الصفة الشرعية الالزامية للإنضباط التنظيمي في الدعوة تنبع :

أولاً: من العهد الشرعي أو القسم الذي يقطعه العضو على نفسه بالإنضباط وفق ما تفرضه مصلحة الدعوة إلىٰ الإسلام.

ثانياً: من توقف تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة في الحياة على العمل الجماعي المنظم والمخطط له بحكمة، وتوقف فعالية أي عمل منظم على توفر الانضباط التنظيمي بين عناصره، خاصة مع فهم طبيعة القوى الكافرة في عصرنا الحاضر التي تستخدم سلاح التنظيم في محاربتها لدين الله والداعين اليه.

ثالثاً: من إعمال الفقيه لولايته الشرعية في وجوب إطاعة التنظيم)[١].

وفي الحقيقة أن المسألة الأهم في عمل الحزب داخل الإطار التنظيمي هي النقطة الثالثة، فحتىٰ مع عدم وجود النقطتين السابقتين، فأن النقطة الثالثة كافية لأن تلزم الأعضاء بالإنضباط التنظيمي، وهذا يعني أن الحزب جعل رأي الفقيه أساساً في الصيغة التنظيمية. وهذه مسألة طبيعية في فكر الدعوة الإسلامية فالذي وضع أسسها فقيه كبير هو الأمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

وجاء في مقدمة النظام الداخلي تحت عنوان (الإلتزام بالحكم الشرعي) مايلي:

(إعتمدت الدعوة أساساً في كل أعمالها ومواقفها أن تكون مطابقة للحكم

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم التنظيمي، الجزء الأول ص ١٥ ـ ١٦. وتجدر الإشارة إلىٰ أن حزب الدعوة الإسلامية جمع نشراته الداخلية الخاصة التي تصدر تحت إسم (صوت الدعوة) في كتاب متعدد الأجزاء تحت إسم (ثقافة الدعوة الإسلامية).

الشرعي، وفي هذا المجال يواجه الدعوة ثلاثة أنواع من القضايا:

١ ـ من القضايا ما حكم الشارع المقدس فيها مقطوع به، وفي هذه الصورة تلتزم الدعوة بالحكم الشرعي الواضح.

٢ ـ ومنها مايحتاج إلىٰ إعتماد فتوىٰ مجتهد، ففي خصوص ما يتطلب توحيد الموقف الدعوتي يجب أن يرشد فقيه الدعوة أو مجلس الفقهاء إلى الرأي الذي لايخالف الآراء الإلزامية للفقهاء المعروفين، ومع ذلك لو إتفق لداعية ما أنه يقلد من له رأي إلزامي يخالف ذلك فعليه أن يتبع مقلده.

٣ ـ ومن القضايا ما يحتاج إلىٰ أن يعمل الفقيه ولايته الشرعية وفي هذا النوع ترجع الدعوة إلى الفقيه العادل الكفوء)[1].

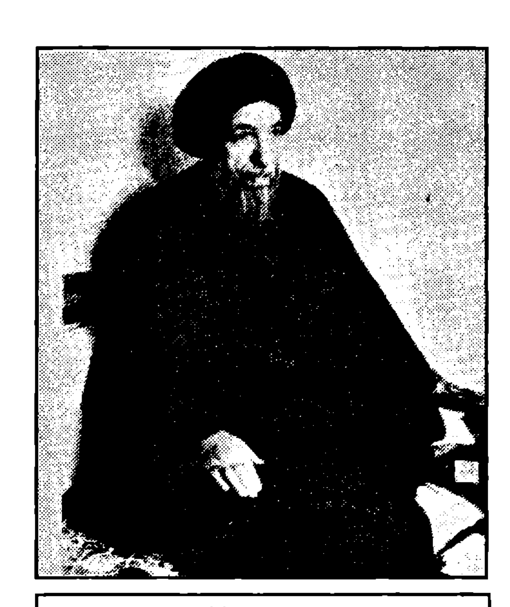
إن علاقة حزب الدعوة بالمرجعية علاقة مبدأية ثابتة، وقد جسدت خلال مسيرتها الطويلة أنها لاتخرج عن توجهات المرجعية وخطها العام، ونقصد بها المرجعية الواعية المتصدية لقضايا الإسلام والأمة الإسلامية مثل مرجعية السيد الحكيم والامام الخميني والشهيد الصدر (رضوان الله عليهم).

لقد كانت أجواء الحوزة العلمية هي أجواء إنطلاقة الدعوة الأولى وساحة تحركها الأساسية قبل أن تمارس نشاطها في الأوساط الأخرىٰ من الأمة. ومع أن جو الحوزة ينقسم إلىٰ تيارين أحدهما حركي والآخر تقليدي، إلّا أن كون المرجعية العامة في الوقت الذي تأسس فيه حزب الدعوة كانت متمثلة بالمرجع المغفور له السيد محسن الحكيم والذي كان يتمتع بوعي سياسي وحس إجتماعي كبير، قد جعل حزب الدعوة يتغلب على الصعوبات النابعة من أجواء التقليديين وأن يتجاوز الفترة الأولىٰ من تأسيسه بنجاح.

وقد تحدثت إحدىٰ نشرات الحزب الصادرة بتاريخ محرم الحرام ١٣٩٩هـ عن

---

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، القسم التنظيمي، الجزء الأول ص ١٥ ـ ١٦.



السيد محسن الحكيم

تلك المرحلة حيث أوضحت أن الحزب قد إستفاد إستفادة كبيرة من الإمكانات المتاحة في الحوزة، وأن وجود المرجع السيد محسن الحكيم (قدس سره) على رأس المرجعية والحوزة العلمية وبما كان يتمتع به من وعي سياسي قد هيأ الأجواء لعمل حزب الدعوة الإسلامية ونشاطاته، (وقد استفادت الدعوة الإسلامية من هذه الامكانية المتاحة لها في الحوزة واستطاعت أن تجني من العمل داخل الحوزة ثماراً طيبة من طلبة وفضلاء ومدرسين وعلماء دخلوا في سلك التنظيم وأصبحوا عناصر فاعلة ومؤثرة في جسم الدعوة الإسلامية في حقلي الفكر والجهاد، وأثروا الساحة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر بحصيلة عملهم في الحقول الجهادية والسياسية والفكرية. وقد وضعت الدعوة المتخصصين في العلوم الإسلامية والمتفرغين للدراسة والتدريس في صفوفها موقع الصدارة عندما يلتحقون في العمل بصرف النظر عن الأمور الحزبية الأخرىٰ، لأن لهم مزية الاطلاع علىٰ الأحكام والأفكار الإسلامية التي هي روح العمل الإسلامي، وصار هذا الأمر تقليداً تركّز في الدعوة ولازالت تأخذ به)[1].

كانت الحوزة العلمية المجال الأول الذي تحرك فيه حزب الدعوة الإسلامية.

---

(١) نشرة الحزب الداخلية (صوت الدعوة)، تحت عنوان (توضيح بعض المسائل التنظيمية).

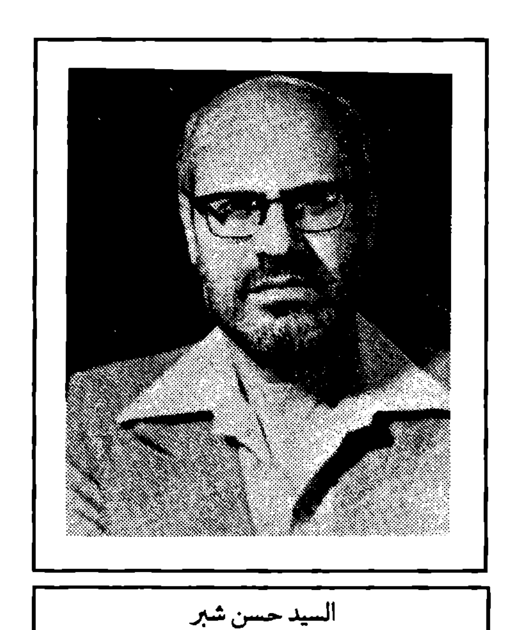
وقد فسّرت ادبياته ذلك علىٰ أساس قرب الحوزة المبدئي والاجتماعي من الحزب[1]. ويمكن أن نزيد هذه المسألة إيضاحاً بالقول أن أغلب المؤسسين هم من رجال الحوزة العلمية البارزين وهم الذين كان لهم الدور الأساس في رسم معالم الحزب وتوجيه نشاطاته، فكان من الطبيعي أن يختص تحركهم على طلبة العلوم الدينية وعلماء الحوزة العلمية. وأذا أخذنا بنظر الإعتبار أن أجواء الحوزة العلمية تحترم موقع العالم والاستاذ وبيت المرجع إلىٰ درجة كبيرة، أمكننا أن نكتشف سرعة إنتشار الحزب في أجواء الحوزة العلمية نظراً لوجود علماء كبار مشهود بكفاءتهم العلمية في قيادة التنظيم كالسيد الشهيد الصدر، فقد كان لوجوده الأثر الكبير في إنضمام عدد غير قليل من الطلبة في صفوف الحزب لاسيما طلبته الخاصين. كما أن وجود أبرز أثنين من أولاد المرجع الديني السيد الحكيم في التنظيم وهما الشهيد السيد مهدي الحكيم والعلامة السيد محمد باقر الحكيم، ساهم بشكل فاعل في إنضمام قطاع غير قليل من رجال الحوزة العلمية إلىٰ صفوف الحزب.

علىٰ أن من الضروري القول أن هذه النظرة السائدة في الحوزة العلمية كانت في بعض الفترات عاملاً في غير صالح حزب الدعوة، وذلك عندما تضطر الظروف بعض العلماء إلى الخروج من التنظيم، الأمر الذي يدفع بعض الطلبة إلى التأثر بهؤلاء العلماء والخروج من التنظيم مع أن ظروفهم الخاصة تختلف عن ظروف أولئك العلماء، لكن التأثر الشخصي بهم دفعهم إلىٰ إتخاذ نفس موقفهم[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) واجه حزب الدعوة الإسلامية هذه المشكلة في فترة الهجرة والعمل خارج العراق، حيث أن تعقيدات الظرف والمشاكل القيادية في الحزب وإختلاف الآراء حول بعض القضايا الأساسية في عمله، ←



السيد حسن شبر

الإهتام بالحوزة العلمية

لقد كان لوجود العلماء في قيادة الحزب الأثـر الكـبير في الإهـتام بالحوزة العلمية، وقـد كـان مـن الطـبيعي أن يـلتقي ـ نـتيجة لهـذا السـبب ـ تـوجه الحـزب مـع التوجهات الحـركية والتـجديدية التي بدأها أعلام الحـوزة العـلمية منذ زمن آية الله الشيخ محمد رضا المظفر الذي أسس جمعية مـنتدى النشر في النجف الأشرف في الثلاثينات وقد إنضم عدد غير قليل مـن تـلاميذ مدرسة منتدى النشر فيما بعد إلىٰ حزب الدعوة الإسلامية [١].

جاء في أحد نشرات الحزب حول هذا الموضوع مانصه:

(كان أثر الدعوة الأول على الحوزة هو بداية تحويل مجرى التفكير العـلمي الذي يؤكد علىٰ منهج التعمق العلمي إلىٰ مجرى تفكير عـملي يهـتم بـالجوانب

← دفعت بعض كبار العلماء إلىٰ الإنسحاب من التنظيم مما جعل بعض الطلبة والعلماء ينسحبون أيضاً من التنظيم أو يضعف حماسهم في التفاعل مع مناهجه وأعماله. وحتّىٰ كتابة هذه السطور فأن هذه المشكـلة لاتزال قائمة في أوساط الحزب رغم أن حلقاته التنظيمية تسعى إلىٰ توضيح المشاكل والملابسات الخاصة لمواقف العلماء الذين خرجوا من التنظيم. ولعل أكبر أزمة واجهها الحزب في هذا المجال خروج فقيه الحزب آية الله السيد كاظم الحائري حفظه الله.

(١) كان من تلاميذ مدرسة منتدى النشر الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وآية الله المجاهد السيد محمّد حسين فضل الله، إضافة إلىٰ عدد من الشخصيات الحركية التي مارست مسؤوليات قيادية في حزب الدعوة مثل المرحوم الشهيد عبد الصاحب دخيل والاستاذ حسن شبر وغيرهم.

الحياتية المختلفة وذلك تلبية لما يحتاجه المسلمون في مجال صراعهم مع الفكر المعاصر... وكان الأثر الثاني للدعوة إنصهار مجموعة من خيرة الطلبة والعلماء في الدعوة، وانتشر في بقاع واسعة من العالم الإسلامي علماء يؤمنون بالعمل الإسلامي وعودة الإسلام إلى الحياة من جديد... ومن آثار الدعوة على الحوزة والمجتمع ظهور مدرسة جديدة للمنبر الحسيني ولإحياء ذكرىٰ ثورة سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليهما السلام، حيث تبدل اسلوب عرض تاريخ الملحمة الحسينية الخالدة، فقد صدرت دراسات متعددة تربط ثورة الامام الحسين عليه سلام الله بالمفاهيم الإسلامية، وكمثال بارز يحتذيه المسلمون لتصحيح الاوضاع وتغييرها، وإبراز النصوص الإسلامية كمفاهيم للعمل)[1].

إن ما تتحدث عنه أدبيات حزب الدعوة الإسلامية حول مساهمته في خدمة وتطوير الحوزة الدينية هو في الحقيقة هدف العلماء والمرجعيات الاصلاحية، فقد إستكملت هذه الحركة ما بدأه أعلام الشيعة في مجال الإصلاح وسارت على نفس هذا النهج مستفيدة من جهازها التنظيمي في تنفيذ مفردات ومناهج المشاريع الاصلاحية الرامية إلىٰ تقوية الحوزة العلمية وتطويرها بالشكل الذي يجعلها قادرة على النهوض بمتطلبات الواقع الإسلامي، وهذا هو الدور الحقيقي للحوزات العلمية التي جاهد من أجلها أعلام ورموز الشيعة عبر العصور.

جاء في النشرة الداخلية للحزب الصادرة عام ١٣٩٥هـ:

(إن نظرة الدعوة إلى الحوزة العلمية ككل أنها إمتداد تاريخي لمجموعة الفقهاء والمبلغين الذين أخذوا الإسلام من مصادره وحافظوا عليه ودعوا الأمة اليه. وهي الآن بوجوداتها المتعددة في المراكز العلمية وفي بلاد المسلمين وجود هام في الأمة ووسط هام من أوساطها، تتبنى الدعوة المحافظة عليه والنهوض به حتّىٰ

---

(١) نشرة بعنوان: حول بعض المسائل التنظيمية، صادرة بتاريخ محرم الحرام ١٣٩٩هـ.

يصبح كياناً يأخذ موقعه الرائد في حركة تغيير الأمة بالإسلام ومن أجل الوصول إلىٰ هذا الهدف تعمل الدعوة على حماية الحوزة من أعداء الإسلام وتخليصها مما فيها من سلبيات، والاستفادة مما فيها من ايجابيات، ودفع طاقات جديدة من أبناء الأمة للإنضمام اليها)[١].

وضمن هذا التوجه تبنىٰ حزب الدعوة العمل علىٰ تنمية الحوزة وإرفادها بالطلبة، فقد حثّ الدعاة علىٰ الالتحاق بالحوزة العلمية لتلقي العلوم الإسلامية والتخصص في هذا المجال، من أجل تقوية وتدعيم الحوزة من جهة، ومن أجل إعداد كادر من العلماء الذين يمارسون مهامهم الإسلامية والتغييرية وسط المجتمع بالشكل المطلوب من جهة أُخرىٰ. وكان الحزب في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) قد أصدر تعليماته بضرورة الانضمام إلى الحوزة العلمية وتلقي العلوم الدينية في جامعة النجف الأشرف الكبرىٰ، ونتيجة ذلك شهدت الحوزة العلمية تزايداً ملحوظاً في عدد الطلبة الوافدين للدراسة من الدعاة ومن أنصار حزب الدعوة الإسلامية.

ولم تقف جهود الحزب إلىٰ هذا الحد، بل أنه حثّ عناصره على الالتحاق بكلية أصول الدين في بغداد التي أسسها العلامة السيد مرتضى العسكري، وبكلية الفقه في النجف الأشرف والتي أسسها المغفور له المصلح المجدد الشيخ محمد رضا المظفر. وقد إمتلأت الكليتان بالدعاة وأنصار الدعوة الإسلامية، فتخرج جيل مثقف يجمع بين العلوم الإسلامية وبين الثقافات والاختصاصات الحياتية الأخرىٰ، وجرىٰ كل ذلك باهتمام وتخطيط من قبل الحزب لإعداد الكوادر المثقفة بالثقافة والعلوم الإسلامية[٢].

---

(١) صوت الدعوة، نشرة بعنوان (أوراق عمل).

(٢) مجلة الجهاد للدراسات والبحوث، العدد ١٢، ربيع الأول ١٤٠٤هـ.

إن توجه الحزب في دعم ورفد الحوزة العلمية ـ وكما ذكرنا سابقاً ـ كان نتيجة طبيعية لوجود عدد من كبار العلماء في قيادته على رأسهم الامام الشهيد الصدر، لذلك لابد من التأكيد علىٰ مسألة هامة في هذا المجال، وهي أن رفد الحوزة بالطلبة وحثّ عناصر الحزب على الدراسة في النجف الأشرف، لم يكن ينطلق من معادلات مصلحية حزبية، ولم تصدر هذه التعليمات من أجل الإستفادة من الحوزة لمصالح الحزب كما قد يفهم البعض... بل أن هذا التوجه كان ينطلق من قناعة ثابتة ومن رؤية مستوعبة تؤمن بضرورة دعم وتطوير الحوزات العلمية من أجل أن تمارس دورها المطلوب في إعادة الإسلام إلى الساحة الإجتماعية، وهي المهمة التي يضطلع بها بالدرجة الأولى علماء الدين. وهذا هو الهدف الذي عملت من أجله المرجعيات الإصلاحية في مختلف الفترات، بحيث يمكن القول أن حزب الدعوة الإسلامية ساهم بشكل فاعل في الحركة الاصلاحية وأنه حقق طموح المصلحين من أعلام الشيعة عبر الزمن.

ومن هنا فقد حظي الحزب بدعم وتأييد كبار العلماء ذوي الإتجاه الاصلاحي، وكان لهم فضل تقوية الحزب في مناطق العراق المختلفة، حيث ساهموا بشكل مؤثر في منحه الغطاء الشرعي ووضع إمكاناتهم تحت تصرف أعضاء الحزب والتنسيق مع اللجان الحزبية في النشاطات الاجتماعية المختلفة، مما جعل تنظيمات الحزب تتسع وتنشط بصورة سريعة في مناطق ومدن العراق.

هذا إلىٰ جانب الدعم الكبير الذي منحه مرجع المسلمين آنذاك المغفور له السيد محسن الحكيم لعمل ونشاطات الحزب، بعد أن وجد فيه الحركة التي تخدم قضايا الإسلام والمسلمين وتتصدىٰ للإنحراف الفكري والاجتماعي الذي كان يسود الساحة العراقية.

وكانت الحوزة العلمية وسطاً هاماً لإتساع حزب الدعوة الإسلامية في عدد من البلدان الإسلامية، وذلك عن طريق إنضمام العديد من طلبة العلوم الدينية في

النجف الأشرف إلىٰ تنظيماته حيث أصبح هؤلاء الطلبة فيما بعد مؤسسي فروع الحزب في بلدانهم. وتجدر الإشارة إلىٰ أن التشكيلات التنظيمية الأولى ضمت في عضويتها علماء دين من غير العراقيين إضطلعوا بمهام قيادية في مؤسسات الحزب التنظيمية، مع ملاحظة أن غير العراقيين لم يكن لهم وضعهم الخاص داخل لجان الحزب، إنما كان شأنهم شأن العراقيين، حيث أن القاعدة الفكرية والتنظيمية للحزب ترفض الأطر الإقليمية والقومية، وتنطلق من قاعدة الإسلام الشاملة التي تذوب فيها أمثال هذه الفوارق.

كان إنضمام الطلبة والعلماء غير العراقيين إلىٰ صفوف حزب الدعوة من العوامل التي خدمت نشاط الحزب، إذ كونت له قاعدة مؤثرة في خارج العراق، ساهمت في تدعيم عمله وتحركه، وهذا ما برز بوضوح في الفترات الحرجة من مسيرته لاسيا في مرحلة الهجرة حيث إستطاع أن يعيد تشكيلاته خارج العراق خلال فترة وجيزة كما سيأتي بنا إن شاء الله عند الحديث عن هذه المرحلة الحساسة من مسيرته.

التحديات المضادة في أجواء الحوزة

من المظاهر الثابتة في الحوزات العلمية وجود إتجاهين مشخصين في أوساطها:

الأول: تقليدي يعيش همومه المحدودة في إطار البحث العلمي وحلقات الدرس، ويقف موقفاً متحفظاً من أية محاولة تجديدية وإصلاحية، ويرفض التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية التي يرىٰ أنها بعيدة عن إهتماماته الحوزوية الخاصة.

والثاني: حركي يعيش هموم الأمة الإسلامية ويجاهد من أجل النهوض بواقعها إلى المستوى المطلوب في مقابل التحديات التي تتعرض لها من قبل أعداء

الإسلام، ويرىٰ أن مسؤوليته الشرعية تتحرك علىٰ كل المساحة الاجتماعية ولاتنحصر في البحث العلمي فحسب، بل أن العلوم الدينية هي القاعدة التي يجب الانطلاق منها في خدمة قضايا الإسلام وأهدافه الكبرىٰ. ومن أجل تحقيق هذه المهام الكبيرة لابد من إحداث الاصلاح والتجديد في الواقع الحوزوي ليكون بمستوىٰ متطلبات العصر وبالتالي يمكن تحقيق النهضة الحضارية في الواقع الإسلامي. وعلى هذا الخط كانت مشاريع الاصلاح التي ظهرت في الوسط الشيعي في فترات مختلفة.

وعلىٰ هذين الاتجاهين توزع علماء ومراجع الدين عبر الزمن وفق معادلة حساسة تتسم بالتحفظ الشديد من قبل الطرفين. والغريب في هذه المعادلة أنها كانت تزداد حدة كلما تطورت الحياة وإقترب الزمن من الحاضر. وتفسيرنا لهذه الظاهرة أن تطور حركة الزمن تفرز بصورة طبيعية تحديات جديدة، تستدعي إتخاذ مواقف تنسجم مع طبيعة الظروف، الأمر الذي يدفع رموز الاتجاه الحركي إلى القيام بمشاريع إصلاحية تهدف إلى النهوض بالواقع الإسلامي إلى المستويات التي تمكن الامة من مواجهة التحديات بقوة وصلابة. وعادة لاتحظى هذه المشاريع الاصلاحية بقبول التقليديين، فيقفون منها مواقف معارضة تختلف حدتها باختلاف الأجواء.

وعندما تأسس حزب الدعوة الإسلامية كانت الحالة العامة في الحوزات العلمية تتسم بالفارق الكبير بين الإتجاهين، فالخط التقليدي كان يمثل الغالبية في الساحة الحوزوية ويسيطر علىٰ الأجواء العامة فيها. في حين كان الخط الإصلاحي والحركي يمثل أقلية في الحوزة، وكان يعاني من مواقف التقليديين المضادة[١].

---

(١) سيتعرف القارئ الكريم علىٰ هذه الصورة بشكل تفصيلي في الباب الأخير من هذا الكتاب عند الحديث عن المرجعيات الاصلاحية خلال هذا القرن.

كان من الطبيعي في تلك الأجواء أن يواجه حزب الدعوة الإسلامية كمشروع حركي، معارضة قوية من قبل الاتجاه الآخر.. مواجهة تتسم بالقوة لأن مشروع تأسيس حزب إسلامي في أجواء الحوزة، كان لابد أن يواجه بردة فعل كبيرة بحجم ضخامة المشروع، وهذا هو الذي حدث. فبعد أن تعرفت الأوساط التقليدية علىٰ وجود حزب إسلامي يقوده الإمام الشهيد الصدر، أثارت حملة تشهيرية ضده (رضوان الله عليه)، وقد اخذت هذه الحملة خطاً تصاعدياً عندما أخذ موقع الامام الصدر يكبر في الساحة الإسلامية بعد النتاجات العملاقة التي طرحها في الساحة الثقافية مثل كتابيه الخالدين (فلسفتنا وإقتصادنا)[1]، وبعد أن أخذ (قدس سره) يخطو خطواته الثابتة باتجاه المرجعية الدينية، فقد كان رغم صغر عمره الشريف آنذاك يمتلك مؤهلات المرجعية بجدارة وكفاءة عالية.

وقد تعرفت السلطة علىٰ حزب الدعوة الإسلامية بعد أن راح البعض يتحدث عنه، بل أن بعض المحسوبين على الحوزة العلمية تعمد إيصال خبر وجود حزب إسلامي يرأسه السيد الصدر إلىٰ الأجهزة الحكومية.

إن من المحزن أن يلتقي بعض التقليديين مع السلطات الحاكمة في هدف القضاء علىٰ التحرك الإسلامي الواعي، ومحاولة تحجيم الدور الرائد للإمام الصدر وإيقاف إنطلاقته المؤثرة في وسط الحوزة العلمية والساحة الثقافية والاجتماعية .إنها المنافسة الغبية على المصالح الذاتية والوهم الذي يسيطر على

---

(١) ظهرت الطبعة الأولىٰ من كتاب فلسفتنا عام ١٣٧٩هـ والطبعة الأولىٰ من كتاب إقتصادنا عام ١٣٨١هـ. وقد أثار الكتابان ضجة في الأوساط الثقافية الإسلامية وغير الإسلامية، وإعتبرت التيارات الماركسية والعلمانية والحكومية أن هذه النتاجات الفكرية تمثل تهديداً جدياً لمواقعها في الساحة، فأخذت تمارس ضغوطها علىٰ الامام الصدر وترصد كل تحركاته ومشاريعه بشكل مكثف، لأنها أدركت أن هذه العقلية الجبارة هي مصدر الخطر القادم على وجوداتها.

العقول، فتخضع المواقف للأهواء الضيقة، وتفقد النفوس إرادتها الحرة فتعيش في سجن الذات المظلم. ولو أن أولئك حرصوا علىٰ الإسلام بعض الحرص وتركوا الامام الصدر يشق طريقه ويحقق مشاريعه بشكل طبيعي بعيداً عن الضغوط والأزمات المفتعلة لتغير وجه العراق ولرفد الحوزة العلمية بالفكر الخلاق المبدع، ولقفز بالأوضاع الإسلامية خطوات هائلة إلىٰ الأمام، بفضل ما وهبه الله تعالى من مؤهلات إستثنائية وعقلية نادرة.

لقد بدأت السلطات تفكر بشكل جاد بالخطر القادم والمتمثل في وجود حزب إسلامي يتحرك في خط المرجعية الدينية، ويتولى قيادته الامام الصدر وثلة من العلماء الواعين، الأمر الذي يعني أن الحوزة العلمية والمرجعية الدينية ستتحول إلىٰ قوة فاعلة وسط المجتمع، تمتلك إمكانات التحرك الميداني المؤثر والقدرة على صناعة المواقف والأحداث، مما يعني أنها ستواجه تحديات حقيقية في مجمل أوضاعها ومواقعها. وقد كانت السلطات الحكومية تدرك بوضوح تام ماذا يعني البعد الحركي في الحوزة، وتعلم تمام العلم أن التلاحم الجماهيري الواعي بين المرجعية والأمة من شأنه أن يصنع الكثير الذي يهدد مستقبل الحكم والوجودات المفروضة علىٰ الأمة، لاسيما وأن تجربة الاستعمار مريرة في هذا الخصوص إبان الحرب العالمية الأولىٰ وخلال السنوات التي تلتها كما أشرنا إلىٰ ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

من هنا كان هدف السلطات المتعاقبة علىٰ حكم العراق، هو عزل المرجعية عن المجتمع ومنع لقائها الميداني مع الأمة، من أجل أن تمنع ولادة القوة الإسلامية المؤثرة والمتمثلة بالتلاحم الميداني بين القيادة المرجعية وبين القاعدة الشعبية. ووفق هذا الفهم كان التفكيك بين الحركة الإسلامية وبين المرجعية يمثل هدفاً استراتيجياً بالنسبة للسلطة، لذلك لجأت إلىٰ محاولة عزل حزب الدعوة الإسلامية عن المرجعية، وهو الهدف الذي حاولت تحقيقه عن طريق تجريد

حزب الدعوة الإسلامية من قوته العلمائية والمتمثلة بالشهيد السيد الصدر وذلك من خلال خلق حاجز مصطنع بينه وبين المرجعية العليا للامام الحكيم، وكذلك الضغط على المرجعية لسحب دعمها وتأييدها للحزب باعتباره موضع رعايتها وإسنادها.

كان ذلك عام ١٩٦١م عندما أوفدت السلطة أحد المتلبسين بلباس الدين وهو حسين الصافي ـ الذي أصبح فيما بعد وزيراً للعدل في السلطة البعثية ـ إلى المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم (أعلى الله مقامه)، وراح حسين الصافي يظهر للمرجع الحكيم حرصه على الحوزة وأنها في خطر لوجود حزب إسلامي أسمه حزب الدعوة الإسلامية يقوده السيد محمد باقر الصدر، وأن هذا الحزب يشكل خطراً على الحوزة العلمية. لكن الإمام الحكيم كان يدرك أبعاد هذه المؤامرة الحكومية، فتصدىٰ بشدة للصافي ورد عليه بعنف قائلاً:

(هل بقي عندك شيء آخر تقوله)

فشعر الصافي بالإحراج وحاول أن يخفف من غضب السيد الحكيم فقال:

(العفو سيدنا.. ليس لدي شيء آخر، وأن حرصي هو الذي دفعني لأن أقول لك مثل هذه الكلمة).

فرد عليه الامام الحكيم:

(وأنت تتصور نفسك أحرص من السيد الصدر على الحوزة العلمية)[1].

وهكذا أحبط الامام الحكيم هذه الخطة، لكنه أدرك أن السلطة تخطط للإجهاز على السيد الصدر وعلىٰ حزب الدعوة الإسلامية، فأرسل أحد أبنائه إلى السيد الشهيد يخبره بالحادثة ويؤكد له ضرورة أن يكون أباً راعياً للحركة من خارجها، إلىٰ جنب بقية المراجع، فهذا أفضل من أن يكون في داخلها بعد

---

(١) مجلة الجهاد، العدد ١٢.

إنكشاف وجوده الحركي، وذلك في ظل تلك الأوضاع التي كانت تحيط بالمرجعية سواء من الدوائر الاستعمارية، أو من الأوساط الحوزوية التي لاتستسيغ العمل السياسي الإسلامي.

كان لابد للشهيد الصدر أن يلتزم بقرار المرجعية العليا، فلم يعد بعد إنكشاف أمره أن يستمر في قيادة الحزب الذي يقوم على أساس السرية التامة. ووجد نفسه مستهدفاً من قبل الاعداء، وعليه أن يمارس دوره وفق صيغة أخرىٰ تنسجم مع طبيعة الظروف الصعبة التي فرضت عليه. فقرر (رضوان الله عليه) أن ينسحب من التنظيم مع بقاء رعايته وتوجيهه للحزب من الخارج، وكتب رسالة إلىٰ قيادة الحزب يعلمهم بقراره الصعب.

وقد وصف الامام الشهيد الوضع النفسي الذي عاناه عند كتابته الرسالة، حيث قال:

(كنت أكتب الرسالة ويدي ترتعش، وبت الليلة الماضية وأنا أرق أفكر في هذا الموقف، وأنه ليعز عليّ مثل هذا الموقف).

وقد عيّن السيد الصدر (رضوان الله عليه) الشهيد أبا عصام (عبد الصاحب دخيل) رحمه الله عضو ارتباط بينه وبين القيادة من اجل أن يواصل الحزب مسيرته الإسلامية [١].

لم يؤثر خروج الامام الصدر من تنظيم حزب الدعوة الإسلامية على النشاط العام للحزب، فقدكان التنسيق والتواصل قائماً من خلال عضو الارتباط، بحيث كان الشهيد الصدر علىٰ إطلاع كامل بكل خطط وبرامج الحزب، كما أن القيادة كانت تعرض عليه مشاريعها للتعرف علىٰ رأيه بخصوصها لاسيما الأمور التي تحتاج إلىٰ رأي فقهي.

---

(١) المصدر السابق.

لقد ظل التحرك العام يسير بنفس القوة السابقة، ولم تنجح محـاولات عـزل الحركة الإسلامية عن المرجعية، وكان العامل الهام في هذا المجال هو تفهم الامام السيد الحكيم لمجريات الأوضاع في العـراق، وتـقديره لجـهود الحـركة، فكـان يحيطها برعايته ودعـمه ومسـاندته. لكـن في الوقت الذي كـان فـيه التـحرك الإسلامي يحقق إنجازاته الكبيرة على الساحة العراقية ويحدث تغييره المـشهود في أوساط الأمة، كان التقليديون يمارسون ضغوطاتهم على الحركة وعلى رمزها الفذ السيد الصدر.

كان عقد الستينات يمثل منعطفاً تاريخياً في الحياة العراقية على مستوى البناء الفكري والتغيير الاجتماعي، فخلال تلك السنوات إستطاعت الحركة الإسلامية أن تبني قاعدة واسعة من الدعاة ومن الأنصار الذين مارسوا جهادهم التغييري بشكل غيّر وجه العراق، فبعد أن كانت الساحة محكومة بـالأفكار المـاركسية والعلمانية، صار الفكر الإسلامي هو الذي يتحدى ويحاصر الأفكار المـضادة، وأنعكست المواجهة بصورة كاملة، فبعد أن كان الإسلام يعيش الحالة الدفاعية في مواجهة التيارات المضادة، صار الإسلام هو الذي يلاحق الأفكار المستوردة ويحاصرها في الزوايا الضيقة. وشهدت الحوزات العلمية والمراكز الإسلامية نمواً ملحوظاً وحركة نشطة لم تكن معهودة في السابق.

سياسة السلطة تجاه المرجعية والدعوة

أثارت التطورات الإسلامية على الساحة مخاوف السلطات الحاكمة وشعرت أن الخطر الإسلامي أصبح يهدد وجودها في السلطة فيما لو إستمرت الأمور على هذا السياق. وقد وضعت السلطة البعثية التي جاءت إلى الحكم عام ١٩٦٨م إثر إنقلاب عسكري مشؤوم، في مقدمة برامجها السياسية مواجهة الحالة الإسلامية وتوجيه ضربة إستراتيجية للمرجعية وللحركة الإسلامية.


عبد السلام عارف

وقد كان للبعثيين تجربة مريرة مع المرجعية العليا عام ١٩٦٣م، حيث إستطاعت من خلال الحركة الإسلامية أن تربط الجماهير بها، الأمر الذي فرض علىٰ حزب البعث عزلة جماهيرية واضحة، اضعفت موقفه في السلطة، وقد استفاد عبد السلام عارف من هذه الحالة فاسرع إلىٰ إسقاط حزب البعث وتنحيته عن مشاركته في الحكم.

لقد تركت تجربة الماضي آثارها العميقة على التوجه السياسي لحزب البعث، بحيث أنه جعل ضرب الوجود الإسلامي هدفاً أولياً ضمن قائمة أهدافه. فقد كان النظام البعثي يمتلك معلومات دقيقة حول وجود تنظيم إسلامي منتشر في صفوف الأمة، ويمارس نشاطه التغييري بفاعلية وتأثير، وهو ما تظهر آثاره في الأوساط الطلابية والثقافية والاجتماعية، إضافة إلى الحوزة العلمية، الأمر الذي أشار اليه التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث في معرض تحليله لأسباب انقلاب ١٧تموز ١٩٦٨م، حيث شخّص حزب البعث أن العراق سيقع قريباً ـ أي قبيل الانقلاب ـ تحت سيطرة التيار (الرجعي) وهو التعبير الذي يستخدمه البعثيون والشيوعيون لوصف التيار الإسلامي[١].

إن من الواضح أن البعثيين في السنوات الخمس التي إبعدوا فيها عن السلطة

---

(١) راجع التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العراقي.

بعد عام ١٩٦٣م، كانوا يشاهدون حجم التحول الفكري والاجتماعي والوعي السياسي الذي كان يحدثه التحرك الإسلامي في الجامعات والمساجد والحوزة العلمية والشعائر الحسينية وغير ذلك من مظاهر الحياة والمجتمع في العراق. ولاشك أنهم خرجوا بنتيجة قاطعة مفادها أن الحركة الإسلامية تشكل تهديداً جدياً لكل الوجودات العلمانية وذلك من خلال ما تحمله من فكر إسلامي أصيل ومنهج شامل، وما تتمتع به من علاقة وطيدة مع المرجعية وجماهير الأمة.

فها هي الشيوعية واجهت هزيمتها الفكرية على يد الحركة الإسلامية وانحسرت من الساحة بعدما كانت تسيطر عليها بلا منازع.. وعلىٰ هذا فإن حزب البعث سيواجه نفس المشكلة وسيلقىٰ نفس المصير فيما لو بقيت الحركة الإسلامية فاعلة في الساحة الإسلامية. ومن هنا كانت مهمة القضاء على الحركة الإسلامية تمثل الخطوة الاستراتيجية الاولىٰ في سياسته السلطوية من أجل تحقيق ضمانات البقاء في الحكم.

لم يكن بإمكان السلطة البعثية أن توجه ضربتها إلىٰ عموم الوجود الإسلامي أي المرجعية وحزب الدعوة الإسلامية، لأنها تدرك عدم قدرتها علىٰ خطوة كهذه، لذلك خططت لتوجيه الضربة الأولىٰ للمرجعية باعتبارها المركز القيادي للوجود الإسلامي في العراق وأنها هي التي تدعم الحركة الإسلامية وتوفر لها مستلزمات القوة. وقد نقل حديث خاص لمسؤول في السلطة أنه قال أن الحكومة لاتستطيع في الوقت الحالي توجيه ضربتها إلىٰ حزب الدعوة لوجود المرجع الديني السيد الحكيم الذي تحظى برعايته ودعمه، ولكنها تنتظر موته حتّىٰ تباشر ضربتها القاصمة[1].

---

(١) كان هذا المسؤول يقول باللهجة العراقية: (خلي هذا يموت ـ يقصد السيد الحكيم قدس سره ـ وشوف شلون (يعني: وسترىٰ كيف) نعلق كل واحد منهم على عمود من أعمدة الكهرباء في الشوارع) راجع مجلة الجهاد العدد ١٢.

في صيف عام ١٩٦٩م كانت السلطة البعثية قد مارست الكثير من الضغوط المضادة ضد مرجعية الامام الحكيم، وفرضت سياساتها الأرهابية علىٰ الشعب العراقي، وبدا واضحا من خلال التصعيد الذي تقوم بـه أنهـا تخـطط لإضـعاف المرجعية وتمـهد لضربة قادمة. الأمر الذي دفع حـزب الدعـوة الإسـلامية إلىٰ الإتصال بالإمام الحكيم ومناقشة التطورات المتسارعة التي تقوم بها السـلطة، وقد تقرر نتيجة ذلك أن يقوم المرجع الديني السيد محسن الحكيم (قـدس سره) بزيارة إلىٰ بغداد، وأن يقوم الحزب بتعبئة جماهيرية واسعة ينظم خلالها الوفود الجماهيرية من مناطق العراق المختلفة لزيارة مرجعها وإعلان البيعة له، وذلك من أجل شدّ الأمة إلىٰ مرجعها الرمز من جهة، وإظهار قوة المرجعية أمام السلطة من جهة أخرىٰ.

وقد قام المرجع الديـني في بـدايـة حـزيران بـزيارته إلىٰ بـغداد وإسـتقر في الكاظمية، حيث أخذت الوفود الجماهيرية المكثفة تحتشد أمام المنزل الذي يقيم فيه.

في يوم ٩ حزيران ١٩٦٩م إلتقى وفد قيادي من حـزب الدعـوة الإسـلامية بالسيد الحكيم، وقدكان ضمن إعضائه الاستاذ حسن شبر والعلامة السيد فخر الدين الشوشتري والشهيد أبو عصام وآخرون. وكان الوفد يحـمل مـشروعاً خطيراً للمرجع الأعلىٰ، حيث طرح عليه أن هناك مـعلومات سريـة تـفيد أن السلطة تخطط للقيام بعمل مضاد للمرجعية، وعلىٰ هذا فلا بد من القيام بـعمل سريع قبل أن تبادر السلطة بتنفيذ خطتها. وقد إقترح الوفد على السيد الحكيم أن يقوم حزب الدعوة الإسلامية بتعبئة جماهيرية شاملة ضد السلطة، حيث يتم إغلاق الأسواق وإقامة التظاهرات الشعبية وإعلان حالة الإضراب العـام ضـد الحكومة.

لكن المـرجع السيد الحكيم كان له رأي آخر، فلم يقبل باقتراح الوفـد عـلىٰ

أساس أنه يرىٰ ضرورة أن يبقىٰ حزب الدعـوة الإسـلامية مخـفياً عـن أجـهزة السلطة، لأنه يخشىٰ عليه من إنتقامها، وأنه يرىٰ أن إمكانات المواجهة المباشرة مع السلطة غير متوفرة[١].

في الأيام التالية نفذت السلطة خطتها وذلك باتهام العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم نجل المرجع الديني الأكثر حركية ونشاطاً بالإشتراك في محاولة إنقلابية ضد نظام الحكم في العراق. وكانت هذه التهمة تهدف إلىٰ كسر هيبة المرجعية الدينية والضغط عليها مباشرة لإضعافها سياسياً وجماهيرياً. ورغم أن جماهير الأمة أعلنت عن شجبها العلني للسلطة ووقوفها تحت راية المرجعية، إلّا أن الامام الحكيم كان يرىٰ ضرورة عدم التصعيد مع نظام الحكم الدموي في العراق.

في ٢٦ ربيع الأول عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠) توفي الامام الحكيم (رضوان الله عليه)، وبذلك فقدت الحركة الإسلامية سندها القوي وأصبحت الطريق سالكة أمام السلطة البعثية لضرب حزب الدعوة الإسلامية.

في ظل مرجعية الشهيد الصدر.. من التغيير إلى الثورة

بعد وفاة المرجع الكبير الامام الحكيم (طاب ثراه)، فقد التحرك الإسلامي سنداً قوياً يصعب تعويضه، فالمرجعيات التي أعقبته لم تكن تمتلك نفس قوته الجماهيرية، وقد بدا ذلك واضحاً منذ الأيام الأولىٰ، كما أنها لم تكن بمستوىٰ الإهتمام بالعمل الاجتماعي العام، وكانت تميل إلى المنحى التقليدي، حيث ترى أن دورها ينحصر في حفظ الحوزة ودعمها من الداخل، أما العمل السياسي والإهتمامات الجماهيرية فلم تحظ باهتمامها بالشكل الذي كان سابقاً.

---

(١) المصدر السابق.

لم تكن وفاة المرجع الديني السيد محسن الحكيم، خسارة للتحرك الإسلامي على المستوى السياسي، باعتباره كان السند القوي له، بل أن خسارة أخرى كان قد حدثت في هذا المجال وهي أن الاتجاه التقليدي أخذ يغلب على أجواء الحوزة العلمية، وينشط في الضغط على الحركة الإسلامية وعلى الامام الشهيد الصدر. وفي الحقيقة أن هذه الضغوطات من قبل التقليديين كانت موجودة على طول الخط، لكن مرجعية الامام الحكيم كانت تغطي عليها، بوصفها مرجعية غير تقليدية. أما حين أصبحت المرجعية تنتمي إلىٰ الاتجاه التقليدي فأن من الطبيعي أن يكون الضغط التقليدي قوياً علىٰ الاتجاه الحركي، وسوف نتحدث إن شاء الله عن معاناة الشهيد الصدر (قدس سره) في الباب الرابع من هذا الكتاب.

مع مطلع السبعينات كانت مرجعية السيد الشهيد تمتد في الأوساط الثقافية في العراق نتيجة النشاط الذي كان يقوم به حزب الدعوة الإسلامية وتبنيه ترويج مرجعية السيد الصدر. ورغم أن إمكانات مرجعية السيد الشهيد كانت محدودة إلّا أن العلاقة التاريخية والاستراتيجية بينه وبين حزب الدعوة الإسلامية كان كفيلاً بتحقيق إنجازات هائلة على الساحة، وهو ما حدث بالفعل، فقد كان العمل التغييري يشكل تياراً مكتسحاً في الأوساط الثقافية والاجتماعية.

وفي الوقت نفسه كانت السلطة البعثية الحاكمة تخطط لتوجيه ضربتها للحركة الإسلامية إستكمالاً لمشروعها الظالم الذي كانت تعد له منذ مجيئها للحكم. فبدأت بملاحقة وإعتقال أبناء الحركة الإسلامية وعرّضتهم إلىٰ تعذيب وحشي إلىٰ حد الاستشهاد، ففي الفترة ١٩٧٠ـ ١٩٧٢م شهد معتقل قصر النهاية صوراً مروعة ومشاهد مؤلمة لعناصر قيادية وكوادر اسلامية وهم يعانون من العذاب الجسدي والنفسي.

وفي عام ١٩٧٢م توسعت حملة الاعتقالات لتشمل العلماء والاساتذة والاطباء والمهندسين وطلاب الجامعات وغيرهم من أعضاء حزب الدعوة



رواد الوعي التغييري الإسلامي في العراق

الإسلامية الذين تعرضوا لتعذيب وحشي لاسيما في معتقل الشعبة الخامسة لمديرية الأمن العامة ومعتقل أمن الديوانية، وكان الامام الشهيد الصدر ممن طاله الاعتقال في تلك السنوات.

وفي تموز عام ١٩٧٤م شنت السلطة حملة اعتقالات واسعة جداً بدأت من الحوزة العلمية في النجف الاشرف وطالت رموز وكوادر ابناء الحركة الإسلامية في عموم محافظات العراق، وتحولت مديرية أمن الديوانية إلىٰ مركز تحقيق كبير للدعاة، من قبل المجرم فاضل الزركاني.

كانت محنة كبيرة عندما أصدرت السلطة قراراتها الجائرة باعدام خمسة من قيادي حزب الدعوة الإسلامية في ١٩٧٤/١١/١٣ وهم:

١ ـ الشيخ عارف البصري.
٢ ـ السيد عز الدين القبانجي.
٣ ـ السيد عماد الدين الطباطبائي.
٤ ـ الاستاذ نوري طعمة.
٥ ـ الاستاذ حسين جلوخان.

وتم تنفيذ حكم الأعدام في ١٩٧٤/١٢/٥م.

كما صدرت أحكام بالسجن المؤبد وأحكام اخرىٰ علىٰ مجموعة كانوا مع الشهداء الخمسة في نفس القضية والفترة، وكنت مع الشهداء وصدر بحقي حكم بالسجن المؤبد[١].

ونتيجة هذه الاحداث الخطيرة قرر الامام الصدر وحرصاً على المرجعية والحوزة أن يصدر حكمه ولفترة محدودة بحرمة انتماء قسم من طلبة العلوم الدينية المرتبطين بجهاز المرجعية الصالحة بحزب الدعوة الإسلامية، وقد رفع (رضوان الله عليه) هذا الحكم عام ١٩٧٩م، وقد تحدث سماحة آية الله السيد كاظم الحائري عن هذا الموضوع في مقدمة كتابه (مباحث الاصول) حيث كتب يقول:

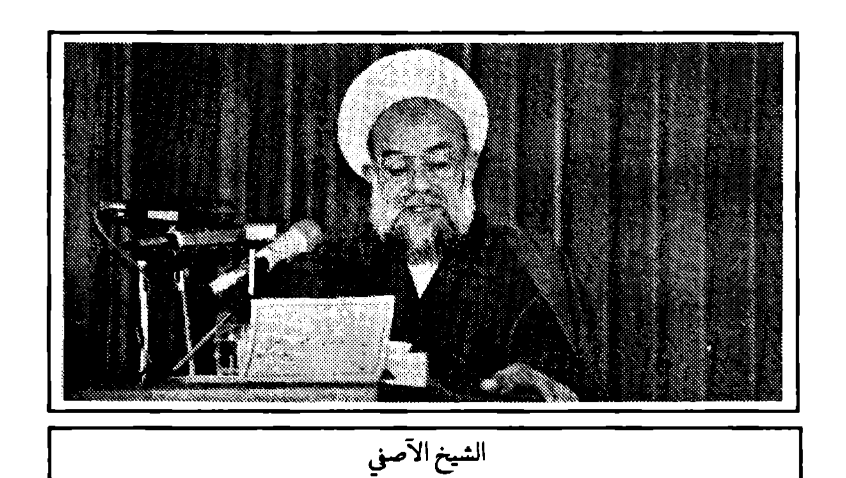
(حينما إعتقلت السلطة الكافرة في العراق ثلة من العلماء الأعلام وثلة من المؤمنين الكرام وكان بضمنهم الشهداء الخمسة: الشيخ عارف البصري وصحبه، وكان بضمنهم أيضاً السيد الهاشمي وكنت أنا وقتئذ في إيران، وأفرجت السلطة بعد ذلك عن جماعة منهم السيد الهاشمي وبقي جماعة آخرون في الاحتجاز، أصدر الاستاذ الشهيد رحمه الله كلمته المعروفة التي ذكر فيها فصل الحوزة العلمية كاملة عن العمل الحزبي وكان هذا بتاريخ ١٠ شعبان ١٣٩٤هـ، وكتبت بعدئذ رسالة إلىٰ أستاذنا الشهيد أستفسره فيها عما هو المقصود الواقعي عن هذه الكلمة فذكرت له أن المحتملات عندي أربعة:

أولا: أن يكون المقصود بهذه الكلمة لحاظ مصلحة في أصل ذكرها ونشرها كتقية (وعلىٰ حد تعبير علماء الاصول المصلحة في الجعل).

ثانيا: أن يكون المقصود بهذه الكلمة أولئك العلماء والطلاب المرتبطين بمرجعيتكم وان اقتضت المصلحة ابرازها علىٰ شكل العموم.

---

(١) راجع نص قرار الحكم في الملحق الوثائقي.



الشيخ الآصفي

ثالثا: أن يكون المقصود بهذه الكلمة فصل طلاب الحوزة العلمية في العراق عن العمل الحزبي درءً للخطر البعثي عنهم الذي يؤدي إلىٰ إبادتهم.

رابعا: أن يكون المقصود فصل جميع الحوزات العلمية في كل زمان ومكان عن العمل الحزبي الإسلامي (وعلى حد تعبير الاصولين تكون القضية حقيقية وليست خارجية). وعلىٰ الاحتمال الاخير يكون تعليق على هذه الكلمة: أن هذا الاجراء سيؤدي في طول الخط إلىٰ انحراف الحركة الإسلامية الحزبية عن مسار الإسلام الصحيح نتيجة لإبتعادها في أجوائهم الحزبية عن العلماء الاعلام.

فكتب لي (رضوان الله عليه) في الجواب: إني قصدت المعنى الأول والثاني والثالث دون الرابع)[١].

وحرصاً من الشهيد الصدر على الوضع العام لحزب الدعوة وحتّىٰ لا يفهم موقفه هذا علىٰ أنه موجه ضده، أبلغ الدعوة بالأسباب التي دعته إلىٰ إتخاذ هذا القرار، وبعث السيد عبد الكريم القزويني إلى الحج ليلتقي بالشيخ محمد مهدي الآصفي ويبلغه أن هذا الرأي ليس ضد الحزب، بل بداعي حفظ البقية الباقية

(١) آية الله السيد كاظم الحائري، مباحث الأصول، ص ١٠٠.

منهم [١].

لقد إعتبر الشهيد الصدر أن هذا الموقف وسيلة دفاعية للتغطية، ولمنع ايجاد مبرر للهجوم على الحوزة العلمية والعلماء المجاهدين الذين يمثلون قوة اساسية في التحرك الإسلامي وسط الأمة.

في تلك الظروف الحساسة كان التقليديون لايزالون يمارسون حربهم على الشهيد الصدر وحركته الإسلامية المباركة، ولم تؤثر فيهم كل تلك المآسي والمعاناة التي يعاني منها المجاهدون والرساليون في كل انحاء العراق، وعندما سمعوا بقرار الشهيد الصدر هذا، راح هؤلاء يصورون الموقف علىٰ أنه انتصار المرجعية التقليدية على المرجعية الحركية.

وقد حاول الشهيد الصدر لأكثر من مرة أن يزيل هذه التهم، فقد كان يدرك (رضوان الله عليه) أن عدم إستيعاب موقفه بالشكل الدقيق سوف يؤثر نفسياً وتنظيمياً على المنتمين لحزب الدعوة. وقد أرسل الحزب موفداً اليه لمناقشة نفس الموضوع، فكان مما قاله السيد الشهيد لموفد الحزب:

(أنا معكم ولا يمكن أن أتخلىٰ عنكم في يوم من الأيام.. وأنا أأسف لما يصدر من البعض في حقي). وكان (قدس سره) يشير إلىٰ أولئك الذين إستغلوا رأيه للتشهير به وبحزب الدعوة، أو الذين لم يستوعبوا موقفه من داخل الدعوة.

ومما قاله رحمه الله لموفد الحزب:

(أنا معكم والمرجعية لاتستغني عن الحركة، ولايمكن أن تؤدي رسالتها بدون الحركة، كما أن الحركة هي في حاجة إلىٰ من يسندها ويدافع عنها، ولايمكن للمحامي والمدافع إلّا أن يكون غير المتهم أو المخاصم.. فاستقلال المرجعية اليوم هو من صالح الحركة الإسلامية، ويجب أن يحصل التنسيق الدقيق بين المرجعية

---

(١) محمد الحسيني، الامام الشهيد محمد باقر الصدر، ص٢٣٩.

والحركة حتىٰ نفوّت الفرصة على هؤلاء الظالمين).

ثم تحدث السيد الشهيد عن الأسباب التي دعته إلىٰ إتخاذ موقفه قائلاً:

(أنا فكرت بعد وفاة السيد الحكيم (رضوان الله عليه) بأن المرجعية الموجودة ضعيفة وليست بالمستوى المطلوب، فلو ألقت السلطة القبض على السيد الصدر مثلاً ووجهت اليه تهمة الانتماء أو تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، فلا يمكن أن يدافع عن نفسه، والمرجعية كما قلنا غير قادرة على الدفاع عنا أو عن الحركة، فيمكن للحكومة الظالمة بواسطة عملائها أن توجه الدعاية ضدنا باسم الفئوية أو الحزبية، ومن ثم يُجهز على الحركة ويقضىٰ عليها)[1].

لكن الأوضاع في العراق لم تستقر، وكانت السلطة تطارد باستمرار أبناء الحركة الإسلامية وتمارس ضغوطها ورقابتها الصارمة علىٰ تحركات السيد الشهيد .ففي عام ١٩٧٥ أقدمت السلطة على اعتقال أعداد كبيرة من أبناء الحركة الإسلامية، وأودعتهم في عدة سجون كان أهمها معتقل الفضيلية في بغداد.

وفي أعقاب انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ زجت السلطة البعثية الظالمة بآلاف من ابناء الشعب العراقي في السجون وعرّضتهم إلىٰ مختلف صنوف التعذيب ثم أصدرت أحكام الاعدام علىٰ مجموعة منهم، وأحكام السجن المؤبد علىٰ آخرين.

إن كل تلك الاحداث لم تحرك التقليديين ولم تثر فيهم روح المواكبة والتعايش مع أبناء الحركة الإسلامية ومع قائدها الفذ السيد الصدر (قدس سره)، فقد ظلوا علىٰ منهجهم القديم في الابتعاد عن ساحات المواجهة وعن معارضة السلطة الكافرة، بل انهم لم يبدلوا موقفهم السلبي من الامام الصدر رغم كل مايقدمه من جهود وجهاد من أجل الإسلام وأبناء الإسلام.

وفي عام ١٩٧٩ كانت الأحداث في العراق تسير نحو التصعيد وكأنها على

---

(١) مجلة الجهاد، العدد ١٢.

موعد مع الانفجار، فالحركة الإسلامية بلغت مرحلة من القوة بحيث شكلت أحد مظاهر الحياة السياسية في العراق، كما أن الوعي الجماهيري الإسلامي كان قد انتشر بشكل واضح، بحيث كان الجيل الإسلامي يقلّد السيد الشهيد بشكل كمي ملحوظ. وظهرت في تلك الفترة محاولات لإثارة الفتنة في الوسط الإسلامي حول موضوع التقليد والمرجعية، لكن وعي الرساليين أحبط تلك الفتنة المفتعلة.

وعندما انتصرت الثورة الإسلامية المباركة في ايران بقيادة زعيم الامة الامام الخميني (رضوان الله عليه)، بادر الشهيد الصدر إلىٰ إعلان تأييده هذه الثورة العظيمة وعطل درسه احتفالا بهذه المناسبة. وقد تعرض موقف السيد الصدر المؤيد للثورة إلىٰ انتقادات من قبل البعض، لكنه (رضوان الله عليه) لم يتأثر بهذه الانتقادات وواجهها بالقول: (إن الواجب علىٰ هذه المرجعية وعلى النجف كلها أن تتخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلامية في ايران... ما هو هدف المرجعيات علىٰ طول التاريخ أليس هو اقامة حكم الله عزّوجل علىٰ الارض وها هي مرجعية الامام الخميني قد حققت ذلك، فهل من المنطق أن أقف موقف المتفرج ولا اتخذ الموقف الصحيح والمناسب حتّىٰ لو كلفني ذلك حياتي وكل ما أملك)[١].

هكذا كان يفهم السيد الصدر ثورة الامام الخميني العظيم، وهو انطلاقا من هذا الفهم قدم كل ما بوسعه من أجل دعم وتأييد الثورة الإسلامية المباركة في ايران، كما كان ذلك موقف مدرسته الحركية التي أسسها ورسم لها معالم الفكر والتحرك.. وظل يرعاها ويساندها لأنه يرىٰ فيها أمل الأمة كما قال ذلك (رضوان الله عليه) قبيل إستشهاده.

---

(١) الشيخ محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيام الحصار، ص٢٤٨.

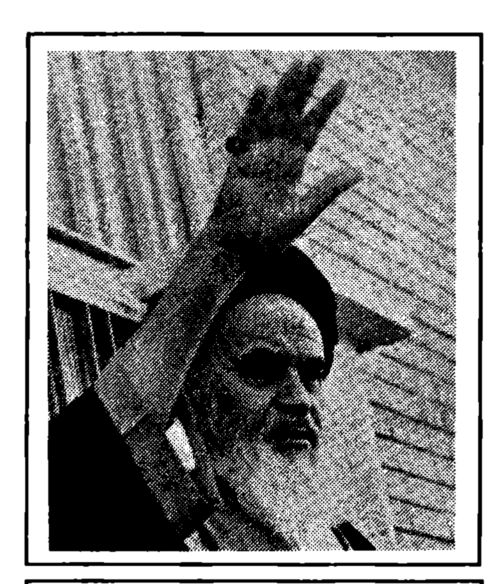
الفصل الخامس

المواجهة الدامية.. المرجع قائداً

عندما انتصرت الثورة الإسلامية في ايران في شباط ١٩٧٩م، حدثت أكثر من عملية تحول في وقت واحد.. فلأول مرة في التاريخ الإسلامي يقود مرجع شيعي ثورة جماهيرية ويؤسس دولة اسلامية يتولى قيادتها وفق نظرية ولاية الفقيه، وسط ردود فعل إقليمية ودولية مضادة نشطت بشكل سريع لرصد هذه الظاهرة الخطيرة التي صنعها الأمام الخميني (قدس سره). وقد شخّصت الدوائر الاستكبارية بأن هذه الثورة تمثل بادرة خطيرة في مستقبل المنطقة الإسلامية، ولا بد من منع تكررها في الساحات الإسلامية. وسرعان ما أصبح هذا الموقف هو الخط الاستراتيجي لحكومات المنطقة الإسلامية، وكان العراق هو الدولة الأولى التي إهتمت بهذا التحول باعتبارها المتماسة جغرافياً مع إيران، ويتحرك علىٰ ساحتها وبشكل سري حزب الدعوة الإسلامية الذي يحمل نفس توجهات المشروع الخميني في تقويض نظام الحكم في العراق وتأسيس دولة إسلامية.

وفي الوقت الذي إنتصرت فيه الثورة الإسلامية في ايران كان التحرك الإسلامي في العراق قد قطع أشواطاً طويلة من عمله التغييري وفرض نفسه على الساحة بشكل قوي، وهو ما كان واضحاً لدى السلطة البعثية من خلال المظاهر الإسلامية والحضور المكثف في الساحة الجماهيرية، اضافة إلىٰ معلوماتها حول التحرك الإسلامي منذ مجيئها للحكم عام ١٩٦٨م كما أشرنا إلىٰ ذلك في الفصل الرابع من هذا الباب.

لقد فهم النظام الحاكم في العراق أن تجربة الثورة الإسلامية في إيران ستتكرر في العراق، فإذا كانت المرجعية الدينية الثورية في ايران والمتمثلة بالامام الخميني قد حققت مشروعها الثوري وأسست الدولة الإسلامية، فان المرجعية الحركية في العراق والمتمثلة بالسيد الصدر ستحقق هذا المشروع إذا ظلت الأمور تسير علىٰ وضعها المألوف. بل أن السلطة البعثية تصورت أن الحكم الإسلامي في ايران سيقدم دعمه للحركة الإسلامية في العراق من أجل تسهيل مهمة تقويض نظام الحكم البعثي وإقامة الدولة الإسلامية، وذلك من خلال ما كان يطرح صراحة في أجهزة الاعلام الايرانية وبشكل مكثف وساخن. هذا بالاضافة إلىٰ أن التوجه المبدأي للحركة الإسلامية في العراق كان واضحاً في إرتباطه العقائدي مع الامام الخميني (قدس سره)، وهو ما يجعل المخاوف السلطوية تصل إلىٰ ذروتها.



الإمام الخميني (قدس سره)

في تلك الظروف واجه النظام الحاكم أزمة داخلية حادة، حيث ظهرت الصراعات بين مراكز القوى، وكان صدام يحاول إبعاد كل منافسيه عن السلطة. وفي الوقت نفسه كانت محاولة ضرب التحرك الإسلامي تتطلب من وجهة النظر الغربية إجراء تعديل أساسي في هيكلية النظام من أجل أن يكون قادراً على القيام بمهمة ضرب الحركة الإسلامية في العراق، والقضاء على محتملات إقامة حكومة إسلامية.



أحمد حسن البكر

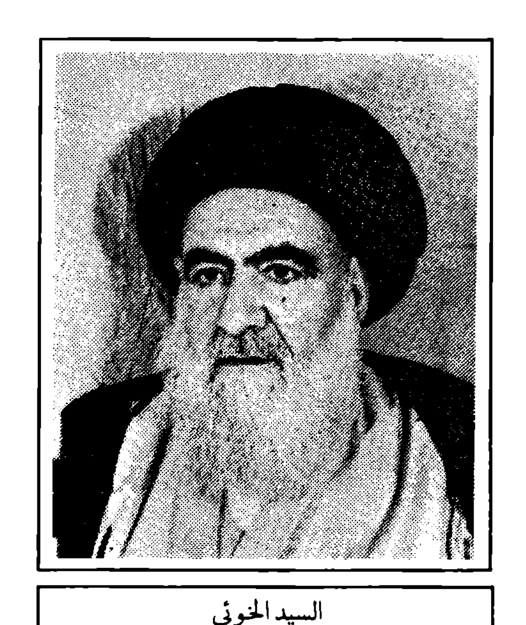
وقد تمت هذه الإجراءات بشكل مفاجئ في ١٧ تموز ١٩٧٩م حيث تمت تنحية أحمد حسن البكر عن رئاسة السلطة، وتسلم صدام حسين كافة مناصبه. ثم اعقب ذلك حملة تصفيات شملت فيها أحكام الاعدام العديد من رجال النظام البارزين من وزراء وأعضاء في القيادتين القطرية والقومية للحزب الحاكم..وأتذكر أنني كنت مع الشهيد الشيخ حسين معن في محل إختفائنا في النجف الاشرف، نستمع إلىٰ خطاب البكر وهو يتنازل عن السلطة لصدام، فعلق الشهيد (رضوان الله عليه) بقوله: إن العراق مقبل علىٰ فترة دموية.

لقد أراد صدام حسين أن يتخلص من جميع المنافسين، وأن يقضي على كل رجل لا يخضع لإرادته، وإستطاع أن يمسك بيده كل مراكز القوة ومؤسسات النظام الأمنية والمخابراتية، وأن يكون الحاكم المطلق في السلطة.

وبعد أن إستكمل صدام ترتيبات الجهاز الحاكم بدأ المهمة الحقيقية في حكمه وهي القضاء على الحركة الإسلامية والمرجعية الدينية في العراق. ومن هذه النقطة بدأت المواجهة الدموية التي استخدم فيها النظام كل أساليبه وإمكاناته الارهابية ضد أبناء الحركة الإسلامية[1].

---

(١) راجع كتابنا: أزمة العراق..رؤية من الداخل، الفصل الثاني.



السيد الخوئي

المرجع الصدر يقود المعارضة

في تلك الفترة الحساسة من تاريخ العراق ومن مسيرة الحركة الإسلامية، كانت زعامة المرجعية لآية الله العظمى السيد الخوئي (قدس سره)، ثم يليه الأمام الشهيد الصدر. وكان السيد الخوئي لا يتدخل في الشؤون السياسية ويرىٰ أن دوره ينحصر في الحفاظ علىٰ الحوزة العلمية .لذلك لم تجد الحركة الإسلامية الدعم الذي كانت تحظىٰ به علىٰ عهد الامام السيد الحكيم (قدس سره)، في الوقت الذي كانت فيه الظروف السياسية تستدعي موقفاً مباشراً من قبل المرجعية، تتصدىٰ فيه لقيادة التحرك الإسلامي وتمارس دورها بقوة وسط الأحداث.

ومع إبتعاد الامام الخوئي عن السياسة وكذلك بقية المراجع في النجف الأشرف، بقي السيد الصدر وحده الذي يقف في مواجهة الأحداث، في حين كان الوضع العام يتطلب موقفاً موحداً من قبل مراجع الدين وكبار العلماء في الحوزة الدينية ضد السلطة الظالمة في بغداد.

لقد إستفاد نظام صدام من هذه الحالة إلىٰ أبعد الحدود، فقد وجد أن مشكلته مع القيادة الدينية الشيعية تنحصر بالسيد الصدر وحده، وأن التحرك الإسلامي سيتعرض إلىٰ ضربة قاصمة فيما لو تمكن من إيجاد حاجز بينه وبين المرجعية القائدة المتمثلة في الامام الصدر.

وفي الحقيقة فان هذه النظرة تمثل المرتكز الثابت في السياسة الاستكبارية وفي تخطيط الحكومات العميلة لها، فقد مرّ بنا في فصل سابق من هذا الكتاب أن السياسة البريطانية في العراق وجدت أنها لا يمكن أن تحقق أغراض سياستها ما لم تعزل المرجعية القائدة عن التحرك الجماهيري، وقد لجأت إلىٰ نفي مراجع الدين من العراق لتحقيق هذا الهدف، وإستطاعت بعد ذلك أن تنفذ مشاريعها السياسية في العراق. كما سارت على هذا التخطيط حكومة الشاه في إيران. وبشكل عام فان محاربة المرجعيات الحركية هو هدف الدوائر الاستكبارية، لأنها تمثل القيادة الحقيقية للحركات الإسلامية، ومصدر الوعي الجماهيري الذي يدفع بالأمة لمواجهة المشاريع المعادية للاسلام.

التلاحم الجماهيري مع مرجعية الامام الصدر

لم يكن من الممكن القيام بأي عمل مؤثر ما لم يحدث التلاحم الحقيقي بين الأمة وبين المرجعية، وقد كانت العلاقة بين الأمة وبين المرجعية خلال الفترة التي سبقت تلك الأحداث، لاتحمل معنىً مؤثراً إلّا ما يتصل بالمسائل الفقهية التي يرجع فيها المقلِّد إلىٰ مرجعه.

وقد كان الامام الصدر يدرك ضعف العلاقة بين الأمة والمرجعية وآثارها السلبية على الوضع الإسلامي العام، فمع غياب الترابط الوثيق بين المرجعية والأمة لا يمكن القيام بدور مؤثر في حركة الأحداث.. وفي المقابل فأن هذا الوضع يصب في صالح السلطة لأنها من خلال هذه الفاصلة تستطيع أن توجه ضربتها للمرجعية وللتحرك الإسلامي الجماهيري بعد أن ترى تفكك الجسم الإسلامي وعدم وجود ترابط حركي بين القيادة وبين الأمة. لذلك كان (رضوان الله عليه) يفكر بالاسلوب الذي يجب إعتماده لربط الأمة بالمرجعية من أجل أن تكون مهيأة للسير خلفها عند المواجهة، كما أنه (قدس سره) كان يريد أن تفهم



الشهيد الصدر (قدس سره)

السلطة الحاكمة أن المرجعية تقف وراءها قاعدة جماهيرية ضخمة، ليشكل ذلك رادعاً بوجه مخططاتها العدوانية.

وعلىٰ هذا الأساس تم الاتفاق بين الشهيد الصدر وبين قيادة حزب الدعوة الإسلامية على القيام بارسال الوفود الجماهيرية من مناطق العراق المختلفة إلى النجف الأشرف لتعلن عن بيعتها للامام الصدر قائداً ومرجعاً تلتزم بالانضواء تحت لوائه من اجل الإسلام.

بدأ تنفيذ هذا البرنامج في شهر رجب ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) حيث أخذت وفود البيعة تتوافد علىٰ مدينة النجف الأشرف بعزم ثوري صادق، وأصبح منزل السيد الشهيد مهوىٰ قلوب السائرين في خط الجهاد والثورة. فكانت المواكب الجماهيرية الحاشدة تقف بين يديه (قدس سره) وهي تهتف بحياته وتعلن صراحة إنضوائها تحت لوائه وإستعدادها للإمتثال لأمره وأنها رهن إشارته.

كنت في تلك الفترة وكيلاً للسيد الشهيد في منطقة «جديدة الشط» وهي مدينة صغيرة تقع علىٰ نهر دجلة أقرب إلىٰ بغداد منها إلىٰ بعقوبة، تقابلها في الضفة الأخرىٰ منطقة الطارمية شمال بغداد. وفي الساعة السادسة مساءً بلغتني التعليمات القاضية بالتوجه إلى النجف الأشرف في اليوم التالي لمبايعة الامام الصدر.

بعد صلاتي المغرب والعشاء تحدثت كالعادة حديثاً عاماً وقلت في ختام

الحديث إننا سنتوجه صباح اليوم التالي ان شاء الله إلى النجف الاشرف للمثول بين يدي الامام الصدر ومعاهدته ومبايعته على الولاء والطاعة باعتباره قائدنا الذي نقلده في أمور ديننا ودنيانا. ثم عقدت إجتماعاً خاصاً مع بعض الاخوة لترتيب مستلزمات التحرك. وفي اليوم التالي توجهنا إلى النجف في موكب جماهيري حافل، وعندما اجتزنا مدينة الحلة كتبت بعض الابيات وأخذنا بترديدها ونحن متجهون إلىٰ منزل المرجع القائد السيد الصدر أتذكر منها الابيات التالية:

يافقيه العصر ياسيدنا   يا أبا جعفر يا قائدنا
نحن جند لك دوماً أُمنا   وستبقىٰ عبقرياً رائدا

وصلنا إلىٰ منزل الامام الصدر وكانت الحشود الجماهيرية تزدحم أمام مرجعها القائد، تعلن له عن مبايعتها له والسير تحت لوائه. وكان (رضوان الله عليه) يفيض حباً ورعاية وهو يلقي بكلماته التوجيهية لأبنائه المجاهدين.. ولشدة الموقف والزحام ألقيت كلمة تعريفية مختصرة بين يديه حول وفد جديدة الشط، وعن مبايعتنا له مرجعاً وقائداً لمواصلة الطريق الصعب من أجل الإسلام وقضيته العادلة.

كما كانت الوفود الجماهيرية تتوافد علىٰ منزل الامام الصدر من مختلف مناطق العراق، وتحولت مدينة النجف الأشرف إلىٰ ميدان ثوري ضخم يضم جماهير السائرين في خط الثورة، وكانت المدينة في الوقت نفسه تزدحم بقوات الأمن وأجهزة المخابرات الحكومية، وهي تعيش الخوف والقلق من هذا الغليان الجماهيري الصاخب.

كان الامام الصدر وهو يخطب في جموع الجماهير، يؤكد لهم أنه سيسير في خط الجهاد حتّى النهاية، وأنه لن يتراجع عن نصرة قضية الإسلام ما دام فيه عرق

ينبض. فقد كان يقول (رضوان الله عليه):

(أنتم إخوتي وأبنائي ولن أبرح مكاني حتّىٰ أجاهد معكم حتّى النفس الأخير، أعاهدكم أحبتي انني سأحذوا حذو جدي الحسين)[١].

لقد كان (رضوان الله عليه) يريد أن يعلم الجميع أن قضية الإسلام فوق كل إعتبار، وأن المرجع هو الذي يعيش هموم أمته ويقف في مقدمة الصفوف مدافعاً عن قضية الإسلام، فيعطيها القوة والثقة.. ويتحمل قبل كل فرد من أفرادها مسؤولية الجهاد حتّىٰ ولو كلفه ذلك حياته. فلقد كان (رضوان الله عليه) يحاول أن يزرع في ضمير الأمة صورة الجهاد الحقيقي، وأن يرسم الموقف المطلوب للمرجعية باعتبارها القيادة الشرعية للأمة. فالمرجعية مسؤولية كبرىٰ لا بد لمن يتصدىٰ لها أن ينهض بهذه المسؤولية في الظروف التي يحتاجها الإسلام، وهذا ما جسده الامام الخميني (قدس سره).. وجسده الامام الصدر (رضوان الله عليه).. وجسده عدد من مراجعنا (طاب ثراهم) في فترات تاريخية مختلفة.

بعد أن وجد الامام الصدر أن الوفود الجماهيرية حققت أغراضها، وأظهرت قوة الارتباط المبدأي بين المرجعية الدينية وبين الأمة، قرر (رضوان الله عليه) أن تتوقف الوفود حفاظاً علىٰ أبناء الأمة من إنتقام السلطة، فهم رصيد الثورة ومادتها الأساسية. وتوقفت الوفود لكن السلطة لم تتوقف عن إجراءاتها الانتقامية. وكان طبيعياً بالنسبة لها أن تركز ضغطها على القائد الصدر.

في ١٧ رجب ١٣٩٩هـ اقدمت السلطة على إعتقال المرجع الشهيد من منزله في النجف الأشرف، لكن رد الفعل الجماهيري كان سريعاً وقوياً، فقد إنطلقت في مدينة النجف الأشرف تظاهرة جماهيرية تهتف بحياة السيد الصدر وتندد بالسلطة الحاكمة.. كما خرجت تظاهرات جماهيرية اخرىٰ في مناطق مختلفة من

---

(١) مجلة الجهاد، العدد ١٦.

العراق.

وقد كان للشهيدة بنت الهدىٰ (رضوان الله عليها) الأثـر الكـبير في تـوجيه الأحداث في مدينة النجف الأشرف، فقد وقفت بصلابة وقوة أمام قوات الأمن وخاطبتهم بشجاعة قل نظيرها:

(انظروا ان أخي وحده بلا سلاح بلا مدافع بلا رشاشات..

أما انتم فبالمئات مع كل هذا السلاح،

هل سألتم انفسكم لم هذا العدد الكبير ولم كل هذه الأسلحة

أنا اجيب.. والله لأنكم تخافون.. ولأن الرعب يسيطر علىٰ قلوبكم،

والله انكم تخافون لأنكم تعلمون أن أخي ليس وحده، كل العراقـيين مـعه، وقد رأيتم ذلك باعينكم، وإلّا فلماذا تعتقلون فـرداً واحـداً لا يمـلك جـيشاً ولا سلاحاً بكل هذا العدد من القوات).

وإستمرت الشهيدة بنت الهدىٰ في خطبتها الشجاعة هذه أمام القوات البعثية المدججة بالسلاح، وقد أثارت خطبتها خوف هذه القوات فتفرق أزلام السلطة في الأزقة.

ولم تقف الشهيدة الكبيرة بنت الهدىٰ عند هذه الخطبة فقط، بل أنها توجهت إلىٰ ضريح الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث ألقت هناك خطبة ثانية اشد حماساً وتأثيراً من الأولىٰ قالت فيها:

(الظليمة الظليمة..

ياجداه..يا أمير المؤمنين..لقد إعتقلوا ولدك الصدر..

ياجداه.. إني اشكو إلىٰ الله وإليك ما يجري علينا من ظلم واضطهاد.

أيها الشرفاء المؤمنون هل تسكتون وإمامكم يسجن ويعذب

ماذا ستقولون غداً لجدي أمير المؤمنين إن سألكم عن سكوتكم وتخاذلكم إخرجوا وتظاهروا واحتجوا..)[١].

كان للموقف الجماهيري الذي وقفه أبناء السيد الصدر وإعلان تنديدهم وسخطهم على السلطة، أثره البالغ علىٰ موقفها، فقد خشيت السلطة الحاكمة أن يتفجر الوضع العام إذا إستمر إعتقال السيد الصدر لذلك إضطرت إلىٰ الافراج عنه سريعاً. لكن الموقف أصبح غير قابل للتراجع من قبل الطرفين، فالسلطة البعثية كانت ترىٰ أنها تواجه أخطر مرحلة في تاريخها السلطوي ولا بد من توجيه ضربة قاضية للحركة الإسلامية وللمرجعية الدينية القائدة.. والحركة الإسلامية كانت ترىٰ أنها تخوض مرحلة مصيرية في مسيرتها وأن التراجع خطوة واحدة يعني الموت إلىٰ الأبد.

الصدر وحيداً

كانت الأحداث تتصاعد بشكل خطير، لكن نقطة ضعف قاتلة إستفادت منها السلطة البعثية في توجيه ضربتها للثورة الإسلامية المشتعلة في العراق، تلك هي عدم وقوف مراجع الدين في النجف الاشرف إلىٰ جانب السيد الشهيد، بحيث تشكل المرجعية الدينية موقفاً تضامنياً موحداً ضد النظام الحاكم في العراق. فلقد ترك مراجع الدين السيد الشهيد لوحده يواجه الأحداث دون أن يصدر منهم موقف يشير إلىٰ تأييدهم له أو يُشعر السلطة أنهم غير راضين على ما يتعرض له من مضايقة وضغط من قبلها.

إن الموقف الذي كانت تستند عليه المرجعية في تلك الفترة في الإبتعاد عن الأحداث السياسية، وعدم تسجيل موقف لصالح الثورة الإسلامية في ايران، لم

---

(١) الشيخ محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر، ص٢١٦، ٢٢٠.

يكن مبرراً بأي شكل من الاشكال، وهذا ما عبّر عنه الامام الصدر بقوله:

(إن الواجب علىٰ هذه المرجعية وعلى النجف كلها أن تتخذ الموقف المناسب والمطلوب تجاه الثورة الإسلامية في ايران... ما هو هدف المرجعيات على طول التاريخ أليس هو إقامة حكم الله عزوجل علىٰ الأرض وها هي مرجعية الامام الخميني قد حققت ذلك، فهل من المنطقي أن أقف موقف المتفرج، ولا أتخذ الموقف الصحيح والمناسب حتّىٰ لو كلفني ذلك حياتي وكل ما أملك)[1].

إن كلام الامام الصدر يشير بما لا يقبل الشك أن المراجع الذين إلتزموا الصمت، قد خالفوا الخط الصحيح للمرجعية، وهم بموقفهم الصامت عطّلوا الدور الحقيقي للمرجعية التي تسعى على طول التاريخ إلىٰ إقامة حكم الله في الأرض كما قال السيد الشهيد.

ونستطيع من خلال كلام السيد الشهيد الصدر أن نفهم أنه يرىٰ أن المرجعية الحقيقية هي التي تسعى لإقامة الحكم الإسلامي كهدف أساس لتحركها وعملها، باعتبارها القيادة الشرعية للأمة التي تتحمل هذه المسؤولية الكبيرة، وأنها إذا ما تنازلت عن هذا الهدف فانها ستفقد الصفة الحقيقية للمرجعية المطلوبة.

إن السلطة الظالمة إضطرت إلىٰ إطلاق سراح السيد الشهيد لأنها أدركت خطورة الموقف بعد أن حدثت إنتفاضة رجب البطولية، وفي الوقت نفسه كان حزب الدعوة الإسلامية يقوم بعمليات جهادية شجاعة وجريئة ضد مؤسسات ورجال النظام الحاكم بشكل يومي، كما أن هناك مجاميع جهادية كانت تمارس العمل المسلح بصورة متحمسة مستقلة. الأمر الذي جعل السلطة تتخوف من القيام بخطوة تصعيدية ضد المرجع القائد لأنها أدركت بما لا يقبل الشك أن الرد

---

(١) الشيخ محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر، ص٢٤٨.

الإسلامي سيأتي سريعاً وقوياً.

وعلىٰ هذا فقد كانت الأحداث بمحنتها القاسية تتصل بالمرجع القائد الصدر وبالحركة الإسلامية، أما مراجع النجف وأساتذة الحوزة العلمية فقد كانوا غير معنيين بما يحدث، وكأن الذين يقتلون ويعّذبون في سجون النظام ليسوا من أبناء الإسلام الذين يدخلون ضمن مسؤوليتهم..

لقد وجدت السلطة الظالمة في ضوء هذا الواقع أن قيادة التحرك الإسلامي منحصرة بالسيد الصدر، فهو المرجع الوحيد الذي أيد الثورة الإسلامية في ايران، ويتصدىٰ وحده لقيادة الثورة الإسلامية في العراق، أما بقية المراجع وأساتذة الحوزة فقد ضمنت السلطة موقفهم، وتأكدت أنهم لن يخرجوا عن صمتهم مهما كانت حملتها شرسة ومهما قامت من أعمال إرهابية بحق السيد الصدر ووكلائه الحركيين وابناء الحركة الإسلامية المجاهدين. وهذا ما جعلها تفكر بعزل السيد الصدر عن قواعده المجاهدة وعن عامة الشعب العراقي، لتمنع تأثيره في رفد ورعاية وتوجيه حركة الثورة المتصاعدة في العراق.

كانت محاولة العزل تتمثل في فرض الإقامة الجبرية على المرجع الصدر، بشكل خانق، فبعد أن أعادته إلىٰ منزله يوم ١٧رجب ١٣٩٩ هـ منعت دخول وخروج أي فرد من أفراد أسرة السيد الشهيد، كما منعت دخول أي شخص إلىٰ منزله بما في ذلك خادمه الشخصي الذي كان يتولى مهمة توفير المواد الغذائية لعائلة السيد الصدر. وكان هذا الإجراء يعني حظراً كاملاً حتّى الموت. كما تم قطع الماء والكهرباء والهاتف عن المنزل وبذلك عاش الامام الصدر عزلة تامة عن الشارع وعن كل ما يجري خارج منزله.

يقول الأخ الشيخ محمد رضا النعماني ـ وهو الوحيد الذي ظلّ مختفياً في منزل السيد الصدر ـ في كتابه:

(ولم تنجح خطة الحصار الغذائي بعد أن إنتشر خبرها وشاع بين الناس، فقد واجهت السلطة ضغطاً لا من المرجعية، ولا من الحوزة، بل من الشباب وعامة المؤمنين الذين ملأوا الجدران بالشعارات، وبالمناشير التي توزع بسرية، وتندد بالحصار الغذائي مما إضطر السلطة إلىٰ فك الحصار، فسمحت للحاج عباس ـ الخادم الشخصي للسيد الشهيد ـ بايصال الغذاء يومياً ولكن في رقابتها، وكان شرطي الأمن يرافقه كظله في السوق، ولا يسمح له بالكلام مع عائلة السيد الشهيد فكان يستلم ورقة صغيرة كُتبت عليها إحتياجات العائلة من المواد الغذائية فيقوم بشرائها تحت إشراف الأمن)[1].

لم تتخذ المرجعية وكبار علماء الدين في الحوزة العلمية أي موقف مضاد للسلطة، ولو في مستويات محدودة، من أجل أن تعبّر للسلطة عن رفضها لفرض الحجز على السيد الصدر، وبقي الصمت هو الموقف العام لها. لكن جهاد أبناء الحركة الإسلامية ظل يتواصل بشكل تصاعدي مما أحدث مشكلة خطيرة لأجهزة الدولة الأمنية، فلم يكن بمقدورها رغم الارهاب الوحشي الذي كانت تستخدمه أن تمنع العمليات الجهادية أوحتّىٰ أن تقلل من قوة الإندفاع الثوري لأبناء الحركة الإسلامية.

حاولت السلطة أن تخفف من أزمتها بأن تفاوض السيد الشهيد على التنازل عن مواقفه المؤيدة للثورة الإسلامية ولحزب الدعوة الإسلامية، مقابل رفع الحجز والسماح له بممارسة حياته الطبيعية من جديد. لكنه (رضوان الله عليه) رفض ذلك بشدة وظل علىٰ موقفه المبدأي بكل قوة وإصرار. لأنه لم يكن يفكر بوضعه الشخصي، بل كان همه الأول والأخير هو نصرة القضية الإسلامية، وكان (قدس سره) علىٰ كامل الاستعداد أن يضحي بكل ما يملك من أجل قضية

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٨١.

الإسلام، ولا أدل علىٰ ذلك من أنه كان يرىٰ أن إستشهاده يمثل عامل دفع وتحفيز للتحرك الجماهيري، لذلك كان يخطط ليحول إستشهاده إلىٰ مشروع ثوري وقضية تاريخية تدفع الأمة إلىٰ مواصلة الثورة والجهاد من أجل إقامة الحكم الإسلامي، ولقد أعلن عن ذلك في إحدىٰ نداءاته التي أعلنها للشعب العراقي بأنه صمم على الشهادة.

في تلك الأجواء الملتهبة كان حزب الدعوة الإسلامية يكثف نشاطه الجهادي المسلح ضد رموز وأجهزة ومؤسسات الحكومة الظالمة، وكان التنظيم قد تحول إلى العمل المسلح بكامله. ورغم أن المشكلة الكبيرة التي واجهت الحزب هي تصدع الارتباط التنظيمي نتيجة الاعتقالات الواسعة التي شنتها الأجهزة الأمنية في مختلف مناطق العراق والتي طالت عدداً كبيراً من الكوادر، الأمر الذي كان يؤدي إلىٰ إنقطاع الخطوط التنظيمية عن قياداتها، رغم هذه المشكلة الحقيقية، إلّا أن أفراد حزب الدعوة الإسلامية انطلقوا من الخط العام للمرحلة ومن التوجيهات الثابتة التي كان قد أعلنها الحزب لأفراده، في ممارسة نشاطاتهم الجهادية. وقد برع أبناء الحزب في تدارك الظروف الطارئة، حيث كانت بعض الخطوط التنظيمية تعيد تشكيلاتها بعد فترة وجيزة من تقطعها. وقد ساهمت هذه النشاطات في إبقاء الحزب متماسكاً ومتواصلاً مع قواعده. وفوت على السلطة محاولة إحداث الشلل في تشكيلاته وخطوطه التنظيمية.

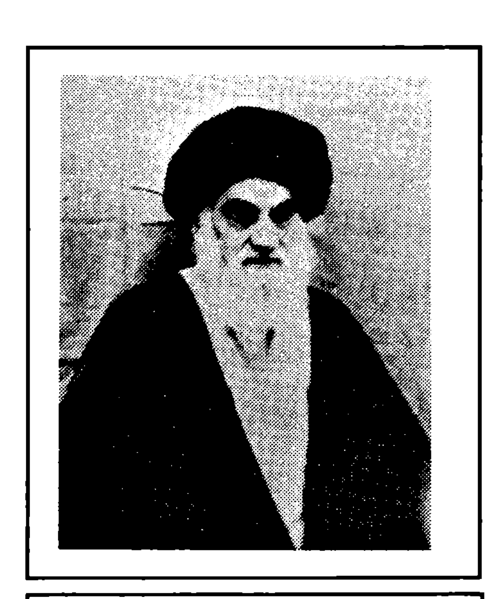
لم تكن المواجهة متكافئة بأي شكل من الأشكال، ولم يكن حزب الدعوة الإسلامية قد إستعد بصورة كافية لمثل هذه المواجهة، لكن الأحداث كانت تفرض دخول مرحلة المواجهة وخوض الصراع مع السلطة، ولو تردد الحزب في قرار الثورة لكانت النتائج على قدر كبير من السلبية، ولإنعكست آثارها على الواقع الإسلامي في العراق بشكل يصعب تداركه، حيث كان نظام الحكم قد قرر أن يوجه ضربة نهائية لكل الوجود الإسلامي الحركي في العراق.

كان حزب الدعوة الإسلامية يسعىٰ بكامل جهده إلىٰ تحويل المواجهة المسلحة ضد نظام الحكم إلىٰ حالة جماهيرية عامة يشترك فيها الشعب بكل قطاعاته وطبقاته، ولا تكون مقتصرة على الحركة الإسلامية وحدها. ولذلك كان يخطط من خلال عملياته الجهادية والاعلامية إلىٰ كسر جدار الخوف الذي فرضته السلطة على الشعب العراقي عبر إجراءاتها الارهابية منذ مجيئها إلى الحكم عام ١٩٦٨م، وقد كان هذا هو ما يتمنىٰ الامام الصدر أن يتحقق في الساحة العراقية. ولقد حدثت إستجابة مشهودة في قطاعات عديدة من أبناء الأمة، حيث كانت تتشكل مجاميع جهادية مستقلة تمارس نشاطات معارضة مختلفة دون توجيه من أي قيادة إسلامية، لأنها وجدت أن الواجب يتطلب إتخاذ موقف عملي من أجل القضية الإسلامية.

لكن المشكلة كانت تكمن في الموقف الصامت للمرجعية وكبار اساتذة الحوزة العلمية، حيث كان هذا الصمت يؤثر سلبياً علىٰ إندفاع قطاعات الأمة باتجاه الثورة، كما أنه كان يمنح السلطة بصورة وبأخرىٰ إمكانية تصعيد ممارساتها الارهابية ضد التحرك الإسلامي وقائده الامام الصدر، لأنها تجد أن القيادة الدينية لا تعكس موقفاً موحداً ولا تمثل وجوداً واحداً.

أرادت السلطة أن تخفف من حجم الأزمة التي تواجهها، فقررت رفع الحجز عن السيد الشهيد. ولعلها أرادت أيضاً أن تكتشف بصورة قاطعة الموقف الإسلامي العام من المرجع القائد السيد الصدر، وحجم التلاحم بعد فترة الحجز، وذلك تمهيداً لإتخاذ مواقف قادمة.

وقد أراد الامام الصدر أن يتحول رفع الحجز إلىٰ أمر واقع وأن يحدث الاتصال بينه وبين الأمة بصورة مباشرة، من أجل أن تستمر الحالة الثورية في العراق تحت قيادته، وهذا ما كان يتطلب مبادرة المراجع وكبار العلماء وأساتذة الحوزة إلىٰ زيارة السيد الصدر، لكي تدرك السلطة أن المرجع الصدر ليس



السيد عبد الأعلىٰ السبزواري

وحيداً، وأن المـرجـعية والحـوزة متضامنة معه. لكن هذا لم يحـدث وكان المـرجـع الوحـيد الذي زار السيد الشهيد هو المغفور له آية الله العـظمى السـيد عـبد الأعـلى السبزواري (قدس سره)[١].

لقـــد أدركت الســـلطة أن المرجعية والحوزة الدينية لا تـقف مع السيد الصدر، وأنه الوحيد في هذا الوسط الذي يتصدى لقـيادة حـــركة المـــعارضة والثـــورة الإسلامية ضدها. وكانت هذه النتيجة لها دلالاتها الخطيرة على الواقع الحرج في تلك الفترة، فهي تعني أن السلطة لو أقدمت على إعدام المـرجع القائد فـإنها لن تواجه ردة فعل من قبل المراجع والحوزة الدينية... كما أنها لو اعـدمت السـيد الصدر فإن الحركة الإسلامية ستفقد قيادتها ولن يملأ الفراغ القيادي مرجع آخر من المراجع الموجودين في العراق. وقد كان تـقدير السـلطة دقـيقاً كـما أثـبتت الأحداث فيما بعد.

فاجعة العصر

بعد أن وجدت السلطة عدم وجود تلاحم بين السيد الصدر وبقية المـراجـع واساتذة الحـوزة، عادت إلىٰ فرض الحجز وبصورة أكثر صرامة مـن الســابق،

(١) الشيخ محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر، ص٣٠٢.

وكانت في هذه المرة تمهد إلىٰ تنفيذ جريمتها في إعدام الامـام الصـدر. لكـنها في الوقت نفسه كانت تدرك خطورة هذه الخـطوة، لا سـيما وأن حـركة المـعارضة المسلحة لم تهدأ أبداً بل كانت تتصاعد مع كل يوم جديد.

حاولت السلطة قبل أن تقدم علىٰ جريمتها أن تتفاوض معه من أجل الحصول علىٰ بعض التنازلات في مواقفه المتبنية لحزب الدعوة الإسلامية والمؤيدة للثورة الإسلامية في ايران، مع إغراءات كبيرة تقدمها السلطة له في حالة موافقته، لكنه (قدس سره) رفض كل تلك الشروط والعروض وأصر علىٰ مـوقفه المـبدأي، رغم علمه الكامل بأن هذا الموقف يعني الاعدام لا غير كما كـان يخـبره بـذلك موفدو السلطة بشكل صريح وقاطع[١].

لقد كان الامام الصدر يـدرك بـوضوح لا يـقبل الشك أن أي مـصالحة مـع السلطة الحاكمة في العراق، وأي تراجع عن قرار الثورة مهما كان محدوداً، فـانه يعني مصادرة جهاد الحركة الإسلامية، وتمكين السلطة من القضاء نهـائياً عـلى التحرك الإسلامي في العراق، لذلك رفض (رضـوان الله عـليه) كـل العـروض وواجه السلطة بالموقف المبدأي الثابت الذي كان ينطلق من قوة الايمان ووضوح الرؤية والحرص الكامل علىٰ الإسلام وقضاياه الكبرىٰ.

قبل إقدام النظام علىٰ قتل الامام السيد الصدر، أصدر أبشع قـرار في تـاريخ العراق وذلك في ٣١ آذار ١٩٨٠م، والذي يقضي بـاعدام كـل مـن يـنتمي إلىٰ حزب الدعوة الإسلامية، وكل من يحمل أفكاره ويروجها أو يـتعاطف مـعها، وتسري أحكام القرار بأثر رجعي[٢].

---

(١) حول هذه الفترة من حياة الامام الشهيد راجع كتاب الشيخ النعماني، الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيام الحصار.

(٢) ينص قرار الاعدام على ما يلي:

←

بعد إصدار هذا القرار أقدمت السلطة علىٰ جريمتها النكـراء بـإعدام الامـام الصدر (رضوان الله عليه) في ٨ نيسان ١٩٨٠م، مع إخته العالمة الفاضلة الشهيدة بنت الهدىٰ (رضوان الله عليها). وبذلك خـسرت الحـركة الإسـلامية قـائدها ورمزها ومرشدها، وخسرت الأمة الإسلامية فكـره العـملاق وعـطاءه الفـذ وهديه العظيم، لقد كانت شهادته بحق هي الفاجعة الكبرىٰ في التاريخ الإسلامي المعاصر.

لقد قدّم الامام الصدر النموذج الأمثل للمرجع الديني الذي يعيش هموم الأمة بكل وعي وعمق وتفهم، فلم يكن يرىٰ نفسه خارج دائرة الأمة، بل كان يعيش داخلها وفي مواجهة التحديات التي تتعرض لها، فيقف في الصف الأول مدافـعاً ومضحياً.. ولا أدل علىٰ ذلك من تصميمه قدس سره على الشهادة في سبيل الله من أجل نصرة قضية الإسلام في العراق، كما قال ذلك في بيانه التاريخي الثـاني الذي وجهه إلى الشعب العراقي.

← (إستناداً إلىٰ أحكام الفقرة(أ) من المادة الثانية والأربعين من الدستور المؤقت قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٨٠/٣/٣١م ما يلي:

لما كانت وقائع التحقيق والمحاكمات قد أثبتت بأدلة قاطعة أن حزب الدعوة هـو حـزب عـميل مـرتبط بالأجنبي وخائن لتربة الوطن ولأهداف ومصالح الأمة العربية، ويسعى بكل الوسائل إلىٰ تقويض نظام حكم الشعب ومجابهة ثورة ١٧ تموز مجابهة مسلحة، لذلك قرر مجلس قيادة الثورة تطبيق أحكام المادة ١٥٦ من قانون العقوبات بحق المنتسبين إلى الحزب المذكور مباشرة أو العاملين لتحقيق أهدافه العـميلة تحت واجهات أو مسميات أخرى.

ينفذ هذا القرار على الجرائم المرتكبة قبل صدوره والتي لم يصدر قرار بإحالتها على المحاكم المختصة)

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

ويذكر أن المادة ١٥٦ من قانون العقوبات تنص على ما يلي:

يعاقب بالإعدام كل من إرتكب عمداً فعلاً بقصد المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة أراضيهـا وكان الفعل من شأنه أن يؤدي إلىٰ ذلك.

لقد جعل الامام الصدر الشهادة في سبيل الله مشروعاً حضارياً من أجل الإسلام، وهو من خلال هذه القناعة، قطع الطريق أمام كل محاولات المساومة والابتزاز والإغراء والتهديد التي مارستها معه السلطة في بغداد.. كما أنه لم يبق لغيره عذراً في إتخاذ الصمت والتخلي عن قضية الإسلام في العراق.

لكن المحزن في الأمر، أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف لم تتخذ أي موقف لتعبر فيه عن إستنكارها لهذه الجريمة النكراء، وظل الصمت هو موقف الحوزة العلمية، وفي تقديرنا أن هذا الموقف السلبي هو موقف طارئ على الحوزة العلمية، لأنها كانت قبل ذلك سباقة إلى التصدي في مثل هذه المواقف الصعبة، لا تسكت لأمثال هذه الجرائم.

مرحلة ما بعد الصدر

بعد إستشهاد الامام الصدر، فقدت الحركة الإسلامية رمزها الكبير وقائدها التاريخي الذي رسم لها معالم الطريق وأسس التحرك والعمل. ومع أن شهادته لم تؤثر علىٰ توجهات التحرك الإسلامي من حيث الخط العملي في مواجهة النظام وتصعيد الثورة. حيث واصل حزب الدعوة الإسلامية عمله الجهادي ضد نظام الحكم، كما سارت علىٰ نفس النهج التنظيمات الإسلامية الأخرى التي كانت تنطلق بدافع الحماس الثوري. إلّا أن الزمن كان يختزن في داخله مشاكل كبيرة، لم تكن في البداية واضحة بحكم الوضع الثوري المتصاعد، لكنها فيما بعد أخذت تظهر على السطح لتشمل كل الوضع الإسلامي المعارض.

كانت حركة المعارضة المسلحة تتصاعد باستمرار، وفي المقابل كانت الاعتقالات تزداد شراسة من قبل أجهزة النظام الأمنية، بحيث كان الاعتقال العشوائي ظاهرة مألوفة في الوسط العراقي. وقد كانت تلك الاوضاع تضغط بشدة علىٰ حركة المعارضة الإسلامية، فلم يكن هناك مكان آمن يمكن أن يختفي

فيه المجاهدون، حيث أن كل الأماكن معرضة لمداهمة قوات الأمن البعثي.

ضمن عمليات الملاحقة والاعتقال، تعرضت لملاحقة قوات الأمن، فاضطررت إلىٰ ترك منطقة جديدة الشط في بعقوبة، لأبدأ مرحلة جديدة من العمل كانت المسافة بيني وبين الموت لمرات ومرات بضع ثوان.. ولمرات عديدة لم يفصل بيني وبين السجن سوىٰ خطوة. وهكذا كان حال المئات أو الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية.

كانت خطوط التنظيم تتقطع بشكل يربك العمل والعاملين، ولم يكن أمام المجاهدين سوىٰ مواصلة السير، وترميم ما يمكن ترميمه في حدود الممكن، حيث يبادر الدعاة المجاهدون إلىٰ تجميع تشكيلاتهم في تلك الاجواء الطارئة، وحتّىٰ هذه التشكيلات كانت تتعرض للتقطع باستمرار(١).

في تلك الفترة كان الشهيد الكبير الشيخ حسين معن يتصدىٰ لمهام قيادية واسعة في العمل الجهادي، وقد كنت أعمل معه في توجيه المجموعات الجهادية في مناطق مختلفة من العراق. لكن قوات الأمن البعثي ألقت القبض عليه بعد محاولات عديدة ومطاردة شرسة، ولم تتعرف قوات الأمن في البداية على شخصيته الحقيقية لأنه كان يتحرك تحت أسماء مستعارة. وتم تنفيذ حكم الاعدام به بعد أن تعرفت علىٰ شخصيته، وكان ذلك خسارة كبيرة للحركة الإسلامية لما كان يتمتع به من مواصفات عالية قلما تتوافر في الاشخاص المتصدين.

بعد فاجعة الشهيد الشيخ حسين معن، كان لا بد لي أن أواصل طريقه، فقمت باعادة تشكيل المجموعات الجهادية، وطريقة الارتباط بقيادة حزب الدعوة الإسلامية الموجودة خارج العراق.

---

(١) إن الأحداث المتعلقة بتلك الفترة لها تفصيلاتها الكثيرة التي تخرجنا عن منهج هذا الكتاب، وقد تناولتها بالحديث في كتابي المخطوط (ملحمة الحركة الإسلامية في العراق).

كانت المشكلة التي نواجهها هي عدم وجـود الامكـانات الكـافية لتـنفيذ العمليات الجهادية ضد مؤسسات ورموز النظام الظالم في العراق، لذلك كنا نقوم بشرائه من مصادر متعددة وفي ظروف صعبة لا تقل خطورة عن القيام بـعملية جهادية.. وكنت أتحرك باسم مستعار ظل متداولاً في أجهزة الأمن لعدة أشهر، حتىٰ توصلوا إلىٰ أن صاحب الاسم الحقيقي هو حسين الشامي(١).

إن البطولات التي سطرها أبناء الحركة الإسلامية كانت بحق ملحمة جهادية رائعة قل نظيرها في تاريخ الشعوب، فرغم كل الصعوبات وعدم تكافؤ الطرفين، إلّا أنهم كانوا بحجم الظرف والتحدي. لقد أثـبتوا أنهـم أبـناء الشهـيد الصـدر الأوفياء.. ومن عاش تلك الفترة يستطيع أن يقدر قيمة تلك الملحمة التي ستظل شاخصة في تاريخ العراق.. وفي ضمير كل عراقي يعيش همّ قضية الإسلام بصدق وإخلاص.

الهجرة إلىٰ ايران

كانت الأجواء في العراق تزداد إختناقاً مع كل يوم جديد، فـالسلطة كـانت تصعّد بشكل جنوني إجراءاتها القمعية، وتحـاول تـضييق مسـاحات التـحرك المعارض إلىٰ أصغر دائرة ممكنة، وكنا نواجه أزمة حادة في أماكن الإختفاء، وفي التنقل بين المدن العراقية نتيجة الاجراءات الأمنية المشددة، وهذا ما كان يجـعل تنفيذ المهام الجهادية عملية في غـاية الصـعوبة. لذلك كـنا عـلى إسـتعداد دائم للدخول في مواجهة مسلحة في أية لحظة، وذلك أثناء تنقلنا بين المدن والمناطق العراقية، أو داخل المدينة الواحدة، فلم يكن لنا خيار آخر غير هذا.

---

(١) من الطريف أن اسمي سبب مشكلة كبيرة للخطيب الكـربلائي المـعروف السـيد حسـين الشـامي، وعندما تعرفت أجهزة الأمن على تشابه الاسمين زودته بورقة تبين أنه غير الشخص الآخر المطلوب إلقاء القبض عليه.

في تلك الفترة كان المجاهدون يضطرون إلى الهجرة خارج العراق، وكانت الهجرة في معظمها تكون نحو إيران، حيث يرابطون في المناطق الحدودية الجنوبية ليبدأوا من هناك تحركهم الجديد.

لم تكن الهجرة برنامجاً مقرراً من قبل حزب الدعوة الإسلامية، لكنها كانت تحدث بصورة قهرية، إذ لم يعد أمام المجاهدين أي طريق آخر غير إجتياز الحدود.. لكن إجتياز خط الحدود ليس نقلة قدم، إنما نقلة بين حياتين وواقعين..

إستطاع حزب الدعوة الإسلامية في بداية الهجرة أن يقدم إلى خطوة كبيرة في حساب الزمن، تلك هي إعادة تشكيل خطوطه التنظيمية في الخارج بشكل كفوء ونشط، وخلال فترة زمنية قصيرة. وقد كان لهذه الخطوة أثرها الكبير علىٰ مستقبل الحزب وإستمرار مسيرته. إذ أن الهجرة مع كونها حركة هامة في مسيرة الشعوب، ولها إيجابياتها الكبيرة باعتبار أن الكثير من الحركات حققت نتائجها بعد مرحلة طويلة من الهجرة، كما يحدثنا بذلك تاريخ الانسانية. لكن الهجرة في الوقت نفسه تختزن عوامل سلبية إذا لم تحدث عملية السيطرة علىٰ عامل الزمن، لأنها ستتحول علىٰ عملية تذويب للعناصر المهاجرة، كما حدث للكثير من الجماعات البشرية التي هاجرت دون أن تحتضنها جهات مسؤولة.

لقد إستطاع حزب الدعوة الإسلامية أن ينظم صفوفه من جديد، دون أن يترك أفراده وجماهيره في الخارج يتحركون بصورة فردية بعيداً عن قضيتهم. وهذه شهادة له تكتب في التاريخ.

في نهايات عام ١٩٧٩م كان حزب الدعوة ينظم صفوف أفراده في المناطق الجنوبية من ايران، تنظيماً عسكرياً، فيما كانت له مكاتبه الاعلامية والتنظيمية في مدن أخرىٰ وفي عواصم أخرىٰ عربية وأوروبية.

وخلال تلك الفترة عملنا علىٰ تنظيم المجاهدين عسكرياً، وتم تشكيل قوات الشهيد الصدر في معسكر قرب مدينة الاهواز. وذلك بعد مساع حثيثة

وإتصالات مع المسؤولين في الدولة الإسلامية، ولم يكن الدعم بالحجم المطلوب لوجود خطوط داخل جهاز الدولة كانت تعمل في الخفاء ضد الاتجاهات الإسلامية الأصيلة، وقد تم كشف تلك الخطوط وتنحيتها عن مواقع المسؤولية فيما بعد. لكن ذلك كان بالنسبة لنا إجراءً متأخراً، فلقد دفعنا الكثير وتضررنا الكثير.

كانت قوات الشهيد الصدر نقلة نوعية في طبيعة العمل الجهادي، ليس في مسار حزب الدعوة فحسب، بل في مسار القضية العراقية، فلقد قام مجاهدو قوات الشهيد الصدر بدور بطولي يفوق الوصف والتعريف، في داخل العراق.. وفي العمليات العسكرية على جبهات القتال بعد إندلاع الحرب العراقية-الايرانية في أيلول عام ١٩٨٠م. وأقولها للتاريخ: إن قوات الشهيد تمثل علامة شاخصة في تاريخ القضية الإسلامية في العراق، ولن تكتمل أي دراسة عن تاريخ هذه القضية ما لم تقف طويلاً عند هذه القوات المبدأية المجاهدة.

فمنذ بداية الهجوم العراقي على الأراضي الايرانية، كنا نقف في الخطوط الأمامية دفاعاً عن دولة الإسلام، وقد قدمت قوات الشهيد الصدر أول الشهداء من أبناء العراق في هذه الحرب الطويلة. ولن أنسى ما حييت اولئك الشهداء الأبرار الذين إستشهد بعضهم علىٰ بعد امتار مني، والذين فاضت أرواح بعضهم في احضاني، والذين ودعتهم وودعوني الوداع الأخير.. فسلام عليهم جميعاً وتحية حب وتقدير وإعتزاز لكل شهيد ولكل من قضىٰ في سجون العراق صامداً ثابتاً من أجل قضية الإسلام.

الفراغ القيادي

ترك إستشهاد المرجع القائد الامام الصدر، فراغاً قيادياً كبيراً في ساحة المعارضة الإسلامية. فلم يكن هناك أي بديل يستطيع أن يرقىٰ إلى الموقع الكبير الذي كان يشغله (رضوان الله عليه). وقد تنبه الامام الصدر قبيل إستشهاده إلىٰ

هذه المسألة، وقدّر أن المرحلة التي ستعقب رحيله، ستواجه هذه المشكلة الحقيقية، لذلك فكر بطرح مشروع القيادة النائبة، حيث يتولىٰ قيادة القضية عدة أشخاص كان قد حدد أسماءهم بنفسه، ووضع برنامجاً محدداً لطريقة عملهم. لكنه (قدس سره) واجه خيبة أمل كبيرة عندما رفض أحد هؤلاء تكليف السيد الشهيد، لأنه كان يتطلع إلىٰ موقع متميز في التشكيلة، وقد سببت هذه القضية ردة فعل مؤثرة لديه، أثرت علىٰ صحته وعلىٰ نظرته للكثير من الأمور، كما ذكر ذلك الأخ الشيخ النعماني في كتابه.

إن الفراغ القيادي كان مشكلة حقيقية واجهت المعارضة الإسلامية، فلم يكن من الممكن قيادة حركة المعارضة دون وجود رمز قيادي تلتقي عنده الأمة، ويعبر عن توجهاتها وتطلعاتها. وقد درس حزب الدعوة الإسلامية هذه المسألة وبذل جهوده من اجل الخروج من هذه الأزمة وإيجاد رمز قيادي يتصدى للقضية الإسلامية في العراق.

وفي الحقيقة أن المشكلة القيادية في الوقت الذي كانت تتحرك فيه على مستوى القضية العراقية، فإنها كانت أيضاً تواجه الوضع الداخلي لحزب الدعوة الإسلامية. وعلىٰ هذا فلا بد من الحديث عن هذه المشكلة التي ولدت بعد إستشهاد الامام الصدر، وكانت لها إنعكاساتها غير المباشرة على الوضع الداخلي للحزب، وآثارها المباشرة على حركة المعارضة الإسلامية.

أزمة القيادة في حزب الدعوة الإسلامية

بعد أن حدثت الهجرة إلىٰ خارج العراق كما أشرنا، كانت الجمهورية الإسلامية في ايران هي القاعدة الأكبر لوجود أعضاء حزب الدعوة الإسلامية. وبدأ الحزب في إعادة تشكيل خطوطه التنظيمية وممارسة نشاطه السياسي والإعلامي والعسكري، من خلال اللجان والهيئات المختصة. لكن المشكلة التي

واجهها هي النقص الكبير في الكادر القيادي بعد الهجمة الشرسة التي تعرض لها داخل العراق. فكان لا بد من إعادة تشكيل القيادة من جديد، لتمارس مهامها بما يتناسب مع متطلبات المرحلة الجديدة.

دخلت أوساط الحزب في مختلف مواقعها في نقاشات مطولة حول الوضع القيادي وضرورة تشكيل قيادة تتلائم مع المرحلة التي يمر بها الحزب. وقد أسفرت هذه النقاشات عن مشروع عقد مؤتمر عام للحزب يتم فيه إنتخاب القيادة. وقد تم عقد هذا المؤتمر في طهران عام ١٩٨٠م.

كانت الانتخابات تحدث لأول مرة في تاريخ حزب الدعوة الإسلامية، فمنذ تأسيسه أواخر الخمسينات، وحتىٰ عام ١٩٨٠م، كانت قيادة الحزب تقوم على أساس الكفاءة.

لقد كانت الانتخابات في تلك الفترة تمثل حلاً موضوعياً للمشكلة القيادية، إذ لم يكن أمام الحزب خيار آخر. وبالفعل حلت الانتخابات هذه المشكلة. لكن في الوقت نفسه وضعت الحزب أمام مشاكل جديدة، ظهر بعضها في أجواء الانتخابات.. وكان بعضها يولد ببطء مع الأيام.

لقد عارض مشروع الانتخابات عدد من أعضاء الحزب، كان يتزعمهم الشيخ علي الكوراني[1]، ووقف هؤلاء موقفاً متشدداً من هذا المشروع، رغم أن قواعد الحزب وقيادته أقرت هذا المشروع، ورغم أن سماحة آية الله السيد كاظم

---

(١) الشيخ الكوراني عالم لبناني، تبوأ موقعاً قيادياً في حزب الدعوة الإسلامية، لكن علاقته بالمرجع الشهيد الصدر كانت متأزمة، وقد أراد الشهيد الصدر عزله من القيادة. وكان الشيخ الكوراني يوجه الكثير من التهم للامام الصدر (قدس سره). وعندما قرر الحزب إجراء الانتخابات عارضها بشدة، ولعله كان يدرك أن الانتخابات لم تكن في صالحه. وبعد أن أفرزت الانتخابات عدم إنتخابه في القيادة خرج من التنظيم وقاد حملة تشهيرية ضد حزب الدعوة الإسلامية.. وأخذ يعمل مع الجهات المعادية له، وقد ظل على موقفه المعادي للحزب وكل من له صلة به.

الحائري الذي تولىٰ في تلك الفترة مسؤولية فقيه الحزب، قد أصدر فتواه بوجوب الالتزام بالانتخابات وعدم معارضتها.

كان من نتائج هذا الاختلاف أن إنفصل هذا الجناح عن تنظيم الحزب، وشكل لنفسه تجمعاً خاصاً. وقد حاولت قيادة الحزب فيما بعد علىٰ إمتداد سنوات طويلة إعادة هذا الجناح إلى التنظيم من جديد، لكن المحاولات كانت تنتهي بالفشل، حتىٰ كتابة هذه السطور.

كما أن الانتخابات دفعت بعض رجال الحزب إلى الخروج منه، بعد أن وجدوا أن أسماءهم لم تدرج في قائمة القيادة.

واضافة إلىٰ ذلك فإن هناك مجموعة من أعضاء الحزب، لم تكن لديهم طموحات شخصية، لكن نتائج الانتخابات لم تكن مرضية لهم من ناحية طبيعة الاشخاص الذين تم إنتخابهم. حيث كانوا يرون فيهم أقل كفاءة وقدرة من الموقع الذي شغلوه، وقد آثر هؤلاء الانسحاب بهدوء من التنظيم فيما بعد.

ورغم أن الانتخابات أفقدت التنظيم بعض كوادره، إلّا أنها كانت خطوة هامة في تلك الفترة. فلم يكن هناك خيار آخر لإعادة تشكيل التنظيم والوضع القيادي غير مشروع الانتخابات. لكن الذي نسجله علىٰ الانتخاب أنه تحول إلىٰ قانون ثابت في الحزب دخل في نظامه الداخلي، دون أن يعير مسألة الكفاءة أهمية في هذا الجانب، وبذلك سمح للعناصر غير الكفوءة بالوصول إلى المواقع القيادية، بينما كانت مسيرة الحزب السابقة تولي الكفاءة أهمية خاصة. وحسب قناعتنا كانت هذه المسألة من المسائل الأساسية في وقوع الحزب في مشاكل عديدة، كانت تكبر مع الزمن.

في اكثر من مناسبة ذكرنا أن حزب الدعوة الإسلامية ولد في احضان المرجعية الدينية والحوزة العلمية، وكان دائماً يعمل تحت الرعاية المباشرة لمراجع

الدين وكبار العلماء. وبعد إستشهاد المرجع السيد الصدر، واجه الحزب الفراغ القيادي المرجعي، لكنه عالج هذا الفراغ بأن طرح سماحة آية الله السيد كاظم الحائري كفقيه للحزب. وسماحته من أبرز تلامذة السيد الصدر، ومن اساتذة الحوزة العلمية المشهود لهم بالكفاءة والمقدرة العلمية العالية. وكان له الدور البارز في إخراج الحزب من أزمة الوضع القيادي وفي سدّ الفراغ الناجم عن إستشهاد الامام الصدر.

بعد إنتهاء مشروع الانتخابات وعقد أول مؤتمر عام للحزب عام ١٩٨٠م تحت اسم (مؤتمر الشهيد الصدر) تم إقرار النظام الداخلي. وهذه هي المرة الأولى التي يكتب فيها حزب الدعوة الإسلامية نظامه الداخلي.

جاء في النشرة المركزية للحزب وتحت عنوان: (حول مؤتمر الشهيد الصدر والنظام الداخلي):

(عملت الدعوة المباركة لأكثر من عقدين من الزمن وقطعت اشواطاً مهمة من مسيرتها المباركة دون أن يكون لها نظام داخلي على الطريقة المألوفة في الأحزاب السياسية المعاصرة، وكانت تعاليم الإسلام العظيم وخط الدعوة الفكري والعملي يحكمان سير العمل وينظمانه.. وخلال هذه الفترة طالب عدد من الأخوة المجاهدين باقرار نظام داخلي للدعوة جرياً على ما هو سائد بين الحركات، وكانت المطالبة تزداد كلما ظهرت مشكلة بين الدعاة أو بين الدعاة وأجهزة الدعوة.. وبعد إجتياز مرحلة البناء واستكمال التصور بما يجب أن يكون عليه العمل الحزبي للاسلام ومستلزماته، وفي معظم مراحل مسيرة الدعوة، وبعد تكوّن رصيد ضخم من مفردات خط سير الدعوة ورصيد ضخم من تجاربنا، صار الاتجاه نحو صياغة وإقرار نظام داخلي لعمل الدعوة)[1].

---

(١) صوت الدعوة، العدد ٣٤. الصادر في ذي الحجة ١٤٠١هـ.

وقد أقر النظام الداخلي مبدأ (فقيه الدعوة)، وكانت هذه الخطوة بمثابة الاجراء القانوني الذي يؤكد خضوع الحزب لقرار المرجعية، وأنه لا يتحرك بمعزل عن رأي الفقيه وتوجيهه.

جاء في النظام الداخلي وتحت عنوان (فقيه الدعوة) ما يلي:

(لما كانت الدعوة تتبنىٰ مبدأ ولاية الفقيه وتحتاج إليه في مسيرتها العملية، فلا بد من أن يكون للدعوة فقيه كفوء يتمتع بمنصب الولاية فيما يراه من مصلحة الإسلام والمسلمين والحزب.

المادة الأولىٰ: شروط الفقيه الذي يمارس صلاحية أعمال الولاية داخل الحزب هي: الاجتهاد والعدالة والكفاءة.

المادة الثانية: يقوم مجلس الفقهاء بتعيين فقيه الدعوة حسب مواصفات المادة الأولىٰ، وإن لم يوجد مجلس إنحصر الأمر بالفقيه المتصدي.

المادة الثالثة: يجب أن توافق الأكثرية المطلقة للمؤتمر العام علىٰ كفاءة فقيه الدعوة ولا يجوز العدول عن هذا القرار إلّا بقرار من المؤتمر نفسه بالأكثرية المطلقة أيضاً.

المادة الرابعة: المقصود بكفاءة الفقيه ليس هو الكفاءة المباشرة في كل الأمور، بل يكفي فيها رجوعه إلىٰ آراء ذوي الاختصاص في شؤون الدعوة أو غيرهم في الموضوعات الأخرىٰ للتشاور معهم.

المادة الخامسة: يعتمد الفقيه في الدعوة: الإلتزام بالتشاور وتحقيقه له.

المادة السادسة: إذا لم يتوفر الفقيه الذي يستجمع شروط الولاية، يقوم مجلس الفقهاء بمهمة ولاية الفقيه.

المادة السابعة: إذا دانت الأمة لفقيه مستجمع لشرائط الولاية فليس للدعوة

أن تتجاوز حكمه مطلقاً)[١].



السيد الحائري

وقد كان فقيه الحزب هو سماحة السيد الحائري الذي مارس مهامه في هذا المجال، وقد اولىٰ إهتمامه لشؤون الحزب ونشاطاته العامة. لكن سماحته وحسب رأيه الفقهي قرر أواسط الثمانينات الخروج من الهيكل من التنظيمي، وممارسة دوره في الاشراف على الحزب من الخارج، باعتبار أن الحزب وصل إلىٰ مرحلة من النضج لا يحتاج إلىٰ وجوده داخل الهيكل التنظيمي.

لكن أعقب ذلك بروز أزمة بين سماحة السيد الحائري وبين الحزب، كان سببها الاختلاف في الرأي حول دور فقيه الحزب والمجلس الفقهي في القرارات والمواقف التي تتخذها القيادة. وكذلك موضوع الثنائية بين فقيه الحزب وبين الولي الفقيه العام للأمة، وضرورة الارتباط به مباشرة أو من خلال ممثل يشرف نيابة علىٰ مسيرة الحزب. وقد أوضح سماحة السيد الحائري هذا الاختلاف في رسالة كتبها بتاريخ ٤ محرم ١٤٠٩هإلىٰ تنظيم حزب الدعوة في أوروبا جواباً علىٰ إستفسارهم حول موضوع الخلاف، جاء فيها:

(إن إختلافي ليس على اصل التنظيم في العمل الإسلامي كما ورد إحتماله في رسالتكم، ولا هو موجه إلىٰ تنظيم الدعوة بالخصوص، وإنما إعتراضي على فهم

---

(١) النظام الداخلي، الفصل العاشر، ص ١٠٠ـ١٠١.

مقلوب لمبدأ ولاية الفقيه تعيشه قيادة الدعوة في طهران.

فهم يتخيلون أن ولاية الفقيه تعني أنهم يجب عليهم أن يستأذنوا فقيهاً من الفقهاء في ما رأوا أنه بحاجة إلىٰ الإذن، فرأس الخيط الرابط بينهم وبين الفقيه يكون بيدهم، أي أنهم هم الذين يشخّصون موارد ضرورة الرجوع إلى الفقيه، وليس رأس الخيط الرابط بينهم وبين الفقيه بيد الفقيه نفسه، أي لا يحق للفقيه أن يأمرهم بشي أو ينهاهم عن شيء ابتداءً، وإنما يكون تدخل الفقيه في مورد هم يحسون بضرورة تدخله ويطالبونه بالتدخل، في حين أن معنى ولاية الفقيه لدى الفقهاء الذين يؤمنون بها هو عكس ذلك تماماً، أي أن تشخيص ضرورة التدخل يكون بيد الفقيه لا بيدهم....

إنني من الاشخاص الذين يؤمنون بالعمل الحزبي وأرىٰ له فائدة عظيمة، ولكن اقول: إن العمل الحزبي لو فرض هو القوة الرئيسية في المجتمع، كان هذا عبارة عن العمل الحزبي بروحه الغربية، والذي لا يخدمنا في بلادنا الإسلامية، فان القوة الرئيسية في بلادنا الإسلامية والتي خطط لها الامام صاحب الزمان عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، إنما هي المرجعية الواعية، والعمل الحزبي يجب أن يكون منضوياً تحت قيادة المرجعية الواعية إلىٰ ظهور الحجة عجل الله فرجه الشريف)[١].

لم يصل حزب الدعوة الإسلامية إلىٰ إتفاق مع سماحة السيد الحائري في هذا الخصوص، وقد ظلت الأزمة علىٰ حالها حتّىٰ كتابة هذه السطور. وفي تقديرنا أنها ستظل كذلك ما لم يغيّر أحد الطرفين موقفه الفكري في هذا المجال.

وقد مثلت هذه الاشكالية معضلة هامة في مسيرة الحزب في المهجر، وظلت تشكل نقطة خلاف حتّىٰ داخل الأجواء الخاصة في التنظيم. وهي مشكلة كبيرة

---

(١) أثبتنا النص الكامل لرسالة السيد الحائري في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.

لأنها تتصل بجانب حساس من العمل وهو مسألة القيادة الشرعية، وآلية العلاقة مع الفقيه.

إن هذه المشكلة لها جذورها التاريخية في مسيرة حزب الدعوة الإسلامية، ففي بدايات الصراع مع السلطة الظالمة في العراق، قرر الامام الشهيد الصدر أن يكون التنسيق بينه وبين قيادة الحزب علىٰ أعلى المستويات القيادية من اجل دفع حركة الثورة الإسلامية إلىٰ الامام بشكل فاعل. وقد تم تعيين عضو ارتباط بينه وبين قيادة التنظيم، وفي خلال تنسيق المهام والأعمال طرح ممثل القيادة على الامام الشهيد مسألة القرار النهائي في حالة إختلاف وجهات النظر بين السيد الشهيد وبين الحزب، فأوضح السيد الشهيد بأن القرار النهائي له وعلى الحزب أن يطيع.

ورغم أن حزب الدعوة إلتزم فعلاً بهذا الرأي وكان يؤكد لقواعده بأن رأي السيد الصدر في أي قضية يعتبر أمراً ملزماً تجب طاعته دون الرجوع إلى التنظيم، لكن ذلك لم يكن موقفاً فكرياً عاماً دخل في فكر الحزب، إنما موقع الامام الشهيد ودوره التأسيسي والقيادي، هو الذي كان وراء هذا الموقف. وبعد إستشهاده (قدس سره) عادت هذه المشكلة من جديد.

لقد إعتمد حزب الدعوة الإسلامية مبدأ ولاية الفقيه، وتحدث في ادبياته عن نظرية ولاية الفقيه وضرورة الالتزام بها، وأهميتها الكبيرة في الواقع الإسلامي. كما أوضح طبيعة علاقته بالولي الفقيه العام للأمة، ووجوب الالتزام برأيه وقراراته، وأن فقيه الحزب لا يمثل بديلاً عن الولي الفقيه العام. ثم إنتهى بعد ذلك إلى التخلي عن إطروحة فقيه الحزب، ومحاولة الارتباط بالولي العام عبر ممثل خاص، وذلك لحل إشكالية الاثنينية التي قد يُساء فهمها بين فقيه الحزب وبين الولي الفقيه. لكن ذلك كله لم يعالج المشكلة من الأساس وظلت إشكالية العلاقة بين قيادة الحزب وبين الفقيه قائمة.

وفي هذا المجال نثبت بعض المرتكزات النظرية التي نؤمن بأنها تمثل حلاً لهذه الاشكالية التاريخية التي ظلت تواجه حزب الدعوة الإسلامية، وتتفجر بين فترة وأخرىٰ في أوساطه التنظيمية:

أولاً: إن حزب الدعوة الإسلامية من الناحية التاريخية ولد في أجواء الحوزة العلمية، وتحت رعاية المرجعية ومباركتها، وهذا ما أتاح له فرصة كبيرة في التحرك والعمل والاتساع في الساحات الإسلامية. وهذه مسألة لها أهميتها الكبيرة في مسيرة الحزب، ومن الضروري أن تظل سارية في كل آفاق العمل الإسلامي، وفي كل الحركات الإسلامية، فهي تمثل مسألة مبدأية في العمل السياسي الشيعي عبر التاريخ.

ثانياً: لقد حقق حزب الدعوة الإسلامية نجاحاته الميدانية لأن معظم كادره الأول كان من علماء الدين، ولعالم الدين في الوسط الشيعي خصوصيته المتميزة، فهو يمتلك قدرة على التأثير في الأوساط الاجتماعية. وقد أثبتت التجارب التاريخية في العراق وإيران أن حركة عالم الدين في مجال العمل السياسي تفوق حركة الاشخاص الآخرين، باعتبار أن العلماء هم الواجهة المتصدية للحالة الإسلامية، وهم الرمز الشاخص للوضع الإسلامي.

ثالثا: أثبت علماء الدين الحركيون كفاءتهم الميدانية في صناعة الموقف الجماهيري، وفي تصعيد حالات الثورة في الظروف الصعبة، وهذا ما لاحظناه عن قرب في تجربة القضية الإسلامية في العراق، فقدكان لوكلاء السيد الشهيد في المناطق المختلفة الدور الكبير في إتساع الدائرة التنظيمية لحزب الدعوة الإسلامية، كما كان لهم الدور البارز في شدّ الأمة باتجاه قائدها الامام الصدر، وفي تعبئتها في طريق الثورة.

وإلىٰ جانب هذه المعطيات الحقيقية، نلاحظ أن الامام الشهيد الصدر (قدس سره)، كان يرىٰ ضرورة إعطاء عالم الدين الصفة القيادية في الأمة، فقد جاء في

العمل الإسلامي بشكل عام. ومع أن هذه النقطة من المسلمات في حزب الدعوة الإسلامية، إلّا أن المسألة الهامة هي آلية التعامل مع موقع المرجعية، فلا بد وحسب ما نستوحيه من كلام السيد الشهيد، أن يكون العمل الحزبي خاضعاً في الموقف والقرار لرأي المرجع الصالح. وأن إمتدادات المرجع المتمثلة في العلماء الواعين العاملين المرتبطين به بالوكالة والتمثيل لهم صفة قيادية في مواقع العمل الحزبي، وذلك من أجل تحقيق الاشراف المرجعي على الحزب الإسلامي.

وقدكان الشهيد الصدر يرىٰ ضرورة العمل من أجل تهيئة الأجواء التي تجعل المرجعية الصالحة تتمتع بالقوة المطلوبة، حيث كتب (رضوان الله عليه) يقول:

(إيجاد امتداد أفقي حقيقي للمرجعية يجعل منها محوراً قوياً تنصب فيه كل قوىٰ ممثلي المرجعية والمنتسبين إليها في العالم، لأن المرجعية حينما تتبنى أهدافاً كبيرة وتمارس عملاً تغييراً وواعياً في الأمة، لا بد أن تستقطب أكبر قدر ممكن من النفوذ لتستعين به في ذلك وتفرض بالتدريج وبشكل آخر السير في طريق تلك الأهداف علىٰ كل ممثليها في العالم).

لقد ولد حزب الدعوة الإسلامية في أجواء المرجعية، ولا بد من أن يحافظ علىٰ نقطة القوة هذه ويجعلها حقيقة ثابتة في كل مراحل وفترات عمله. ولا نظن أن هناك عملاً حركياً إسلامياً أكثر إخلاصاً من هذا الحزب للسيد الشهيد وللمرجعية الدينية الحركية.

هذه تصورات نظرية نضعها في مجال العلاقة بين قيادة الحزب وبين المرجعية، وقد إنطلقنا فيها من تجارب التاريخ الشيعي، ومن تجربة حزب الدعوة الإسلامية. وفي تقديرنا أن هذه المسألة لو تم مناقشتها بموضوعية وتجرد فإنها ستحل اشكالية آلية العلاقة بين قيادة الحزب وبين قيادة الفقيه، وتنهي إمكانية بروزها في المستقبل في ظل الظروف الطارئة.

أزمة القيادة في المعارضة الإسلامية

قلنا أن إستشهاد الامام القائد السيد الصدر ترك فراغاً قيادياً في الساحة الإسلامية في العراق. وقد تمثل هذا الفراغ في ثلاث محاور أساسية:

الأول: الفكر العملاق الذي يقدمه رضوان الله عليه، وهذا الفراغ لا يختص بالعراق وحده، إنما يشمل الساحة الثقافية الإسلامية بشكل عام، فلقد خسرت فيه الفكر الأصيل القادر علىٰ رفد الأمة بمختلف النظريات والآراء الفقهية والأصولية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية وغيرها. إنها خسارة الفكر الإسلامي التي لا تعوض. لكن المطلوب من مفكري الأمة ومثقفيها ولا سيما تلامذة السيد الشهيد أن يواصلوا مسيرته الفكرية علىٰ ضوء المنهجية التي وضعها في نتاجاته، وأن يبلوروا الأسس العلمية لمدرسته الفكرية الرائدة[١].

الثاني: ترك إستشهاد الامام الصدر فراغاً كبيراً في الحركة الإسلامية، فقد كان القائد الذي ترجع إليه في الأمور الصعبة والظروف الحساسة، ورغم الظروف المعقدة التي إضطرته إلىٰ الابتعاد عن الصيغة التنظيمية لحزب الدعوة، إلّا أنه ظل يمثل الرمز والقيادة العليا للحزب، حيث كان (قدس سره) المرجع الفصل في شؤون الحركة عندما تتطلب الأمور ذلك، وكان هو الملهم والمعلم والقائد الذي يرعى المسيرة ويحدد معالم الطريق.

الثالث: الموقع المرجعي الذي كان يحتله السيد الشهيد، فلقد كان هو المرجع الذي عاش هموم الأمة، وتصدى لقضيتها الإسلامية في مواجهة السلطة البعثية الحاكمة في العراق. وقد بذل رضوان الله عليه كل جهوده من أجل أمته وقضية

---

(١) بحثنا هذا الموضوع في دراستنا (إشكالية المنهج في دراسة شخصية الامام الصدر) وذلك في الفصل الأول من كتاب (محمد باقر الصدر.. دراسات في حياته وفكره) الذي أصدرته مؤسسة دار الإسلام من قبل نخبة من الباحثين.

الإسلام، وكان يخطط لأن يجعل المرجعية مؤسسة فاعلة في حياة الأمة، وليس مجرد وجود ذاتي ينحصر في شخص المرجع، لقد أراد أن يجعل المرجعية رسالة هادفة، وليست حالة شخصية تنتهي بموت المرجع، وقد رسم معالم هذه النظرية بشكل دقيق في أطروحة المرجعية الصالحة[1]. وهو قدس سره من هذه المنطلقات الكبيرة، كان يتعامل من موقع المرجعية علىٰ أنه المسؤول عن كل قضايا الامة، ولذلك وقف في مقدمة الصفوف وقاد الأحداث بشجاعة ومبدأية، وظل علىٰ مواقفه الثابتة رغم إدراكه الكامل بأن الثبات سيعرضه لإنتقام السلطة، لكنه كان يرىٰ أن إستشهاده هو المشروع الرسالي الذي يخدم قضية الإسلام، فهذا هو الدور الذي يجب أن يمارسه مرجع الأمة عندما تتطلب الظروف ذلك.

وباستشهاد الامام الصدر، خلت الساحة من المرجعية القائدة التي تعيش هموم الأمة وتتفاعل معها وتضحي من أجلها، وقد ظهرت آثار هذه الخسارة الكبيرة علىٰ عموم الوضع الإسلامي في العراق.. وعلى القضية الإسلامية العراقية التي فقدت باستشهاده القائد الحقيقي الذي يمكن أن يعطي للأمة ولقضيتها الإسلامية كل ما عنده، حتىٰ لو كلفه ذلك حياته كما فعل المرجع القائد (رضوان الله عليه).

لقد خسرت الأمة بفقده المرجع والقائد الذي تحتاجه في أصعب مراحلها التاريخية، وخسر حزب الدعوة الإسلامية، المرشد والموجه الذي يحسم الأمور عندما يواجه الحالات الصعبة في أوضاعه الداخلية.. خسره في أدق مرحلة من مسيرته. وخسرت القضية الإسلامية في العراق القائد الذي يستطيع أن يعطيها الموقف الثابت والقرار الصائب، والرمز الذي تجتمع تحت رايته كل الفصائل

---

(١) سنتعرض إلىٰ هذه الأطروحة في الباب الرابع من هذا الكتاب عند الحديث عن الامام الشهيد الصدر.

والقوى المخلصة.

محاولات ملء الفراغ

إستطاع عدد غير قليل من علماء الدين أن يهاجروا من العراق ويستقروا في سوريا وايران وغيرهما من الدول. ولم يكن لهذه الشخصيات في الأيـام الأولى للهجرة برنامج محدد له صفة المشروع السياسي المتكامل، فساحة الهجرة كانت جديدة وتتطلب بعض الوقت من أجل التعرف علىٰ ظروفها وإمكانيات التحرك في خط المعارضة.

حاول حزب الدعـوة الإسـلامية الاتـصال بـعدد مـن هـذه الشـخصيات والتنسيق معها لمواصلة العمل ضد النظام في العراق. وكانت ردود الفعل تختلف من شخص لآخر، فقد آثر البعض عدم الدخول في المعترك السياسي، وأبـدى البعض تعاطفه مع خط الحزب في حدود معينة، فيما سـار البـعض الثـالث مـع توجهاته بشكل فاعل. وهناك عدد من العلماء بدأوا تحـركهم بشكـل مسـتقل أوضمن حركات إسلامية ولدت في المهجر.

كانت الجماهير العراقية تنتظر من المعارضة الإسلامية موقفاً تاريخياً مؤثراً، بحيث يكون بمستوى المرحلة. فقد كـانت الجـماهير العـراقـية في المـهجر عـلى استعداد كامل للتضحية والعطاء، وهذا ما أثبتته في سنوات الحرب الثمان. فـلم تكن المشاركة العراقية في الحرب حدثاً بسيطاً، كما أنها لم تكن وجوداً رمزياً، بل كانت حدثاًكبيراً علىٰ مستوى الفهم الإسلامي وعلى مستوىٰ الأداء العسكري. فلقد تجرد المجاهد العراقي من مشاعر الانتماء الاقليمي والقومي والعرقي، وتعامل مع الموقف في ضوء مفاهيم الشريعة الإسلامية، فنهض بواجـبه عـلى أحسـن وجه، وكان مخلصاً في مرابطته على جبهات القتال إلىٰ أعلى درجات الاخلاص، ويكفي أنه كان يتسابق من أجل الوصول إلىٰ خطوط النار، وأنه قدم الدليل حياً

واضحاً باستشهاده بعيداً عن الأهل والوطن[١].

وطوال سنوات الحرب الثمان قدم المجاهدون العراقيون مئات الشهداء ومثلهم من الجرحىٰ والمعوقين، وشارك الآلاف في كل المعارك وإنتزعوا بجدارة شهادة إعجاب وتزكية وتقدير ببطولاتهم الاسطورية.

في ظل تلك الأجواء لم تستطع الفصائل الإسلامية أن تنهض بالمسؤولية إلى المستوى المطلوب، ولم تستطع نتيجة التعقيد الكبير في مواقفها من بعضها البعض أن تبلور صيغة قيادية تسد الفراغ الكبير الذي خلفه غياب الامام الشهيد الصدر.

لقد أفرز تعدد فصائل المعارضة وتقاطع إتجهاتها ومصالحها حالة تعقيد كبيرة، فرضت نفسها علىٰ ساحة المعارضة العراقية، وجرّت هذه الفصائل إلىٰ حرب باردة، شغلت الجميع عن متطلبات المرحلة، واستهلكت الكثير من الجهود والطاقات والزمن.

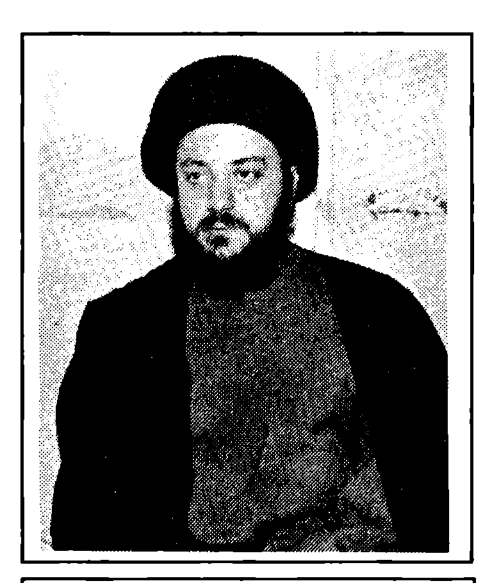
ولقد حاول المخلصون تلافي عقبات الطريق، وتجاوز نقاط الخلاف وطرحوا شعار العمل علىٰ أساس المشتركات التي يلتقي عليها الجميع وتجميد نقاط الخلاف.

ورغم موضوعية هذا الطرح إلّا أن سبل التنفيذ كانت عسيرة. حيث وجد البعض أن حجمه الحقيقي لا يمكّنه من الاستحواذ على حصة تناسب طموحه فيما لو حدث تغيير في جهاز الحكم في العراق. كما وجد البعض الاخر أن اللقاء يقيد مرونته ويغلق عليه بابه المفتوح نحو الطموح. هذا بالاضافة إلىٰ وجود أزمة ثقة عميقة بين العلمانيين والاسلاميين، وفي كل دائرة من هذين الانتمائين.

وخلال تلك الفترة المعقدة تمَّ تشكيل جماعة العلماء المجاهدين في العراق،

---

(١) راجع كتابنا، أزمة العراق رؤية من الداخل، الفصل الثالث.



السيد محمد باقر الحكيم

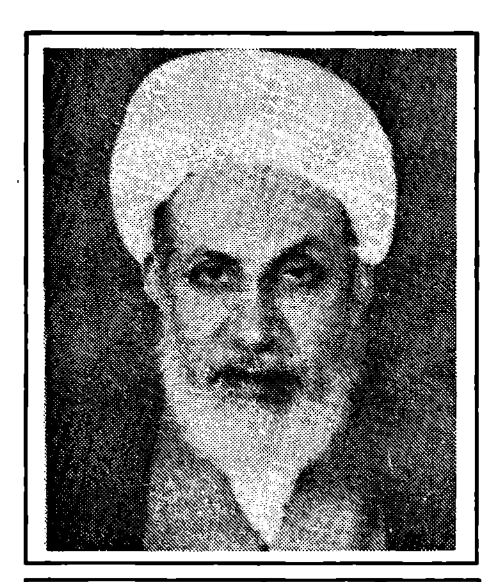
وكان لسماحة الشيخ محمّد باقر الناصري دور بارز في نشاطها. وكانت الجماعة تحاول توحيد الصف الإسلامي لكن تعقيدات الساحة حالت دون ذلك كما ان سماحة السيد محمّد باقر الحكيم كانت له رؤية مخالفة لجماعة العلماء مما زاد الساحة تأزماً وتعقيداً.

لا نريد أن نتوسع في الحديث حول هذا الموضوع لأنه يخرجنا عن منهجية الكتاب، لكن الذي نريد أن نؤكده هنا، أن الفراغ الذي تركه الامام الصدر، ظل خالياً حتىٰ هذه اللحظة، وكان يمكن أن يملأ بعضه لو كانت الفصائل المتصدية تعيش المسؤولية بحجمها الحقيقي.. وتعيش هموم الامة بالشكل المطلوب. لقد كانت الأمة أكثر إستعداداً على العمل والعطاء من قياداتها، وكانت أسبق منها في التفاعل مع ظروف المرحلة، ولا أدل علىٰ ذلك من قيام الشعب العراقي بانتفاضته الكبرىٰ في آذار ١٩٩١م والتي عرفت بالانتفاضة الشعبانية. فلقد صنعت الجماهير الانتفاضة وصنعت الأحداث بشجاعة وثبات، دون أن تستطيع الفصائل المعارضة في الخارج أن تواكب قوة الانتفاضة وسرعة الأحداث، لقد كانت هذه الفصائل تحاول اللحاق بحركة الأمة، لكنها لم تستطع ذلك حتىٰ قمعت السلطة الحاكمة بكل عنف ووحشية هذه الانتفاضة التاريخية[١].

---

(١) بحثنا في كتابنا أزمة العراق رؤية من الداخل، موضوع الانتفاضة الشعبانية والموقف المطلوب من

لقد كشفت الانتفاضة عن الكثير من الأمور المهمة في جسم القضية العراقية، أمور لم تكن اطراف المعارضة تعيرها الاهتمام المطلوب، أو كانت غائبة كلياً عن رصدها. وكشفت الانتفاضة كذلك خطأ الكثير من الأحكام التي كانت متبناة بصورة قطعية من قبل المعارضة.



الشيخ محمّد باقر الناصري

وفي الوقت الذي أسجل فيه هذه الحقيقة القاسية، لا أهمل العوامل الخارجية ـ الاقليمية والدولية ـ الضاغطة والتي ساهمت في منع الحركة الإسلامية الجماهيرية من مواصلة إنتصارها الذي كان يشرف علىٰ بلوغ الهدف الكبير في إسقاط نظام الحكم المتسلط في العراق، وإنهاء فترة الظلام التي طالت على أمتنا الإسلامية في العراق.

وجهة نظر

في نهاية هذا الباب نحاول تقديم وجهة نظر ختامية إستناداً إلى التجربة التاريخية التي مرت بها الحركة الإسلامية، وإلىٰ فهم الواقع العام لحركة الاحداث في العراق.

إن الأمة الإسلامية في العراق كانت على طول فترات التاريخ، تتميز بالقدرة

← فصائل المعارضة العراقية.

على التحرك فيما لو توفرت لها القيادة الواعية التي تعبر عن آمالها وتطلعاتها، ولقد قام بهذا الدور مراجع الدين الواعين والعلماء الحركيين، حيث حققوا التلاحم الكبير بين القيادة الدينية وبين جماهير الأمة، ونتيجة هذا التلاحم تم صناعة الكثير من المواقف التي ستظل شاخصة في التاريخ وفي وجدان الأمة وفي حركة الزمن.

ولا يمكن لأي مشروع يهدف إلىٰ تحكيم الإسلام في الساحة العراقية، وإلىٰ تلبية تطلعات الامة بالشكل المطلوب ما لم يستند علىٰ مرجعية دينية واعية لها حضورها الجماهيري والثقافي والسياسي.

لقد كان الامام الصدر (قدس سره) هو المرجع الذي إنتظرته الأمة، وإستطاع أن ينهض بالأمة وبالواقع الإسلامي إلىٰ درجات متقدمة من الوعي والتحرك والعمل، لكن إستشهاده حرم الأمة من مواصلة مسيرتها نحو المستقبل الذي تنتظره.

وعلىٰ هذا فإن المطلوب هو إستكمال المشروع التاريخي للامام الشهيد، والتعامل معه علىٰ أساس أنه يمثل المرتكز والمنطلق، وليس ذلك نابع من حالة عاطفية، إنما هو حقيقة موضوعية. فالسيد الشهيد كان مشروع الإسلام الحركي الأصيل في كل أبعاده وآفاقه، ولا بد من إستكمال هذا المشروع من أجل تحقيق هدف الإسلام في العراق.

إن مواصلة طريق الصدر وتحقيق طروحاته العملية هو خيارنا الأول. والجميع يتحمل هذه المسؤولية.

الباب الثالث

دور المرجعية في تنقية المنبر الحسيني

- مشاريع تنقية المنبر الحسيني.. الشهيد مطهري نموذجا.
- الدكتور الشيخ احمد الوائلي.. عميد المنبر الحسيني ونتاج المرجعية الرشيدة.

الفصل الأول

مشاريع تنقية المنبر الحسيني
الشهيد مرتضى مطهري نموذجاً

هناك علاقة وثيقة بين المرجعية الدينية وبين المنبر الحسيني، وهي في حقيقتها إمتداد لموقف الائمة عليهم السلام، بالاهتمام بقضية الإمام الحسين عليه السلام، والتبليغ الإسلامي بشكل عام. وقد عمقت المرجعية الشيعية، خط أهل البيت عليهم السلام في هذا الخصوص، بحيث صار الاهتمام بالمنبر، جزءً من اهتمامات المرجعية، وأحد النشاطات البارزة لها.

وعلىٰ إمتداد التاريخ الشيعي، كان المنبر مركز اشعاع كبير في الوسط الشيعي، واستطاع أن يقدم خدمات كبيرة للأُمّة الإسلامية ساهم في توعيتها وترشيدها، وتعريفها بالقضايا الإسلامية، إضافة إلى رسالته الكبرىٰ في إحياء ذكرىٰ الإمام الحسين عليه السلام.

إن بقاء المنبر الحسيني حياً متجدداً مع حركة الزمن، ما كان ليحدث، لولا إهتمام مراجع الدين به، ومحاولتهم الحفاظ علىٰ كيانه ودوره. وقد إتسع هذا الاهتمام ليشمل كل الدائرة الشيعية في مختلف أنحاء العالم. . بحث أصبح المنبر الحسيني، حقيقة شيعية ثابتة عبر التاريخ. إذ لايمكن أن نجد في كل التايخ المرجعي، أن هناك مرجعاً دينياً لايقيم مجلس العزاء الحسيني في مناسبات ثابتة.

وعندما أخذت الشعائر الحسينية، تبتعد عن مضمونها الحقيقي الهادف، وقف العديد من مراجع الدين، والعلماء المصلحين، من أجل الحفاظ علىٰ المضمون الرسالي لطريقة إحياء الذكرىٰ الحسينية، والنموذج البارز في هذا المجال، السيد محسن الامين العاملي، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والسيد البروجردي

رحمهم الله وطيب ثراهم.

كان لإتساع دائرة المنبر، والانتشار الكبير للشعائر الحسينية، في أوساط الجماهير، أثره في عدم قدرة المرجعية علىٰ السيطرة علىٰ منهاجها العام، فلقد كانت مراسم التعزية والشعائر الحسينية، تقام في كل مدينة وقصبة يعيش فيها الشيعة. وكانت بعض الأمصار البعيدة عن مركز المرجعية تقيم المراسم بشكل بعيد عن المضمون الأصيل، معتمدة علىٰ العاطفة المجردة، والتقاليد الشعبية.

وكان من الطبيعي أن تأخذ الممارسات الشعبية هذه، صفة الظاهرة، وأن تتحول بمرور الزمن إلى اتجاه عاطفي يحكم طريقة إحياء الشعائر الحسينية، لاسيما وأن الطبيعة الاجتماعية للفئات الشعبية، أن تتسابق في مثل هذه الامور، ربما بدافع التنافس الساذج، أو بتأثير نزعة الابداع الخفية، وهي النزعة المتأججة في نفوس البسطاء عادة، بصرف النظر عن معقوليتها وضرورتها الاجتماعية.

فهناك مثلا الكثير من أصحاب المجالس والعزاء الحسيني في بعض المناطق الشيعية، يلجأون الى ادخال اضافات في مراسم العزاء الحسيني، بغرض إنجاح مجلسهم، وزيادة عدد المشاركين، فهم يتعاملون مع الكم العددي علىٰ أنه مقياس النجاح والفشل. وهذا ما نلاحظه في الهند وايران، حيث نجد أن هناك صناعات وحرف لها سوقها الخاصة بالشعائر الحسينية، مثل صناعة الرايات الملونة والمزركشة، ونوع من التشكيلات النحاسية والحديدية الكبيرة الحجم، وملابس حربية متعددة الصور والاشكال، وأعمدة وقطع حديدية مزخرفة، وغير ذلك من المعدات التي ينتجها المتفننون في هذا المجال.

وقد ظهر في تلك الاجواء نمط من الخطباء والشعراء، يميلون إلى تهييج المشاعر إلى الحدود القصوىٰ دون الاهتمام بالمضمون الفكري الصحيح، حيث كان قصدهم إثارة الحزن لأبعد المستويات، حتّى وان كان عن طريق الخرافة والقصة الموضوعة.

لقد تنبه مراجع الدين المصلحون وعلماء المسلمين الواعون، إلى خطورة هذه الظاهرة، وإلى ابتعاد الخط الرسالي عن الشعائر الحسينية، فكانت هناك عدة محاولات إصلاحية، أرادت تنقية المنبر الحسيني من الشوائب الغريبة، وتخليص الشعائر من المظاهر المنافية للاحكام الشرعية. لكن هذه المهمة كانت تصطدم بمعوقات كبيرة، لأن القضية تحولت إلى عادة شعبية، والعادة الشعبية لا تتغير مباشرة بالمفهوم الفكري، إنما تحتاج إلى زمن حتّى تتغير وتأخذ مسارها الصحيح.

كانت المعالجة الاصلاحية في هذا المجال تتمثل بالفتوىٰ الدينية، وبالتوعية الفكرية، وسنحاول في هذا الفصل دراسة مشروع آية الله الشهيد الشيخ مرتضىٰ مطهري (قدس سره) في تنقية المنبر والشعائر الحسينية، وهي من المحاولات الجادة التي طرحها الشهيد مطهري عبر سلسلة من المحاضرات ثم صدرت في كتاب من ثلاثة أجزاء تحت عنوان (الملحمة الحسينية).

لقد ركّز الشيخ مطهري علىٰ مسألة التحريف التاريخي لوقائع الثورة وعلى مسألة المضمون العقائدي لحركة الامام الحسين عليه السلام ودعىٰ إلىٰ ضرورة العودة إلى المصادر التاريخية المعتبرة، وإلىٰ دراسة الثورة وفق وجهة النظر الإسلامية الأصيلة. وكانت محاولته تتسم بالشجاعة والصراحة، حيث شخّص مظاهر التحريف وحدد مفرداتها ومن ثم أعطى الموقف الرسالي المطلوب من الجميع في هذه القضية الهامة في حياة المسلمين، يقول قدس سره:

(إننا وللأسف الشديد حرّفنا حادثة عاشوراء الف مرة ومرة أثناء عرضنا لها ونقل وقائعها، حرّفناها لفظياً أي في الشكل والظاهر أثناء عرض أصل الحادثة، مقدمات الحادثة، متن الحادثة والحواشي المتعلقة بها. كما تناول التحريف تفسير الحادثة وتحليلها. أي أن الحادثة مع الأسف قد تعرضت للتحريف اللفظي كما

تعرضت للتحريف المعنوي)[١].



الشهيد مطهري مع السيد محمّد حسين الطباطبائي

أشاد الشهيد مطهري بكتاب الشيخ حسين النوري (اللؤلؤ والمرجان) ونقل منه العديد من المقاطع بشأن تشويه واقعة كربلاء، والشيخ النوري هو أستاذ الشيخ عباس القمي، يقول الشهيد مطهري: لقد ذكر هذا الرجل الكبير في كتابه نماذج من الأكاذيب المعروفة التي ألصقها الكثيرون بحادثة كربلاء، وهي تماثل أغلب ما أقوله ،بل كله ،وهذا ما كان يشكو منه المرحوم الحاج النوري، حتّىٰ أن هذا الرجل الكبير يصرّح بقوله:

(من الواجب أن نقيم المآتم على الحسين عليه السلام، أما المآتم التي تقام عليه اليوم فهي جديدة ولم تكن هكذا فيما مضى، وذلك بسبب كل تلك الأكاذيب التي ألصقت بحادثة كربلاء دون ان يفضحها أحد.إننا يجب أن نبكي الحسين عليه السلام ولكن ليس بسبب السيوف والرماح التي استهدفت جسده الطاهر الشريف في ذلك اليوم التاريخي ،بل بسبب الأكاذيب التي ألصقت بالواقعة).

كما وردت في مقدمة الكتاب ـ اللؤلؤ والمرجان ـ إشارة إلىٰ منبع الأكاذيب حيث نقرأ قوله:

(كتب لي أحد العلماء من الهند يشكو من كثرة الأكاذيب التي يروّج لها قرّاء

---

(١) الملحمة الحسينية ص ١٢/١.

التعزية الحسينية في تلك البلاد وقد رجاني أن أعمل شيئاً بهذا الخصوص كأن أكتب كتاباً يساهم في منع استمرار الخطباء من الكذب على المنابر الحسينية).

ثم يكتب الحاج النوري رضوان الله عليه مضيفاً:

(إن هذا العالم الهندي يتصور أن قرّاء التعزية الحسينية يبدأون بنشر الأكاذيب بعد أن يصلوا إلى الهند، ولايدري أن المياه ملوثة من رأس النبع، وأن مصدر المآتم الكاذبة هي كربلاء والنجف وإيران، أي مراكز التشيع الأساسية نفسها). [الملحمة الحسينية ص ١٣ ـ ١٤].

المنهج الإجتماعي في دراسة الشهيد مطهري

كانت دراسة الشهيد الشيخ مطهري لطريقة مجالس العزاء الحسيني على قدر كبير من الوعي، لأنه رحمه الله درس المسألة بوجهة نظر ميدانية وإجتماعية ،فلم تكن آراءه في هذا الخصوص نظرية ،إنما كانت من خلال الواقع الذي رآه وعاشه وتحسس مخاطر المظاهر السلبية علىٰ معطيات الثورة الحسينية. فهو مثلاً يركز علىٰ ظاهرة شائعة في الأوساط الشيعية وهي الرغبة العارمة في جعل مجلس التعزية يضج بالبكاء إلىٰ أكبر قدر ممكن حتّىٰ يتحول المجلس إلىٰ (كربلاء ثانية) كما يصطلح عليها البعض ،ويسمي هذه الرغبة بالرغبة غير المسؤولة ،ويوجه دعوته إلى الجميع لمقاومة هذه الرغبة وقهرها .لأنه يرىٰ فيها أحد العوامل الأساسية التي تدفع الخطباء إلىٰ إختراع القصص الكاذبة من أجل إدخال الحرارة للمجلس ودفع المستمعين إلى البكاء بحرارة، وذلك لأن الخطيب إذا إلتزم بالوقائع الحقيقة فإن مجلسه سوف يوصف بالبرود وسيؤثر ذلك علىٰ موقف الناس منه، وبالتالي لن يدعوه مرة ثانية .

ويعتبر الشهيد مطهري أن الحضور في المجالس التي تقرأ فيها الحوادث الموضوعة والمختلقة، عمل حرام ويجب مقاومته، حيث يقول قدس سره:

(إن النهي عن المنكر واجب على الجميع وعليه فإن من يعرف بأن ما يقال على المنابر كذب وإفتراء وأكثر الناس تعرف ذلك، فإن من واجبه عدم الجلوس في مثل هذه المجالس لأنه عمل حرام والواجب يتطلب منه مقاومة هذا الكذب وفضحه). [ص ١٤].

إن الشهيد الشيخ مطهري في محاولة علاجه لهذه الظاهرة يدعو الناس إلىٰ مقاطعة مجالس أمثال هؤلاء الخطباء الذين يريدون تحويل مجالسهم إلىٰ كربلاء ثانية بأي ثمن، وهو ينطلق في هذا الاتجاه من خلال تحديده للدور الرسالي للمجالس الحسينية، بأعتبارها تهدف إلىٰ زيادة المعرفة والثقافة الإسلامية بين الناس بحيث يعيشوا أهداف الامام الحسين‌عليه‌السلام ورسالته التي إستشهد من أجلها. ويفرّق رحمه الله بين حالة البكاء الواعي الذي ينطلق من خلال الفهم الحقيقي لدور الثورة الحسينية وبين حالة البكاء المأساوي الصادر نتيجة الأكاذيب حيث يقول:

(ينبغي على الناس أن تستمع إلى المأتم الحسيني الصادق حتّىٰ تتسع معارفهم وينمو مستوى التفكير لديهم ويعرفوا بأن اهتزاز روحهم مع أية كلمة من كلمات المأتم الحسيني يعني تحليقها وانصهارها مع روح الحسين بن علي‌عليه‌السلام، وبالتالي فإن دمعة واحدة إذا ماخرجت من مآقيهم كافية لمنحهم ذلك المقام الكبير لأنصار الحسين. أما الدموع التي تخرج من خلال العرض المأساوي ورسم المجزرة وتشريح الذبح والمذبحة فلا تساوي شيئاً حتّىٰ لو كانت بحراً من الدموع). [ص ١٥].

ومن أجل أن يرسم الصورة بشكل واضح حول ظاهرة إختلاق القصص في حوادث الثورة الحسينية لكسب عواطف المستمعين وإثارة جو الإنفعال والبكاء، يروي الشهيد مطهري حادثة حصلت في إيران ملخصها: أن أحد العلماء كان يعارض منهج إختلاق القصص على المنبر الحسيني ويصفها (بأنها

سموم تنفث من فوق المنابر) وقد قال له أحد الخطباء :(إننا لو تخلينا عن مثل هذه الحكايات لتوجب علينا إغلاق هذه الدكان) فرد عليه العالم بأن الواجب ترك هذه الأكاذيب مهما حصل. وذات يوم أقام العالم مجلساً حسينياً دعا اليه نفس الخطيب الذي تحدث معه سابقاً، وأوصاه أن لايتحدث إلّا بالحقائق الواردة في المصادر المعتبرة .وبالفعل إلتزم الخطيب بذلك لكن المجلس لم يشهد أي تفاعل أوحماس، وقد شعر العالم بالحرج وخشي من كلام الناس الذين سيتهمونه بأنه غير مخلص في نواياه لذلك كان مجلسه بارداً، فقرر أن يعالج الموقف ويشير للخطيب (أن يمزج أقواله ببعض تلك السموم حتّىٰ يسخن المجلس).

ويعلق الشيخ مطهري علىٰ هذه القصة بقوله:

(إن هذه الرغبة اللامسؤولة لرؤية واقعة كربلاء وبشكلها المأساوي من طرف الناس كانت هي الدافع لإختلاق الأكاذيب. ولذلك فأن أغلب التزوير والكذب الذي أُدخل في مواعظ التعزية كان سببه الرغبة في الخروج من سياق الوعظ والتحليق في خيال الفاجعة، وبعبارة أخرىٰ فمن أجل شدّ الناس إلىٰ صورة الفاجعة التاريخية وتصويرها المأساوي ودفع الناس إلى البكاء والنحيب ليس إلّا، كان الواعظ على الدوام مضطراً للتزوير والإختلاق). [١٦/١].

إن ما حدث من تشويه لتاريخ عاشوراء جعل الشهيد مطهري يقول: (إن الامام الحسين عليه السلام قد مرّ بثلاث مراحل في إستشهاده، بمعنى آخر أنه استشهد ثلاث مرات:

المرة الأولىٰ أستشهد علىٰ يد اليزيديين بفقدانه لجسده.

والمرة الثانية استشهد من خلال تشويه الأعداء لسمعته ومقامه وإسمه ولاسيما علىٰ يد المتوكل العباسي.

والمرة الثالثة إستشهدت أهدافه علىٰ يد المنبر الحسيني) [الملحمة الحسينية

[٣/٦٥].

قد تكون هذه العبارة الأخيرة قاسية، لكن الشهيد مطهري ينطلق في تقريرها من رؤيته الرسالية لمبادئ ثورة الحسين عليه السلام وتأكيد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة إحيائها، فهو قدس سره يرى أن إحياء ذكرى الحسين يجب أن يكون في الخط الذي يجعل منها مدرسة إسلامية حقيقية كما أراد أهل البيت، وليس مناسبة لنشر القصص المختلقة والأحاديث التي تسيء إلى الثورة الحسينية، فهو يقول:(إن فلسفة المدرسة الحسينية ليست مبنية على أساس تربية جيل من المذنبين، بل هي في الحقيقة إلّا إستمرار لمدرسة الأنبياء..وإن أحياء هذه الذكرى في كل عام إنما يستهدف من ورائها تخليداً لتلك المدرسة النبوية) [٣/٦٥].

قصص مُختلَقة

والذي يتميز به منهج الشهيد الشيخ مرتضى مطهري أنه حين يحلل ظاهرة الإختلاق هذه ويتحدث عن سلبياته، فإنه يناقش بعض القصص المختلقة بشكل علمي، ويثبت كيف أنها لاأساس لها من الصحة وذلك بالإستناد إلى الكتب التاريخية المعتبرة، ومناقشة نفس القصة وما حوته من متناقضات وإشكالات علمية، كما يقدم في دراسته للقصص المختلقة الجذور التاريخية التي نشأت منها وإستفادتها في إختلاق القصة التي أُدخلت في تراث الثورة الحسينية زوراً ثم راح الخطباء يتحدثون بها من على المنابر. ومن هذه القصص المختلقة، قصة ليلى أم علي الأكبر، والتي يذكر الخطباء حضورها في واقعة كربلاء ويتحدثون عن لحظات وداعها المأساوي لإبنها، وكيف أن الامام الحسين عليه السلام طلب منها أن تدخل الخيمة وتنثر شعرها وتدعو ربها ليعيد إبنها سالماً على أساس أن الامام الحسين عليه السلام سمع من جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن دعاء الأم مستجاب

في حق ولدها . وأنها نذرت أن تزرع الطريق من كربلاء إلى المدينة بالريحان إذا ما عاد اليها إبنها سالماً ، ونشد الخطباء بيت الشعر المشهور :

نذر عليّ لئن عادوا وإن رجعوا   لأزرعن طريق التّفت ريحانا

يناقش آية الله الشهيد مطهري هذه القصة ، ويقول أن ليلىٰ أم علي الأكبر لم تحضر واقعة كربلاء ، وليس هناك مؤرخ واحد يشير إلىٰ حضورها في كربلاء . وإن بيت الشعر المذكور هو للشاعر قيس نظمه في ليلى العامرية ، و(التفت) منطقة كانت تقيم في نواحيها ليلى العامرية ، وهي ليست من كربلاء ، وقد حرّفت (التفت) إلىٰ (الطف) .

ومن هذه القصص التي إنتشرت في مجالس التعزية ويتحدث بها الخطباء والشعراء الحسينيون ، قصة زواج القاسم من إحدىٰ بنات الامام الحسين عليه السلام في يوم المعركة . وهي قصة مختلقة لاأساس لها في المصادر التاريخية الموثوقة التي كتبت وقائع وأحداث ثورة الحسين عليه السلام وما جرىٰ في كربلاء .

ويعلق الشيخ مطهري علىٰ هذه القصة ، بأنه كيف يعقل أن يزوج الامام الحسين عليه السلام إبن اخيه من ابنته في ذلك اليوم الخطير حيث أنه عليه السلام عندما أراد أن يصلي صلّى صلاة الخوف وقد تعرض لرشق السهام من معسكر الأعداء . ويشير إلىٰ أن أول من إختلق هذه القصة هو الملا حسين الكاشف .

إن أول زائر لقبر الحسين عليه السلام هو جابر ، ومراسم الأربعين ليست سوى الزيارة المعروفة التي قرأها جابر على قبر الامام .

ويروي الشيخ مطهري قصة لها دلالاتها الكبيرة في خصوص إختلاق القصص حول واقعة كربلاء ، حيث يقول انه في إحدىٰ زياراته إلىٰ مدينة اصفهان إستمع إلىٰ قصة أثارت إستغرابه عند حضوره مجلس تعزية ، فقد قال الخطيب أن إمرأة عجوز أرادت زيارة قبر الامام الحسين عليه السلام في زمن المتوكل

الذي عرف عنه أنه كان يمنع الناس من زيارة قبر الحسين ويعاقبهم بقساوة وصلت إلىٰ قطع أيديهم. يقول الخطيب أن جند المتوكل ألقوا المرأة العجوز في البحر، فأخذت تستغيث بالعباس، وفي تلك اللحظة ظهر لها فارس من وسط البحر وقال لها إمسكي بركابي، فقالت له العجوز: ولماذا لاتمد اليّ يدك فقال لها: ومن أين لي اليدان حتّىٰ أمدهما فقد كانت يداه مقطوعتين. وقد ضج المجلس بالبكاء عند سماعه هذه القصة.

ولشدة إستغراب الشهيد المطهري من هذه القصة الخيالية، نقل إستغرابه إلى العالم الكبير الشيخ محمد حسن نجف آبادي، فقال له الشيخ أن هذه القصة تم إختلاقها في أصفهان، وقد تحدث مختلقها بذلك حيث قال:(كنت أنتظر دوري ضمن قائمة الوعاظ المتعددين الذين ينبغي عليهم قراءة التعزية الحسينية على التوالي حتّىٰ يحين دوري ـ وذلك في مجلس كبير يحضره علماء المدينة ـ وكنت أفكر بالطريقة التي أنافس بها الوعاظ، فلم يخطر على بالي شيء حتّىٰ جاءتني هذه الفكرة فاختلقت هذه القصة من عندياتي وبذلك كسبت الرقم القياسي في البكاء...لكنني عندما ذهبت عصر ذلك اليوم لأحضر مجلساً حسينياً آخر وبينما كنت أنتظر دوري رأيت أن الواعظ الذي سبقني ينقل هذه القصة وقد أغرق الناس بالبكاء). وقد صارت هذه القصة فيما بعد تكتب في كتب التعازي.

لقد قام الشيخ الشهيد رضوان الله عليه بدراسة تحقيقية حول تاريخ الثورة الحسينية، ودرس القصص التي يتداولها الخطباء والناس حول وقائع وأحداث الثورة، وتوصل إلىٰ فرز التاريخ الحقيقي عن القصص المختلقة التي دخلت تاريخها وأصبحت جزء من تراث كربلاء. وقد لخص بعض عناوين القصص المختلقة بما يلي:

* قصة الأسد وفضة، والمقصود بالأسد هو الامام علي عليه السلام الذي تخيلته القصة بأنه كان يأتي فضة في الليالي على هيئة أسد، وقد وردت هذه القصة

وللأسف في كتاب الكافي، كما وردت في كتاب (منتخب الطريحي) وكتاب (أسرار الشهادة) للدربندي.

* قصة عرس القاسم وهي كما يبدو من الخرافات الحديثة العهد منذ زمن السلسلة القاجارية.

* قصة فاطمة الصغرىٰ في المدينة، وإبلاغ الطير الأخبار لها.

* قصة الفتاة اليهودية التي كانت مصابة بالشلل وكيف أنها قد شفيت بعد أن تم تزريق نقطة من دم الحسين عليه السلام في جسمها بواسطة الطير.

* قصة حضور ليلىٰ أم علي الأكبر إلى الواقعة.

* قصة الطفل الذي كان لأبي عبد الله عليه السلام في الشام وكيف أنه أراد رؤية أبيه فجاؤوه برأس الحسين، ومات هناك.

* قصة زيارة الأسرىٰ لقبر الحسين عليه السلام يوم الأربعين.

* خرافات من قبيل كون جيش عمر بن سعد كان يبلغ (٨٠٠) ألف مقاتل أو حتىٰ مليون و ٦٠٠ ألف، وأن يوم عاشوراء كانت ساعاته (٧٢) ساعة. وأن الواحد من أصحاب الحسين كان يقتل عشرة آلاف رجل بضربة، واحدة وغير ذلك.

* بعض القراءات أو العبارات التي ترد في المآتم والتي تظهر أهل البيت أو أصحاب الحسين يلتمسون شربة الماء بكل ذل من الأعداء.

* قصة الطفل الأسير الذي سحله أحد الفرسان بواسطة الخيل حتىٰ مات. [٢٣٩/٣ ـ ٢٤٠].

* قصة تذكّر زينب عليها السلام أثناء وداعها لأخيها عليه السلام وصية قيل أنها سمعتها من أمها الزهراء عليها السلام، وهي تقول لها: يازينب قبّلي حسيناً باسمي في عنقه.

* حكاية عدم تحرك فرس الحسين عليه السلام معه إلّا بعد وصول أحد اطفال أهل البيت ولقائه بالحسين، وحول هذه الحكاية يوجد شعر كثير في اللغتين العربية والفارسية.

* زيارة أبو حمزة الثمالي لمنزل الامام السجاد عليه السلام، وعندما فتحت له الجارية الباب أخبرته أن الامام السجاد مضطرب وغائب عن الوعي، فدخل عليه أبو حمزة وأخذ يواسيه ويذكّره أن الشهادة هي وراثة في آل البيت، فيجيبه الامام السجاد ولكن الأسر ليس وراثة عندنا، ثم يخبره بحال الأسرىٰ من النساء والأطفال.

كتب حرّفت واقعة كربلاء

ينقل الشيخ مطهري عن كتاب الشيخ النوري (اللؤلؤ والمرجان) بداية تدوين القصص المختلقة حول واقعة كربلاء، حيث أن البداية كانت في كتاب (روضة الشهداء) للملا حسين الكاشفي وهو رجل عاش في سبزوار قبل حوالي خمسمائة عام، وقد عرف عنه تلونه فقد كان في الاوساط الشيعية يتعامل على أنه شيعي مخلص، وعندما يذهب إلى المناطق السنية يتحول إلىٰ حنفي المذهب. لقد كتب هذا الرجل الذي إمتهن الخطابة كتاباً سماه (روضة الشهداء) وقد ملأه بالقصص المختلقة حول واقعة كربلاء، كما وردت فيه أسماء لأصحاب الحسين عليه السلام لاوجود لهم في الواقع أساساً، وذكر الكثير من الأساطير التي نسجها من خياله. وكان الناس قبل هذا الكتاب يرجعون إلى المصادر التاريخية المعتبرة في دراسة ثورة الامام الحسين عليه السلام، لكن بعد صدور هذا الكتاب، أصبح هو المصدر الذي يرجع اليه الخطباء في أحاديثهم عن واقعة الطف.

ويورد الشيخ مطهري عن الشيخ النوري حادثة في مجال التأليف في واقعة كربلاء، خلاصتها أن أحد الخطباء من أهل الحلة جاء إلى الشيخ عبد الحسين

الطهراني وقدم له كتاباً عن مقتل الامام الحسينعليه‌السلام من تأليف أحد علماء جبل عامل، وطلب منه مراجعة الكتاب للتعرف علىٰ مدىٰ صلاحية الإعتماد عليه في قراءة التعزية. وعندما قرأه الشيخ الطهراني إكتشف أن الكتاب ليس من تأليف العالم اللبناني وأن هذا العالم لم يكتب كتاباً بهذا الإسم، وأن الكتاب كله أكاذيب وحوادث مختلقة. فطلب الشيخ من الخطيب عدم عرض الكتاب علىٰ أي أحد لأنه ليس من تأليف العالم اللبناني إضافة إلىٰ محتواه المختلق. لكن هذا الكتاب وقع فيما بعد بيد الملا آقا الدربندي فقام بنقل كل محتوياته في كتابه (أسرار الشهادة).

وكتاب أسرار الشهادة ضم في محتوياته قصص الكتاب الأول (روضة الشهداء)، ويعلق الشيخ الشهيد مطهري قائلاً:

(إنني يجب أن أقول الحقيقة بأن من محتويات هذا الكتاب ـ اسرار الشهادة ـ تدفع الانسان إلىٰ البكاء على الإسلام). [الملحمة الحسينية ص ٤٣].

ومن الكتب التي حوت على قصص مختلقة وأسماء لاوجود لأصحابها كتاب الملا مهدي النراقي (محرق القلوب) والذي يبدو أنها نقلها من كتاب الكاشفي (روضة الشهداء)، ومن هذه القصص التي جاءت في كتاب محرق القلوب القصة التالية:

(يقول الراوي: لما سقط الكثير من أصحابه عليه السلام، صرعىٰ في الميدان وإذا بفارس ضخم الجثة، مسلح بكل أنواع السلاح، وقد أطل كالطود الشامخ، من وسط الصحراء وكشف عن درعه المستدير، وسيفه المرصع بالجواهراليمانية والذي انفلقت مقدمته إلىٰ ثمانية عشر فلقة، وانطلق إلىٰ جيش الأعداء مهاجماً كالبرق اللامع، والبدر الساطع، وبعد طراد وجولان، بدأ يرتجز ويقول: من لم يعرفني بعد فأنا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن عم عمر بن سعد، ثم أدار وجهه نحو الامام الحسين وقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ....).

عندما يتحدث الشيخ المطهري عن هذه الكتب التي بثت القصص المختلقة في اوساط الامة يعود فيؤكد في مقابل ذلك، وفرة المصادر الموثوقة التي دونت تاريخ كربلاء، فيقول:

(إن من يقرأ تاريخ عاشوراء يراه من أكثر التواريخ المليئة بالمصادر الصحيحة والوثائق المعتبرة الحية. يقول المرحوم الآخوند الخراساني مخاطباً أولئك الوعاظ وقراء التعزية الذين يبحثون عن الجدة والانفراد في قراءة تعزية لم يسمع بها أحد من قبل: فليذهب هؤلاء الوعاظ ويستخرجوا التعازي الحقيقية للحسين عليه السلام فإن جمهورنا لم يسمع بها حتىٰ الان،ليقرأوا خطب الامام في مكة أو في الحجاز بشكل عام ثم في الطريق إلىٰ كربلاء نفسها، أو ليقرأوا الخطب التي نطق بها أصحاب الحسين عليه السلام، بالإضافة إلى الحوار الذي كان يجري بينه عليه السلام وبين أصحابه، والرسائل المتبادلة بينه وبين أنصاره وكذلك الرسائل المتبادلة بين أطراف معسكر العدو، هذا علاوة علىٰ تعليقات من حضر واقعة عاشوراء وبقي حياً بعد الواقعة) [الملحمة الحسينية ١/ ٤٣].

ويذكر الشهيد مرتضىٰ مطهري قدس سره رأي المرحوم الدكتور (آيتي) في أسباب إنتشار هذه القصص المختلفة، حيث يحصرها في سببين:

الأول: أن الروايات التي وردت في مدح البكاء والإبكاء، لم تفصّل طريقة البكاء المطلوبة ولاالموضوع الخاص الذي يتم به الإبكاء، مما دفع البعض إلىٰ إعتماد أية وسيلة لحمل الناس على البكاء، ظنّاً منهم أن إختلاق القصص والحكايات والحوادث مسألة مستحسنة في هذا المجال وأنها لاتدخل ضمن الكذب المنهي عنه.

والثاني: (إستقرار سيرة العلماء في مؤلفاتهم على نقل الأخبار والروايات الضعيفة، بل وتسجيل الروايات غير الصحيحة في أبواب الفضائل والقصص والمصائب، وتسامحهم في مثل هذه المقامات لاسيما الموضوع الأخير، وهو الأمر

المحسوس والملموس لدينا). [الملحمة الحسينية ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٤].

لقد أكد الشهيد مطهري كثيراً علىٰ أسباب التحريف، وعوامل نشوئها، وذلك لأن معرفة الأسباب والدوافع يساهم بشكل كبير وفاعل في مواجهة العملية التحريفية. ومن هنا فإنه يقدم تفسيراً عاماً لدوافع التحريف حيث يرجعها إلىٰ ثلاث عوامل:

الأول: أغراض الجهات المعادية الساعية على الدوام إلىٰ قلب الحقائق وتحريفها، ولهذا شواهده الكثيرة في التاريخ الإسلامي الذي تعرض إلىٰ حملات مكثفة من أجل تحريف الحوادث والوقائع والروايات، وقد نشط في هذا المجال حكام بني أمية حيث إختلقوا الكثير من الأحاديث والروايات التي تخدم أهدافهم المعادية للإسلام ولأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: عادة صناعة الأساطير وخلق الخرافات والأبطال لدىٰ عامة الناس، مثل قصة ضربة الامام عليّ لمرحب وشطره إلىٰ نصفين متساويين دون أن يحس مرحب بضربة السيف، وأن جبريل وضع جناحه تحت السيف ليمنع نزول السيف إلىٰ الأرض، وقد جرح نتيجة ذلك وبقي أربعين يوماً لايصعد إلى السماء حتّىٰ شفي من جرحه.

ومثل قصة قتل العباس لثمانين رجلاً في حرب صفين، وكان يرميهم في الهواء ثم يضربهم بسيفه ويقسمهم إلىٰ نصفين وذلك قبل أن تنزل جثة الأول إلىٰ الأرض.

الثالث: (وأما بالنسبة لواقعة عاشوراء بالذات فإن هناك دافعاً خاصاً آخر ينبغي إضافته إلى العاملين السابقين، والذي يقوم على الفلسفة الخاصة التي خصّ بها أولياءنا وأئمتنا هذه الواقعة المأساوية، وتوصيتهم إيانا بإحيائها وذكرها بالبكاء باستمرار.

وفلسفة التذكير والإبكاء هذه إنما تهدف إلىٰ إحياء هذه الذكرى العظيمة، وفلسفة الإحياء بدورها تهدف إلىٰ تخليد هذه النهضة على مر العصور والدهور، وهذا يعني أن الامام الحسين عليه السلام سيظهر على الناس في كل عام، وهو ينادي الرأي العام ويصيح بالعامة:

«ألا ترون أن الحق لايعمل به وأن الباطل لايتناهىٰ عنه»

وسيكون نداؤه الذي يسمع في الآفاق:

«لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما»

إنه النشيد الحماسي الألحان والتاريخ المكتوب بالدم.

ولكن للأسف ينبغي القول بأن الهدف من البكاء والإبكاء قد وضع جانباً مع الزمن، وصار البكاء نفسه هدفاً بحد ذاته لدى البعض، بل أنه صار فناً خاصاً لايجيده إلّا الخواص، بحيث أن العادة قد غلبت علىٰ أهل المنبر وقراء التعزية الحسينية أن يركزوا على الحاشية والتعليقات أو الحكايات التي تثير البكاء لدى المستمعين، أكثر من اهتمامهم بأصل الموضوع الحسيني.

وكما يبدو فان الهدف المعلن هو الحصول علىٰ مزيد من الثواب بواسطة البكاء والإبكاء، حتّىٰ وإن كان هذا الأجر والثواب يأتي من طريق التعزية الكاذبة والقصص المختلقة). [الملحمة الحسينية ٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣].

مخاطر التحريف على التربية العقائدية

لقد أدت القصص والروايات المحرفة التي تداولها بعض أصحاب المنابر وقرّاء التعزية إلىٰ تشويه صورة الثورة الحسينية وأهدافها الكبيرة، وظهرت نتيجة ذلك عقائد منحرفة عن العقيدة الإسلامية الأصيلة التي ضحى من أجلها الامام الحسين عليه السلام. وهو ما يصنّفه الشهيد مرتضىٰ مطهري ضمن التحريف المعنوي

للثورة الحسينية . ومن ذلك الرأي الذي صار يؤمن به قطاع من الناس، وهو أن البكاء علىٰ الامام الحسين ولو بدمعة واحدة كاف لأن يغفر الذنوب جميعاً مهما كان نوع تلك الذنوب وكثرتها .ويورد الشهيد مطهري قصة حقيقية لها دلالاتها الكبيرة في الواقع الاجتماعي، ولها مصاديقها الكثيرة في حياتنا، فقد قيل: لأحد الأشخاص لماذا لاتصلي ولاتصوم ولاتترك الخمر. فأجابهم بأنه مشهور باللطم علىٰ صدره، فكيف يطلبون منه أكثر من ذلك [الملحمة الحسينية ٣/ ٢٤٠].

ومن ذلك إعتقاد قسم من الناس أن من يمس جسمه غبار زيارة الامام الحسين عليه السلام فإنه لن يدخل النار بصرف النظر عن الذنوب التي إرتكبها في حياته وفي ذلك نظموا شعراً:

فإن شئت النجاة فزر حسيناً   لكي تلقى الإله قرير عين

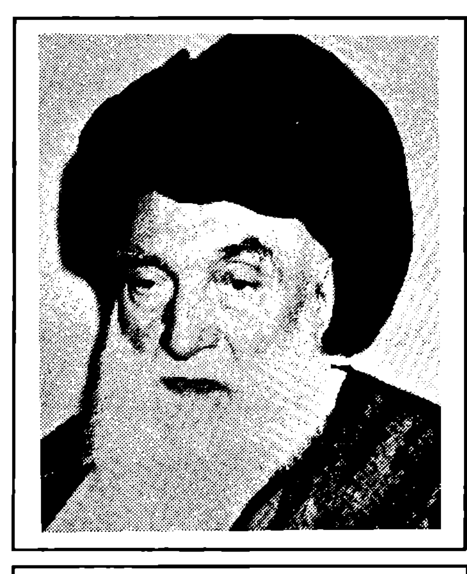
فإن النار ليس تمس جسماً   عليه غبار زوّار الحسين

إن هذه المفاهيم المنحرفة التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية، ستساهم بدون شك في إضعاف الإلتزام الديني لدىٰ قسم من أفراد الأمة، عندما يؤمنون بها ويرون فيها السبيل لدخول الجنة من أبسط الطرق .وستضيع أهداف الامام الحسين عليه السلام الذي خرج طلباً للإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويقضي على كل مظاهر الفساد والإنحراف في المجتمع الإسلامي والتي نشأت في المجتمع نتيجة الإبتعاد عن المفاهيم والأسس الإسلامية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يروي الشهيد مطهري رحمه الله حادثة وقعت في مدينة قم المقدسة مع المرجع الديني السيد البروجردي طاب ثراه، وهي تكشف عن تأثير الخرافة في الأوساط الاجتماعية وخطورتها على التوجه العقائدي فيما لو سيطرت علىٰ عقليته وسلوكه .فقد أراد السيد البروجردي أن يمنع المسرحيات التي تعرف

باسم (الشبيه) والتي فيها يتم تمثيل وقائع عاشوراء بصورة محرفة.

دعا السيد البروجردي جميع رؤساء الهيئات الحسينية في المدينة إلىٰ إجتماع في منزله، وسألهم عن المرجع الذي يقلدونه.



السيد حسين البروجردي

فأجابوا: نقلدك أنت.

فقال لهم: إن فتواي بشأن المسرحيات والتمثيليات التي تقيمونها بالشكل الذي سمعت فيه حرام في حرام.

قالوا: مولانا، نحن نقلدك طوال العام ما عدا هذه الأيام.

ويعلق الشيخ الشهيد علىٰ هذه الحادثة بالقول:

(إن هذا يبين بوضوح أن الهدف ليس الامام الحسين عليه السلام وليس الإسلام، الهدف هو المسرحية والتمثيل بحد ذاته، وما تخفيه من فوائد، أو قل من لذات واستمتاع رخيص) [الملحمة الحسينية ١/١٦٢ـ١٦٣].

لقد تحدىٰ هؤلاء الحكم الشرعي الإسلامي، وأصروا على إرتكاب المحرم بشكل فيه تحد للمرجع الذي يقلدونه، وأهملوا فتواه الصريحة لهم، ومضوا إلى القيام بإحياء ذكرى الحسين عليه السلام بطريقتهم الخاصة، بعمل مخالف للإسلام ولأهداف الإمام الحسين عليه السلام ولمدرسة أهل البيت عليهم السلام التي أرجعت الأمة إلىٰ مراجع التقليد بعد غيبة الأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه.

إن هذه الأساليب في التعامل مع ذكرىٰ الإمام الحسين عليه السلام تصادر المحتوى

الحقيقي للثورة التي أرادت من الأمة أن تعود إلىٰ أصالة الإسلام وأن تلتزم العقيدة الإسلامية في أفكارها وأخلاقها وسلوكها، وأن تقاوم كل مظاهر الإبتعاد عن الإسلام الأصيل التي أدخلها بنو أمية في الحياة والمفاهيم الإسلامية، وقد أكد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام علىٰ ضرورة إحياء ذكرى الحسين عليه السلام من أجل الحفاظ علىٰ معطيات الثورة الحسينية، وضمان إستمرار نتائجها وعطاءاتها الروحية العالية في المجتمع الإسلامي. لكن ذلك كله ينتهي ويضيع عندما تسيطر الخرافة على الحقيقة، ويتحول إحياء ذكرى الحسين إلىٰ ممارسات محرمة، ومناسبة لنشر الأفكار البعيدة عن قيم الحسين والتشيع، وذلك عبر القصص المختلقة والخرافية. وهذا ما دفع الشهيد مطهري طاب ثراه إلى القول:

(فياللأسف كيف تحولت مدرسة الامام الحسين عليه السلام وتبدلت، فعوضاً عن أن تكون مدرسة «أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر» وكما قال هو عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر»، صارت مدرسة لصناعة الرجال من أمثال يزيد وابن زياد. [الملحمة الحسينية ٣/٢٤١]

ويثير الشيخ الشهيد مطهري (قدس سره) قضية أخرى لها خطورتها في مجال تحريف العقائد والمفاهيم الإسلامية، وهي قضية تحريف أهداف ثورة الحسين عليه السلام، وهو ما يطلق عليه التحريف المعنوي، ويذكر رحمه الله ثلاثة آراء في هذا النوع من التحريف فهو يقول:

(لكن الذي حصل هو أن تحريفاً أساسياً أصاب هذه الواقعة.. وهو القول بأن الامام الحسين عليه السلام قد قتل نفسه بواسطة هذه الواقعة، بمثابة الكفارة التي دُفعت عن ذنوب الامة، وبالتالي صار الحسين متراس العصاة ودرع المذنبين وحصنهم وضمانهم.

وأما التحريف الثاني فهو: زعمنا بأن هذه الحادثة كان لها طابع خاص وفردي ،أي إننا رفعناها إلى السماء، وبهذا نكون قد جعلناها غير قابلة للاستفادة علىٰ الارض، وبالتالي نكون، قد أخرجناها من دائرة كونها مدرسة تربوية وتعليمية، مما يعني أننا لم نضعها في متناول الأحوال والأوضاع التي نمر بها في العصر الراهن من جهة، ونفينا علاقتها الوثيقة بالتعاليم الإسلامية الخاصة في هذا المجال من جهة اخرىٰ، حيث لم تعد مدرسة ولا عبرة ولا تجربة نستلهم منها الدروس والعبر.

أي أننا همشناها وحجمناها مرتين: مرة عندما أخرجناها من دائرة التجربة البشرية التاريخية، والدروس التي لابد أن تستقيها الامة منها من خلال فرض الخصوصية علىٰ طابعها.

ومرة من خلال تشويهها ومسخها بقولنا وزعمنا أنها كانت الكفارة التي دفعتها الامة باستشهاد الحسين عليه السلام، أي أننا حولنا المدرسة الحسينية إلىٰ مدرسة لصناعة الذنوب والمعاصي.

التحريف الآخر الذي وقع بشأن التعليمات الخاصة بفلسفة إقامة مجالس العزاء. وهنا ترانا مرة نقول بأنها قد وضعت من أجل مواساة الزهراء عليها السلام التي هي بحاجة إلىٰ من يُصبرها لهول الفاجعة، وما نحن إلّا وسيلة لهذه المواساة من خلال بكائنا ونحيبنا، وبالتالي فأن الهدف هو تقديم خدمة خاصة للزهراء. ومرة قلنا بأن الهدف من وراء هذا البكاء هو الحزن على الحسين عليه السلام نفسه، والتأثر لما وقع له ولأهل بيته من فاجعة في عاشوراء، حيث أزهقت روحه وأهرق دمه بيد الظلمة وهو البريء دون نتيجة تذكر. ناسين أن الوحيد الذي لم يذهب دمه هدراً هو الحسين عليه السلام... فكيف يكون دم مثل دم الحسين، وهو الذي كان سبباً في زلزلة العروش والقصور.. قد ذهب هكذا هدراً!) [الملحمة الحسينية ٣/٢٦٦ـ

٢٦٧].

إن آراء وتقييمات الشيخ الشهيد تنطلق من رؤية حركية للتاريخ، تهدف إلىٰ تحريك معطياته في الواقع الإسلامي المعاصر من أجل النهوض به إلىٰ مستوى المسؤلية الإسلامية، ولذلك نلاحظ أنه يركز كثيراً على الجوانب التي تسيء إلى المعاني السامية لواقعة كربلاء، ويدعو إلىٰ مواجهة التحريف الذي طرأ على هذه الثورة الخالدة، من أجل ضمان إستمراريتها في الواقع الإسلامي، فهو يرىٰ أنه ليس في الدنيا مشهد ولالوحة للعطاء، أرقى وأرفع وأفضل وأسمى من لوحة كربلاء. ومن هنا أوصىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام بضرورة إحياء هذه الذكرىٰ وإقامة مجالس العزاء الدائمة وزيارة قبر الحسين عليه السلام، حتّىٰ تبقى الحادثة خالدة أبداً ما بقيت الدنيا.

الموقف من التحريف

يدرس الشيخ الشهيد مطهري قدس سره قضية هامة في موضوع تحريف وقائع الثورة الحسينية، ألا وهي الموقف المطلوب من عمليات التحريف التي أصابت تاريخ واقعة كربلاء. حيث يبحث في البداية الأطراف التي تتحمل مسؤولية ما حدث من تحريف، ويُرجع ذلك إلى العلماء والأمة على حد سواء، وهو في ذلك يختلف مع الآراء السائدة عند قسم من العلماء الذين يلقون مسؤولية التحريف علىٰ الأمة، كما يختلف مع قسم من أبناء الأمة الذين يلقون باللائمة على العلماء باعتبارهم أصحاب الرأي في القضايا العقائدية والتاريخية وهم الذين يضطلعون بمهمة إرشاد الأمة وتوجيهها .وهو قدس سره في هذه النظرة يحمّل الجميع مسؤولية واحدة فيما حدث، إنطلاقاً من أن المجتمع الإسلامي كيان عضوي واحد، وأن قضايا الإسلام تهم الجميع بلا إستثناء، فالعالم مسؤول في مجالات البحث العلمي والتاريخي ويتحمل نتائج آرائه وكتاباته التي يطرحها

للناس، والفرد العادي يتحمل مسؤولية نشر الحقائق ومقاومة الخرافة ،لاسيما وأن هناك الكثير من القضايا لاتحتاج إلى البحث والتدقيق العلمي، بل تحتاج إلى الفطرة السليمة من أجل إكتشاف صحتها أو خطأها.

ويضرب الشهيد مطهري لذلك مثلاً بالشعر المعروف:

فإن النار ليس تمس جسماً   عليه غبار زوّار الحسين

حيث يناقش هذه الفكرة في ضوء العقيدة الإسلامية التي تؤكد أن العقاب والثواب يرتبط بالأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته، كما ورد في الكثير من الأحاديث الشريفة. ويذكر في هذا المجال القصة التي نسمعها حول أحد قطاع الطرق الذي كان يترصد قافلة لزوّار الامام الحسين عليه السلام ليسرقها، لكنه غلبه النوم وهو في مكمن له ينتظر القافلة، وفي نومه رأىٰ مناماً أنه في يوم القيامة يلقى في جهنم لكثرة ما ارتكبه من معاصي، لكن جهنم تلفظه فلا يدخل فيها، والسبب في ذلك أن جسمه أصابه غبار زوار الحسين عليه السلام.

إن هذه القصة واضحة في بطلانها وزيفها، فكيف يدخل الجنة مجرم أراد سرقة زوار الحسين عليه السلام وكانت نيته منحرفة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول:(إنما الأعمال بالنيات)، لمجرد أنه أصابه غبار زوار الحسين خلال نومه في إنتظار القيام بجريمته. [ص ٧٥].

لقد أكد الشهيد مطهري علىٰ ضرورة مواجهة أمثال هذه الأفكار المنحرفة لأنها تسيء إلىٰ مضمون الثورة الحسينية واهدافها الكبرى التي أرادت حفظ الإسلام الأصيل من كل تحريف. وينادي قدس سره بضخامة المسؤولية الملقاة علىٰ اعناق الجميع من أجل مواجهة هذه الانحرافات التي تعرض لها تاريخنا الإسلامي، والتحريف الذي لحق برموز الإسلام.

ويسلط الشهيد مطهري الضوء علىٰ مهمة عالم الدين في مواجهة التحريف من

ناحية ميدانية واجتماعية ، فهو يقول :

(إن نقاط الضعف الروحية والاخلاقية والاجتماعية للأفراد تعتبر نوعاً من أنواع الأمراض . ففي الأمراض الجسمية غالباً ما يحس المريض نفسه بالمرض ويذهب عندئذ لمعالجته . لكن الأمر مختلف في الأمراض الروحية إذ ان الأمر يصبح أكثر تعقيداً من حيث أن الشخص المريض هنا لا يدرك أنه مريض ، بل أنه على العكس من ذلك قد يتصور أنه أكثر سلامة من غيره ، وربما يصبح متعلقاً بمرضه ذلك بشدة ، والأفراد لا يرون نقاط ضعفهم ولا يشخصونها علىٰ أنها نقاط ضعف ينبغي معالجتها ، بل أنهم يرون فيها نقاط قوة ينبغي لهم ترسيخها . إن وظيفة العالم ومسؤوليته أن يدرك ويشخص نقاط ضعف مجتمعه ، ان تصرف العالم في مواجهة نقاط ضعف مجتمعه يتخذ حالتين :

أولاً : إما أن يكافح نقاط الضعف هذه ، وفي أغلب الأحيان ستكون الناس غير راضية عنه .

ثانياً : وإما أن يرىٰ في عملية مكافحة نقاط ضعف مجتمعه أمراً صعباً ومهمة عسيرة وأنها مسألة تجلب له الضرر وليس فيها أية منفعة شخصية تذكر ، وبالتالي فانه سيختار اسلوب الإستفادة من نقاط الضعف المنتشرة ، وهنا سينطبق عليه قول الرسول الأكرم ﷺ ويصبح مصداق (الفقيه الفاجر) وهي الفئة الاجتماعية التي عرفت على أنها من آفات الدين الثلاث) [الملحمة الحسينية ١/ ٨٠ ـ ٨١] .

وفي تحليله لنقاط الضعف يرى الشهيد مطهري أن هناك نقطتي ضعف في مجال إقامة المجالس الحسينية :

الأولىٰ : هي الرغبة القوية عند أصحاب المجالس الحسينية ، في زيادة عدد الحاضرين إلىٰ اكبر قدر ممكن .وهذه الرغبة تواجه الخطيب فيقف هنا أمام

خيارين ، إما مسايرتها والعمل علىٰ تحشـيد الحـاضرين بـصرف النـظر عـن المحتوى الذي يقدمه للناس ، وأما أن يطرح الأفكار الصحيحة ويواجه الانحراف بصرف النظر عن مصالحه الشخصية .

الثـانية : هـي أن أكـثر النـاس يحـبون العـرض المـأساوي لقـضية الامـام الحسين عليه السلام . يقول الشيخ الشهيد مطهري :

(إن الواعظ الحسيني يجب أن ينهي حديثه بذكر المصيبة ، وذكر المصيبة هذا ينبغي أن لايقف تأثيره عند بكاء الناس ، فالبكاء وحده لايكفي ، بل أن المطلوب أن يهتز المجلس من مكانه ويرتج ارتجـاجاً وتـظهر كـل مـلامح المـأساة في ذلك المجلس . وأنا لا أخالف أن يهتز المجلس ، ولكن أقول إن إهتزاز المجلس ووقـوع الهرج يجب أن لايكون هدفاً بحد ذاته . فإذا كان الأمر كله يتم في الاتجاه الصحيح ويترافق ذلك مع شرح الحقائق وتبيانها دون اللجوء إلىٰ قراءة التعزية الكاذبة أو اللجوء إلى التزوير والتحريف ... فإذا سال الدمع على قاعدة الصدق والحقيقة ، وحصل عندها الغليان واهتز المجلس وتمثلت كربلاء في ذلك العزاء فإنه أمر جيد جداً . ولكن ماذا لو إختفت الحقيقة والصدق والإخلاص فهل علينا أن نحارب الامام الحسين عليه السلام ونعاديه ونكذب عليه ونتقول عليه .

هل يجوز لنا أن نستغل نقطة الضعف هذه ونقول إنه يجب استغلال هذه الحالة وركوب الموجة ... إن الرسالة الخطيرة والكبيرة الملقاة علىٰ عاتق العلماء هـي مكافحة نقاط الضعف التي يعاني منها المجتمع .ولذلك فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إذا ظهرت البدع في أُمتي فليظهر العالم علمه ، وإلّا فعليه لعنة الله» .

فواجب العلماء في عصر خاتم النبوة هو مكافحة التحريف ، ولحسن الحـظ فإن وسائل هذا الكفاح وأدواته موجودة كما أن هناك عدداً لا بأس به من العلماء ممن وقفوا هذا الموقف المشرف حتىٰ الآن . وأما كتاب اللـؤلؤ والمـرجـان الذي يتعرض فيه مؤلفه إلىٰ موضوع واقعة عاشوراء التـاريخية .. إلّا تـطبيقاً عـملياً

ومصداقاً حياً لهذه الوظيفة المقدسة جداً، والتي قام بها الشيخ النوري على أحسن وجه.

إن من واجب العلماء في مثل هذه الحالات عرض الحقائق على الناس دون أية مواربة حتّىٰ وإن أنفت الناس أقواهم. وإن واجب العلماء أيضاً مكافحة الأكاذيب وكشف المكذّبين وفضحهم علىٰ رؤوس الأشهاد). [الملحمة الحسينية ١/٨١ ـ ٨٣].

لكن المؤسف حقاً أن تتعرض الكثير من محاولات تنقية المنبر الحسيني ودعوات تنقية تراث الثورة الحسينية والتي نادىٰ بها أعلام التشيع في فترات مختلفة، إلىٰ تشهير وتشكيك ظالم من قبل البعض، وقد نجح هؤلاء في خلق أجواء متشنجة ضدهم، ووضعوهم في زاوية العداء لأهل البيت والخروج من التشيع، مستغلين العواطف الساذجة عند البسطاء من الناس. والحق أن الذي يُتهم بالإبتعاد عن منهج أهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء المشككين الذين يريدون إبقاء الخرافة وتحويلها إلىٰ ثوابت في العقل الجماهيري.

ويثير الشيخ الشهيد مرتضىٰ مطهري طاب ثراه نقطة علىٰ قدر كبير من الأهمية والحساسية في الأوساط العامة، وهي مسألة الموقف من العلماء المعروفين بالتقوىٰ والعلمية، ولكنهم في ذكرهم لحوادث عاشوراء يروون القصص المختلقة الكاذبة .حيث يقول:

(فهل يجوز في مثل هذه الحالة بأن يكون الرجل عالماً ورجلاً ذا تقوىٰ، ومن المشهورين بإخلاصه للامام الحسينعليه السلام، يسمح لنا بالسكوت عنه.. أبداً فهذا الرجل يجب أن يُجرح وهذه وظيفة العلماء ورسالتهم الخطيرة) [١/ ٨٥].

إن دعوة الشيخ مطهري قد لاتروق للبعض حيث يرون فيها جرأة علىٰ مقام بعض كبار العلماء، لكنه قدس سره ينطلق من رؤية رسالية هادفة للقضية،

حيث يرىٰ أن الحقائق الإسلامية أهم من الأشخاص والإعتبارات الذاتية ،وأن الهدف الإسلامي الكبير يتقدم على أي اعتبار شخصي ، فالشخص في خدمة المبدأ وليس العكس .وهو يؤكد أكثر من مرة في محاضراته حول الثورة الحسينية أن قيمة الثورة ومعطياتها الحقيقية ، تحقق أهدافها التي أرادها أئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال العرض الموثق للواقعة ، لامن خلال القصص المحرفة المختلقة ، وأن التحريف هو الاسلوب الأكثر خطراً علىٰ أهداف الثورة الحسينية لأنه سيصادر كل محتواها العقائدي الذي أراده الامام الحسين وأئمة أهل البيت عليهم السلام عندما أكدوا ضرورة إحياء ذكرى الحسين عليه السلام .

مسؤولية المنبر

يحتل العمل التبليغي أهمية كبيرة في الحياة الإسلامية ، حيث يقوم الخطيب والواعظ في نشر مفاهيم الإسلام وتوجيه الناس فكرياً وأخلاقياً باتجاه المفاهيم الإسلامية . وقد قدّم الخطباء خدمات جليلة للأمة في مختلف العصور ، وساهموا في تعريف قطاعات واسعة من الأمة بالمفاهيم الإسلامية وتثقيفهم فكرياً وعقائدياً .

كان الخطيب في الماضي يحتل مكانة إجتماعية متميزة في الحياة الإسلامية ، فقد كان كبار العلماء هم خطباء يمارسون الخطابة على المنابر ، إلىٰ جانب مهامهم في التدريس والإفتاء وتصنيف الكتب العلمية في مجالات المعرفة المختلفة ، وكان لقب الخطيب يذكر كصفة علمية لكبار العلماء مثل الخطيب الرازي لمصنف التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) والخطيب البغدادي لصاحب كتاب (تاريخ بغداد) والخطيب التبريزي لصاحب كتاب (المطول) وغيرهم الكثير من الأعلام والفقهاء .

لكن حدث في الفترات المتأخرة أن إنفصل موقع الخطابة والوعظ عن موقع

المرجع وعالم الدين ، وإمتنع المراجع وعلماء الدين عن إلقاء الخطب وصعود المنبر ، وأصبحت النظرة إلى الخطيب على أنه أقل أهمية من العالم .

وقد درس الشهيد الشيخ مطهري قدس سره هذه الظاهرة وقال عنها :

(إن الأمر قد وصل إلىٰ درجة أن أهل العلم والفضل وكل من له ثقافة عامة ، صار يخجل من صعود المنبر وتولي أمر الخطابة . وصار يقال ان فلاناً من الناس عالم لايجوز الحط من شأنه والطلب منه صعود المنبر والقيام بمهمة التبليغ ... إن المجتمع بشكل عام قد خفض وحط من شأن التبليغ حتّىٰ صار العالم يستنكف الصعود إلى المنبر ويرىٰ أنه من العار عليه أن يُنزّل من مقامه إلى الحد الذي يتولى فيه أمر التبليغ والهداية .

إن مجتمعنا للأسف ينظر إلىٰ إمام الجماعة نظرة إحترام وتقدير أفضل مما هي نظرته إلى الخطيب والمبلّغ . في حين أن القيام بواجب إمام الجماعة بالوقوف أمام المصلين والصلاة بالناس لايحتاج إلىٰ فن . ولأنني شخصياً عايشت جو العملين ومررت بالحالتين أي أنني كنت إمام جماعة لفترة من الفترات ، وكنت خطيباً لفترة أخرىٰ ، لذلك أقولها بكل صراحة إن الناس كانت تعاملني وأنا في المحراب باحترام أكثر مما تعاملني وأنا خطيب .

لقد قضيت فترة في شهر رمضان وأنا أصلي في الناس جماعة في أحد المساجد ، ثم صرت خطيب المسجد في فترة اخرىٰ ، فرأيت الفارق بين المعاملتين إذ كانوا يعاملونني عندما كنت إمام جماعتهم باحترام أكثر من معاملتهم لي وأنا خطيبهم ، مما جعلني أعتقد أن الناس تفضل وتقدر اللافن على العمل الفني) . [الملحمة الحسينية ٢/٢٧٢ـ٢٧٣] .

ويناقش الشهيد مطهري خطأ هذه النظرة مقارنة بالجذور التاريخية للحياة الإسلامية ، حيث أن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان خطيباً ، وكذلك الامام علي عليه‌السلام كان

خطيباً في الكوفة خلال فترة حكومته، ومن خطبه ألّف الشريف الرضي (نهج البلاغة) الذي جمع فيه قسماً من خطب الامام علي ﷺ. كما أن الدور الكبير الذي قامت به العقيلة زينب عليها السلام إنما كان دوراً تبليغياً هاماً، حيث وقفت في أكثر من مناسبة تخطب في الجموع تلك الخطب البليغة التي زلزلت كل موازين القوىٰ وأربكت الأوضاع القائمة في حكومة بني أمية.

إن دراسة واستيعاب المهمة التبليغية في حركة الإمام الحسين ﷺ مسألة لها أهميتها، إذ انها تشكل جزء من حقيقة ومسار الثورة، فالأسرىٰ لم يكونوا كبقية الأسرىٰ في الحروب، إنما كانوا فرقة تبليغية للإسلام فضحت سلطة بني أمية وكشفت زيف إدعاءاتهم بالإسلام.

وفي دراسته لواقع المهمة التبليغية في حياتنا المعاصرة، يرى الشهيد مطهري أن مجتمعنا هو الذي قلل من قيمة التبليغ والخطابة عندما أخذ يميّز في نظرته بين الخطيب والعالم، فينظر إلى الخطيب نظرة قليلة الأهمية مقارنة بالعالم، وعندما (يأخذ وضع الخطابة والخطيب هذا الموقع المتدني في أعين الناس.. فإنه عند ذاك سيجد كل عالم أن كرامته ومقامه لايسمحان له بممارسة مهمة الخطابة والتبليغ وهداية الناس وإرشادهم، ومن ثم فان هذه المهمة ستقع بأيدي أفراد غير مؤهلين لمثل هذا المقام الرفيع وتصبح مهمة الوعظ والتبليغ تراوح مكانها ولاتغادر موقع الشعر الملحن والقدرة علىٰ قول أشعار المديح وبعض المراثي الشعرية. وهل بالإمكان أن نتوقع أن يصل نداء الإسلام ونداء السماء الرباني ونداء محمد ونداء عليّ وفلسفة هذا الدين العظيم الواسع ذي الأبعاد المتنوعة والمختلفة الدنيوية منها والأخروية، أن يصل كل هذا سالماً إلى الناس) [الملحمة الحسينية ٢/ ٢٧٤ـ ٢٧٥].

وينتقل الشيخ مطهري إلىٰ رسم الصورة المطلوبة للخطيب حيث يرى أنه يجب أن يتمتع بمستوىٰ علمي يؤهله للقيام بهذه المهمة الحساسة، حيث يقول:

(لابد للمبلغ أن يحسن القول ويملك القدرة علىٰ الاستدلال، وإذا ما كانت شروط المبلّغ في الأزمان السابقة صعبة وخطيرة فهي في العصر الحاضر أصعب منها وأخطر بعشرات بل مئات المرات.

إن الشرط الأول الذي ينبغي أن يتوفر في أي مبلّغ هو معرفته بالرسالة التي يريد تبليغها.. أن يعرف ماهية تلك الرسالة وجوهرها.

الشرط الثاني الذي ينبغي ان يتوفر في حامل الرسالة ومبلغها هو معرفته في طريق وأساليب التبليغ والمهارة الخاصة بذلك).

ومن الضروري الإشارة إلىٰ أن الشهيد مطهري عندما يتحدث عن نقاط الخلل في المهمة التبليغية، فإنه يريد لها أن تحظى بالإهتمام المطلوب في الاوساط العلمية من أجل أن تؤدي دورها الرسالي الذي تحتاجه الأمة.

وبشكل عام فإن دراسة الشهيد الشيخ مطهري كانت منطلقة من حرص رسالي ،كما أن ماتعرضت له القضية الحسينية من تشويه وتزوير وتحريف دفعته إلىٰ إطلاق هذه الصرخة من أجل العودة إلى التراث الحقيقي للثورة الحسينية، ومن أجل تحريك معطياتها الفكرية والسلوكية والعملية في الواقع الإسلامي العام. وقد سبق الشهيد مطهري عدد من المصلحين في هذا الاتجاه، لكنهم تعرضوا إلىٰ ردود فعل منفعلة من قبل البعض، ومع ذلك لم يمنع ذلك الشهيد الكبير مرتضىٰ مطهري قدس سره من السير في هذا الطريق، لأن واجبه الرسالي دفعه لنصرة الحق المتمثل في محاولة إحياء ذكرىٰ الامام الحسين عليه السلام وفق المنهجية التي تخدم أهدافه ورسالته لتجعل منه المدرسة الأصيلة التي تحمل همّ الإسلام وتسير في خط أهل البيت عليهم السلام باتجاه الاهداف الإسلامية الكبرىٰ.

الفصل الثاني

الشيخ أحمد الوائلي

عميد المنبر الحسيني المعاصر

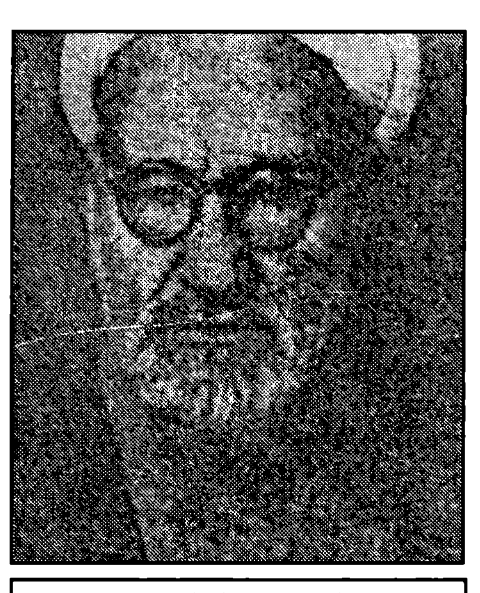
نتاج المرجعية الرشيدة

من الخصائص المتميزة في الوسط الشيعي، أن المشروع الذي ينطلق من أجواء المرجعية الدينية، يحظىٰ بالقوة والاستمرار، وذلك نتيجة الموقع المتين للمرجعية في الوسط الإسلامي.

إننا نلاحظ أن هناك الكثير من المشاريع لم يكتب لها النجاح، لانها ولدت خارج الاطار المرجعي، في حين أن جوها الطبيعي هو المرجعية. وهذه مسألة لها أهميتها في الحياة الشيعية. ولا نقصد أن المشروع الإسلامي إذا لم يكن صادراً من المرجعية، فانه لايرىٰ النجاح، ولكن الذي نؤكد عليه، أن المشاريع التي تدخل ضمن توجهات المرجعية وطبيعة نشاطاتها، تضمن النجاح فيما لو انطلقت من جو المرجعية وتخطيطها.

فعلىٰ سبيل المثال، نلاحظ ان إنشاء مدرسة للعلوم الدينية، أو مؤسسة اسلامية ذات نشاط اجتماعي، أو معهد قرآني، يكون أكثر فاعلية وقدرة علىٰ العطاء والاستمرار، لو كان مشروعاً صادراً عن المرجعية، أو يحظىٰ بتأييدها واهتمامها.

وفي تصورنا أن ربط المشاريع الإسلامية بالمرجعية الدينية، عملية ضرورية، وذلك كجزء من المشروع الكبير الرامي إلى جعل المرجعية الشيعية، مؤسسة ذات آفاق مستقبلية حية وبالتالي تتحول من الذات إلى المؤسسة.



الشيخ محمّد علي اليعقوبي

المنبر كمشروع اسلامي، يرتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بالمرجعية الدينية، وهو أحد مجالات نشاطها المهمة، بل هو صوتها المعبر عن همومها وتوجهاتها عبر الزمن. لذلك من أجل أن يكون المنبر الحسيني معطاءً هادفاً، فإن من الضروري أن يكون مشروعا مرجعياً رائداً، بمعنىٰ أن يكون الخطيب وليد الحوزة العلمية، ونتاج المرجعية الدينية الرشيدة.

إن الخطيب الحسيني ليس صوتاً وواقعةً، إنما هو رسالة علمية تبليغية، ومدرسة تربوية نحو الأصالة الإسلامية فالخطيب الناجح هو الذي يقدم لمستمعيه، الرؤية الإسلامية الصحيحة، والتوجيه البناء، والفكرة المبدعة.

ولذلك نلاحظ في تاريخ المنبر الحسيني، أن الخطيب الذي يتمتع بمستوىٰ علمي متميز، يكون أقدر من غيره علىٰ خدمة الجماهير، لأنه يقدم لها الفكر الذي تحتاجه في حاضرها ومستقبلها. فيستطيع أن يحول الذكرىٰ الحسينية، إلى حالة معاصرة حية، لا أن يجمدها في حدود التاريخ وحده.

إن الخطيب الذي يتمتع بخصائص علمية واخلاقية متميزة والذي يكون في شخصيته وفكره نتاجاً للمرجعية، هو الخطيب المدرسة، والمعلم الواعي لجماهير الأُمّة وهذا ما نلاحظه في تجربة المنبر الحسيني المعاصر، متمثلاً في نموذجين بارزين.

الاول الشيخ محمّد علي اليعقوبي رحمه الله، الذي كان نتاجاً مرجعياً، حظي بدعم وتوجيه المرجع الديني السيد أبو الحسن الاصفهاني (رض).

والثاني هو الدكتور الشيخ أحمد الوائلي حفظه الله الشاعر والعالم والمفكر الذي حظي بدعم المرجعية الدينية، وكان وليدها الواعي المبدع، واستطاع أن يقدم خدمة كبرىٰ للمنبر الحسيني، ولابناء الأُمّة الإسلامية في عصرنا هذا.

لقد تعرضنا في كتابنا هذا لمواقف متفرقة للشيخ اليعقوبي، وسنخصص هذا الفصل لدراسة بعض الملامح العامة لشخصية الدكتور الوائلي الذي يعد بحق عميد المنبر الحسيني وأميره.

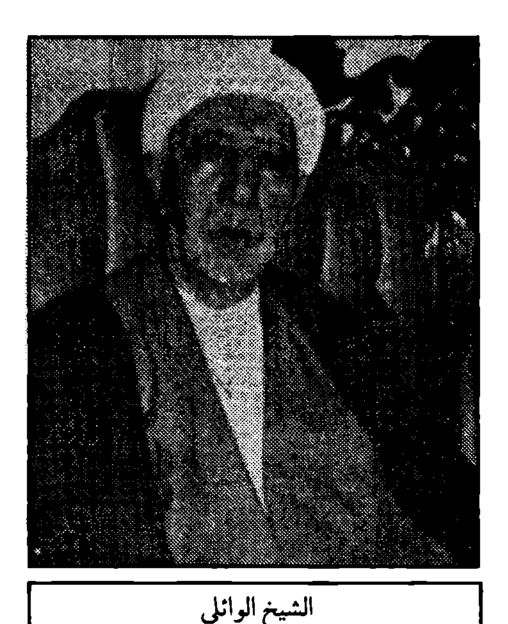
ظاهرة الوائلي

منذ منتصف هذا القرن إحتل الدكتور الشيخ أحمد الوائلي مركز الصدارة في الخطابة الحسينية، فلم يستطع أن ينافسه فيها منافس، ولم يتمكن خطباء المنبر الحسيني أن يجاروه في قدراته الخطابية والفكرية والأدبية. فهو صاحب مدرسة مستقلة خاصة في الخطابة وذاك أمر لم يتيسر للكثيرين. ومدرسته رائدة في منهجها وإسلوبها، لذلك جاءت متفردة في عطاءاتها وأبعادها.

ولأن مدرسته كانت كذلك فقد جاء الخطباء من بعده يسيرون علىٰ نهجه ويقتبسون من شعاع مدرسته، وليس في ذلك منقصة لهم، بل اني أرىٰ ذلك فخراً لهم. لأن مدرسة الوائلي هي المدرسة الحسينية التي إنطلقت من إصلاحات المصلح الفذ الشيخ محمد رضا المظفر، فلقد إستقىٰ من معينها الصافي، وكان نتاجها الطيب، كما كان الخطباء الذين جاءوا بعد الشيخ الوائلي من نفس النتاج.

حاول البعض أن يقلّد حركاته وهو على المنبر.. أو يقارب صوته من صوته، وما ذلك إلّا دليل علىٰ عبقرية هذا الخطيب غرس أبي تراب.

والذي مكن الشيخ الوائلي من تبوأ هذه المكانة الرفيعة في عالم الخطابة، ثلاثة عوامل أساسية:



الشيخ الوائلي

١ ـ تتلمذه علىٰ ثلة من العلماء الكبار أبرزهم الشيخ محمد رضا المظفر.

٢ ـ نشوءه في بيئة النجف الأشرف المعروفة بثرائها العلمي والأدبي، فكان أديباً لامعاً وشاعراً مرهفاً وكاتباً إسلامياً عقائدياً.

٣ ـ تحصيله الأكاديمي العالي الذي جعله يجمع بين الدراسة الحوزوية والدراسة الجامعية الحديثة.

وهذه عوامل يصعب أن تتوفر في خطيب واحد. هذا إضافة إلىٰ ملكاته الخطابية وشخصيته المبدعة التي أسست مدرسة خطابية مستقلة، فلم يأت مقلداً يتتبع خطوات الذين سبقوه، بل جاء مؤسساً يتتبعه الآخرون.

وفي كل واحدة من هذه الصفات كان الوائلي متميزاً، فهو العالم الديني البارز في المجالس العلمية ومراكز البحث، وهو الشاعر المجيد الذي غطت قصائده الكثير من المناسبات والأحداث، وهو الاستاذ الأكاديمي البارع في تخصصه. ثم تأتي الخطابة لتجمع ذلك كله وتنظم تلك الملكات في وقت واحد عندما يرتقي المنبر الحسيني ليوظف كل ملكاته في خدمة القضية الحسينية.

لقد تأثر الشيخ الوائلي باستاذه الشيخ محمد رضا المظفر، كما تأثر به كل من عرفه، فالشيخ المظفر كان علماً من أعلام الأصلاح قلّ نظيره في المجتمعات

الإسلامية ، وهو الذي يعود اليه الفضل في تنشئة العديد من الشخصيات التي كان لها الدور الكبير في المواقع العلمية والاجتماعية .

كتب الشيخ الوائلي قصيدة يرثي فيها إستاذه المظفر ، ومن أبياتها يمكن معرفة مدىٰ تأثره به ، وذوبانه في شخصه ومنهجه ومدرسته :

لا لن يموت نديٌّ منك مؤتلق ... بالنيّرات وللأمجاد منعقد
يا أيها النبع ثرّاً في تدفقه ... أيام أغزر ما في دهرنا الثَّمَد
ستون عاماً ضخاماً في حصائلها ... وان تبدّىٰ قصيراً عند ها العدد
ومن عطائِك فيه ألف باسقةٍ ... شواخ في نداها للسَّما نُهُد
لا يأكل التُرب روحاً منك خالدةً ... بل كل ماللتُّراب الشلو والجسد

الإبداع عند الوائلي :

إن الإبداع الذي حققه الشيخ الوائلي في خطابته أنه غيّر طريقة الخطابة الحسينية ، وفق نمط جديد تمثل في إفتتاح مجلسه بآية من القرآن الكريم ، ثم يبدأ بالحديث عنها وتفسيرها والتوسع في مضامينها العقائدية والاجتماعية والاخلاقية وما إلىٰ ذلك من مواضيع تتصل بالآية . وهو منهج لم يكن معروفاً قبل الشيخ الوائلي . حيث كان المجلس يبدأ بأبيات شعرية حول المصيبة الحسينية ينطلق منها الخطيب في خطبته . وبذلك يكون الشيخ الوائلي قد احدث تطوراً مشهوداً في الخطابة سار عليه الخطباء الذين جاؤا بعده . وقد ألف الناس هذا النمط من الخطابة وإعتبروه نمطاً نموذجياً يفوق الطريقة التقليدية التي تبدأ بأبيات من الشعر .

لقد فرض الدكتور الوائلي على كل من سمعه أن يتابع خطبته حتّى النهاية ، ويحرص علىٰ متابعة بقية خطبه الحسينية . وكانت مجالس ما قبل الشيخ الوائلي تضم عادة كبار السن ، وبسطاء الناس . أما مجالسه هو فقد تميزت بحضور الطبقة

المثقفة من الطلبة الجامعيين والاساتذة ورجال الادب والفكر. وكل من يحضر يخرج بحصيلة مفيدة ينتفع بها. فالشيخ لا أخذ علىٰ نفسه إلّا أن يفيد سامعيه بالرأي الجديد والفكرة الغنية والموعظة المؤثرة.

عصر الوائلي:

في الملف الخاص الذي نظمته مجلة الموسم عن الشيخ الوائلي، وجدنا من المناسب أن ندرج هنا ما كتبته تحت هذا العنوان:

من العوامل المؤثّرة في صياغة شخصية الوائلي، هو عامل المجتمع الذي عاصره فالوائلي ابن النجف الأشرف، نشأ في محيطه تربية وتعليماً، والنجف من أعرق البيئات الثقافية الإسلامية قدماً، يقول الدكتور علي جواد الطاهر:

(النجف مدينة العلم الديني المنقطع النظير، ثم الأدب والشعر، وهي فيهما نادرة من النوادر واعجوبة من الأعاجيب، يُعنى أهلها بقول الشعر وسماعه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب، انهم أدباء كما يتنفّس المرء الهواء.. ولاتسل بعد ذلك - عن الكتب والمكتبات، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة، وما يُتلىٰ من شعر في الافراح والأحزان، وفي مآتم الحسين بن علي وما يتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس..

إن الشعر في النجف حياة، وهو لدىٰ ابنائها ولا أسهل منه أو أيسر، أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً، جداً وهزلاً، وهو مجد كما هو مرتزق، وعلامة فارقة لا تكاد تضاهيها فيه بلدة اخرىٰ في العالم العربي..

ومن خواص النجف التي تذكر بالاكبار انها سايرت التطورات الدينية الأدبية في العالم العربي، بصدر رحب وأفق واسع فهي مع محافظتها على أصالة الفكر الإسلامي لم تتزمت فترفض المعاصرة، وإنما أخذت من وسائلها وأسبابها ما رأته الضروري النافع حتّىٰ (أنّ الكتب الحديثة ما تكاد تدخل العراق حتّىٰ

تتجه رأساً إلى النجف فتتلقفها الأيدي هي وكتابات أكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي، وفيهما ما يناقض الفكر النجفي المناقضة كلها، وهو رد فعل يتبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصىٰ من رد فعل مطبوعات الآستانة، والهلال، والمقتطف، وشبلي شميّل والريحاني.. ومجلات وجرائد مما يعد حراماً وكفراً والحاداً...

علىٰ كل حال نشأ الوائلي في هذا العصر الذي يعتبر قمة في نضج وسعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف أبعاد المعرفة، وكان من عناية الله تعالى بالحوزة أن تتابع جيل من المراجع المحققين والعلماء الكفوئين لقيادة الحوزة، وقد ضمت هذه الفترة علىٰ تعاقب واجتماع:

الميرزا حسين النائيني، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ محمد حسن المظفر، والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد حسين الحمامي، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، واضرابهم من فحول العلماء الاعلام، وهؤلاء مجرد نموذج لا علىٰ نحو الاستيعاب، وتليهم طبقة أخرىٰ ضمّت مجموعة، منهم:

الشيخ مرتضىٰ آل ياسين، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد موسىٰ آل بحر العلوم، والسيد محمد باقر الصدر، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، والسيد ميرزا حسن البجنوردي، وأمثالهم، وهذه المجموعة هي الأخرىٰ مجرد نموذج من عدد كبير.

وحفل عصره أيضاً بعدد من الخطباء المبرزين، منهم الشيخ محمد علي اليعقوبي، والشيخ محمد علي قسام، والسيد صالح الحلي، تليهم طبقة اخرىٰ نسجت علىٰ منوال السابقين ممن ذكرناهم من الأدباء والشعراء فيشكلون كمّاً كبيراً لهم طابعهم النجفي الخاص، وأدبهم الناضج والرائد، ابتداءاً من شيخ

الأدب الشيخ محمد جواد الشبيبي، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ علي الشرقي، والشيخ محمد مهدي الجواهري، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ صالح الجعفري، والدكتور عبد الرزاق محي الدين، وكثير غيرهم ممن صقلت بهم أبعاد النجف الحضارية، ومن الجدير بالذكر أن معظم أهل العلم شعراء ولكنهم لا يرغبون بذكر ذلك عنهم لرغبتهم في الاحتفاظ بالنهج العلمي والاشتهار بذلك، أما المحققون في الابعاد الفكرية الأخرىٰ فيوجد أعداد كبيرة، ورد ذكرهم في كثير من الموسوعات والمراجع المتخصصة، ومن أراد الاستزادة الرجوع اليها لأن النجف وبالاختصار كل زقاق من ازقتها معهد علمي، وكل ناد من انديتها ومجلس من مجالسها هو عبارة عن مؤسسة ثقافية تحفل بعطاء علمي ناضج.

ومثل هذا الجو لابد أن يفعل فعله في شخصية الوائلي، فقيهاً كان أو شاعراً أو خطيباً، ويعمل علىٰ صقله وتهذيبه، وبالتالي تكوينه بالشكل اللائق، ولاشك أن للاستعداد الفطري لديه أثر في توجهه وحرصه على الانتهال من هذا الغدير الذي يحمل سمات المعلم الثاني بالوجود الامام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن قدس روحانية مرقده السامي الرابض كالأسد على الذكوات البيضاء من الغري الأغر، ومن فيض نفحاته وبركاته أن عايش الوائلي وأقرانه هذه الأجواء الرائعة التي قد لا يجود الدهر بمثلها، وعاصروها وتفاعلوا معها فكراً وعقلاً وروحاً، واستطاعوا أن يعطوا، ويؤثروا في الأوساط العلمية والاجتماعية، وللنجف في شخصية الوائلي أثر بليغ محفور في ذاكرته، ورنين يومي أبدي الحضور في شعوره وتصوراته، يُملي على ذاته تمثلها في حركاته وسكناته، ولم تزده الغربة إلّا تعلقاً وتولّهاً وهياماً وشوقاً مضرم اللهب، جياش العواطف، لن يهدأ ولا يستكين:

صورأقن بمقلتيَّ اقامة المعمود	في ربع الحبيب النائي
يزددن حسناً كلما بعد المدىٰ	ويلفهنَّ البعد في لألاء
وتراب أوطاني ربيعٌ أخضر	ولو أنها في بلقعٍ جرداء

صــافحته بــالخَدِّ عــند ولادتي ورسمت مــنه بجــبهتي طــغرائي

* * *

(وادي الغري) وحق رمـلك وهـوما اشــتاقه في غـــدوتي ومســائـي
لو تســتبين عـلى البـعاد مشـاعري مــلهوبة كـالجمر في الظـلمـاء
وصـبابتي وأنـا القـصي عـن الحـمى وبمـــقلتي تــلّفت الغـــربـاء
لــحزنت لي ولحـنَّ رمـلك مـثلما ضـج الحـنين بـأدمعي ودمـائـي
فــأنا ابــنك البرّ الوفي وفــطرة عــطفُ الأب الحــاني عـلىٰ الأبـناء
أتــرىٰ وطــيفــك يســتبد بمقلتي انســاك لا ورمـالك السـمـراء
فــأنا هــيب مشــاعــر وصــبابةٍ تــواقــة لقــبابـك الشّماء
وإلىٰ محـاريب العــبادةِ والتــقىٰ ولخشــعــةٍ مــن راهب بكّـاء
أمـا مـدارسك التي رقت بهـا للــفكــر الف خمــيلةٍ غـنّاء
أنـا مـن طـيوف خمـيلها أشـدوبما في روضهـا مــن روعــةٍ وبهـاء
وبــبطن تـربكِ لي جـذور أوغـلت مـن أعـظم الاجـداد والآبـاء
ممــن أراق دمــاً وأسرج فكــرةً مـن أجـل مجـدكِ دونـها ضـوضاء
وبـراعـم لي في حشـاكِ دفـنتهم كـانوا النسـيج البكـر مـن أحشـائي
وأريت فــيهم للــطفولـة بســمةً ودفــنت فــيهم بهــجتي وهـنـائي
فـلديك أصــل والفـروع وانـني أنـا لاحـق بهـما بـدون مـراء

إنتهىٰ ما اخذناه من مجلة الموسم.

الحوزة في توجهات الوائلي:

حقق الوائلي تفوقاً في كل صنف من صنفي دراسته الحوزوية والأكاديمية. فقد

التحق بالكتاتيب مثل بقية أقرانه، وكانت علامات النبوغ والتفوق واضحة عليه، ففي السابعة من عمره أكمل القرآن الكريم، ولا شك أن ذلك ترك أثره الكبير علىٰ شخصيته وثقافته وتوجهاته الإسلامية الأصيلة.

والشيخ الوائلي حريص أشد الحرص على الحوزة العلمية، وضرورة الحفاظ عليها من المندسين الذين يتزيون بزي العلماء وليسوا منهم، وله قصيدة في هذا المجال قال فيها:

وفريق تيمموا عتبة الأسياد ... في حقل سيد ومسود
ربضوا حولهم كما كان ... اهل الكهف فيه وكلبهم بالوصيد
لفظتهم شتى المجالات ... إذ ضاقت بهم بلاهة وجمود
فاستراحوا إلى التفيؤ ... بالحوزة اكرم بظلها الممدود
فترحلوا فطاحلاً في شهور ... واستطالوا هياكلاً من جليد
واستفادوا مضيرة وسمتهم ... بشعار في جبهة أو فود(١)

والدكتور الوائلي عندما يتحدث عن هؤلاء الدخلاء في الحوزة العلمية، فذلك من حرصه علىٰ هذه المؤسسة الدينية التي رفدت الأمة بالعطاء المستمر علىٰ مدىٰ قرون متعاقبة من الزمن. كما أن هذه الأبيات تعكس التوجه الاصلاحي الذي يختزنه الوائلي في نفسه تجاه الحوزة العلمية.

شعر الوائلي:

الشعر عند الدكتور الوائلي احد السمات البارزة في شخصيته، فقد تحرك من خلال الشعر على الكثير من القضايا والشؤون السياسية والاجتماعية، وعالجها

---

(١) أصدرت مجلة الموسم في عددها المزدوج الثاني والثالث ملفاً موسعاً عن الدكتور الوائلي وسنرجع اليه في أخذ القصائد الشعرية وبعض المعلومات.

معالجة إسلامية واعية.

وكان شعر الوائلي مثل خطابته وثيقة من وثائق التوعية الجماهيرية، فحول أحداث العراق الإسلامية كتب عن ثورة العشرين قصيدة رائعة جاء فيها:

فـفي (الرميثة) مـن هـاماتنا سـمة ... وفي (الشعيبة) مـن أسـلافنا نـصب
و(العـارضيات) أمجـاد مخـلدة ... أضحىٰ يحدّث عـنها الدهـر والكـتب
فـالجـو طـائرة والأرض قـنبلة ... وبـالجهات البـواقي مـدفع حـرب
وخضت بحـراً دمـاء الصـيد تـرقـده ... ومـا السـفائن إلّا الضـمـدُّ العـرب
ثم انجـلت وحشـود مـن احـبتنا ... صرعىٰ علىٰ القاع تسفي فوقها الترب
فـذا قـوام وكـان الغـصن مـنكسرا ... وذاك وجـه وكـان البـدر مـحتجب
وتـلك أمّ يـلفّ الوجـه أضـلعها ... عـلىٰ جـنين ابـوه في العـرا تـرب
قد افلت الامل المـنشود فـهي عـلى ... جمـر مـن الألم المكـبوت تـضـطرب
حـتّىٰ احـتضنا امـانينا وصـار لنـا ... بـين المـمالك مـن جـاراتـنا لقب
جاء الزعانف من حلف الفضول ومن ... اذنـابه فـأرانـا انـنـا الذنب
انحـىٰ بمـنجلـه حـصداً وخـلّفنا ... لا سـلّة يجـتنىٰ فـيها ولا عـنـب[1]

ويقف الشيخ الوائلي ليكشف زيف التيارات السياسية والفكرية التي أريد لها أن تستوعب الأمة، وكان في وقفته يتحلى بالأفق الواسع والوعي الكبير الذي تميز به، لنستمع اليه وهو يقول:

والارض يحكمها رهـطٌ وان نـزلوا ... لا ينسبون إلىٰ ما جـدَّ مـن نـظم
لوساوموني حصيَّمن تحت أرجـلهم ... بـانجم الاشـتراكـيين لـم أسم

---

(١) من قصيدة للوائلي في رثار السيد عيسى آل كمال الدين من رجالات ثورة العشرين.

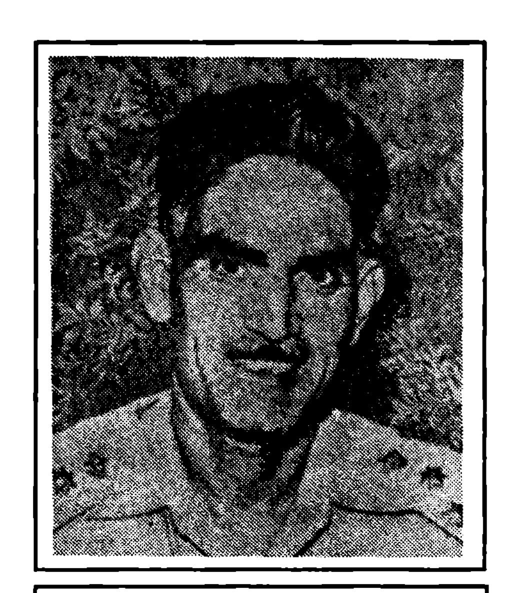
الكاذبين على التأريخ والمثل الغـ ـراء والعلم والأخلاق والقيم
والحاملين شعار الكادحين وهم محض افتراء على العمال متهم
والمدعين التساوي والسماء لهم والارض والناس اصناف من الخدم
الناب والظفر فحواهم فما نبضت من رحمة بهم يوماً ولا رحم
عقماً لارحام دنيا الناس ان نسلت امثال اولاء من عرب ومن عجم

ولا يقف الوائلي وقفة المصدوم بما يجري أمامه، لكنه يقف وقفة من يعرف الحل ويشير اليه. فهو يقول في إحدىٰ قصائده أن الحل يكمن في حكم الله على الارض، جاء في هذه القصيدة التي يبث فيها شكواه إلىٰ الله تعالى ويسأله النصر والحكم الإسلامي:

رب رحماك ذوَّبتنا الرزايا واللظىٰ قد يذوب منه الحديد
كُفَّ نعمى الحكام عنا فإنَّا نحو هذي النعماء فينا جحود
وأعنّا على الوصول لحكم من معانيك ظله ممدود

لم يعرف الشيخ الوائلي الممالأة للسلطات الحاكمة، فعندما سقط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨م وتشكلت الجمهورية العراقية، قام عبد الكريم قاسم بتقريب الشيوعيين لدعم سلطته، وقد إستغل الشيوعيون ذلك فقاموا بحملة تخريب كبير في الجوانب الفكرية والتربوية والسياسية، فتصدى الشيخ الوائلي لعبد الكريم قاسم، مخاطباً إياه في قصيدة شجاعة جريئة، مع العلم أن الشيوعيين لم يكونوا يتوانون عن الدفاع عن قاسم، ومهاجمة من ينتقد الحكم، لكن الشيخ لم يضعف في أداء رسالته:

وعاد يزأر في النادي الوديع فتىً مُفيهق صوته كالصخر ينحدر
يحكي البطولات كالصبيان ان ركبوا عصيَّهم حسبوها الخيلَ تبتدر



عبد الكريم قاسم

وحوله نفر يروون من خدعٍ له الهدير ليروي أنَّهم هدروا

وهو الذي كان لا يسطيع من هلعٍ ان تستقر علىٰ اعطافه الأزُرُ

ايام لا نحن في سلم فيمنعنا ولا بحرب فندري كيف نعتجر

اغراب لا نحن من قيس فتمنعنا ولا قريش فيحمي رحلنا مضر

مشىٰ لنا، غرباء، لو بساعدهم لهان، لكنَّهم ظلٌّ لمن امروا

تقسمونا فإغراء لمن رقصوا رقص القرودوضغط للذي صبروا

وللشيخ الوائلي مواقف مماثلة من حكم عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف، الذي تميز بالطائفية المقيتة، فقد قال قصيدته الخالدة في مهرجان الأدباء العرب عام ١٩٦٥م:

بغداد يومك لا يزال كأمسه صورٌ علىٰ طرفي نقيض تجمع

يطغى النعيم بجانب وبجانب يطغى الشقا فمرفّه ومضيع

في القصراغنية على شفةِ الهوىٰ والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذع

ومن الطوى جنب البيادر صرّع وبجنب زق ابي نؤاس صرّع
ويد تكبّل وهي مما يُفتدى ويدٌ تقبّل وهي مما يُقطع
وبراءة بيد الطغاة مهانة ودناءة بيد المبرّر تصنع
ويصان ذاك لأنه من معشر ويضام ذاك لأنّه لا يركع
كبرت مفارقة يمثّل دورُها باسم العروبة والعروبةُ ارفع
فتبيّني هذي المهازل واحذرى من مثلها فوراء ذلك إصبع
شُدّي وهزي الليل في جبروته وبعهدتي انَّ الكواكب تطلع

هذه جوانب من الشخصية الشعرية للدكتور الوائلي عميد المنبر الحسيني المعاصر، وهي تكشف عن الملكات الكبيرة التي يتمتع بها في المجال الأدبي. والحق أن خطيبا يمتلك هذه الموهبة الشعرية المرهفة، لخليق به أن يكون رائد المنبر الحسيني المعاصر وعميده.

فترة الخطابة الثرة:

عندما برز الشيخ الوائلي في عالم الخطابة كانت الفترة التي عاشها تتميز بوجود ثلة من الخطباء الواعين الذي ساهموا في نشر الوعي الإسلامي في مختلف مناطق العراق، وقد تصدوا بشكل مكثف للموجات الالحادية والمادية والقومية التي كانت مدعومة من قبل السلطات الحاكمة.

لقد كان لهم الدور المشهود في التبليغ الإسلامي، وكان لهم حضورهم الميداني في مدن وقرى العراق المختلفة، فكان الوعي ينتشر حيث حلوا وألقوا خطبهم ومارسوا عملهم التبليغي الحركي.

وفي تقديرنا أن وجود خطباء بارزين لهم مكانتهم وقدراتهم العالية في المجال الخطابي، كان يمثل عامل تحفيز لولادة أجيال من الخطباء الذين يتمتعون بمقدرة وكفاءة في المجال الخطابي. لأن الحاجة إلى التطوير والابداع تصبح ملحة من

أجل أن ياخذ الخطيب مكانته في الساحة.

وهذا ما نلاحظه في تجربة الشيخ محمد علي اليعقوبي الخطابية. فقد كان الخطيب الذي يشغل الموقع الأول قبله هو السيد صالح الحلي، الذي كان يمتلك قدرات عالية في مجال الخطابة والتأثير على المستمعين بشكل كبير. وكان الخطباء الآخرون لا يرقون اليه بأي حال من الأحوال. لكن مشكلة السيد صالح الحلي أنه كان قاسياً على من يخالفه الرأي، وقد دخل بقوة في المعركة التي شنت ضد السيد الأمين والسيد أبو الحسن الأصفهاني في موضوع الشعائر الحسينية. وأخذ يؤجج المعركة من على المنبر مستغلاً قدراته الخطابية، مما دفع السيد الأصفهاني إلىٰ تحريم مجالسه إذا إستمر على هذا النحو.

وكانت مشكلة السيد الأصفهاني هي في إيجاد الخطيب البديل الذي يستطيع أن يشغل مكان الحلي، ويستقطب الأضواء منه. وكان البديل هو الشيخ محمد علي اليعقوبي الذي مثّل في زمانه ظاهرة خطابية جديدة، نتيجة ما يتمتع به من علم وثقافة وأدب.. إلىٰ جانب قدرة خطابية عالية مؤثرة في نفوس المستمعين. وقد تمكن اليعقوبي خلال فترة وجيزة أن يكون هو الخطيب المبرز في عالم الخطابة، والبديل الكفؤ للسيد الحلي.

أسدى الشيخ اليعقوبي خدمة كبيرة للمنبر الحسيني وثبت المرتكزات الصحيحة في عالم الخطابة، وكان في زمانه أمير المنبر بلا منازع طوال الاربعينات والخمسينات.

إن اليعقوبي ما كان بإمكانه أن يكون هو الخطيب المطلوب للمرحلة، لو لم يتمتع باللياقات المطلوبة من علم وأدب وبيان. مما يعني أن البديل لا بد أن يكون أفضل من سابقه حتّىٰ يفرض نفسه ومنهجه. وهذه مسألة مسلمة بشكل عام ولا تنحصر في عالم الخطابة.

ربما لم يكن من السهل في الذهنية العامة تصور بروز خطيب يخلف الشيخ

اليعقوبي، نظراً للمستوى الرفيع الذي وصل اليه، والذي كان يشير إلىٰ أن البديل أو الخلف لا يمكن أن يأتي بسهولة، ولا بد أن يتمتع بمواصفات عالية تمكنه من الجلوس في درجة اليعقوبي.

لكن المفاجأة كانت كبيرة بظهور الشيخ أحمد الوائلي الذي نال الأعجاب منذ بداية إرتقائه المنبر الحسيني، وكانت طريقته الابداعية ومنهجيته في الطرح وثقافته الموسوعية، تشير بشكل لا يقبل الشك أنه الخليفة المنتظر للشيخ اليعقوبي. بيد أن الشيخ الوائلي ومع مرور الزمن كان يعطي صورة أخرىٰ أكثر قوة وبريقاً، فلقد كان ينتزع الاعجاب بشكل أكبر مما كان عليه سلفه الشيخ اليعقوبي.

لقد برز الوائلي في فترة زمنية حساسة شهدت سيطرة الاتجاهات المادية على الساحة، وكان المد الشيوعي والقومي لهما تأثير كبير على الثقافة العامة. مما يعني أن مهمة الخطيب ستكون صعبة في عملية التوعية الجماهيرية. لكن الدكتور الوائلي إستطاع بفضل كفاءته ومقدرته العلمية من فرض منهجه وسط المجتمع، وتمكن من إستقطاب الاضواء بدرجة ملفتة للنظر، وكان منبره مدرسة متحدية تتناول الأفكار المادية بالنقد والتفنيد وفق منهج علمي موضوعي.

لم يمر الشيخ الوائلي بفترة طويلة من أجل أن يصل إلى القمة الخطابية، فإن الفاصلة بين إنطلاقته وبين تربعه علىٰ قمة هرم الخطابة كانت وجيزة جداً، بحيث يمكن لنا ان نقول أن الوائلي ظهر منذ بدايته كبيراً، ثم سرعان ما صار لامعاً.

الباب الرابع

مرجعيات اصلاحية رائدة

- الفصل الأول: ظاهرة الإصلاح في التاريخ الشيعي.
- الفصل الثاني: تجارب الإصلاح الشيعي المعاصر.
- الفصل الثالث: مرجعيات اصلاحية معاصرة.

الفصل الأول:

ظاهرة
الإصلاح في التاريخ الشيعي

علىٰ إمتداد التاريخ الإسلامي ظهرت العديد من المشـاريع الإصـلاحية التي نهض بها مراجع الشيعة في فترات زمنية مختلفة. وقد كان لهذه المشاريع دورها الرائد في خدمة الواقع الإسلامي ودفع الحركة الثقافية والإجـتماعية إلىٰ الأمـام بخطوات واسعة.

لم تكن مشاريع الإصلاح تولد بصورة طبيعية هادئة، وذلك لأنّ الإصـلاح عادة يواجه ردود فـعل مـضادة، حـيث أنّ الجـو العـام يـنظر إلى المحـاولات الإصلاحية علىٰ أنّها نزعة جديدة، ترمي الخروج على المألوف، وهذا ما يدفع بالواقع العام إلىٰ مواجهتها بشدة. ولقد أصطدمت الكثير من محاولات الإصلاح بحالة الجمود الإجتماعي فتوقفت دون أنّ يستكمل أصـحابها مـا بـعد الخـطوة الأولىٰ.

لذلك كان المشروع الإصلاحي يسـتدعي أن يـتصدىٰ له مـن يمـلك القـوة الإجتماعية في الواقع الإسلامي، بحيث لا يمكن أن تسقطه الإتهامات، ويعجز عن النيل منه الخصوم، وهذا ما يتوفر عادة في المراجع الذي تدين لهم الأمة بالطاعة المطلقة، أي عندما تنحصر المرجعية العامة في شخص واحد، دون أن يكون له منافسون.

ولا نقصد أنّ المرجعيات المتعددة تمثل حالة معيقة لطرح المشروع الإصلاحي والتجديدي، أو أنّها نتيجة التنافس الموجود فيما بينها، يحاول بعضها أنّ يـعيق

الأخرىٰ عندما تطرح مشروعاً معيناً. لا نقصد شيئاً من هذا، وإن كانت لمثل هذه الظواهر وجود ميداني في عالم الشيعة، نظراً لوجود المرجعيات التي تضم دون قصد أشخاصاً من المنتفعين في حواشيها، وهؤلاء يشكلون ظاهرة معروفة في الحياة الشيعية علىٰ مر العصور.

لكن الذي نقصده أنّ المرجعيات المتعددة، تجعل النظرة الإجتماعية العامة تتوزع علىٰ عدد المراجع الموجودين، فلا يحظىٰ مرجع من بين نظرائه بالقوة الإجتماعية الكاملة، لأنّ هذه القوة ستتوزع بطبيعة الحال على الآخرين. ومن ثمّ سيكون المشروع الصادر من أحدهم يمتلك من قوة التأثير تبعاً لمساحة (التقليد) التي يتمتع بها. وسيكون بحاجة إلىٰ دعم المراجع الآخرين من أجل إنجاح مشروعه الإصلاحي.

هذه المسألة التي نطرحها بسرعة في هذا المجال، لها أهميتها الكبيرة في الواقع العملي الشيعي، وهي تتطلب التأمل والدراسة، لإنّ المفروض أن يكون الإصلاح سمة أساسية من سمات الوسط الشيعي، وذلك لكون مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتميز بالمواكبة الواعية العميقة لحركة الزمن وهذا ما يبدو واضحاً عند دراسة تجارب الأئمة عليهم السلام، وعند دراسة تجارب تلامذتهم وأعلام مدرستهم (رضوان الله عليهم).

وسنحاول في هذا الفصل دراسة المظاهر العامة لفكرة الإصلاح والتجديد والعوامل المؤثرة فيها قوة وضعفاً، والعناصر الأساسية في نجاح المشاريع الإصلاحية في الوسط الإسلامي الشيعي.

آفاق الإصلاح والتجديد:

ارتبط مصطلح (الإصلاح) ـ أو التجديد كما يطلق عليه ـ في الحوزات العلمية بالجانب الفكري إلىٰ حد كبير، بحيث صار ينظر إلىٰ هذه المفردة علىٰ انّها تقتصر

علىٰ هذا الجانب دون سواه. وقد خضع لهذا الفهم جمهور من الكتّاب والمفكرين والمثقفين، فقيّموا التجديد والإصلاح علىٰ أنّه ظاهرة فكرية أولاً وأخيراً.

ورغم صحة هذه الرؤية في عمومها، إلّا أنّها لا تعكس الحقيقة كاملة، فالإصلاح لا ينحصر على الحقل الفكري وحده، بل يتعداه إلى المجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، باعتباره مشروعاً حضارياً في حياة الأمة والمجتمع. ومن هنا يكون الفكر أحد آفاق المشروع الإصلاحي الحضاري، مع التأكيد علىٰ قيمة هذا الحقل وموقعه في الحالة الحضارية بشكل عام، علىٰ أساس أنّ البنية الفكرية هي القاعدة الأساسية في انطلاق المشروع الإصلاحي، وهي التي تحدد هويته ومتجهاته العامة في الواقع الإجتماعي، وتدخل أيضاً في تحديد مساحته الجغرافية.. كما إنّها قد ترسم مدياته المستقبلية وقدرته على الإمتداد عبر الزّمن.

إنّ حصر الإصلاح بالجانب الفكري وحده يحجمه كظاهرة حضارية مؤثرة في المسار التاريخي للأمم والشّعوب، ويحذف من سجلاتها التاريخية العديد من المحاولات، إضافة إلىٰ أسماء القائمين بها في مختلف الفترات.

إنّ الإصلاح والتجديد فعل حضاري محرك في الحياة الإجتماعية وله مجالاته المتنوعة ومظاهره المختلفة التي تتحدد علىٰ أساس حاجة الواقع الإجتماعي، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات أن يكون مجال الإصلاح في البناء الفكري، وقد يفرض في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري. وهنا يأتي دور الرمز المصلح المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب.

إننا ننطلق من هذه الفكرة من خلال دراسة التاريخ الإسلامي ودور أئمة أهل البيت في حياة الأمّة، فهم عليهم السلام الرواد الحقيقيون لحركات إصلاحية متتالية حيث كان كل إمام يضطلع بدور خاص به ويأتي الإمام الّذي يليه ليستكمل هذا الدور،

أو يبدأ حركة جديدة من خلال حاجة الظرف إلىٰ ذلك(١).

لقد كانوا عليهم السلام الرواد المتفردين في إحياء الدّين، وإصلاح الواقع الإسلامي العام من خلال أدوارهم المتنوعة حسب طبيعة الظروف الّتي يعيشها كل إمام.

وقد كان لمنهج الأئمة عليهم السلام في الإصلاح، اثره الأكبر في ظهور الحركات الإصلاحية والمشاريع التجديدية في الحياة الإسلامية علىٰ يد علماء مدرستهم الإسلامية الأصيلة كلّما دعت الحاجة إلىٰ ذلك، مستهدين بمنهجم الرائد في هذا الإتجاه.

بدايات الإصلاح في عصر الغيبة:

بعد غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف، واجه علماء الشيعة مسؤولية قيادة الأمة فكرياً بشكل مباشر، وقد كان الأئمة بدءً من الإمام الهادي عليه السلام قد بدأوا بتهيئة قواعدهم الجماهيرية على الإتصال بالوكلاء والفقهاء تمهيداً لما سيواجهونه في مرحلة الغيبة الكبرىٰ.

وعندما حدثت الغيبة، كان فقهاء الشيعة علىٰ مستوىٰ تحمل المسؤولية، إذ لم يواجه الوسط الشيعي إنتكاسة مؤثرة في مساره الفكري والعقيدي، وهو أمر كان من الممكن أن يحدث لولا تصدي علمائهم إلىٰ مواصلة رسالة أئمتهم عليهم السلام. وحتى الإنحرافات التي حدثت في أعقاب الغيبة عند بعض الشيعة، أمكن إحتوائها فيما بعد، ولم تشكل ظاهرة ممتدة في حركتهم التاريخية، إذ أنّها إلتحقت بالخط الشيعي العام، أما التي لم يمكن إستيعابها فقد تلاشت مع الزمن.

تمثلت الخطوة الأولىٰ في مشاريع الإصلاح الشيعي، في حفظ تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام من روايات وأحاديث، وقد شكلت هذه الخطوة مرتكزاً

---

(١) بحثنا هذه النظرة في كتابنا: الزمن في حركة العاملين.

اساسياً في فكر مدرسة أهل البيت، إذ حافظ أعلام الشيعة على روح التشيع الفكري والعقائدي. وكانت الخطوة الثانية، هي الكتب الرجالية التي دوّن فيها العلماء رجال الحديث، وكانت هذه الخطوة المشروع الهام في مسار الحركة الشيعية، لأنّها أرست قواعد معرفة الحديث الصحيح، ومكّنت فقهاء الشيعة فيما بعد من التوصل إلى الرأي الفقهي حسب قواعد علم الدراية ومعرفة الحديث وقد بقيت هذه الكتب الرجالية المصدر الأول في معرفة الرجال عند علماء الشيعة.

ورافق ذلك تدوين العقائد والكتب الفقهية التي كانت تقدم للأمة فكر أهل البيت وعقائدهم، وترسم الطريق للأجيال القادمة بالإستهداء بهذا التراث العلمي المشرق. وقد ظلت تلك المدونات متوارثة عبر الأجيال في الوسط الإسلامي الشيعي، وفي مقدمتها الكتب الحديثية الأربعة وهي: الكافي والإستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه.

ومن هنا كان الإصلاح في الوسط الشيعي ينطلق من حاجة الواقع إلى العمل الفكري الإصلاحي، وعدم التجمد في حدود الظرف وفي إطار الزمن، ولو أنّ علماء الشيعة توقفوا عن العمل الفكري والبحث عند حدود مرحلة معينة، لأنتهت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتوقفت عطاءاتها منذ قرون عديدة. لكن المواصلة هي التي حفظت مسيرتها ونهضت بعطاءاتها لتشمل الفكر الإسلامي كله.

لقد كان المشروع الإصلاحي عند علماء الشيعة، يتمثل بالدرجة الأولىٰ بالجانب الفكري، حيث كانت الظروف تستدعي تركيز الأسس الفكرية التي وضعها الأئمة عليهم السلام، وتحريك هذه الأسس في المجالات الفقهية والعقيدية وغيرها من مجالات المعرفة، ولقد أبدع علماؤنا (رضوان الله عليهم) في هذا المجال، من أمثال الشيخ المفيد والصدوق والطوسي وغيرهم من أعلام الشيعة، وكان لكل

واحد منهم دوره الإصلاحي في مجال الفكر الإسلامي.

عوامل الإصلاح:

إنّ العمل الإصلاحي ليس حالة مزاجية يحاول من ورائها المصلح أن يحقق رغبة في نفسه، إنّما الإصلاح مهمة رسالية ومسؤولية إسلامية وحاجة إجتماعية. ومن هنا نلاحظ أنّ المشاريع التي لا تنطلق من حاجات المجتمع الماسة، لا يمكن أنّ تحظىٰ بالنجاح، لأنّها ستكون غريبة عليه، حتىٰ لو كانت تمتلك مقومات التنفيذ، لكنها لا يمكن أنّ تمتلك مقومات الإستمرار وهذا هو المهم في المشروع الإصلاحي.

إنّ من الممكن رسم مشروع اصلاحي واسع في تطلعاته، بعيد في أهدافه، لكنه إذا لم ينبع من حاجة حقيقية يتطلبها واقع الأمة وتتفهمها بوعي ولو بقدر محدود، فانّه من غير الممكن توقع نجاح المشروع.

وعلىٰ هذا فإنّ العناصر الأساسية في المشروع الإصلاحي، نستطيع أن نحددها بما يلي:

أولاً: واقعية المشروع الإصلاحي:

ونقصد به أن يكون متطابقاً مع الظروف الموضوعية لطرحه على الساحة الإجتماعية، بحيث لا يكون غريباً عنها في أهدافه وتطلعاته، وهذا ما نلاحظه في تجربة الإسلام التاريخية، متمثلة بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد كانت حياة الرسول وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ، كلها تتحرك في واقعية فلم يطرح رسالته وتعاليمها بطريقة سريعة يسبق فيها الزمن، إنّما كل خطوة تمهد للخطوة التالية.

والأمر نفسه نراه في سيرة أبنائه الأئمة الاطهار، فعندما وجد الإمام عليّ عليه السلام،

أنّ إختلاط العرب بغيرهم، قد سبب لحناً في اللغة العربية، خشيّ على القرآن الكريم من التحريف، فأسس علم النحو، وكان هذا العمل مشروعاً إصلاحياً رائداً، لا تزال عطاءاته ممتدة إلى الآن وستظل إلىٰ ما شاء الله. وإذا درسنا ظروف المجتمع الذي عاشه الإمام عليّ، نلاحظ أنّ القرآن وحفظته كانوا منتشرين في طول البلاد وعرضها، لكن الإمام كان يتطلع إلى المستقبل، وكان يدرك أخطار الإختلاط الإجتماعي وأثره على اللغة العربية، وبالتالي اثره على القرآن الكريم.

والمشروع الإصلاحي بدا واضحاً بقوة في حركة الإمام الحسين عليه السلام، فلقد كانت المجتمعات الإسلامية تحت حكم بني أمية، قد إبتعدت عن الأصالة الإسلامية، نتيجة الجهود التخريبية التي بذلها معاوية من قبيل وضع الأحاديث وتغيير الأحكام وإعادة المفاهيم الجاهلية إلى الحياة، وكانت هذه الجهود تثمر عن أخطر النتائج حتىٰ صارت النظرة إلى الحاكم نظرة مقدسة، وكان الناس لا يعصون الحكام والولاة وإنّ خالفوا أحكام الإسلام، وقد حدث ذلك خلال السنين التي تولىٰ فيها معاوية الحكم، وركز نشاطه علىٰ تشويه كل مفهوم إسلامي لا ينسجم مع تطلعاته السياسية الواسعة، ومن أبرزها أن يجعل الخلافة في بني أمية متوارثاً من الآباء إلى الأبناء.

كانت تلك الظروف الصعبة والتي تشير إلىٰ أنّ رسالة الإسلام قد أصابها التحريف الخطير، وأنّ بقاء الوضع علىٰ ما هو سيؤدي بما لا يقبل الشك إلىٰ إندثار معالم الإسلام وفكره الاصيل وتشريعاته الألهية. وهذا ما دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى القيام بنهضته الإصلاحية من خلال الثورة. وكان الهدف الكبير الذي سعى إليه والشعار الذي رفعه هو طلب الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم.

ومع أنّ الظروف الإجتماعية لم تكن تساعد على الثورة، نتيجة الخدر الإجتماعي الذي سيطر علىٰ الأمة، لم يتردد في مشروعه الإصلاحي، وسار في إتجاه الثورة بكل عزم واصرار.

ورغم أنّ أنصار الحسين عليه السلام كانوا قلة قليلة، وأنّ معظم وجهاء المجتمع الإسلامي وقفوا معارضين لمشروع الثورة، ونصحوا الإمام بعدم السير في هذا الإتجاه، لكن الإمام مضىٰ في رسالته الإصلاحية، مع علمه الكامل بأنّ ثورته لن تسقط الحكم الأموي، لكنه في الوقت نفسه يعلم تمام العلم، أنّ نتائج الثورة ستكون ناجحة كل النجاح، وهذا ما أثبته الواقع فيما بعد، فلقد تنبه المجتمع الإسلامي من غفلته، وصحح ما تركز في عقله من مفاهيم خاطئة.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام، كانت واقعية إلىٰ أبعد الحدود، لأنّ الهدف منها كان إحداث صدمة في ضمير الأمة لإعادتها إلى الوعي المفقود وإلى الأصالة الضائعة، وهذا هو سرّ العظمة فيها، ويكفي أنّها ظلت خالدة علىٰ إمتداد الزمن، ولو لم يقدم الإمام عليه السلام علىٰ مشروعه الإصلاحي من خلال الثورة، لما بقي من الإسلام سوى الاسم، ولاستفرغت السلطات الحاكمة كل محتواه العقائدي والتشريعي والفكري.

وربما حاول البعض أنّ يشوّه الثورة الحسينية بإعتبارها لم تكن واقعية، وأنّها كانت محاولة إنتحارية علىٰ أساس أنّ موازين القوىٰ لم تكن في صالحه على الاطلاق. لكن هذا الرأي ينطلق من نظرة سطحية لا تفهم الإسلام ولا تفهم عمق المشروع الحسيني. فالإمام الحسين لو كان يريد السلطة من خلال عمله الثوري، لأمكن قبول تلك الآراء، لكنه عليه السلام كان يريد الإصلاح في الأمة، وكان مشروع الإصلاح لا يتحقق إلّا من خلال الصدمة العاطفية العنيفة، والتي تتمثل بشهادته عليه السلام، لا سيما وانّ المسلمين جميعاً كانوا يعرفون منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الأحاديث الكثيرة التي قالها الرسول بحقه. لذلك كان لا بد من توجيه العاطفة بوعي وعمق، لتتحول إلىٰ حالة عقلية مؤثرة، وهذا ما قام به (سلام الله عليه) وهي الواقعية الكاملة في مشروعه الإصلاحي، وهو الإمام المعصوم المنزه عن الخطأ والزلل.

إنّ الواقعية في المشروع الإصلاحي، لا تعني أن يكون متطابقاً مع توجهات المجتمع، وصادراً وفقاً لرغبته، فهذا ليس من الإصلاح في شيء. إنّه في هذا الحالة سيكون بمثابة تكريس الواقع القائم لا إصلاحه. إنّما المقصود بالواقعية أنّ لا يكون غريباً على المجتمع، مستورداً من الخارج ومفروضاً عليه، فذاك مما يرفضه المجتمع ولا يمكن أن يتلقاه بوعي وتفهم، حتىٰ وإن أخذ تنفيذه زمناً طويلاً.

ومن أجل إيضاح هذه الفكرة نضرب مثلاً بالتجربة الكبيرة للسيد جمال الدين الأفغاني الذي يعتبر رائد الإصلاح في العصر الحديث، فلقد بذل السيد الأفغاني جهوداً مكثفة من أجل إحداث الإصلاح في البلاد الإسلامية، لكن مشروعه وحسب دراستنا له، تضمن إتجاهين مختلفين:

الأول واقعي، وهو ما يتمثل في حركته الجماهيرية، والتي كان من مظاهرها العمل الاعلامي، التثقيف الجماهيري، ونشر أفكاره الأصلاحيه علىٰ عامة الناس في كل مكان يحل فيه، وكذلك محاولته في إعداد مجموعة من التلامذة الذين يحملون أفكاره ويواصلون مشروعه.

والثاني غير واقعي، وهو ما تمثل في تحرك السيد الأفغاني على الحكام ورجال السياسية، فلقد كان يريد أن يحقق الإصلاح بدءً من شخص الحاكم، وكان يرىٰ أنّ الحاكم لو تم إصلاحه فانّ المجتمع سيعيش الإصلاح بسهولة. وتبدو هذه النظرة واقعية في شكلها العام، لكن التطبيق الميداني لم يكن واقعياً، فاصلاح الحكام كان يعني تجريدهم من صلاحياتهم الواسعة المطلقة، وهو ما يصطدم بالتوجهات الذاتية للحكام. ولقد بذل الأفغاني الكثير من الجهود في هذا السبيل لكنه لم يصل إلىٰ نتيجة تذكر، فقد فشلت محاولاته مع ناصر الدين شاه، ومع خديوي مصر، ومع السلطان عبد الحميد. وفي نهايات عمره أدرك الأفغاني أنّ الإصلاح لا يأتي من فوق، ولابد أن ينطلق من الجمهور أولاً.

إنّ تجربة جمال الدين الأفغاني، بينت أنّه نجح في الإصلاح الجماهيري عندما وضع أسس الوعي الإصلاحي في المجتمع، لكنه فشل في الإصلاح السلطوي، لأنّ إصلاح رؤوس الحكم لم يكن ممكناً في فترته على الأقل، التي كانت تتميز بالحكم المطلق للملوك والسلاطين، بل وحتىٰ للولاة ومن دونهم درجة في السلطة[1].

ثانياً: الوعي الزمني للمشروع الإصلاحي:

إنّ التلازم بين الإصلاح وبين عامل الزّمن يتمثل في علاقة متفاعلة تتداخل فيها الخطوط، مما يفرض التأمل بدقة من أجل استكشاف مكوناتها ومؤثراتها المتبادلة.

وما نقصده بالوعي الزمني، هو أن يكون صاحب المشروع الإصلاحي يتمتع بحس مرهف لعامل الزمن، وهذه نقطة اساسية في كل المشاريع الحركية والإجتماعية والسياسية، فالتعامل مع الزمن بالشكل الدقيق يعني التحديد المسبق لنجاح المشروع أو فشله.

وهذه النقطة يجب أن تدرس من زاويتين، الأولى الحاضر بكل ظروفه وملابساته. والثانية الأفق المستقبلي للمشروع الإصلاحي وعطاءاته للأجيال القادمة.

ففيما يتعلق بالنقطة الأولىٰ، نقول أنّ دراسة الظروف المعاشة لأي مجتمع هي المقدمة الطبيعية والمنطقية لطرح المشروع الإصلاحي، فقد يكون المشروع ناضجاً في فكرته ومستوعباً لأهدافه، لكن طرحه سابق لأوانه، أي أنّ المجتمع لم يصل إلى المرحلة التي تتهيأ فيها شروط النجاح.

---

(١) راجع دراستنا عن السيد جمال الدين الأفغاني محاولة لفهم جديد، في مجلة الفكر الجديد العدد ١٥.

علىٰ أنّ من الضروري التأكيد علىٰ مسألة هامة في هذا الخصوص وهي أنّ المجتمع لا نأخذ فيه نظرته للمشروع فحسب، بل المطلوب دراسة كافة الجوانب المتصلة به والعوامل المؤثرة فيه سياسياً واقتصادياً وثقافياً وغير ذلك من العوامل التي تدخل في تحديد صلاحية المشروع، وإمكانية طرحه على الواقع.

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية، فلا بد من تقدير الأثر المستقبلي للمشاريع الإصلاحية، بحيث تبقىٰ حية في وجدان الأُمة واجيالها، فليس المهم أنّ نطرح مشروعاً براقاً يعيش لبعض الوقت، ثمّ يتلاشىٰ مع الأيام ويختفي حتىٰ من الذاكرة. إنّما المطلوب هو المشروع الذي يحقق أهدافه في المستقبل ويظلُّ مؤثراً في الأجيال القادمة. ولا نفترض فيه الخلود، بل نفترض فيه الوصول إلىٰ أهدافه المرسومة.

لقد طرحت الكثير من المشاريع في كل فترة زمنية، وفي كل مجتمع من المجتمعات، لكن السؤال المهم: أين هي تلك المشاريع، وما هي عطاءاتها؟.

إنّ إستيعاب عامل الزمن مسألة اساسية في نجاح المشاريع الإصلاحية، وقد حوت تجارب التاريخ الإسلامي القديم منه والمعاصر، النموذجين السلبي والإيجابي في محاولات الإصلاح. ونضرب مثالين علىٰ كل نموذج.

النموذج الأول:

جاء في كتب التاريخ أنّ أبا مسلم الخراساني عرض على الأمام الصادق عليه السلام، أن يتصدى للزعامة، ووعده بأنّه سيضع الجيوش التي يقودها تحت تصرفه من أجل تثبيت موقعه في الحكم. لكن الإمام عليه السلام رفض هذا العرض الكبير، وقال له كلمته الشهيرة: (ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني)[1].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٤١ نقلاً عن الائمة الاثني عشر لعادل الأديب.

لقد رفض الإمام الصادق عرضاً كبيراً تشير ظواهره الأولية إلىٰ أنّه سيعيد الأمّة إلىٰ أصالتها الإسلامية من خلال زعامته للدولة، لكن الإمام رفض العرض، لأنّه يدرك أن التصدي بهذا الشكل لقيادة الدولة ليس هذا أوانه، وأنّ هناك عوامل أخرىٰ لا تتساير مع هذا الإتجاه، وأنّ النتائج ستكون في غير المصلحة الإسلامية.

لخّص الإمام الصادق عليه السلام، موقفه بأنّ الزمان ليس زمانه، فليست هذه هي الظروف التي يتحرك فيها الإمام للإصلاح من موقع القيادة التي يحملها إليه رجل ليس من خطه.

إنّ الإمام الصادق كان يرىٰ أنّ الأمة بحاجة إلىٰ عملية إصلاحية أساسية، تقوم علىٰ أساس تكملة الدور الذي بدأه آباؤه عليهم السلام، وذلك عبر نشر الفكر الإسلامي الأصيل وعقائده الحقة في المجتمع الإسلامي، وإعداد مجموعة من العلماء الذين يتحملون مسؤولية نشر هذا الفكر في أرجاء البلاد، وقد أعدّ الإمام الصادق اجيالاً من العلماء الذين يحملون الإسلام في افكاره وتشريعاته من منبعه الصافي الأصيل، وتمكن من تحقيق مشروع إصلاحي عظيم في منجزاته.. ممتد في عطاءاته مع الزمن.

لقد إنطلق الإمام الصادق عليه السلام من إحاطته التامة لأوضاع المجتمع، وإستيعابه الكامل للظروف الزمنية الذي تمر به الأمة، والتي كانت مرحلة صراع دام على السلطة، ولو أنّ الإمام دخل في ذلك المعترك، لأصبح طرفاً من أطراف الصراع، ولأنتهىٰ أمره بمؤامرة خفية، وهي السمة البارزة لتلك الفترة المعقدة. وبذلك لن يتمكن الإمام من إحداث النقلة النوعية التي يتطلع اليها في واقع الأمة والتي يريد أن تكون ممتدة ضاربة الجذور في أعماقها، وليس مجرد مكسب محدود ينتهي أمام أية مفاجأة سياسية.

والمعروف أنّ الإمام الصادق عليه السلام عارض بعض الثورات الشيعية في تلك

الفترة، فلقد حاول منع الأخوين ابراهيم ومحمد ذي النفس الزكية من القيام بثورة ضد الحكم العباسي، وكانت معارضته منطلقة من فهمه الشمولي للظرف الزمني، فهو لم يكن يرىٰ أنّ الظرف يساعد علىٰ مشروع كبير مثل الثورة المسلحة التي تحتاج إلىٰ ظروف معينة واجواء خاصة.

إنّ دراسة حياة الإمام الصادق عليه السلام، في هذا الجانب تعطي الكثير من الدروس العملية علىٰ ما نحن بصدده من حديث، فلقد أثبتت تجربته أنّ مشروعه الإصلاحي في التثقيف والاعداد الفكري والعقائدي، هو ما ينسجم مع الظرف العام، وانّ الأمة تتفاعل معه، خلافاً للمشاريع الثورية المسلحة التي لم تكن الظروف آنذاك لتساعد عليها، لأنّها كانت معارك طاحنة تدور على السلطة بأي ثمن كان.

كانت تلك تجربة الإمام الصادق عليه السلام، وقد أتينا عليها بشكل سريع كنموذج إيجابي في التعامل مع عامل الزمن.

النموذج الثاني:

نأتي هنا علىٰ ذكر نموذج معاصر في الإتجاه السلبي، وهو ما حدث في بداية الثمانينات من توجه عند بعض المتحمسين للعمل الثوري الإسلامي، نتيجة إنتصار الثورة الإسلامية في ايران بقيادة الإمام الخميني قدس سره. فقد ملأ الحماس بعض القطاعات الإسلامية في عدد من بلدان المنطقة، وظنوا أنّ الثورة عملية ممكنة بعد الذي حدث في ايران، بل ذهب بعضهم إلىٰ أنّ تكرار تجربة الثورة الإسلامية في ايران، أمر مطلوب تحقيقه في كل بقعة إسلامية وعلىٰ نفس الشاكلة التي حدثت في ايران. بمعنىٰ أنّهم ارادوا إستنساخ التجربة الإيرانية في بلاد أخرىٰ وفي مجتمعات أخرىٰ. مع أنّ الظروف الزمنية لم تكن تسمح للكثير منهم بذلك.

لقد كان العراق وحده من الممكن أن تنجح فيه التجربة الثورية، نظراً للجهود الكبيرة التي بذلتها المرجعية الدينية منذ فترة طويلة ونتيجة التحول الكبير الذي احدثته الحركة الإسلامية تحت رعاية المرجعية الدينية، في المجتمع العراقي، وكانت هذه النظرة تسيطر على الدوائر الإستكبارية، وتثير فيها القلق والرعب من إمكانية تكرر التجربة الإسلامية في ايران، على الساحة العراقية. وكانت الحركة الإسلامية وجماهيرها المجاهدة تقوم بنشاطات جهادية ضخمة، ومع ذلك لم تستطع أنّ تحقق هدف إسقاط النظام وتأسيس دولة إسلامية.

لقد بلغ الإندفاع بالبعض أن يحاولوا القيام بمشروع ثوري، في مجتمعات لم تتفهم بعد معنى العمل الثوري، ولم تكن لتتفاعل مع إطروحة الدولة الإسلامية، وكانت تلك المجتمعات بحاجة إلىٰ مرحلة زمنية من الإعداد والتربية حتىٰ تصل إلىٰ مستوىٰ تقبل فكرة العمل الإسلامي الحركي[١]. وكانت النتيجة أن تعرضت تلك المشاريع إلى التوقف، وتسببت في مشاكل كثيرة للمشاريع الحركية الأخرىٰ، كما أنّها تركت شعوراً بالإحباط النفسي عند الكثير من العاملين في هذا الإتجاه.

وخلاصة رأينا في هذا المجال أنّ المشروع الإصلاحي من أجل أن يضمن نجاحه، لا بد أن يستوعب الظرف الزمني، فلا يسبقه بمسافات طويلة بحيث يكون خارجاً عن إطار الواقع، ولا يخضع للظرف فيكون ترديداً للواقع وليس إصلاحاً له.

ثالثاً: الشمولية والقدرة على التحريك والمواصلة:

يرتبط مفهوم التجديد والإصلاح بشكل مباشر، وكما ذكرنا مع حركة الزّمن

---

(١) بحث آية الله السيد محمد حسين فضل الله هذا الموضوع بتوسع في كتابه: الحركة الإسلامية هموم وقضايا.

فهي الّتي تمثل الإطار العام لتكوّن الدّوافع الإصلاحية في النطاق الفكري والإجتماعي. إذ لا يمكن أن نتصور ولادة حركات إصلاحية متعاصرة في مقطع زمني واحد، فلكل ظرف زمني حركته الخاصة في مجال الإصلاح والتجديد.. حركة تنبثق من المعطيات العامة للواقع المعاش بكل مركباته الثقافية، والإجتماعية، والإقتصادية، والسياسية، مما يشكل دافعاً لإنطلاقة حركة الإصلاح التي لابد أن تأخذ بالإعتبار هذه المعطيات في بلورة أسس الحركة الإصلاحية التجديدية.

وربما يثار أمام هذه الفكرة، ملاحظة مفادها أنّ التاريخ شهد انبثاق عدة محاولات اصلاحية في ساحة واحدة في الفترة نفسها. وهذه الحقيقة تاريخية لها مصاديقها في التاريخ القديم والحديث، وفي حياة الكثير من الأمم والشّعوب، بصرف النظر عن انتماءاتها العقائدية وهويتها العرقية، ولا مجال للتشكيك في هذه الحقيقة على الإطلاق.

نحن نتفق مع هذه الملاحظة، لكن الّذي نريد أن نؤكد عليه في هذا الخصوص أنّ تلك المحاولات لا تمثل حركات اصلاحية متعددة، إنّما هي تشكل بمجموعها حركة واحدة في الإصلاح الشامل، لكن باتجاهات متنوعة وبأساليب متعددة، كان روادها رجال أكفاء تمتعوا بمواصفات ذاتية عالية، فحرك كل واحد منهم اتجاهاً إصلاحياً ضمن الخط العام لحركة الإصلاح والتجديد في عصره ومجتمعه. ويمكن أن نجد العديد من الشّواهد التاريخية علىٰ ذلك والتي تؤكد أنّ المشروع الإصلاحي الناجح هو الذي يستند علىٰ نظرة شمولية مستوعبة لكل آفاق الحاضر والمستقبل، فتظل تمتلك مقومات الإستمرار والمواصلة.

ففي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ظهرت حركة إصلاحية تجديدية في الفكر الشّيعي تمثلت في حفظ تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد كتب محمد بن الحسن الصّفار الأعرج (ت ٢٩٠) كتابه (بصائر الدّرجات في علوم آل

محمد)[1] الّذي كان بداية حقيقية للموسوعات الحديثة، وبادرة تجديدية في هذا الحقل الحساس من حقول المعرفة الإسلامية. ثمّ تلاه الشّيخ الكليني في تدوين كتابه (الكافي)، والكليني أحد رموز التجديد في عصره، وأحد الخالدين في التاريخ الثقافي الشّيعي.

كما برز الشّيخ ابن بابويه القمي (ت ٣٢٩) ضمن حركة الإصلاح والتجديد هذه ليضيف لها أبعاداً جديدة، فهو أول من ابتكر طرح الأسانيد وجمع النظائر، وأتىٰ بالخبر مع القرينة[2].

ثمّ أكمل منهجه ابنه الشّيخ الصّدوق (٣٨١) الّذي تجاوزت تأليفاته الثلثمائة كتاب من أشهرها كتابه (من لا يحضره الفقيه) وهو أحد الكتب الأربعة للشيعة الّتي ظلت ممتدة عبر الزّمن تحتفظ بتألقها وبريقها اللامع وأهميتها العلمية المتميزة[3].

لقد أسفرت تلك النشاطات عن بلورة اتجاه حديثي رائد في تاريخ التشيع وكان مركز الفقهاء المحدثين مدينة قم المقدسة. فقد جاء في اللوامع للمجلسي الأول ص ١٤٩ انّ زمان علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه كان في قم من المحدثين مائتا ألف رجل محدث[4].

وهذا الرقم الكبير يشير إلىٰ قوة تلك الحركة الإصلاحية التجديدية وإمكانيتها على التأثير في الحياة الإجتماعية وقدرتها في التحول إلىٰ تيار عام مؤثر في الحياة الثقافية آنذاك.

---

(١) عمر كحالة معجم المؤلفين، ج ٩، ص ٢٠٨.

(٢) للوقوف علىٰ رأي ابن بابويه في أسانيد الحديث راجع: البحراني، لؤلؤة البحرين ص ٣٨١.

(٣) راجع الذريعة للطهراني، ج ١ ص ٦٧ وأجزاء أخرىٰ وردت فيها مؤلفات الشّيخ الصّدوق.

(٤) الشّيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين ص ٣٧٣ هامش ٥٠ نقلاً عن الدّكتور عبد الهادي الفضلي في كتابه: تاريخ التشريع الإسلامي.

إنّ كل واحد من هؤلاء الرموز هو مجدد كبير لا يرقى إليه الشك، وهم جميعاً ينتمون إلىٰ حركة إصلاحية تجديدية واحدة في مجال الحديث والرواية، وإنّ هذه الحركة ما كان لها أن تتبلور بالشكل الّذي حدث والّذي فرض نفسه علىٰ امتداد العصور وواكب بكفاءة حركة الزّمن، لولا تضافر جهود رموزه واستكمال اللاحق منهم لجهود السابق، مما جعل الحركة حية قادرة على الإستمرار والعطاء، وكذلك جعلها تختزن عناصر استمراريتها وتجددها من خلال اعداد الأجيال الّتي تحمل رايتها ومعالم منهجها، فلم تتحجم داخل اطارها الخاص ولم تتوقف في منتصف الطريق، بل امتدت مع الزّمن قوية مؤثرة.

وخلال تلك الفترة أيضاً ظهر الشّيخ المفيد (ت ٤١٣) كرائد لمدرسة تجديدية في الكلام والفقه والتاريخ، وقد طور مدرسته تلميذه السيد المرتضىٰ (ت ٤٣٦) حيث كان من أوائل المنادين بالإجتهاد، وترك أثره الخالد (الشافي في الإمامة).

وقد امتدت هذه الحركة واستطاعت أن تحتل موقعها في الحياة العلمية الإسلامية بشكل مؤثر ممتد مع الزّمن علىٰ يد الشّيخ الطوسي (ت ٤٦٠) الّذي تتلمذ علىٰ يد المفيد والمرتضىٰ وأسس فيما بعد مدرسة النجف الأشرف ـ خالدة الدّهر ـ وبلغ عدد تلامذته أكثر من ثلثمائة مجتهد، وترك تراثاً غنياً لا يزال حيّاً معتمداً إلى اليوم مثل كتابه (الإستبصار) وكتابه (التهذيب) وهما من الكتب الأربعة الّتي لا يمكن الإستغناء عنها عند علماء الشّيعة.

والشّيخ الطوسي هو أول من فتح باب الإجتهاد المطلق، وهو الّذي نظم مناهج الإستنباط والبحث الأصولي[1]. ويجب أنّ لا ننسىٰ إنّ هذه الحركة كانت تتطور وتسبق الأحداث في ظل ظروف صعبة من الناحيتين السياسية والإجتماعية.

---

(١) علي الفاضلي القائيني، علم الأصول تاريخاً وتطوراً، ص ١٣٤.

فعلى الصعيد السياسي كانت السلطة البويهية تعيش فترة التدهور والضمور في بغداد نتيجة الإضطرابات والأوضاع القلقة.. وعلى الصعيد الإجتماعي كانت الطائفية تتأجج نارها بشدة حتّىٰ وصل الأمر إلىٰ إحراق المكتبات والأضرحة، فضاع نتيجة ذلك تراث كبير من نتاجات علماء الإسلام لم يعوض أبدا.

لكن رغم صعوبة تلك الظروف الّتي كانت تسير بشكل معاكس للحركة العلمية، إلّا أنّ حركة الإصلاح والتجديد ظلت مستمرة، واستطاعت أن تفرض وجودها بقوة على الواقع وإن تغير حركة الزّمن لصالحها، وهذه هي ميزة المشاريع الّتي تستند إلى الموضوعية والأصالة.

إنّ خلاصة الفكرة الّتي نطرحها هنا والّتي أتينا علىٰ ذكر هذه الشّواهد التاريخية، هي إنّ حركة الإصلاح مرتبطة بحركة الزّمن ولا يمكن ولادة أكثر من حركة في الحقل الواحد في فترة واحدة. وإنّ رموز الفترة الزّمنية الواحدة المجددين والمصلحين، هم أصحاب اتجاه اصلاحي ضمن الحركة الإصلاحية نفسها والتي تميزت بالشمولية والقدرة على المواصلة والإمتداد والعطاء. ويجب التأكيد في هذا الخصوص أنّ هذه الفكرة لا تعني بأي حال من الأحوال التقليل من دور الرموز، فلكل دوره المشهود الذي يفوق محاولات التقييم والإشادة، بل إنّ عظمة الرمز تكمن في قدرته علىٰ إضافة مساهماته في الحركة الّتي يجد فيها سرّ النجاح والعطاء فيزيدها عطاءً، ويذوب فيها من أجل أن يدفع بها إلى الأمام لكي تتحقق أغراضها العليا وأهدافها الكبيرة. وتلك هي سيرة العظماء في التاريخ عندما يتعاملون مع قدراتهم الذاتية علىٰ إنّها المبادئ وحقّ الأمّة وليست ملكا شخصياً للذات.

تلخيص واستنتاج:

لقد أتينا علىٰ دراسة المشروع الإصلاحي والعناصر المؤثرة فيه،

وسقناالشواهد التاريخية، من أجل أن يكون ذلك مدخلاً لدراسة المشاريع الإصلاحية لعدد من المرجعيات الشيعية، التي مثلت كل واحدة منها مشروعاً ممتداً إمتلك عناصر النجاح والإستمرار والمواصلة التي تحدثنا عنها.

ونستخلص من حديثنا السابق في هذا الفصل أنّ المشروع الإصلاحي لا يولد من خلال رغبة مجردة تحاول أن تجسد نفسها في واقع الأمّة، فمثل هذه المحاولة لا يمكن أن تتحقق عملياً، لأنّها تفتقر إلى المقدمات الميدانية الحقيقية، فهي أشبه ما تكون بقفزة في الفراغ.

إنّ الإصلاح حاجة يفرضها الواقع العام بكل مكوناته الثقافية والإجتماعية والسياسية... وهو مشروع متكامل ينطلق من أرضية واقعية، ومن نظرة شمولية تستوعب حركة الزّمن بدقة ووعي، وهذا ما يميز المشروع الإصلاحي التجديدي عن غيره من المحاولات الأخرىٰ.

لقد ولدت الكثير من المحاولات في حياة الأمم والشّعوب في كل فترة من فتراتها، غير إنّها لمّ تتمتع بالقدرة علىٰ استيعاب واقعها استيعاباً موضوعياً واعياً، فلم تستطع أن تتحول إلىٰ تيار تجديدي مؤثر في حركة الزّمن، مما جعلها تنزوي وتنطفىء سريعاً. كما إنّ هناك الكثير من المحاولات الّتي رصدت الواقع بدقة وتوافرت علىٰ نظرة واسعة لمؤثرات الظروف الميدانية، لكنها مع ذلك لم تتحول إلىٰ حركة اصلاحية، بل بقيت في حدود الظرف الّذي ولدت فيه، وتجمدت خطواتها هناك فلم تستكمل الطريق. ولعل السبب يعود إلىٰ أنّها لم تتوافر على الإرادة الكاملة الّتي تحوّل المشروع إلىٰ حقيقة ميدانية ملموسة علىٰ أرض الواقع وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالشخصية الإصلاحية التجديدية، ولذلك عجزت عن استباق الزّمن أو مواكبته، فكانت صدىٰ يتردد وخطوات مثقلة تتحرك وراء الزّمن.

إنّ قيمة الحركة الإصلاحية هي في قدرتها على الإنطلاق في ظرف معين

وتحريك عناصر هذا الظرف باتجاه المستقبل في خطوات متسقة مع حركة الزّمن، بحيث لا تتأخر عنه ولا تتخلف مهما كانت الحركة متسارعة حتّىٰ تحقق أغراضها. وهذا هو الفارق بين حركة التجديد والإصلاح وبين غيرها من المحاولات الّتي تولد وتموت قبل أنّ تحقق غرضها وقبل أنّ تركز هويتها في الذاكرة الإجتماعية.

إنّ العمل الإصلاحي ليس رغبة لفعل شيء ما، بل هو منهج متوازن يحتاج إلى العقل الّذي يستوعب الواقع من أجل أنّ يقيّم ويخطط ويبدع... ويحتاج إلىٰ الظرف المناسب من أجل أنّ ينفّذ برامجه بواقعية... ويحتاج إلى الإرادة على الفعل والمواصلة من أجل أن يستمر في العطاء، وبعبارة أخرىٰ، إلى الشخصية الإصلاحية الكفوءة ذات الأفق الشمولي والإرادة المتحدية والمبدأية الهادفة.

الفصل الثاني

تجارب
الاصلاح الشيعي المعاصر

تحدثنا في الفصل السابق من هذا الباب، عن ظاهرة الاصلاح في الوسط الشيعي، والعوامل المؤثرة فيها وعناصر العملية الاصلاحية في جانبها الاجتماعي والموضوعي بشكل عام. وفي هذا الفصل سنتناول إن شاء الله، المرجعيات الاصلاحية المعاصرة، والعناصر الأساسية فيها، وترابطها مع الأمة والواقع، والنتائج التي أحدثتها في مشاريعها الاصلاحية.

إن دراسة هذا النمط من المرجعيات يعني في حقيقته دراسة شخصية المصلح، فهو هنا الرجل الأول في العملية الاصلاحية، وهذا ما سنركز عليه في هذا الفصل، مع ذكر نماذج عن كل شخصية ومشروعها الاصلاحي خلال هذا القرن.

شخصية المصلح:

لا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بين المشروع الاصلاحي وبين الشخصية المتصدية له، فالمشروع الاصلاحي ليس وظيفة تشريفية تمنح لشخص معين، إنما هي مسؤولية كبيرة لا يتحملها إلا من يؤمن بها، ويمتلك مواصفات النهوض بها. وعلىٰ هذا فلا يمكن أن نتصور أن لكل إنسان قدرة على القيام بمشروع إصلاحي، حتّىٰ لو إمتلك مقومات الفكر والارادة والعقلية الناضجة والأفق الشمولي.

فهناك إلىٰ جانب ما ذكرنا عناصر أخرىٰ ترتبط بالجانب الشخصي للمصلح، وهي اقرب ما تكون إلى الموهبة، منها إلى التعلم والممارسة. فمن الممكن إعداد شخص ما ليكون عالماً بدرجة عالية في مجال تخصصي معين، ويمكن لهذا الشخص أن يكون فريد زمانه في مجال تخصصه، لكن ليس بالضرورة أن نجعل من هذا الشخص مصلحاً، لأن الاصلاح ببساطة حالة تكوينية مرتبطة بالشخصية، وليس عملية تثقيفية دراسية، أو فكرة نحاول أن نقنع بها الشخص ليكون مصلحاً.

ومن اجل إيضاح الفكرة نأتي على ذكر بعض النماذج، مع ضرورة التنبيه على حقيقة هامة، وهي أننا لا نقصد تفضيل الشخصية الاصلاحية على غيرها، فذلك امر له موازينه الخاصة.

لنأخذ مثلاً، شخصيتين من صحابة الرسولﷺ وهما بلال الحبشي، وأبو ذر الغفاري رضوان الله عليهما. فهما من أوائل المسلمين ومن أبرار الصحابة، لكن الفارق بينهما كبير، فبلال عرف بصبره وقوة إيمانه وشجاعته وإخلاصه للرسولﷺ، لكنه لم يترك في المجتمع الاسلامي أثراً مميزاً مختصاً به لاسيما بعد وفاة الرسول وبروز الفتن في المجتمع الاسلامي.

أما أبو ذر الغفاري فقد كان بطبيعته شخصية متحدية ترفض قبول الواقع المنحرف، وكان قبل لقائه بالرسولﷺ يرىٰ سخافة عبادة الأصنام، ويحاول أن يصلح الواقع الذي يعيش فيه. وقد تميزت حياته كلها برفض الخطأ والانحراف، ومحاولة الاصلاح ما إستطاع إلىٰ ذلك سبيلا. فكان يجهر برأيه دون خشية أو خوف، وهذا ما ذكرته كتب السيرة والتاريخ عن مواقفه مع معاوية في الشام، فقد كان يجلس في المسجد يوجه إنتقاده لسياسة معاوية وسلوكه، ويبين للناس سنّة الرسول، وكيف أن الحكام والولاة في أرجاء الدولة إبتعدوا عنها وخالفوها، مما دفع معاوية إلى الطلب من الخليفة عثمان أن يبعده من الشام خوفاً

من نشاطه الاصلاحي الذي كان يعني تنبيه الناس إلىٰ إبتعاد الحكام عن النهج الاسلامي الصحيح، في حين كان معاوية يحاول تجهيل الناس، وإبعادهم عن الإسلام الأصيل.

ولم يتخل أبو ذر عن موقفه الاصلاحي، فقد أُبعد من الشام إلى المدينة في رحلة شاقة كان القصد منها إيذائه، لكنه عندما وصل إلى المدينة واصل نهجه الاصلاحي، فكان يجلس في المسجد النبوي يتحدث للناس بما لا يرضي سياسة الخلافة، وفشلت كل محاولات الترغيب والترهيب معه، وقد غضب عليه الخليفة عثمان، فنفاه إلى الربذة وتوفي هناك وحيداً[١].

إن هذه المقارنة بين الصحابيين الجليلين بلال الحبشي وأبي ذر الغفاري، لا نقصد منها المفاضلة، ولكننا نريد أن نقول أن شخصية الغفاري كانت إصلاحية بطبيعتها، في حين لم يكن الحبشي مثله، والسبب يكمن في إختلاف طبيعة الشخصيتين، وخصوصياتهما التكوينية. فكل واحد منهما يفهم دوره ويدرك تكليفه من منظوره الخاص الذي ينسجم مع طريقة فهمه للحياة وقضاياها العامة.

ويمكن أن نرىٰ الأمر نفسه يتكرر مع صحابة آخرين في الكثير من المواقف التي حدثت في صدر الإسلام، عندما إنتشر الصحابة في الأمصار، من أجل تعليم الناس القرآن الكريم وأحكام الشريعة الإسلامية. فكان منهم من يمارس عمله برتابة في حدود المهمة، دون أن يترك أثراً إصلاحياً مؤثراً يدفع بحركة الإسلام إلىٰ الامام، وكان منهم من يتحرك بمشروع إصلاحي مؤثر.

ونجد في حياة كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، عملاً إصلاحياً

---

(١) راجع حول حياة أبي ذر الغفاري ومواقفه مع الحكام:

تاريخ الطبري، طبقات ابن سعد، تاريخ ابن خياط، تاريخ اليعقوبي، وغيرها من المصادر، وقد كتب عنه من المعاصرين: عبد الله السبيتي، وغيره ....

كبيراً، يهدف من خلاله إلىٰ تثبيت المفهوم الاسلامي الأصيل كما جاء به الرسولﷺ، فحياتهم عليهم السلام بمجموعها تشكل مشروعاً إصلاحياً متكامل الحلقات. ويخطئ من يتصور أن بعض الأئمة قد إستطاعت السلطة الحاكمة في عصره أن تحجم دوره وأن تمنع حركته، مثل الامام الكاظم عليه السلام الذي قضىٰ سنوات طويلة من عمره الشريف في السجن.

إننا نخالف هذا الرأي بشدة، فالامام لا يمكن أن تحجمه أية اجواء، و لايمكن أن تعطل دوره الاصلاحي أية قوة مضادة، حتّىٰ لو وضع في مطمورة تحت الأرض لايعرف فيها الليل من النهار. فالأئمة مارسوا دورهم الاصلاحي تحت كل الظروف والأجواء، حتّىٰ شهادتهم في السجن والسم كانت لها عطاءاتها الاصلاحية، لأنهم قدموا في حياتهم مشروعاً ممتداً لا يتوقف ولا يتحجم. فالامام الكاظم عليه السلام عندما إستشهد بالسجن، لم يكن موته مجرد نهاية رجل عظيم، بل كان ولادة حركة عظيمة تجددت فيها الأمة منذ الساعات الأولىٰ لإعلان خبر وفاته، فلقد ماجت بغداد بأهلها حتّىٰ خشي العباسيون على سلطتهم.

لا نريد أن نتحدث هنا عن تجارب الأئمة عليهم السلام في المجال الاصلاحي، فقد سبقت الاشارة اليها في الفصل السابق، لكننا سنأتي على ذكر شواهد أخرىٰ في فترات مختلفة.

الآخوند الخراساني والسيد اليزدي:

في بدايات القرن العشرين، تظهر أمامنا صورة المرجعين الكبيرين الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي، فقد كانت لهما الزعامة الدينية بالدرجة الأساسية، وربما كان السيد اليزدي مقدماً على الشيخ الخراساني، لكنه لم يكن صاحب مشروع إصلاحي فكان مثل غيره من التقليديين.


السيد كاظم اليزدي

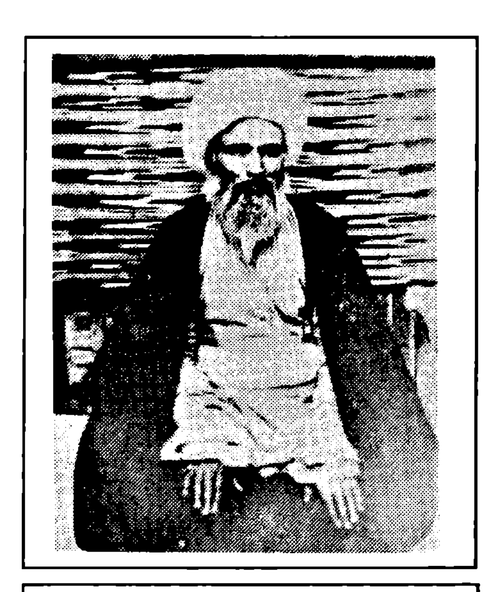
أما الشيخ الخراساني فقد كان الاصلاح جزءً من حياته، وهماً من همومه، فلقد كان يسارع إلى الموقف الذي يدفع بالأمة إلىٰ مستقبل أفضل من الناحية السياسية، وهو ما تمثل في قيادته للحركة الدستورية في ايران، كما مرّ بنا في الباب الأول من هذا الكتاب. وكان يتعامل من موقع الزعامة الحقيقية للأمة، وليس مجرد كونه مرجعا دينيا تتحدد مهامه في التدريس والفتيا، بل كان يرىٰ أن المهمة الحقيقية لمرجع الدين هي الرعاية العامة للأمة في كل قضاياها وشؤونها، وهو المسؤول عن حاضرها ومستقبلها[١].

كان الفكر الاصلاحي للآخوند الخراساني، يتميز بالوعي السياسي الشامل، ولعل ظروف المرحلة التي عاشها هي التي تطلبت منه ذلك، فعندما إحتلت القوات الروسية، ايران عام ١٩١١م، تصدىٰ الآخوند الخراساني بكل قوة لهذا الانتهاك العدواني لبلاد المسلمين، وأصدر فتاواه وتعليماته وبياناته التي تميزت بالوعي السياسي الدقيق لمواجهة العدوان الروسي.

فقد كتب إلى القنصل الروسي في طهران يهدده بأن على روسيا الانسحاب من ايران دون قيد أو شرط، وأنه في حالة عدم موافقة حكومته على الانسحاب،

(١) تناولنا بالبحث هذا الجانب في كتابنا: الزمن في حركة العاملين.

فانه سيعلن حكم الجهاد المقدس لكافة المسلمين في الأرض، وأن علماء الدين سيبذلون آخر قطرة من الدم دفاعاً عن بلاد المسلمين. وقد أثارت هذه الرسالة مخاوف الحكومة القيصرية في روسيا، وحاولت تهدئة موقف الآخوند، لكنه ظل علىٰ موقفه، بل أنه أخذ يسير في اتجاه العمل الثوري بصورة واضحة، فقد كتب إلىٰ علماء الدين في تبريز يأمرهم بوجوب تعلم فنون القتال والتدرب على استعمال السلاح. وتعامل مع الأزمة بعقلية سياسية بعيدة الأفق، فقد أصدر فتواه بحرمة شراء البضائع الروسية، وقد شعرت الحكومة الروسية بجدية المخاطر، وقوة الموقف الذي يصنعه الآخوند، فطلبت من قنصلها في بغداد أن يفاوضه من أجل أن يخفف من مواقفه الصارمة، لكنه رفض اللقاء بالقنصل، وأخبر موفده بأنه لايملك الوقت الكافي لمقابلة القنصل، وإذا أراد شيئاً فليكتبه برسالة[١].



الآخوند الشيخ محمّدكاظم الخراساني

لقد إستطاع الآخوند أن يقود حركة الأحداث بكفاءة عالية، وتمكن من تعبئة

(١) اخذنا هذه المعلومات من كتاب الاستاذ حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، الجزء الثاني، وقد إعتمد الاستاذ شبر على مصادر ووثائق باللغة الفارسية. فأثرنا الاعتماد علىٰ كتابه، وقد بحث في هذه الفترة مؤرخون آخرون مثل الدكتور علي الوردي في كتابه لمحات إجتماعية من تاريخ العراق، الجزء الثالث، وكذلك عبد الحليم الرهيمي في كتابه تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ولكني وجدت أن المعلومات التي ساقها الاستاذ شبّر أكثر دقة وتوسعاً.

الجماهير من اجل التوجه إلىٰ قتال القوات الروسية في ايران، وقد حدث في يوم تحرك قوات المجاهدين ان توفي الآخوند بشكل مفاجيء، وقد أثيرت الشكوك والاتهامات حول وفاته بأنها لم تكن طبيعية، وأن من المحتمل جداً أن تكون مدبرة من قبل روسيا أو بريطانيا.

كتب السيد هبة الدين الشهرستاني وكان من تلامذته المقربين، ومن الذين ساروا علىٰ نهجه، فكان أحد المصلحين البارزين فيما بعد، كتب في مجلة العلم التي كان يصدرها عن وفاة الشيخ الخراساني يقول:

(كنا ليلة إرتحاله في محضره مع لفيف من أهل العلم حينما صلى العشائين جماعة، وهو في داره إلىٰ ثلاث ساعات من الليل، وهو لا يشكو ألماً ولا سقماً، بل مشتغلاً بتصفية المحاسبات واداء الأمانات وموادعة الأحبة والوصية لصحبه وإولاده، فانها كانت آخر ليلة من لبثه في النجف، أو في الدنيا بالحقيقة. فانه طاب ثراه كان عازماً على الرحيل في عصر يومه الآتي مع كافة العلماء والطلبة وغيرهم للسفر إلىٰ ايران حفظاً لثغورها من هجمات عساكر الروس والانكليز.

وعندما ذهب ربع الليل تفرق الناس عنه إلىٰ دورهم... لكنه لم يزر عينيه الكرى.. وأخذه شبه الضعف في منتصف الليل.. فقالوا: مرنا نحلّ أوزار المسير ونؤخر السفر إلىٰ يوم آخر.. فقال: كلا إنني راحل غداً ان شاء الله إلىٰ مسجد السهلة.. فسيروا إليها غداً ولو أشرفت على الموت لئلا يستوهن عزم المجاهدين.. وصلى الصبح فريضة ونافلة، ثم إشتكىٰ من حدوث إنقباض في قلبه، وأنّ أنة رقيقة ومدد كالمغمىٰ عليه وتوفي وفاة هنيئة)[1].

كان الآخوند الخراساني حريصاً كل الحرص على مشروع الجهاد، وقد كان إصراره على المسير، هو الذي جعل الحركة مستمرة. حيث تعامل العلماء معها

---

(١) حسن شبر، المصدر السابق، ص ١٢٤.

علىٰ أنها خطوة لا يمكن التراجع عنها.

إن تفاعل علماء الدين مع المشروع الجهادي، وتأكيدهم على المسير إلىٰ ايران لمحاربة القوات المعتدية، أثار المخاوف الحقيقية عند الحكومة الروسية، فسارعت إلىٰ إعلان قرار الانسحاب من الأراضي الايرانية، وأبلغت هذا القرار رسميا إلى الحكومة الايرانية. وعلىٰ اثر هذا التطور السريع، أنهىٰ علماء الدين التعبئة الجهادية، بعد أن حققت أهدافها[١].

إن هذا المشروع الكبير للشيخ الخراساني، إستطاع أن يرسي فكرة العمل المسلح بقوة في اجواء المرجعية الدينية، فقد أصبحت الحالة الجهادية في أوساط الحوزة وفي الأوساط الجماهيرية، مقبولة إلىٰ أبعد الحدود. وهذا ما بدا واضحاً في الفترات التالية التي شهدتها البلاد الإسلامية، حيث كان التوجه الجهادي والدعوة إلى العمل المسلح تجد لها صدىٰ متجاوباً سريعاً من قبل الأمة.

لا نريد أن نحصر التوجه الجهادي بموقف الآخوند الخراساني وحده، ولكننا نرىٰ أن توجهاته الاصلاحية في المجال السياسي، والتي تميزت بالوعي والاستجابة السريعة للاحداث والاصرار على المواصلة تحت كل الظروف، هي التي خلقت حالة عامة في هذا الاتجاه، ودفعت المراجع والعلماء الذين جاءوا بعده إلىٰ مواصلة هذا النهج الجهادي عندما تكون الأمة بحاجة اليه.

إمتداد المشروع الاصلاحي للخراساني:

ترك الآخوند الخراساني أثراً هاماً في حركته الاصلاحية السياسية، وهو ما تمثل في التلامذة الذين تخرجوا على يديه، والذين كانوا من المقربين اليه، مثل السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كان مندمجاً بنهجه إلىٰ درجة كبيرة. وسار

---

(١) سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص٦٩.

علىٰ نفس توجهاته الاصلاحية في المجال السياسي. فلم يكن السيد الشهرستاني رحمه الله، يرىٰ بأساً من التدخل في العمل السياسي بكل قوة، والمشاركة في الحكومة كجزء منها، وهي نظرة لم تكن مستساغة في الجو الحوزوي في تلك الفترة.

فلقد شارك السيد هبة الدين الشهرستاني، وزيراً في الحكومة العراقية الملكية، وهو المجتهد الشيعي الوحيد الذي شارك في الحكومة وتسلم منصباً وزارياً. وكانت له مواقفه المعارضة لسياسة الدولة فهو لم يكن من الوزراء الذين يسكتهم المنصب عن إبداء الرأي، بل جعل من المنصب الوزاري منطلقاً لتسجيل الموقف الرافض.

ولم تقتصر إصلاحية السيد الشهرستاني، على الجانب السياسي، وحده، بل كانت له مشاريعه الاصلاحية ذات الطابع الجماهيري التثقيفي، فقد كان يقيم المهرجانات الجماهيرية الكبيرة في بعض المناسبات الإسلامية، كما أسس مكتبة الجواد العامة في الصحن الكاظمي الشريف، وأصدر مجموعة من الكتب ذات الطابع العلمي الحديث. كما أصدر مجلة العلم ولعلها من أوائل المجلات الثقافية التي صدرت في العراق في تلك الفترة.

إن السيد هبة الدين الشهرستاني، وإن لم يصل إلى المرجعية، لكنه كان من المجتهدين البارزين، وكان من طلائعهم الاصلاحية في الفترة التي عاشها، وهو إمتداد لمدرسة الآخوند الخراساني الاصلاحية في المجال السياسي، وقد أضاف عليها تطورات اخرىٰ في المجال الاجتماعي والثقافي، وهذه هي ميزة المصلحين المجددين، فهم لا يقفون عند الحدود السابقة، بل يسعون إلى التوسع تبعاً لحاجات الأمة المتجددة بحسب تطور الأوضاع والظروف السياسية والثقافية والاجتماعية.

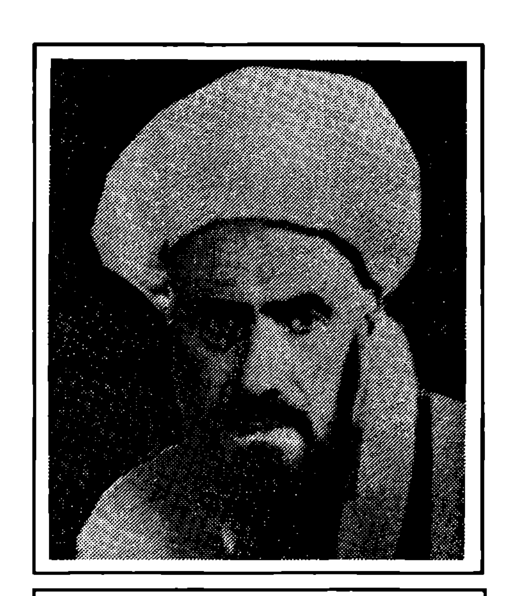
الشيخ كاشف الغطاء.. الاصلاح السياسي:

عرف الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بـاهتمامه الاصـلاحي العـام لواقع المسلمين الاجتماعي والسياسي. وقد تميز بشخصية قوية مؤثرة، ووعـي سياسي كبير، كما مكنته ملكاته الكتابية والخطابية والأدبية من القـيام بـأدوار مؤثرة على الساحة العراقية والساحة الإسـلامية بشكـل عـام. وهـو المجـتهد الوحيد الذي قام بجولات واسعة في البلاد الإسلامية مـن أجـل الاصـلاح في الواقع الاسلامي العام، وشارك في مؤتمرات عديدة دفـاعاً عـن قـضايا الأمـة الاساسية.

ومع أن الشيخ كاشف الغطاء لم يكن من المراجع المبرزين، إلا أن همومه كانت بحجم العالم الاسلامي، وإستطاع أن يصنع أحداثـاً هـامة وأن يكـون له الرأي الفصل في فترات حساسة من تاريخ العراق المعاصر. ولو قدر له وكان المـرجـع العام لأثر حتماً في مسيرة العراق، ومستقبله السياسي بشكل يـغير مـن مجـرىٰ تاريخه.

وقد بلغ تأثيره الاجتماعي والسياسي درجة أن ساهم في إسقاط عدة وزارات من خلال دعمه للعشائر العراقية في معارضتها للسـلطة ايـام الحكـم المـلكي. وحاول عدد من رجال السياسة الاحتماء بقوته، واسـتغلال قـوته الشـعبية في مشاريعهم السياسية الخاصة، لكنه لم يسمح لهم بـالالتفاف عـليه، وواجـههم بالشجاعة والمبدأية التي تمثل جزءً من شخصيته القيادية.

فقد حدث في عام ١٩٣٤م أن اجرت وزارة علي جودت الأيوبي إنتخابات برلمانية، لم تكن نزيهة كما هي العادة، وقد أثار ذلك معارضة رؤسـاء العشـائر العراقية في الفرات الأوسط، الذين كـانوا قـد رشـحوا للانـتخابات، لكـنهم لم


الشيخ محمّدحسين كاشف الغطاء

يفوزوا بها لعدم نزاهتها. كما أن ممارسات الوزارة كانت تثير نقمة الجماهير العراقية لا سيما في المناطق الشيعية.

وازاء هذه الأوضاع، قام رؤساء العشائر بعقد إجتماعات متواصلة من أجل التضامن وتوحيد الموقف المعارض لوزارة الأيوبي. وحاول رجال السياسة المحترفين أن يستغلوا الموقف العشائري المعارض، لمصالحهم الخاصة، لكن الشيخ كاشف الغطاء، إستوعب الموقف وحوّله من مجرد معارضة سياسية محدودة إلىٰ معارضة شاملة من إجل الاصلاح في سياسة الحكومة العامة تجاه الشعب المسلم.

فقد تم عقد إجتماع موسع في منزله بالنجف الأشرف بدعوة منه، حضره نحو مائتي رئيس من رؤساء العشائر، كان محوره ضرورة تحقيق الاصلاح السياسي في البلاد، وتم كتابة بيان في هذا الخصوص لتقديمه إلى الملك وإلىٰ رئيس مجلس النواب والأعيان(١).

لقد ادركت وزارة الأيوبي خطورة الموقف بعد أن تدخل الشيخ كاشف الغطاء ودعم موقف رؤساء العشائر، فأقدمت علىٰ خطوة مضادة، حيث عبأت رؤساء العشائر الموالين لها من أجل التصدي ضد العشائر المعارضة، وكان الغرض من

---

(١) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الرابع، ص ٥٢.

ذلك تصعيد الموقف إلى الحدود القصوىٰ بما في ذلك إشعال حرب داخلية بين العشائر لشغلها فيما بينها عن معارضة الحكومة.

أوشكت خطة الحكومة أن تنجح، لولا أن اصدر الشيخ كاشف الغطاء فتواه الحاسمة التي أطفأت نار الفتنة المفتعلة، وكانت الفتوىٰ عبارة عن بيان عام نختار بعض المقاطع منه لأهميته التاريخية، ولأنه يبين طريقة تفكير الشيخ كاشف الغطاء في الاصلاح:

(من البداهة بمكان أن محاربة العشائر بعضهم لبعض، واستعمال القتال والمضاربة فيما بينهم، هو من أفظع المآثم وأعظم الجرائم وأكبر المحرمات. ومحاربة المؤمنين فيما بينهم محاربة لله ورسوله، وفساد في الأرض كبير، ومعاذ الله أن نرضى بها، ويرضىٰ بها مسلم، ومن نسب الينا ذلك فقد افترىٰ علىٰ الله واقترف اثماً كبيراً، ومن رضىٰ بذلك فجزاؤه جهنم خالدا فيها... وقد علم كل ذي حس أن خطتنا ومخاطباتنا لا تزال مقصورة علىٰ دعوة الناطقين بكلمة التوحيد إلىٰ توحيد الكلمة، وجمع الشمل، ولمّ الشعث، ولا نرىٰ سلماً للسلامة وسبباً للسعادة إلا بالاتفاق والوحدة، والتعاون والتضامن... وهذا واجب علىٰ كل واحد من أبناء الأمة، وكبار مفكريها وقادتها وزعمائها... وإن غرضي الأسمى وهدفي الأعلى الذي قد أخذ الله عليّ العهد والميثاق في القيام به والدعوة اليه، من غير توان ولا فترة، هو تعزيز قضيتنا المقدسة والسعي في الاصلاح لتضميد بعض الجراح الذي نزف به جسم الأمة دماً زكياً. الاصلاح هو أقصىٰ ما نروم، وغاية ما نحاول، وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب...)[١].

لقد تمكن الشيخ كاشف الغطاء من إستيعاب حركة المعارضة، وتوجيهها نحو

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٥.

مشروعه الاصلاحي، وقد أسفرت جهوده في إسقاط الوزارة، وتشكيل وزارة أخرىٰ. لكن الوزارة الجديدة لم تـأت للاستجابة لمطالب الأمة، فاستمرت المعارضة وتصاعدت بدعم من الشيخ طاب ثراه، فسقطت بعد اسبوعين[1].

كانت السلطة العراقية من ملك ووزراء ورجال سياسة يحسبون للشيخ كاشف الغطاء حساباً خاصاً، نظراً لحسه السياسي وحركته النشطة، وتصديه السريع للأحداث السياسية، وتفاعله مع قضايا الشعب العراقي بكل إخلاص وتضحية. وربما كان إهتمامه بالاصلاح السياسي وإنشغاله بمجرياته هو الذي جعله لا يصل إلى المرجعية العامة.

ولم تنحصر الحركة الاصلاحية للشيخ على السياسة العراقية وحدها، بل كانت اشمل من ذلك فلقد تصدىٰ بقوة إلىٰ الاحتلال الصهيوني لفسلطين، وقام بدور كبير لم يقم به غيره من مجتهدي الشيعة، فكان يحضر المؤتمرات الدولية بشأن قضية فلسطين، ويلقي خطبه المبدأية الواعية أمام الحكام والزعماء والرأي العام، محملاً حكومات الدول العربية مسؤولية ضياع فلسطين. وقد جمعت خطبه في كتاب صدر بعد وفاته رحمه الله بعنوان :(قضية العرب الكبرىٰ). كما نشر الكثير من القصائد الرائعة حول القضية الفلسطينة والموقف المطلوب من الحكومات والشعوب الإسلامية.

في عام ١٩٥٤م قررت أميركا وبتنسيق مع بريطانيا، عقد مؤتمر كبير في لبنان في منطقة (بحمدون)، لمواجهة الخطر الشيوعي المنتشر في البلاد الإسلامية، وكانت الدعوة إلى المؤتمر موجهة إلىٰ شخصيات اسلامية ومسيحية لامعة، وتحمل شعار القيم الروحية في الديانتين وموقفهما من الشيوعية.

وكان الشيخ كاشف الغطاء من المدعوين لحضور المؤتمر، لكنه وجد في هذا

---

(١) راجع تفاصيل تلك الفترة في المصدر السابق.

المؤتمر محاولة لمخطط آخر وهو التعمية على القضية الفلسطينية وعلى المأساة الحقيقية التي نجمت عن الاستعمار الغربي، فلم يحضر المؤتمر، إنما بعث اليه برسالة مطولة طبعت فيما بعد في كتاب مستقل تحت عنوان (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)، وقد احدث الكتاب ضجة في الأوساط الثقافية والسياسية، وهو يعبر عن آراء الشيخ رحمه الله في الاصلاح السياسي الشامل للواقع الاسلامي.

نختار منه بعض المقاطع لتوضيح أفكار الشيخ كاشف الغطاء:

(.. ان ألوف المؤتمرات والمذاكرات وكل الاجتماعات والمجتمعات ليس لها أثر إذا لم تكن الدولة المؤسسة لتلك المؤتمرات والمذاكرات هي في نفسها منسجمة وملتزمة بالقيم المثلىٰ والنواحي الروحية، ولا يندفع خطر الشيوعية إلا بتحقيق حرية الشعوب والعدالة الاجتماعية وقلع جذور الظلم والعدوان وقمع رذيلة الحرص والشره علىٰ حق الغير والتجاوز عليه. فهل أنتم يا معاشر الأمريكان وياحكومة الولايات المتحدة ويادولة الانكليز، هل انتم واجدون تلك الصفات وهل عندكم شيء من القيم الروحية والمثل العليا وهل أبقيتم للقيم الروحية قيمة.

أليست اعمالكم الفظيعة وضربتكم القاسية للعرب والمسلمين في فلسطين قد سودت وجه الدهر وألبست الأعصار جلابيب الخزي.... أليست هذه الاضرابات التي تراق فيها دماء أهل الوطن الواحد والملة الواحدة في طهران وسوريا ومصر ولبنان، أليست كلها من أصابعكم الخفية التي تلعب ليلا ونهارا من وراء الستار الستم انتم الذين تصبّون البلاء والمحن وتريقون دماء الأبرياء في الشرق والغرب... إن أصل بلائنا بإسرائيل كما ذكرنا من انكلترا التي كونتها، وأمريكا التي شجعت اسرائيل وعاونتها، فخلاصنا من اسرائيل مرتبط إرتباطاً وثيقاً بخلاصنا من الاستعمار...).

كان الكتاب صرخة وعي مؤثرة في الأوساط العامة، وقد ظل متداولاً بين الأيدي لفترة طويلة واعيد طبعه عدة مرات، وقد تضمن آراء الشيخ كاشف الغطاء في إصلاح الواقع السياسي العام في البلاد الإسلامية، وهو الهدف الذي سعى اليه رحمه الله طوال حياته، وبذل من أجله كل طاقته وجهده، وخلف تراثاً غنياً من الخطب والقصائد إلىٰ جانب الكتب الأخرىٰ، التي عرض فيها عقائد الإسلام، وعقائد التشيع، من أجل توحيد الأمة والتصدي لمحاولات التشويه التي يثيرها الأعداء لتزيق الأمة الإسلامية، وقد ظل كتابه (أصل الشيعة وأصولها) متداولاً حتّىٰ هذا اليوم، وهو من أروع ما كتب عن عقائد الشيعة بصورة واضحة واسلوب جميل كما هي طريقته طاب ثراه. وكذلك كتابه الدين والإسلام وغيره.

وفي نهاية حديثنا عن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، نود القول أنه كان شخصية إصلاحية بذاته، تمتع بكل مواصفات الاصلاح وعناصره، فهو لم يكن من تلامذة الآخوند الخراساني حتّىٰ نقول عنه أخذ منه التوجه الاصلاحي، كما هو الحال في السيد هبة الدين الشهرستاني، بل كان الشيخ من التلامذة المقربين من السيد كاظم اليزدي الذي كان يميل إلى العمل التقليدي. لكنه لم يتأثر بمنهج إستاذه وإنطلق قوياً مؤثراً في عالم الاصلاح، بدافع من ملكاته الشخصية ومواصفاته الذاتية التي كانت تتميز بالتوجه الاصلاحي في المجال السياسي والاجتماعي.

لقد سبق الشيخ كاشف الغطاء عصره، أو أن العصر الذي عاش فيه كان متخلفاً عنه، فقد مارس حركته بمفرده في العديد من المواقف والظروف، وكان بحاجة إلىٰ دعم المراجع الآخرين، غير أن هذا الدعم ظل غائباً، فلم يكن بمقدوره أن يصل إلىٰ ما يروم بلوغه وأن يحقق كل ما يهدف اليه.

شخصيات متفاعلة مع الاصلاح:

قلنا أن الاصلاح ينطلق من العوامل التكوينية للشخصية، فهناك شخصيات هي إصلاحية بطبيعتها، وقد ذكرنا نماذج منها. إلىٰ جانب ذلك هناك شخصيات لا تمتلك الموهبة الاصلاحية المستقلة لتكون رائدة وصاحبة مشروع متميز، لكنها تتحرك بإستجابة في الاتجاه الاصلاحي، وتستجيب لحركة الاصلاح عندما تلتقي بها. وفي مقابل هذا النمط من الشخصيات هناك من لا تستجيب للاصلاح، وتظل بعيدة عنه حتّىٰ ولو ألقيت عليها الحجج والبراهين. وسنذكر بعض النماذج مع التذكير بأننا لا نقصد المفاضلة بقدر ما نريد تسليط الضوء علىٰ طبيعة الشخصية وموقفها من المشروع الاصلاحي.

فمثلاً عندما أراد الامام الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق للقيام بثورته، عارضه جمع من الصحابة والتابعين، فقد دار حوار بين الامام عليه السلام وبين أبن عباس، وكان ابن عباس يحاول أن يثني الامام عن المسير إلى العراق، ولم يقتنع ابن عباس بمشروع الامام الحسين، بل كان يرىٰ رأياً معارضاً له، مع أنه من الصحابة المشهورين بقوة الحافظة، ومن بني هاشم، وقد سمع أحاديث الرسول ﷺ بحق الامام الحسين، ويدرك جيداً أنه الامام المفروض طاعته.

وفي مقابل ابن عباس، سار مع الامام الحسين عليه السلام رجال لم يصلوا إلىٰ علم ابن عباس، لكنهم قنعوا بكلام الامام معهم فغيروا موقفهم تماماً وانضموا اليه، بل أن بعضهم إنضم اليه بمجرد أن بلغه خبر تحرك الامام طلباً للاصلاح، مثل زهير بن القين و(جون) العبد الأسود الذي سار مع الحسين حتّىٰ النهاية واستشهد بين يديه.

إن الفارق كبير بين رجل عبد لا يملك ثقافة ومنزلة إجتماعية في ذلك المجتمع

الذي كانت الاعراف القبلية والتشريفية تسيطر عليه، وبين رجل من الصحابة النابغين المشهود بعلمهم، وله منزلته الاجتماعية المرموقة في مجتمعه وكان مقرباً من الخلفاء ومن الامام عليّ عليه السلام. لكن الاستجابة كانت معكوسة في الموقف من المشروع الاصلاحي، فالأول إستجاب بسرعة، والثاني رفض رغم الحوار والمحاججة. وقد شهدت أحداث ما قبل ثورة الامام الحسين الكثير من هذه المواقف.

إن الاستجابة للمشروع الاصلاحي لها أهميتها الحساسة في نجاح المشروع، إذ لا يمكن أن نتصور مشروعا اصلاحيا يحقق النجاح المطلوب مع عدم وجود إستجابة له، بل أن مشكلة المشاريع الاصلاحية هي قضية القاعدة المستجيبة للحركة الاصلاحية. وعلىٰ هذا فان من البديهي القول أن الشخصيات المستجيبة أقل بكثير من تلك التي تظل على الحياد، أو تقف موقفا رافضا ومعارضا، وهي ظاهرة اجتماعية لها الكثير من المصاديق في كل الشعوب في تجاربها المختلفة. مما يجعل مهمة المصلح عسيرة إلىٰ أبعد الدرجات، إذ يكون من المطلوب منه أن يهئ القاعدة المتفاعلة معه، لا سيما اذا كانت طبيعة المشروع الاصلاحي تتطلب بذل جهود كبيرة وشاقة من المجتمع، أو أنها تأتي بجديد لم يألفه الواقع الاجتماعي.

إن الذي يهمنا في هذه الدراسة ليس الاستجابة الجماهيرية مع المشروع الاصلاحي، بل الشخصيات التي إستجابت للاصلاح وأثرت في حركته، فهذا هو المهم في دراستنا، أما الجانب الجماهيري فهو مسألة واضحة وواسعة في نفس الوقت، فمثلاً نلاحظ أن الجماهير تفاعلت مع مواقف المراجع المصلحين في الكثير من الفترات الزمنية وسجلت حضوراً قوياً ومؤثراً ساهم في إنجاح المشروع الاصلاحي نتيجة الاستجابة الجماهيرية القوية، وقد ذكرنا أمثلة ووقائع عن ذلك في الباب الأول من هذا الكتاب.

السيد محسن الأمين والسيد أبو الحسن الاصفهاني:

نستطيع ان نضرب مثلاً على الشخصيات التي تفاعلت مع الاصلاح من كبار العلماء والمراجع وساهمت في دفع المشروع الاصلاحي إلىٰ الامام دون أن تكون هي المبادرة في إنطلاقته، بالسيد أبي الحسن الاصفهاني الذي إستجاب لمشروع السيد محسن الأمين الاصلاحي فيما يتعلق بتنقية المنبر الحسيني من الشوائب وممارسة الشعائر الحسينية. مع الاشارة أن السيد الاصفهاني كان مصلحاً بذاته، لكنه فيما يتعلق بهذا الجانب لم يكن هو المصلح، إنما تفاعل مع الحركة الاصلاحية للسيد الأمين، وتعرض لما تعرض له من ردود فعل سلبية من قبل المعارضين.

كان السيد محسن الأمين يمتلك شخصية إصلاحية في المجالات الاجتماعية والتبليغية والسياسية، لكن الاصلاح الخاص المتعلق بمسألة الشعائر الحسينية والمنبر الحسيني هي التي غطت على مشاريعه الاصلاحية الأخرىٰ. وقد تكون ردة الفعل المضادة التي تعرض لها، هي التي جعلته يركز على هذا الجانب، ويصر علىٰ إحداث الاصلاح رغم كل العقبات والتحديات. فالمصلح لا يكون مصلحاً إذا انسحب من الساحة عند أول مواجهة مضادة، بل أن المصلح هو الذي يسير في مشروعه إلىٰ نهاية الطريق وهذا ما كان من سيرة السيد الأمين في هذا المجال.

اصدر السيد الأمين قدس سره، كتاباً بعنوان :(التنزيه لاعمال الشبيه) شجب فيها الممارسات التي إعتاد عليها الناس في شهر محرم من قبيل اللطم المبرح على الصدور والضرب بالسلاسل، وجرح الرأس بالسيف، وغير ذلك من الممارسات التي كانت تجري في كل منطقة من مناطق الشيعة، وقد توارثتها الأجيال حتّىٰ أصبحت جزءً من تقاليدهم الثابتة.

اثار الكتاب ضجة كبيرة، فلم يألف الناس معارضة لهذا الجانب من حياتهم،



السيد أبو الحسن الاصفهاني

وقد تصدىٰ للسيد الأمين بعض كبار العلماء والمجتهدين في معارضته في هذا المنهج الاصلاحي، وفي المقابل وقف إلىٰ جانبه آخرون، كان في طليعتهم السيد ابو الحسن الأصفهاني الذي أصدر فتواه بحرمة ضرب الرؤوس بالسيوف وغيرها من الممارسات.

وفيما نحن بصدده من حديث ننقل مقطعاً كتبه المرحوم الاستاذ جعفر الخليلي وقد عاصر تلك الأحداث:

(وممن دافع عن السيد محسن خارج النجف كان السيد مهدي القزويني في البصرة، وكان السيد هبة الدين الشهرستاني في بغداد الذي ساعدنا نحن الذين تولينا الكتابة والدفاع عن السيد محسن مساعدة فعالة، علىٰ أن دفاع هؤلاء لم يكن مستغرباً حينذاك بقدر ما كان يستغرب دفاع الشيخ علي القمي، ودفاع الشيخ جعفر البديري لبعدهما عن روح التجديد. وقد أثار هذان الأخيران في ذبهما عن السيد محسن دهشة جميع الاوساط واستغرابهم)(١).

إن تفاعل الشيخين علي القمي وجعفر البديري وهما من التقليديين ودفاعهما

---

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، الجزء الأول،ص ٢١٠. وقد تحدث المرحوم الخليلي في هذا الكتاب عن تفاصيل ما تعرض له السيد الأمين، وأن النجف إنقسمت بين مؤيدين ومعارضين للسيد الأمين، فالمؤيدون سموهم بالأمويين، والمعارضون بالعلويين.

عن السيد الأمين، يعطينا فكرة اكثر وضوحاً عن الشخصيات المستجيبة للمشروع الاصلاحي. وهي أن طبيعة المشروع لها أهميتها في تحديد الاستجابة، فقد رأىٰ هذان الشيخان وربما غيرهما أن موقف السيد الأمين يتطابق مع المصلحة الإسلامية، وأنه يسير في الاتجاه المطلوب، فوقفا إلىٰ جانبه إنطلاقاً من فهمهما للموقف المطلوب إتخاذه في مثل هذه الحالات، مع أن إتخاذ مثل هذا الموقف له تبعات سلبية على الصعيد الاجتماعي، لكن القناعة كانت أهم من كل ذلك.

إن هذا النموذج يجعلنا نقول بضرورة التريث في إصدار الأحكام بشأن بعض الرجال والمواقف التي إتخذوها، سواء بالسلب أو بالايجاب من المشروع الاصلاحي، والذي يدعونا إلىٰ هذا القول ليس الانطلاق من الموقف الايجابي للشيخين القمي والبديري، بل لأن هناك ظاهرة معاكسة لهما حدثت في تلك الفترة وحول نفس القضية، وهي أن بعض الشخصيات المعروفة بنهجها الاصلاحي وقفت معارضة للسيد الأمين، وهو امر يبعث على الاستغراب حقاً. مع أن تلك الشخصيات لها منزلتها العلمية والاجتماعية المؤثرة، ولسنا نملك دليلا قاطعا عن السرّ في ذلك سوى القول بأنها القناعة من مشروع السيد الأمين في موضوع الشعائر الحسينية أو الخوف من العوام.

ومن هنا فان الاستجابة للمشروع الاصلاحي ليس بالضرورة أن نتوقعها من الشخصيات المتفاعلة مع الاصلاح والتجديد دائماً، كما أنه ليس من الصحيح أن نعمم الحكم على التقليديين بأنهم يعارضون كل خطوة إصلاحية مهما كان نوعها وشكلها ومجالها. فهناك استثناءات ومحفزات خاصة تتحرك من قناعة الأفراد لكل فكرة وموقف. لكن في نفس الوقت لا يعني هذا الرأي أن نغض الطرف عن مسألة تقييم وتحليل مواقف الأشخاص فيما يتعلق بالامة، فتلك لها

مجالها الآخر وهي ملك الأمة والتاريخ.

تجارب النهضة الإصلاحية في العراق:

حدثت في العراق نهضة اصلاحية في الفترة الممتدة من ثلاثينات هذا القرن إلىٰ خمسيناته، ثم تواصلت عطاءاتها للفترات اللاحقة، بحكم النجاحات التي حققتها.

ورغم ضخامة تلك الفترة من حيث النشاط الاصلاحي، إلا أنها لم تنل إهتمام المؤرخين بالشكل المطلوب، وحتّى الكتّاب الاسلاميين لم يأتوا على دراستها بشكل كامل مستوعب. وقد كان بودنا أن نأتي على دراستها تاريخياً، لكن ذلك يخرج بنا عن منهجية هذا الكتاب. لأننا نريد دراسة البعد الاصلاحي منها وأثره على المجتمع العراقي، والشخصيات التي صنعت الأحداث ونتائج أعمالهم الاصلاحية، وفي تقديرنا أن تلك الفترة هي الفترة التأسيسية لما أعقبها من تحرك إسلامي عام، وأن مرجعية الامام الحكيم إنما كانت إمتداداً لعطاءاتها، وتكملة لحلقاتها.

ويمكن أن نأتي على ذكر أهم الانجازات الاصلاحية في الفترة التي سبقت تصدي الامام الحكيم قدس سره في النقاط التالية:

أولا: التصدي للتبشير الصليبي:

منذ سقوط العراق بيد الاستعمار البريطاني، كانت الحملات التبشيرية الصليبية نشطة في تحركها بشكل كبير، فهي مدعومة من قبل السلطة البريطانية، وقد ظل هذا الدور مستمراً حتّىٰ بعد تشكيل الحكومة العراقية عام ١٩٢٠م. لأن السلطة الحقيقية كانت بيد الانكليز.

وقد تنبه إلىٰ خطورة الحملات التبشيرية عدد من المراجع والعلماء، وكانت



الشيخ حبيب العاملي

لهم مساهماتهم في مواجهة التبليغ الصليبي، لكن أحد العلماء الشيعة، وهو الشيخ حبيب العاملي وجد أن المواجهة لاتحقق أغراضها عن بعد، وأن المطلوب القيام بعمل ميداني يتصدىٰ له عالم الدين بنفسه ليقف على الحاجات الميدانية والاجواء الحقيقية للعمل الاسلامي في مواجهة التبليغ الصليبي.

والذي يظهر لنا أن الشيخ العاملي، إنطلق من فكرته هذه عندما وجد أن التبشير الصليبي لم يتحدد في إطار المدن والمراكز الادارية الكبيرة، بل أنه يغطي حتّى القرىٰ والأرياف والمناطق البعيدة عن العاصمة في شمال البلاد وجنوبها. فقرر أن ينفذ مشروعه الاصلاحي بنفسه، وأن يبدأ عملياً في مواجهة التبشير في المناطق البعيدة عن العاصمة وعن المراكز الادارية الكبيرة، فقرر الاقامة في مدينة العمارة الريفية جنوب العراق، ومن هناك بدأ عملاً إصلاحياً له أهميته في العمل الاجتماعي الاسلامي.

أسس الشيخ العاملي رحمه الله مكتبة إسلامية عامة في مقابل المكتبة التبشيرية، وعقد اتفاقاً خاصاً مع أحد الأطباء لمعالجة المرضىٰ علىٰ نفقته الخاصة، ثم أصدر فتواه بحرمة مراجعة المستشفى التبشيري الذي كان يعالج

المرضىٰ مجاناً[١].

ونلاحظ علىٰ منهج الاصلاح عند الشيخ العاملي، أنه كان يقدم البديل المطلوب قبل أن يأتي على منع الناس عنه عبر الفتوى الشرعية، وهذا يعني أنه كان يعيش الحاجة الاجتماعية بوعي كبير، فقد يمتنع بعض الناس عن عمل معين التزاماً بفتوى العالم أو المرجع التي تمس حياتهم المعاشية والحياتية، لكن غالبية الناس لا يمكن لهم الالتزام بالفتوىٰ إذا كانت البدائل غير موجودة. فمن الصعب أن يلتزم المريض الذي يعاني من الألم بفتوى دينية تحرم عليه مراجعة المستشفى الصليبي وتحمل الالم ومعاناة المرض، دون أن تقدم له بديلاً ولو أقل منه كفاءة ومستوىٰ تقلل من لوعة الألم التي يعاني منها.

إن البديل في بعض الحالات يمكن أن يكون وحده محفزاً كافيا لترك الناس التردد على المراكز المضادة للاسلام، واللجوء إلى المراكز الإسلامية بكل رغبة وإندفاع، فليس اللجوء إلى الحملات التبشيرية وغيرها رغبة خفية تحرك الناس بدون وعي أو شعور، إنما غياب البديل هو الذي يدفع بهم إلى اللجوء إلىٰ تلك المراكز، ولو أنهم وجدوا عند المرجعية البدائل التي توفر لهم حاجاتهم لما انصرفوا عنها إلىٰ غيرها[٢].

---

(١) حسن شبر، تاريخ التحرك الاسلامي في العراق، ص ٣٠٧.

(٢) هذه النقطة من المسائل الهامة التي لمستها من خلال اقامتي في بلاد العرب، فالعوائل المسلمة تضطر إلىٰ ارسال أبنائها إلى المدارس الحكومية، لعدم وجود مدارس اسلامية كافية، مع إدراك ذويهم بأن المدارس الحكومية تفسد علىٰ أبنائهم اخلاقهم ومفاهيمهم وعقائدهم الإسلامية. فالساعات الطويلة التي يقضيها الطالب في المدرسة تجعل المدرسة هي صاحبة التأثير الأول عليه، خصوصا إذا لم يكن للأب فرصة كافية لتعليمه وترشيده. وللكثير من المهاجرين في بلاد المهجر مشاكل من هذه الناحية. وقد فقد الكثير من اطفال الجاليات الإسلامية العربية لغتهم العربية لأن آباءهم لم يعتنوا بهم، بل أنهم اخذوا من المدارس ومن المجتمعات الغربية العادات والتقاليد والأخلاق والممارسات، وأصبحوا جزءً من المجتمع الغربي.

هذه الحقيقة أتيت علىٰ ذكرها تذكيراً ودعوة لعلمائنا ومرجعياتنا ومراكزنا الإسلامية، لأن تولي هذا الجانب أهميته المطلوبة، والله تعالى هو الموفق لكل خير.

كانت تجربة الشيخ حبيب العاملي ناجحة إلىٰ أبعد الحدود داخل الوسط الذي تحرك فيه، فلقد استطاع رحمه الله أن يمنع تأثير الحملة التبشيرية بشكل ملحوظ، وأن يحفظ شباب المسلمين من الارتداد عن عقيدتهم الإسلامية.

ويرجع هذا النجاح إلى المبادرة الميدانية التي أقدم عليها الشيخ العاملي في مشروعه الاصلاحي على الصعيد العقائدي الاجتماعي. فلو افترضنا أنه إستعاض عن نفسه برجل آخر لما كان من المؤكد أن يحقق ما حققه الشيخ العاملي. ففي الاعمال الاصلاحية ليس بالضرورة أن تنجح النيابة والوكالة في إنجاح العمل، لأن المطلوب في مثل هذه الحالات هو الشخصية المبادرة المتحسسة لعمق المهمة وجسامة المسؤولية، وليس الاشراف والمراقبة.

ثانيا: التبليغ العقائدي:

كانت الهجمة الاستعمارية لبلاد المسلمين قد أفرزت الكثير من المظاهر السلبية على الحياة الاجتماعية العامة، وكان من ابرز تلك المظاهر هو الغزو الفكري الذي طبقه المستعمرون بشكل ممنهج ضمن خطة بعيدة المدى كانت تهدف إلىٰ تمييع العقيدة الإسلامية، وتحويل الإسلام إلىٰ مجرد طقوس وعادات خالية من المضمون الفكري الحقيقي.

وقد بدأت الخطة الاستعمارية حلقاتها على الواقع بعد الحرب العالمية الاولىٰ، واخذت مساراً تصاعدياً في الفترات الزمنية التي اعقبتها. وأفرز المخطط الاستعماري عن مظاهر جديدة على الساحة الإسلامية لم تكن معروفة من قبل، فلقد إنتشرت ظاهرة الفكر المادي وبروز الاتجاه الالحادي في التفكير، إلىٰ جانب الحملات الصليبية التي كانت نشطة في حركتها كما اشرنا. كما أن الاجهزة الاستعمارية ونتيجة ما تعرضت له من مقاومة واعية من قبل علماء الدين الشيعة، أرادت ان تضعف القوة الشيعية عن طريق تقوية الاتجاهات الفكرية

المضادة.



الشيخ محمّد جواد البلاغي

إن هذا التحول الخطير حفّز علماء الشيعة علىٰ مواجهة الخطر الفكري عن طريق طرح الإسلام الاصيل بصورة علنية عامة، وليس الاقتصار على النشاط الفكري داخل الحوزة، وقد برز في هذا الاتجاه الدور الكبير للشيخ محمد جواد البلاغي الذي تصدى لكل مظاهر الانحراف الفكري والعقائدي، وذلك من خلال نشر الوعي الاسلامي على الصعيد الثقافي العام. فكتب مجموعة من الكتب التي عالج فيها ظروف المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية. وكانت كتبه تتسم بالعلمية والمناقشات الموضوعية وباسلوب حيّ سلس، فالهدف عنده كان تعريف الأمة بالفكر الاسلامي، وترشيد الجيل إلى الحالة الصحيحة من ناحية العقيدة والثقافة.

كتب الشيخ البلاغي كتبه: أنوار الهدىٰ، والبلاغ المبين بين الالهيين والماديين، والرد علىٰ شبهات الملحدين، في مجال الكتابات التي يواجه بها الأفكار الالحادية.

وفي مجال مواجهة الحملات الصليبية كتب: الهدىٰ إلىٰ دين المصطفى، والتوحيد والتثليث، وغيرهما من الكتب والأبحاث.

كما كانت له كتاباته الأخرى التي ظلت كتباً رائدة في مجالها مثل تفسير آلاء الرحمن الذي وافته المنية قبل أن ينجز معظمه.

وقد عرف الشيخ البلاغي بكونه شاعراً مجيداً كتب الكثير من القصائد في مواضيع مختلفة، وعالج في بعضها القضايا الإسلامية الهامة، مثل هدم الوهابيين لقبور الأئمة في البقيع[١]، وهي قصيدة طافحة بالألم والحرقة.

ويجب القول هنا أن نشاط الشيخ البلاغي لم يكن يتم بصورة إنفرادية، بمعنى أن إصلاحه الفكري والثقافي كان يسير إلىٰ جانب جهود علماء آخرين، مثل السيد الأمين والشيخ كاشف الغطاء وغيرهما من العلماء كما سبقت الاشارة[٢].

ثالثاً: الاصلاح التعليمي:

ظلت الحاجة إلىٰ إصلاح المناهج الدراسية وطريقة تدريس العلوم الدينية في النجف الاشرف، حلماً يراود الكثير من العلماء، فالدراسة في هذه الجامعة العريقة المعطاءة، تأخذ طابعاً تقليدياً محافظاً. لم تسمح اجوائها بتقبل فكرة الاصلاح في إسلوب الدراسة ومناهجها، مع أن التطور الزمني كان يفرض أن تعتمد جامعة النجف الكبرىٰ سبيل الاصلاح. ولو أنها إعتمدته وسارت عليه، لكانت عطاءاتها اعظم واكبر مما قدمته إلىٰ الآن.

والحديث عن هذا الجانب يتردد كثيراً في الأجواء الحوزوية، وكنا نسمعه ونتحسسه بعمق أثناء دراستنا في تلك الحوزة العبقرية الضاربة بجذورها بقوة في التاريخ وفي ضمير المجتمع العلمي الشيعي.. وكنا نجد ونحن طلبة ضرورة القيام بحركة إصلاحية في الحوزة من أجل أن تجعلها قادرة على مواكبة العصر، ورفد الأمة بما تحتاجه في حياتها العامة. لكن ذلك ظل مجرد أمنيات تعيش في العقل

---

(١) راجع عن حياته ومؤلفاته وشعره بتوسع: اعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، المجلد الرابع، ص ٢٥٥ وما بعدها، حيث يورد السيد الأمين بعض قصائده وثبتاً كاملاً بمؤلفاته.

(٢) من المناسب هنا أن أشير إلىٰ ملاحظة أراها هامة، وهي أن مؤلفات الشيخ البلاغي لم تحض بإهتمام دور النشر مع أنها تمتلك قيمة علمية متميزة، وهذا مما يؤسف له حقاً.

والقلب، حتىٰ مع وجود الامام الشهيد الصدر وعمله المنظم لاصلاح الحوزة كما سنتحدث عن ذلك إن شاء الله.

إن مراجعة التاريخ الخاص بالحوزات الدينية ودراسته بتمعن وشمولية، يُظهر لنا أن مشاريع الاصلاح السابقة للقرن العشرين كانت تلقىٰ تجاوباً من قبل الأجواء الحوزوية أكثر بكثير من فترة ما بعد الحرب العالمية الأولىٰ، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والتأمل. لأن الوعي العام كان يتطور مع مرور الزمن، مما يستدعي أن تكون حركة الاصلاح أسهل كلما تقدم الزمن، فلماذا نلاحظ أن الواقع خلاف ذلك، وأن مواجهة الاصلاح تزداد شدة كلما تقدم بنا الزمن.

نستطيع أن نلخص الجواب بشكل سريع بالقول أن الاصلاح يحتاج إلىٰ ظروف مساعدة من اجل ان يطرح كمشروع ناجح، ولم تكن الظروف الاجتماعية والفكرية في فترات ما قبل القرن العشرين لتساعد على النهضة الاصلاحية. لقد كانت ظروف الأمة تحتاج إلىٰ حركة إصلاحية أساسية يكون المجتمع كله مادة لها، وهذا ما حاوله السيد جمال الدين الأفغاني. وكانت الحوزة العلمية خلال تلك الفترات تمثل منطقة الوعي والتطور الفكري في المجتمع، لذلك لم تظهر الحاجة لتطويرها واصلاح مناهجها، إنما كانت حاجة المجتمع إلى التطوير والاصلاح هي التي تبدو كحاجة ملحة وضرورة من ضرورات المرحلة الزمنية.

وقد حدث بعد ذلك ومع بدايات القرن العشرين أن الأحداث أخذت تسير بإتجاه مخالف، حيث أخذت حركة الوعي الجماهيري تتطور بشكل كبير، في حين ظلت الحوزات تعيش حالتها السابقة. وإستطاعت المجتمعات الإسلامية أن تصل إلىٰ مستويات متطورة من الناحية الثقافية والفكرية والسياسية أكثر بكثير من واقع الحوزات، وظل هذا التطور يتزايد بشكل سريع مع تطور الواقع العام، مثل المدارس والصحافة وطرق الاتصال وغيرها من مظاهر الحياة

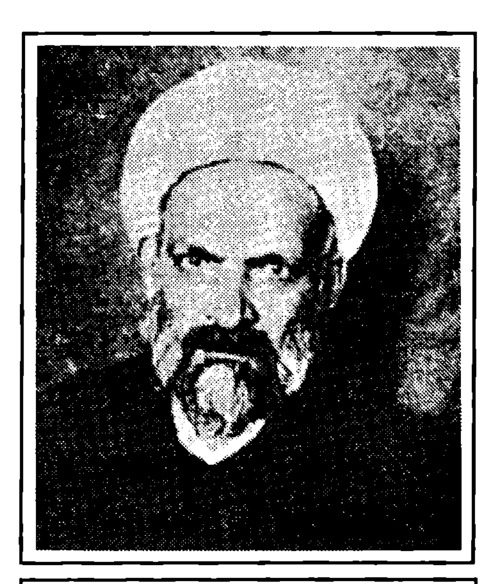
الجديدة. لقد كان هذا يحدث في فترات سريعة متقاربة. أما الحوزات العلمية فقد ظلت على حالتها السابقة تراقب التطور دون أن تكون لها قدرات التطور، فلقد إعتادت على السكون نتيجة الخلفية القديمة التي مضى عليها عقود طويلة من الزمن.

إن حالة الحوزات والمجتمع تشبه إلىٰ حد كبير نموذج المعلم والتلميذ في المدارس الحديثة. فالمعلم يقضي سنوات طويلة وهو يمارس مهمة إعداد الطالب الناشئ، وهو يسبقه من حيث الثقافة والمعرفة والاطلاع بمراحل كبيرة غير قابلة للمقارنة. لكن التلميذ عندما ينتقل من المستويات الدراسية الأولىٰ إلى المستويات الجامعية ومن ثم التخصصية، يكون قد سبق معلمه القديم من ناحية الثقافة وبعد النظر وغير ذلك، أما معلمه فانه يظل كما هو ينظر إلىٰ تلامذته على أنهم أولئك التلامذة الصغار الذين يرجعون اليه في السؤال في كل شيء.

وهناك عامل آخر أدىٰ إلىٰ إحجام الحوزات عن العمل الاصلاحي قبيل الحرب العالمية الأولىٰ وتزايد حدة بعدها، وهو التجارب التي مرت بها الحوزات العلمية على الصعيد السياسي خاصة، فإن الاحباط الذي واجهته في أكثر من تجربة مثل التجربة الدستورية والعمل الثوري، جعلها تميل إلى العزلة والابتعاد عن قضايا المجتمع لا سيما القضايا السياسية. وهذا ما بدا واضحاً عند بعض كبار العلماء وحتّىٰ عند بعض الذين شغلوا موقع المرجعية مثل الميرزا النائيني قدس سره.

لقد خرجت الحوزة العلمية من تجربة ساخنة بنتائج سلبية إنعكست على الوضع العام للحوزات الشيعية، ولولا بروز بعض الاتجاهات الاصلاحية لآل أمرها إلى التحجم في زوايا مغلقة بعيدة كلياً عن المجتمع.

وقد تحدثنا سابقاً عن تلك المشاريع التي نهض بها قسم من العلماء في المجالات التبليغية والسياسية والاجتماعية، ونتحدث هنا عن معالم الاصلاح التعليمي



الشيخ محمّد رضا المظفر

للشيخ محمد رضا المظفر قدس سره.

كتب الشيخ في مذكراته التي دوّنها عام ١٣٥٨هـ(أي في حدود عام ١٩٣٨م) يتحدث عن ظروف الاصلاح التعليمي في الحوزة:

(تألفت إبتداءً من عام ١٣٤٣هـ عدة جماعات أشبه بجمعيات سرية أو مجالس تمهيدية للتفكير في طريق الاصلاح واكتساب الشعور العام، واتذكر جيداً اني اشتركت في احداها وكنت كاتبها، وأعضاؤها كلهم من الشباب الديني ذلك اليوم، وجماعات اخرىٰ هناك منها التي اتصلنا بها وهم اكبر منا طبقة، اشترك اكثرهم بعد ذلك في (منتدى النشر) ومحورها الثلاثة المعروفون بالصفوة أو اضلاع المثلث المتساوي الاضلاع: «الشيخ محمد جواد الحجامي والشيخ محمد حسين المظفر والسيد علي بحر العلوم».

ولا ازال احتفظ بمحاضر جلسات جماعتي الاولى تلك، وبمذكراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بساطتها تمثل لي مقدار التكتم والخوف الذي كان يساورنا. كان عملنا وتفكيرنا مقتصرا علىٰ تفقد المفكرين من اصحابنا الذين يحسون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام واحد لم نستطع أن نخرج صوتنا من غرفتنا إلا بعض الشيء، ولم نستطع أن نضم الينا اكثر من عشرة اعضاء...

وفي عام ١٣٤٩ هـ عندما هاجمت النجف كتب عدائية حسست الشعور العام، اتخذ جماعة منا... وسيلة للنهضة بتأسيس جمعية للنشر والتأليف، وكان ينوي بعض القائمين بالحركة الذين اتصلت بهم استغلال هذه الجمعية اذا تمت لاصلاح الدراسة الدينية...

وقد تمكن القائمون بالنهضة أن يشركوا معهم اشهر رجالات النجف وعلمائها ومفكريها حتىٰ إنتخبوا هيئة عاملة تتألف من سبعة من الاشخاص وهيئة عليا من ثلاثة مجتهدين وباقتراح هذه الهيئة العليا نهض العلامة الاكبر المرحوم الشيخ محمد جواد البلاغي لتأليف تفسير مختصر للقرآن العظيم ليكون باكورة الاعمال أسماه بـ«آلاء الرحمن» عاجلته المنية قبل اكماله وخرج منه جزءان وطبعا، فكان هذا كل نتيجة هذه الحركة.

وهذا هو الدور الثاني للفكرة، ولم تخل النجف بين هذين الدورين وبعدهما من احاديث وآراء واجتماعات، بل ومحاولات كالفقاقيع لم تظهر إلا لتختفي كما يقولون ولا ينكر أيضاً أثرها في توجيه الافكار وتهيئة الشعور العام.

وجاء الدور الثالث من قبل ست سنوات ـ أي من حين تدوين المذكرات ـ وهو أبعدها مدىٰ وأعظمها أثراً وذلك حركة «الكلية» كما يسمونها، لأنها هزت النوادي النجفية هزة عنيفة اشترك فيها الصغير والكبير والعالم والجاهل وقد بلغ الموقعون علىٰ ورقة شروط العمل المائتين وهم رجال العلم بالنجف وأهل الكلمة فيه. ولكن يظهر أن هذه الكثرة في ابتداء العمل وقبل انتظامه مما ساعد علىٰ توقف الحركة، فلم تصمد أمام العاصفة الهوجاء، وقد أعطتنا التجارب أن الاعمال الكبيرة يجب لأجل نجاحها أن تقوم بها جماعة محدودة تدير دفة العمل بتعاضد وتكاتف وتضحية، علىٰ عكس ما هو مشهور لأن الشعور بالمسؤولية

يقوىٰ في الفرد إذا قلت الجماعة)[١].

لقد عرض الشيخ المظفر في هذه المذكرات ما رافق مشروع الاصلاح من عقبات بما لا يحتاج إلىٰ تعليق. لكن الذي نريد أن نقوله هنا: إن الشيخ المظفر رحمه الله مرّ بتجارب إصلاحية لكنها لم تحقق النجاح المطلوب، غير أن هذه التجارب أعطته أفقاً إصلاحياً أكبر من السابق، ومكنته من معرفة سبل النجاح والفشل وهذا أمر له أهميته الكبرىٰ في ميدان العمل.

إن الشيخ المظفر في هذه المسألة يختلف مع الكثير من رجال العمل، حيث يصاب المصلحون وأصحاب المشاريع العملية بخيبة أمل عندما يتعرض مشروعهم الاصلاحي إلى الفشل، لكن الشيخ المظفر لم يكن كذلك. فتراه يحول الفشل إلىٰ منطلق عمل جديد وفي الميدان الحوزوي نفسه، وتلك قمة القوة والشجاعة والوضوح في الرؤية، والمبدأية في العمل.

لقد إستفاد الشيخ من تجربته السابقة التي كانت تضم عددا كبيرا من الشخصيات، ورأىٰ أن الكثرة العددية لا تساهم في نجاح المشروع، فانطلق في مشروع اصلاحي بعدد قليل، حيث أسس مدارس منتدى النشر التي شقت طريقها وسط الصعاب بقوة واصرار، وتخرج منها عدد كبير من الشخصيات اللامعة فيما بعد كالشهيد الصدر مثلاً.

وأعقب هذا المشروع تأسيس الشيخ لكلية الفقه في النجف الأشرف وهي خطوة كبيرة ورائدة في الحوزة العلمية، وإستمرت الكلية لسنوات طويلة خاضعة لإشراف علماء الدين في النجف، حتّىٰ مجيء البعثيين إلى الحكم حيث سيطروا على الكلية وجعلوها خاضعة لإدارتهم المنحرفة.

---

(١) الشيخ محمد مهدي الآصفي، مشروع اصلاح الحوزة عند الشيخ المظفر، مجلة قضايا اسلامية، العدد الخامس ص ٤٢٥ ـ ٤٣٥.

إن هذه التجربة الخاصة بالشيخ المظفر تبين لنا أن شخصيته كانت شخصية إصلاحية، وأن المشروع الاصلاحي جزء من تكوينه الشخصي، فهو لا يستطيع أن يسكت على الواقع المتخلف، ويبذل كل جهوده من أجل القيام بعمل يخدم الحوزة العملية، ويجعلها بمستوى التطور العام الذي تمر به الساحة.

ونختم حديثنا عن الشيخ المظفر بفقرة رائعة من مذكراته توضح نظرته الاصلاحية العميقة وبعدها في حسابات الزمن حيث يقول في حديثه عن جامعة النجف مقارنة بالتطور العام:

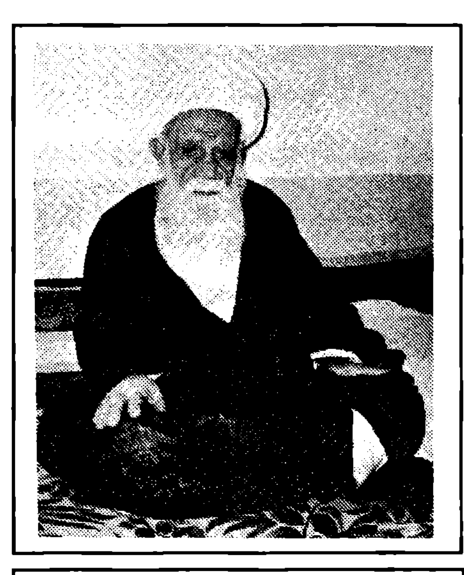
(... فإن هذه النواقص كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والاوقات والشهادات، كانت تهدد المفكرين منا بشلل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالميول)[١].

كان الشيخ المظفر إضافة إلىٰ توجهاته الاصلاحية العميقة، كاتباً متميزاً، تميزت كتبه بالجنبة الاصلاحية، كما في كتابه (عقائد الامامية) الذي لا يزال يعتبر أهم كتاب في بيان عقائد الشيعة الأمامية وقد كتبه بطريقة واضحة وباسلوب علمي جميل، وكذلك كتابه (السقيفة) الذي يمثل رغم صغر حجمه مناقشة علمية لحادثة السقيفة والخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، والكتاب يبحث أخطر مسألة وأكثرها حساسية بين المسلمين الشيعة والسنة باسلوب هادئ محايد كان الغرض منه عرض الحقيقة كما هي.

أما كتابه (المنطق) فيعد إنجازاً علمياً هاماً في مناهج الحوزات العلمية، إذ أصبح هذا الكتاب بديلاً عن الكتب القديمة في المنطق يدرس في كافة الحوزات العلمية.

---

(١) المصدر السابق.


الشيخ محمّد أمين زين الدين

كما ألف كتابه القيم (أصول الفقه) الذي كتبه ليكون منهجاً دراسياً لطلاب كلية الفقه، وهو يُعدُّ الحلقة المفقودة بين كتاب معالم الاصول وكتاب الكفاية للشيخ الآخوند وقد فرض هذا الكتاب وجوده في مناهج الدراسة الحوزوية.

إن أهم إنجاز حققه الشيخ المظفر أنه إستطاع أن يفرض تدريس الكتب الجديدة في الحوزة العلمية التي كانت ترفض تدريس أي كتاب آخر غير كتبها القديمة، وبذلك فتح المجال أمام العلماء فيما بعد ليطرحوا نتاجاتهم العلمية المختصة بالتدريس في الحوزة، مثل كتاب (دروس في علم الاصول) للامام الشهيد الصدر. وفي تقديرنا لو أن الشيخ المظفر لم يطرح كتبه في الحوزة العلمية، لما يتيسر للشهيد الصدر النجاح في أن تكون كتبه منهجا ومادة للتدريس. وهكذا ظل المظفر رحمه الله حياً في وجدان الفكر العلمي الشيعي، وأشار إلىٰ كل العلماء إشارة واضحة بأن الاصلاح التعليمي ضرورة لا بد منها في الحوزة العلمية من أجل حفظها وضمان بقائها حية معطاءة في ضمير الأمة وفي واقعها العام.

رابعاً: التوجيه التربوي ورعاية الشباب

يمثل سماحة الشيخ محمّد أمين زين الدين رحمه الله نموذجاً متميزاً في الحركة الاصلاحية. فقد ركز جهوده علىٰ طرح الفكر الإسلامي بطريقة

عصرية، وباسلوب جميل، يخاطب به أبناء الأُمّة من الشباب.

عالج الشيخ زين الدين، الكثير من القضايا العقائدية والتربوية والثقافية، وقد ابدع في طريقة معالجته العلمية الشيقة. وهذا ما جعل مؤلفاته تنتشر بشكل كبير في أوساط المثقفين والشباب. وأن تؤثر في قطاعات الأُمّة.

كان الشيخ (قدس سره) يكتب بطريقة هادئة بعيدة عن التكلف، فهو لا يميل إلى ا لعبارات المعقدة التخصصية، إنما يلجأ إلى تبسيط الفكرة، وعرضها باسلوب انسيابي فيه رقة العبارة وجمال التصوير، حتّى ان القارئ يشعر أنه يقرأ لأديب معاصر، أو استاذ متخصص في القضايا التربوية والاجتماعية المعاصرة وليس لشيخ كبير السن، وأحد الفقهاء في الوسط الشيعي.

والشيخ زين الدين، في حياته الاجتماعية، لا يختلف عن طريقته الكتابية، حيث يتميز بالوداعة والروح الظريفة الشفافة، والخلق الرفيع. فهو يترك أثراً كبيراً في نفس كل من يلتقي به ويزوره.

كان الشباب المثقف، وطلبة الجامعات، يقصدون زيارته بعد ان يقرأوا كتبه، فيعودون بصورة أكثر بريقاً من السابق. وتشدهم إليه عاطفة خاصة، مما دفع العديد من الشباب إلى أن يحرصوا علىٰ إجراء عقود الزواج علىٰ يده الكريمة.

وكان الشيخ يعالج قضايا العصر، ويقدم فكر الإسلام الاصيل لما يعانيه المجتمع من مشاكل وانحرافات، فقد كتب (إلى الطليعة المؤمنة) وهو الكتاب الذي لاقىٰ صدىٰ كبيراً في الأوساط المثقفة، حيث عالج فيه أهم القضايا الفكرية والثقافية والتربوية التي تهم الشباب، وقد ظل هذا الكتاب رائداً في بابه.

وعندما كانت ظاهرة التبرج تنتشر في المجتمعات الإسلامية، كتب كتابه الشهير: (العفاف بين السلب والايجاب) وكان معالجة تربوية واجتماعية لهذه الظاهرة، سجل فيها أفكاره البناءة بالاسلوبين المباشر وغير المباشر، فقد كان

رحمه الله يريد أن يبث الفكر الإسلامي وأخلاقه السامية في نفوس الشباب.

كما أصدر كتابه الرائع: (الإسلام . . ينابيعه، مناهجه، غاياته) الذي كان من أهم كتبه الرائدة، فقد عرض أفكار الإسلام بطريقة علمية هادئة وبالاسلوب الجميل الذي تميز به. وقد كان الكتاب موضع تداول الفئات الشبابية والمثقفة.

ولم يكن نشاط الشيخ زين الدين، ينحصر بهذا الجانب وحده، بل كان استاذاً بارزاً في الحوزة العلمية، وأحد فقهائها الكبار، له بحوثه العلمية ذات القيمة الكبيرة، وقد كتب رسالته العملية في عشرة مجلدات كبيرة تحت عنوان (كلمة التقوىٰ)، مما يشير إلى مقدرته العلمية الرفيعة واسلوبه البناء في الطرح والمعالجة.

ترك الشيخ زين الدين (قدس سره) ثروة علمية وفكرية، في الوسط الإسلامي، واختط منهجاً في الاصلاح الثقافي والاجتماعي، له ريادته وعطاءه الثر. فقد حقق منهجه مكاسب مشهودة، رغم أن الظروف التي عاشها رحمه الله، كانت قاسية من حيث القلق السياسي والأمني، وذلك نتيجة الظروف الصعبة التي عاشها العراق، تحت حكم حزب البعث.

الفصل الثالث

مرجعيات إصلاحية معاصرة

- الامام الحكيم.. اصلاح الأمة ورعاية العمل الإسلامي
- الامام الخميني.. معطيات القيادة والمرجعية
- الامام الصدر.. التحديات الصعبة ومشروع الاصلاح الشامل

الامام الحكيم.. إصلاح الأمة ورعاية العمل الإسلامي

في أواسط الخمسينات من هذا القرن أصبحت المرجعية العامة بيد السيد محسن الحكيم، بعد أن توفي السيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

والامام الحكيم هو أول مرجع عربي يحظى بموقع المرجعية العامة في القرن العشرين، وقد مكنه ذلك من التعرف على الساحة وظروفها ومؤثراتها بشكل دقيق، لا سيما الساحة العراقية التي عاش همومها وتوجهاتها وقدراتها منذ مطلع شبابه.

وعندما آلت المرجعية إلى الامام الحكيم، كان العراق يعيش تحولات فكرية واجتماعية وسياسية كبيرة، فالحكم الملكي كان يشهد سنواته الأخيرة، والتيارات المادية والقومية كانت تمارس نشاطاته وسط الأمة بصورة مؤثرة، ولم يكن للاسلاميين وجود فاعل آنذاك، فقد كانت هناك إرهاصات العمل الاسلامي الحركي، لكنه لم يتبلور بصورته الواضحة النهائية. وقد تحدثنا عن ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

إن تلك الأجواء جعلت مهمة مرجعية الامام الحكيم في الاصلاح تبدو صعبة، لكنها ضرورية في الوقت نفسه، فما لم تقم المرجعية بسلسلة من الاعمال الاصلاحية في مختلف أوساط الأمة ومجالاتها، فإن الامة سينتهي أمرها إلى

الضعف المتزايد والتدهور المرير.

ومع أن مهمة الاصلاح كانت صعبة، لكن هناك ثلاثة عوامل ساهمت في إمكانية المرجعية علىٰ تحقيق الاصلاح في أي مجال من مجالات الامة وهي:

أولاً: القاعدة الجماهيرية الواسعة التي كانت تقف وراء الامام الحكيم، فلم تشهد المرجعيات الدينية في القرن العشرين مرجعية حظيت بالتفاف الجماهير حولها في أكثر من بلد اسلامي مثل مرجعيه السيد الحكيم (قدس سره). وقد كان الالتفاف الجماهيري قوياً إلىٰ درجة كبيرة بحيث أن كلمة منه كانت كافية لأن تحسم الموقف علىٰ صعيد السياسة، او العمل الثوري المسلح. وكانت هذه القوة التي تمتعت بها المرجعية عنصر قلق وخوف الأنظمة الحاكمة في البلدان ذات الاغلبية الشيعية، لا سيما في العراق، حيث كانت العشائر العراقية طوع بنان السيد الحكيم. وشكل ذلك ظاهرة في الحياة العراقية، حتّىٰ أن السلطة العراقية كانت تحذر غضبة الامام الحكيم لأنها تدرك المخاطر التي تترتب على ذلك.

ثانياً: التحرك الاسلامي: نمت في ظل السنوات الأولى لمرجعية السيد الحكيم العامة، بوادر الوعي الحركي الاسلامي المكثف، حيث كانت هناك عدة محاولات لتأسيس حركات إسلامية، إنتهت بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية علىٰ يد المرجع الشهيد السيد محمد باقرالصدر (قدس سره).

وقد سار حزب الدعوة منذ بدايات تأسيسه في خط المرجعية الدينية، ووفق تصوراتها العامة، وما كان ليخرج عن توجهاتها وتعاليمها، وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الخاص بحزب الدعوة الإسلامية.

وعلىٰ ضوء ذلك وضع الحزب إمكانياته في خدمة المرجعية، وفي المقابل لاقى منها دعماً وإحتضاناً ساهم في دعم مسيرته وتقوية نشاطاته، ففي مواكب الطلبة والاحتفالات الجماهيرية التي كان ينظمها الحزب، كانت هناك كلمة خاصة للامام الحكيم، وهذا يعني أن المرجعية ترعى وتبارك هذه الممارسات التي ينظمها

حزب الدعوة.

وكان الأعضاء القياديون في الحزب يعقدون إجتماعاتهم مع الامام الحكيم عندما يستلزم الظرف ذلك، فيتلقون منه التوجيه والترشيد.

إن العلاقة الوثيقة بين المرجعية وبين حزب الدعوة الإسلامية، ساهمت في صنع واقع متين في الساحة العراقية، تمثل في قوة المرجعية وقوة الحركة الإسلامية، حيث كانت الحركة ذراعاً نشطاً وقوياً للمرجعية الدينية، ولقد فقدت بوفاة الامام الحكيم سنداً قوياً لم يكن من السهل تعويضه.

ثالثاً: التجارب الاصلاحية السابقة: إستفادت مرجعية الامام الحكيم من التجارب الاصلاحية التي ظهرت في الساحة قبل أن تنعقد له المرجعية العامة. مثل النشاط الاصلاحي السياسي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والنشاط الاصلاحي الاجتماعي للسيد محسن الأمين، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والاصلاح التبليغي للشيخ حبيب العاملي، والاصلاح العقائدي للشيخ محمد جواد البلاغي، والاصلاح التربوي والتعليمي للشيخ محمد رضا المظفر، وغيرهم من أعلام الاصلاح ورواده.

إن تلك التجارب كانت رصيداً مهماً للمشروع الاصلاحي عند السيد الحكيم، فقد قام (قدس سره) بمواصلة هذه الحركة الاصلاحية وتكميل حلقاتها، وتدعيم أركانها. وكان السيد الحكيم يمتلك وعياً سياسياً، واجتماعياً واسعاً ساعده على مواصلة الاصلاح، وتعميقه في الواقع العام من خلال جملة من المشاريع والنشاطات الاصلاحية، نوجزها بما يلي:

التبليغ والاصلاح الحوزوي:

إهتم الامام الحكيم بتطوير أوضاع الحوزة العلمية بشكل عام، فقد أولى أهمية كبيرة لعدد الطلبة الدارسين في الحوزة، وبذل جهوده من أجل زيادة أعداد

الطلبة، حتىٰ نجح في جعل عدد الطلبة يتزايد بشكل ملحوظ في النجف الأشرف، وكان هؤلاء الطلبة ينتمون إلىٰ قوميات مختلفة وبلدان شتى، فقد شهدت النجف وجود الطلبة من البلدان العربية، ومن غيرها مثل أفغانستان وباكستان والهند وجنوب شرق آسيا[١].

لقد هدف السيد الحكيم إلىٰ جعل النجف الأشرف جامعة عالمية يقصدها الطلبة من كل مكان من بلدان العالم الاسلامي، وضمن هذا الاتجاه قام بمشروع تأسيس جامعة الكوفة الكبيرة، لكن السلطة البعثية صادرت المشروع والأموال المخصصة له.

وأسس (قدس سره) مدرسة العلوم الدينية التي تُعرف بالدورة وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات، وهي تتولى تدريس الطلبة العلوم الدينية وفق نهج حديث يختلف عن النمط التقليدي المألوف في الدروس الحوزوية، وساهمت هذه المدرسة في إعداد مجموعة من العلماء الواعين والأكفاء في مجال التبليغ والعلوم الإسلامية.

لقد كان التبليغ الإسلامي في المرحلة التي سبقت مرجعية السيد الحكيم يعيش رتابة متأخرة عن الامة، وكان عدد المبلغين قليلاً بشكل ملحوظ مقارنة بحاجة الأمة اليه، وقد تنبه الامام الحكيم إلىٰ هذه الظاهرة المخلة فسعىٰ إلىٰ زيادة عدد المبلغين الدينيين من العلماء الوكلاء الذين كان يرسلهم إلىٰ مختلف المناطق كممثلين عن المرجعية.

وقد مارس هؤلاء الوكلاء دورهم التبليغي الذي كان يعطي نتائج جيدة على أكثر من صعيد أهمها شدّ الأمة إلى المرجعية، وجعلها قريبة منها، كما أن المبلغ أو الوكيل كان يمثل حلقة الوصل بين المرجعية والأمة، وهي العلاقة التي تتسم

---

(١) راجع كتاب عدنان السراج، الامام السيد محسن الحكيم.

بالضعف في الفترات السابقة. وقد ظل الاهتمام بالمبلغين والوكلاء ظاهرة ممتدة في المرجعيات التي أعقبت مرجعية السيد الحكيم (قدس سره).

التوعية الجماهيرية:

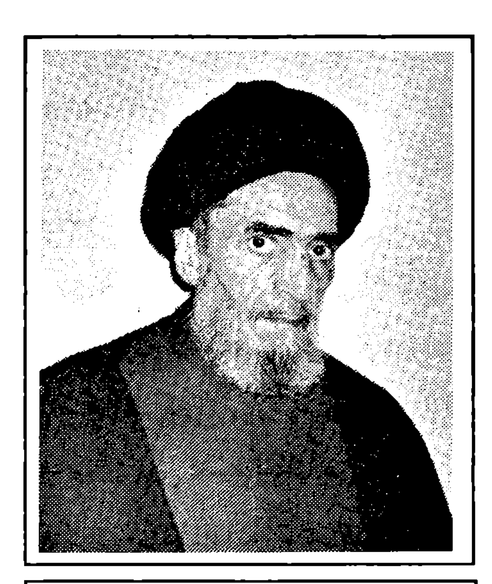
إهتم السيد الحكيم باصلاح الأمة إصلاحاً ثقافياً، فـأسس مكـتبة آيـة الله الحكيم في النجف النجف الأشرف، وأفتتح فروعاً لها في المدن المختلفة بالاعتماد علىٰ ابناء الحركة الإسلامية، وكان هذا الانجاز رائداً في العـراق، حـيث أمكـن للشباب أن يبني نفسه ثقافياً من خلال الكتب المتوفرة له في هذه المكتبات.

وكانت مكتبات آية الله الحكيم تقوم بنشاطات أخرىٰ مثل إقامة الاحتفالات الإسلامية في المناسبات، وعقد الندوات الجماهيرية التي تستضيف شـخصيات علمية تتناول أهم ما تحـتاجه الأمـة في واقـعها الذي تـعيشه. وشكـلت هـذه المكتبات والنشاطات التي تقوم بها ظاهرة متميزة أمام المد الشيوعي الذي كان يسيطر على الساحة في تلك الفترة.

لقد حدثت تحولات كبيرة في فترة مرجعية الامام الحكيم، لكن أهمـها هـو إنتشار الوعي السياسي الاسلامي في أوساط الأمة، وكانت مرجعيته قدس سره تمثل الفترة الذهبية للحركة الإسلامية التي نشطت إلىٰ أبعد الحدود مستفيدة من دعمه ورعايته وتوجيهه. وقد شكل ذلك عامل إثارة للسلطة البعثية فحاولت إضعاف مرجعيته وتقليص إمتداداتها الشعبية من أجل التمـهيد لضرب التـحرك الاسلامي بشكل عام كما سبق الحديث عن ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب.

كانت مرجعية الامام الحكيم تمثل الرعاية القوية للتحرك الاسلامي، وقد نمى التحرك الاسلامي في مظاهره الحركية والجماهيرية في ظل مرجعيته، وهـذا مـا كان يقلق السلطات الحاكمة إلىٰ أبعد الحدود.

كما أن مرجعية الامام الحكيم كانت تمثل جبهة المواجهة القوية ضد المد الشيوعي، فقد تصدىٰ رحمه الله للمد الشيوعي بقوة، وأصدر فتواه التاريخية التي جاء فيها: (الشيوعية كفر وإلحاد).



السيد محمّد تقي الحكيم

إمتدادات الاصلاح في فترة السيد الحكيم:

إمتد النهج الاصلاحي خلال مرجعية الامام الحكيم، في عدد من العلماء الكبار أبرزهم العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم الذي مثل البعد العلمي والاصلاحي لمدرسة الامام الحكيم (قدس سره) من خلال الفكر الاصلاحي الذي تميز به، والعقلية العلمية العميقة التي إتسمت بها شخصيته.

شغل السيد محمد تقي الحكيم، منصب عميد كلية الفقه، وكتب عدداً من الكتب العلمية، ذات المستوى الرفيع، مثل كتابه القيم: (الأصول العامة للفقه المقارن). وكان أحد كبار المصلحين علىٰ مستوى البحث العلمي.

وبرز في تلك الفترة عدد آخر من علماء الدين الذين قاموا بأعمال إصلاحية هامة. مثل العلامة السيد مرتضى العسكري، حيث مارس نشاطاً كبيراً في بغداد، وإستطاع أن يحرك الأجواء الإسلامية بطريقة فاعلة مؤثرة في الساحة.

وقد أسس السيد العسكري، وبتوجيه من الامام الحكيم قدس سره، جماعة علماء بغداد، وذلك في الستينات، ومارست الجماعة دوراً نشطاً، كان يساهم في تدعيم التحرك الاسلامي، وفي توجيه الشارع، وجاءت جماعة علماء بغداد



الإمام الشهيد الصدر مع شقيقه السيد اسماعيل الصدر

خطوة مكملة لجماعة العلماء في النجف الاشرف وكانت تضم السيد اسماعيل الصدر والشيخ عارف البصري والشيخ علي الصغير وعلماء آخرين.

قام السيد العسكري بأعمال كبيرة، مثل تأسيس كلية أصول الدين في بغداد، ومدارس الامام الجواد، وجمعية الصندوق الخيري، وكانت هذه المؤسسات تمارس نشاطاً إصلاحيا، له تأثيره الكبير في الساحة.

وقد تميز العلامة العسكري، بالتخطيط الدقيق والأفق الحركي الواسع، وهو من رواد الوعي الاسلامي في تاريخ العراق الحديث.

كما أن مؤلفاته العلمية، تمثل انجازا خطيرا في مجال الدراسات التاريخية، حيث أحدثت كتبه ضجة كبيرة في الأوساط العلمية، مثل (عبد الله بن سبأ) و خمسون ومائة صحابي مختلق) وغيرها من الكتب القيمة التي كان يهدف العسكري من ورائها إلىٰ تنقية التراث الاسلامي.

الأمام الخميني . معطيات القيادة والمرجعية

الامام الخميني حالة فريدة في المرجعيات الشيعية والقيادات الإسلامية، فلم يشهد تاريخنا الاسلامي المعاصر شخصية مثله، إمتلكت الشجاعة والاصرار على المواصلة والتحدي رغم كل التحديات والظروف، من أجل تحقيق هدف الإسلام في إقامة حكم الله في الأرض.

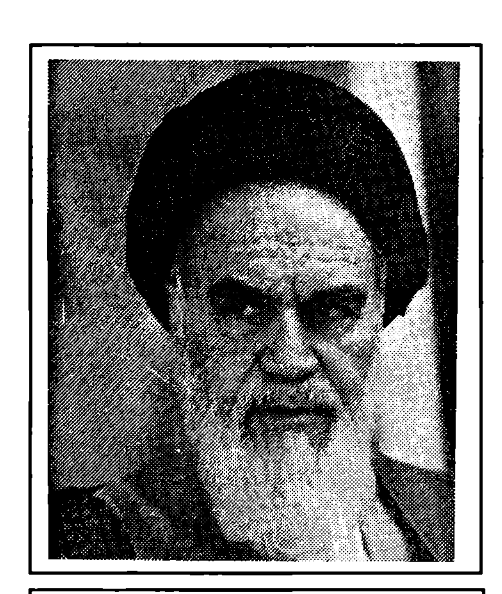
وقد عانىٰ الامام الخميني (رضوان الله عليه) من الخط التقليدي في الحوزات العلمية منذ بدايات تحركه الاسلامي في ايران ضد الشاه، وتعرض لضغوط عديدة حاولت عزله عن جماهيره وخلق حاجز بينه وبينها، لكنه (رضوان الله عليه) مضىٰ في طريقه بثبات، لأنه يؤمن تمام الايمان بالمسؤولية الكبيرة التي يتحملها، وأنه صاحب رسالة سامية لابد أن يؤديها مهما كانت التحديات المضادة. وبالفعل شق الخميني العملاق طريقه وسط الاشواك والصعاب، ولم تشغله أية قضية جانبية عن قضيته الكبرى، مع أن هناك محاولات كثيرة كانت تخطط ضده لجره إلىٰ معارك جانبية هامشية على أمل أن تعرقل انطلاقته الثورية وتستوعب طاقاته واهتماماته بشؤون اخرىٰ، لكنه وبالنظرة البعيدة التي يتميز بها في كل الامور أحبط كل تلك المحاولات بحكمة وصبر، وواصل مسيرته ومن ورائه قواعده المليونية المجاهدة حتّىٰ منّ الله عليه تعالى بالنصر الكبير.

وبعد الانتصار التاريخي الذي حققه في ايران بذلت القوى الاستكبارية جهودا خيالية لإسقاط الثورة الإسلامية، لكن هذه الجهود كانت تتحطم علىٰ

صخرة التلاحم الاسطوري بين الامة المجاهدة وبين قيادتها العظيمة المتمثلة في مرجعها الامام الخميني (رضوان الله عليه). وقد لجأت هذه القوىٰ ـ بعد أن واجهت الفشل الميداني على المستوى العسكري ـ إلىٰ محاولة استيعاب الثورة من الداخل عن طريق العناصر المشبوهة والمتواطأة مع الدوائر الإستكبارية، لكن وعي المرجعية الخمينية ووعي جماهيرها الثائرة أحبط كل تلك المحاولات، فلفظت الثورة العناصر الدخيلة من جسمها وفرزت الخط الأصيل عن غيره. وهو أمر ما كان ليتم لولا المستوى العالي من الفهم الحركي لمجريات الاحداث.

وقد عادت دوائر الاستعمار مرة أخرىٰ إلىٰ خطوة خطيرة تستهدف القضاء علىٰ معطيات الثورة بشكل نهائي، وذلك عن طريق انقلاب عسكري كبير يشترك فيه بعض كبار الضباط والتنظيمات السياسية المعادية للاسلام مثل حزب تودة الايراني إلىٰ جانب بعض رجال السياسة الموالين للغرب. ومن أجل أن يستكمل هذا المخطط الرهيب حلقاته بحثت الاجهزة الاستكبارية عن غطاء ديني ليكون البديل للإمام الخميني قدس سره. وبعد دراسة الأجواء العامة في الجمهورية الإسلامية وقع الإختيار علىٰ احد كبار العلماء في ايران.

لقد راهن الاستكبار علىٰ ذلك العالم الكبير ظناً منه بأن القاعدة الواسعة من مقلديه ستقف وراءه في ساعة الصفر المرتقبة، وعند ذاك سوف تتم عملية التحول في شكل الثورة وستعود الأمور إلىٰ سابق عهدها قبل انتصار الامام الخميني التاريخي. لكن قبل أن تحين ساعة الصفر أدركت الثورة وبعناية الله سبحانه ما يدبّر ضدها في الخفاء، فتم اكتشاف المخطط الاستكباري، وسرعان ما تساقطت رموزه أمام الوعي السياسي للشارع الايراني المسلم. وخلافاً لما توقعه الاستكبار، فإن الذي راهن عليه، سقط على المستوى الشعبي منذ اللحظة التي كشف فيها عن تورطه في هذا المخطط وخرج الجمهور المجاهد يعلن بكل وضوح موقفه الرافض له، وكان في مقدمته أتباعه ومقلدوه الذين توهم


الإمام الخميني (قدس سره)

الاستكبار أنهم سيقفون إلىٰ جانبه، لكنهم بعد أن عرفوا حقيقة موقفه تخلوا عنه، لأن الأمة وفي مرحلة الوعي التي صنعتها مرجعية الامام الخميني كانت تريد من يواجه الاستكبار ومن يتصدىٰ بجدارة وقوة لحرب الكفر العالمي ضد الإسلام في المعركة الحضارية الشاملة.

وهكذا استطاع الشعب الايراني المجاهد أن يلحق هزيمة أخرىٰ للقوىٰ الاستكبارية وأن يؤكد التحامه بالمرجعية الواعية المجاهدة التي تريد بناء المجتمع الاسلامي الصالح والدولة الإسلامية التي تجسد حكم الله في الأرض.

نظرة الامام الخميني للتقليديين:

يقول الامام الخميني (قدس سره) في رسالته التاريخية إلىٰ الحوزات العلمية في شباط ١٩٨٩:

(إن في الحوزات العلمية أشخاصاً يعملون ضد الثورة والإسلام المحمدي الأصيل. ويوجه اليوم عدد من المزيفين السهام إلى الدين والثورة والنظام، حتّىٰ وكأنّ لا وظيفة لهم غير هذا. وليس قليلاً خطر المتحجرين والمزيفين الحمقىٰ في الحوزات العلمية. وعلى الطلبة الأعزاء أن لايتقاعسوا لحظة واحدة في معرفة أمر هذه الثعابين التي يبدو ظاهرها ليناً، فإنهم مروّجو الإسلام الاميركي وهم

أعداء رسول الله ﷺ..أليس من الواجب إذن على الطلبة الأعزاء أن يحفظوا تلاحمهم في مقابل هذه الثعابين.

عندما يئس الاستكبار من ازالة العلماء وتدمير الحوزات بشكل كامل، اختار اسلوبين لتنفيذ ضربته :الأول اسلوب الارهاب والقوة.. والثاني اسلوب الخدعة والنفوذ.

ولمّا لم تكن حربة الارهاب والتهديد فاعلة، سعىٰ الاستكبار إلىٰ تغذية وتقوية اسلوب التغلغل، وكان أول وأهم التحركات في هذا المجال هو طرح شعار فصل الدين عن السياسة، حيث كانت هذه الحربة ومع الأسف فاعلة إلىٰ حدّ ما في الحوزة وصفوف العلماء حتّىٰ أصبح التدخل في السياسة دون شأن الفقيه، ودخول المعترك السياسي تهمة للإرتباط بالأجنبي.

ويقيناً فقد أصاب العلماء المجاهدين جرح أكبر نتيجة التغلغل. ولاتعتقدوا أن تهمة الارتباط والافتراء باللادينية، ألصقت بالعلماء من قبل الأجانب فقط، بل كانت طعنات العلماء أشد بأضعاف مضاعفة من طعنات الأجانب. فلو أردت في بداية التحرك الاسلامي أن تقول ان الشاه خائن، لكنت تسمع الجواب فوراً بأن الشاه شيعي. وقد كان عدد من المزيفين يعتبرون كل شيء حراماً فلم يكن هناك من يستطيع أن يعلن عن موقفه في مقابلهم.. وان الطعنة التي تلقاها أبوكم العجوز من هؤلاء المتحجرين لم يتلق مثلها من ضغط وقساوة الآخرين.

وعندما قام شعار فصل الدين عن السياسة وأصبح الفقه في منطق الجهلة غارقاً في الأحكام الفردية والعبادية ولم يكن يسمح للفقيه أن يخرج عن هذا الاطار ويتدخل في السياسة وشؤون الحكم، عند ذاك أصبحت حماقة العالم في طريقة معاشرة الناس فضيلة. وعلىٰ زعم بعضهم يصبح العلماء موضع احترام وتكريم الناس حين تأخذ الحماقة وجوده. بينما يعتبرون العالم الفاعل النشط المهتم بالسياسة انساناً مدسوساً.

ومن القضايا التي كانت منتشرة في الحوزات اعتبار كل من يسير منحرفاً أكثر تديناً، فيما اصبح تعلم اللغات الأجنبية كفراً وتعلم الفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً. وعندما شرب ابني الصغير المرحوم مصطفى الماء من اناء في المدرسة الفيضية، أخذوا ذلك الإناء وطهروه بالماء لأنني كنت أدرّس الفلسفة.

ولايخفىٰ أنه لو استمرت هذه الاوضاع لأصبح وضع العلماء والحوزات كوضع كنائس القرون الوسطىٰ. ولكن الله منّ على المسلمين والعلماء وحفظ الكيان الحقيقي والمجد الواقعي للحوزات. وقد تربى في نفس هذه الحوزات العلماء العقائديون وفصلوا أنفسهم عن الآخرين، وقد نجمت من هذه المشاعل الثورة الإسلامية الكبرىٰ...

ومن الأمور التي يجب الفات نظر الطلبة الشباب اليها هي كيف أن البعض شمّروا عن سواعدهم وقدموا أرواحهم من اجل انقاذ الإسلام والحوزة والعلماء في فترة نفوذ المزيفين الجهلة والسذج الأميين...

إن اول وأهم فصل دامٍ كان في الخامس عشر من خرداد العاشورائي في قم، ففي الخامس عشر من خرداد ١٣٤٢ هـ.ش - ١٩٦٣م - لم تكن المواجهة فقط مع رصاص وبنادق الشاه إذ لو كانت هذه هي المواجهة فحسب لكانت سهلة، وانما بالاضافة إلىٰ ذلك كان هناك رصاص المكر الذي اطلقه المزيفون والمتحجرون من الداخل... وهكذا تلقىٰ الإسلام من هؤلاء المزيفين من الضربات مالم يتلقه من أي جهة اخرى...

.. لمصلحة من يجري ايجاد الخصومة والتفرقة بين العلماء الثوريين لقد استعد الأعداء منذ زمن بعيد لزرع الاختلاف بين العلماء. ان الغفلة عن هؤلاء تقضي علىٰ كل شيء، وإذا لم يكن الطلبة ومدرسو الحوزة العلمية متضامنين مع بعضهم البعض فلا يمكن التكهن ومعرفة من الذي سيكون النجاح حليفه. وإذا أصبحت السيطرة الفكرية من نصيب العلماء المزيفين والمتحجرين علىٰ فرض محال فماذا

سيكون جواب العالم الثوري أمام الله والشعب...

على المجتهد أن يلم بقضايا عصره ولايمكن للشعب وللشباب وحتى العوام ان يقبل من مرجعه ومجتهده ان يقول انني لاأبدي رأيا في القضايا السياسية. ان من خصوصيات المجتهد معرفة اساليب التعامل مع الخدع والتحريف الموجود في الثقافة الحاكمة على العالم، وامتلاك البصيرة والنظرة الاقتصادية والعلم بكيفية التعامل مع اقتصاد العالم، ومعرفة السياسات والسياسيين وأساليبهم..).انتهىٰ.

هذه فقرات اخترناها من الرسالة التاريخية التي وجهها الامام الخميني رضوان الله عليه إلىٰ الحوزات العلمية، وفيها تحدث بألم ولوعة عن المواقف المتخاذلة والمنساقة مع أعداء الإسلام لأولئك المتحجرين،وكيف كان (رضوان الله عليه) يتعرض لحملاتهم التشكيكية القاسية. لكن صموده (قدس سره) وقدرته الفائقة في صنع الاحداث والتفاف الأمة المجاهدة في ايران حوله وانضوائها تحت رايته، أحبط محاولات القاعدين، ومنّ الله تعالىٰ بنصره المبين علىٰ الامام قدس سره وعلىٰ الامة الإسلامية، فكانت الثورة العملاقة التي حطمت عروش الاستكبار في المنطقة وحقق الامام الخميني حلم الانبياء كما قال قائدنا الامام الشهيد السيد الصدر.

إن انتصار الامام الخميني خلق مرحلة جديدة من الوعي الاسلامي، فلقد صنع قدس سره تياراً ثورياً واعياً يواجه القوىٰ الاستكبارية ويجاهد من اجل اقامة حكم الله في الارض، وهو حلم كاد أن يموت في النفوس بعد الاحباطات المتكررة التي تعرضت لها الامة الإسلامية.

قبل الامام الخميني لم يكن مراجع الدين يفكرون باقامة دولة اسلامية عن طريق الثورة، وكانوا يعارضون أي نشاط في هذا الاتجاه. وقد تعرض الامام نفسه إلىٰ نقد شديد ومضايقات عديدة ومحاولات تشويهية من قبل الكلاسيكيين من العلماء والمراجع، لكن محاولاتهم باءت بالفشل.. فإذا الخميني

قوة جبارة تقهر وتكتسح.. واذا بمدرسته خط متنام يزداد قوة واتساعاً.

لقد استطاع الامام ان يستوعب الامة بمختلف طبقاتها لأنه آمن بأنها القادرة علىٰ صنع مصيرها الذي تريد، اذا توفرت لها القيادة التي تبعث فيها روح الثورة والجهاد، وتعيد ثقتها إلىٰ نفسها. ولأنه أخلص لها كل الاخلاص فكانت آلام كل فرد منها هي آلامه وهمومه.. لم يعش الخميني العظيم يوماً واحداً بعيدا عن أمته وشعبه، كان معه دائما يحمله في قلبه هماً واملاً.. لم يكن رضوان الله عليه يتعامل مع المرجعية علىٰ انها امتياز خاص يعزله عن مجتمعه، بل تعامل معها علىٰ انها مسؤولية كبيرة لابد ان ينهض بأعبائها علىٰ اكمل وجه، فكان المرجع القائد الذي يرسم الطريق ويسير فيه في المقدمة.

لقد تعرفت الامة علىٰ مرجعها الامام الخميني عن قرب، فليس هناك أي حاجز بينه وبينها، كان معها وهو في ايران.. ومعها وهو المنفى.. لم تبعده المسافات الجغرافية عنها لأنها في قلبه ولأنه في قلبها.

هذه العلاقة الرائعة بين المرجع وجماهيره، جعلته لايجد أي مشكلة في طريقه الطويل مهما كانت الصعاب والتحديات، كما جعلت جماهيره لاتجد أي صعوبة في السير وراءه لأنها ادركت جيدا أنه يسيربها إلىٰ حيث يريد الإسلام.

لقد اختط الامام هذا النهج في حياته مع الامة منذ البداية، فلحقت به الجماهير بثقة واخلاص ليس في ايران فحسب، بل في كل المواقع الإسلامية التي آمنت بنهج أهل البيت عليهم السلام في طريق تحكيم الإسلام في الحياة. لقد صنع الوعي والتحدي والوضوح، لذلك لم يأبه بما يتقوله المتقولون.. ولم تأبه قواعده المجاهدة بكل التهم والحملات المغرضة، لأن الوعي كان أكبر من أن تنهيه همسات القاعدين.

لقد استطاع الامام الخميني ان يرسم صورة المرجع الذي تحتاجه الأمة في

مرحلتها التي تخوض فيها اخطر التحديات من قبل أعداء الإسلام، وهي صورة لم تكن موجودة في الفترة الذي ابتدأها بين المراجع الذين عاصروه، فكانت بعض الاوساط تمارس حملاتها التضليلية في الخفاء خوفاً من غضبة الجمهور الواعي، ولأنها لايحلو لها الصيد إلا في الماء العكر، وتركهم الامام يتهامسون ويضللون في الاقبية المظلمة، فيما كان قدس سره يزمجر بوجه الاستكبار ويتحدى القوى المعادية للإسلام تحت ضوء الشمس.

إن الامام الخميني حقق الاصلاح الأكبر في عالمنا المعاصر، وفرض فكرته الاصلاحية الثورية على الواقع الاسلامي، دون أن يأبه بردود الفعل المضادة، وتلك هي القيمة الحقيقية للمشروع الاصلاحي، وتلك هي الصفة الأساسية للمصلح، فليس هناك ما يضعف العزم عنده مادامت الرؤية واضحة، وهذا ماجعل الامة تلتف حوله، لأنها وجدت فيه القائد الواثق من نفسه ومشروعه وأمته، فمنحته كل الثقة والولاء.

إن أهم مكسب حققه الامام علىٰ مستوى الحوزات العلمية، أنه رسم الدور الحقيقي للمرجع ولعالم الدين، وأوضح ذلك أيما إيضاح.. فلم تعد الرؤية مشوشة أو يسودها الغبش. إنه بيّن على الواقع العملي أن مرجع الأمة هو الذي يعيشها هماً، وأملاً، وحلماً في كل لحظة من لحظات حياته.. يبتسم حين يراها فرحة.. ويغضب في الله عندما يراها حزينة مقهورة.. هكذا كان الخميني، قلب الأمة وضميرها، فسكن في قلب كل فرد من أفرادها، وعاش خالداً في ضمير الجميع.

الامام الشهيد الصدر..
التحديات الصعبة ومشروع الاصلاح الشامل

كانت الحركة الإسلامية منذ انطلاقتها أواخر الخمسينات تعيش همَّ الإسلام وامكانات تحكيمه في الحياة، وهو هدف لم يكن يهتم به التقليديون، بل أنهم كانوا يعارضون مثل هذه التوجهات الرسالية وسرعان مايطلقون عليها تهمهم الجاهزة من قبيل الخروج عن التشيع.. لكن وضوح الأهداف والأسس التي وضعها الشهيد الصدر للحركة، جعلها تواصل نشاطها بثقة وقوة.

إن وجود الامام الشهيد والثلة الواعية من العلماء علىٰ رأس الحركة الإسلامية خلق حالة لم تكن موجودة من قبل، وهي التلاحم التاريخي بين المرجعية وبين الامة.

إن هذا التلاحم مكّن التحرك الاسلامي من الانطلاق والعمل بقوة، ووفر له الشرعية في الاسلوب والممارسة فيما يحتاجه من غطاء في ظروف العمل السياسي المعقد.

والغريب أن الحركة الإسلامية ومرجعية الامام الصدر واجهتا معاً حرباً من جبهتين:

الاولىٰ: تمثلت بالخط التقليدي في الحوزات العلمية.

والثانية: السلطة البعثية الظالمة في العراق.



الشهيد الصدر (قدس سره)

إن من المؤسف أن يلتقي الاثنان في هدف واحد ألا وهو ضرب التحرك الاسلامي ومرجعية السيد الصدر رضوان الله عليه . والمؤلم أن بعض المنتسبين للحوزة العلمية كان لايتورع في افشاء سرّ العلاقة بين الحركة الإسلامية والسيد الصدر، مع ما يترتب علىٰ ذلك من مخاطر أمنية تعرض حياة الرساليين وفي مقدمتهم السيد الصدر واخوانه العلماء الحركيين لخطر الاعتقال والاعدام.

وفي تلك الظروف الحساسة واجه الامام الصدر حملة مفتعلة تحاول الانتقاص منه ومن مرجعيته، وتعرض تلامذته إلىٰ مضايقات عديدة من قبل التقليديين الذين كانوا يسيطرون على الرأي العام في الحوزة. وقد وصلت المضايقة حداً أن الكثير من مقلدي السيد الشهيد كانوا عندما يُسألون عن المرجع الذي يقلدونه يجيبون بأنه (أحد الأحياء).

وعندما ساهم رضوان الله عليه في تأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف وكان هو محور حركتها رغم عدم انتسابه لها بصورة رسمية بحكم العمر، تعرض إلىٰ حملة قاسية عانى منها الكثير، وكان هو الذي يكتب في مجلة الأضواء الأفتتاحية المعروفة تحت اسم (رسالتنا).

كانت الحملة مشتركة بين السلطة الحاكمة وبين بعض رجال الحوزة كما يظهر

ذلك بوضوح في مجموعة من الرسائل التي بعثها السيد الشهيد إلىٰ سماحة السيد محمد باقر الحكيم نختار منها الفقرات التالية كما نشرتها مجلة الجهاد في عددها رقم (١٤) الصادر في جمادى الثانية ١٤٠١هـ وفيها يعبّر رضوان الله عليه عن الألم الذي يعتصر قلبه من هؤلاء وأولئك:

كتب السيد الشهيد في صفر ١٣٨٠هـ ما نصه:

(لقد كان بعدك أنباء وهنبثة ،وكلام وضجيج، وحملات متعددة جنّدت كلها ضد صاحبك ـ أي السيد الصدر نفسه ـ بغية تحطيمه.

ابتدأت تلك الحملات في أوساط الجماعة التوجيهية المشرفة على الأضواء، أو بالأحرىٰ لدىٰ بعضهم ومن يدور في فلكهم، فأخذوا يتكلمون وينتقدون، ثم تضاعفت الحملة وإذا بجماعة تنبري من أمثال حسين الصافي ـ ولاأدري ما اذا كانت هناك علاقة سببية وارتباط بين الحملتين أو لا ـ تنبري هذه الجماعة، فتذكر عنّي وعن جماعة ممن تعرفهم شيئا كثيرا من التهم ومن الامور العجيبة)

وكتب أيضا رضوان الله عليه يقول:

(كما أن هناك زحمة من الإشكالات والاعتراضات لدىٰ جملة من الناس أو (الآخوندية) في النجف على النشرة وخاصة (رسالتنا) باعتبار انها كيف تنسب إلىٰ جماعة العلماء مع أنها لم توضع من قبلهم، ولم يطلعوا عليها سلفاً، وأن في ذلك هدراً لكرامة العلماء)

وكتب أيضاً عن تلك الحملة التي تعرض لها يقول:

(لاأستطيع أن أذكر تفصيلات الاسماء في مسألة جماعة العلماء وحملتها على الاضواء، ولكن أكتفي بالقول بأن بعض الجماعة كان نشيطا في زيارة أعضاء جماعة العلماء لإثارتهم علىٰ الاضواء وعلىٰ (رسالتنا) حتّىٰ أن الشيخ الهمداني الطيّب القلب قد شُوّهت فكرته. وهذا الذي حصل بالنسبة للشيخ الهمداني

حصل بالنسبة إلىٰ جملة من الطلبة مع الاختلاف في بعض الجهات).

وفي جانب آخر كتب (قدس سره) يقول عن حملة أخرىٰ يبدو انها أعقبت تلك الحملة:

(وقد هدأت والحمد لله حملة جماعة العلماء عليها ـ أي مجلة الاضواء ـ بعد أن تم اشعارهم بأنهم المشرفون عليها، غير أن حملة هائلة علىٰ ما أسمع يشنّها جملة من الطلبة ومن يُسمىٰ بأهل العلم أو يحسب عليهم، وهي حملة مخيفة وقد أدت علىٰ ما قيل إلىٰ تشويه سمعة الاضواء في نظر بعض أكابر الحوزة، حتّىٰ كان جملة ممن يسميهم المجتمع الآخوندي، مقدسين أو وجهاء لايتورعون عن الصاق التهم بالأضواء وكل من يكتب فيها).

إن هذه الكلمات الحارة التي يكتبها الامام الشهيد الصدر عن فترة من فترات العمل الاسلامي في حياته المباركة، تكشف عن الألم الذي كان يختزنه في قلبه الكبير وهو يشاهد أجواء التخلف تحاول أن تقف في طريق الوعي الاسلامي. وكم من مرة تمنىٰ (رضوان الله عليه) الموت رغم صبره الطويل وقلبه الكبير الذي يتحمل الهموم والالام، لكن شدة المحن التي يتعرض لها من التقليديين كانت تجعله يفضل الموت على الحياة.

لقد أسس الشهيد حزب الدعوة الإسلامية لأنه أدرك بالعمق الذي يتمتع به وبالنظرة الشمولية الصائبة لحركة الاحداث في الساحة، أن العمل الحزبي يمثل الاسلوب القادر علىٰ مواجهة الانحراف الكبير في الساحة العراقية والساحات الإسلامية، وأن الحزب هو الذراع الذي تمكن المرجعية من تحقيق أهدافها وسط الامة. وانطلاقاً من هذه الرؤية الواضحة قام بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية، وكتب بنفسه الأسس الفكرية للحزب ورسم الخطوط الاساسية لعمله وأطلق عليه اسم (الدعوة).. كل ذلك من أجل خدمة القضية الإسلامية ومدرسة أهل البيت عليهم السلام والحوزة العلمية والمرجعية الدينية.

لكن رغم كل ذلك فانه (قدس سره) تعرض إلىٰ حملة شرسة من قبل الاوساط الحوزوية التقليدية، وكان هؤلاء يشهّرون بحزبيته وكأنها عمل مخالف للشريعة الإسلامية، رغم ان افشاء مثل هذه الامور يعرض حياته الشريفة وحياة علماء الدين والرساليين المنضوين في حزب الدعوة إلىٰ مخاطر الاعدام والاعتقال، ومع ذلك لم يتورع اولئك الناس من حملتهم التشهيرية لأن الهدف عندهم هو إسقاط السيد الصدر وتدمير مرجعيته الفتية.

وننقل هنا ما كتبه الأخ الصديق الشيخ محمد رضا النعماني في كتابه (الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيام الحصار):

(وحتّىٰ تأسيس حزب الدعوة الإسلامية الذي جعله البعض حربة لطعنه، أو تشويه سمعته بين أبناء الامة، ما كان إلا من أجل حماية كيان الإسلام والامة الإسلامية، ومن الغريب أن البعض كان يسمح لأبنائه بالإنتماء إلىٰ حزب البعث الصليبي، ويحارب السيد الشهيد لتأسيسه حزب الدعوة الإسلامية. كان البعض ينتقد العلماء أثناء فترة الاحتلال الانجليزي للعراق فيقول: إنهم حرّموا علىٰ ابنائنا دخول المدارس الانجليزية في العراق، ولم يفتحوا لهم مدارس إسلامية، واليوم أسس لهم العلماء حزبا اسلامياً ليحصّنهم من الانتماء إلىٰ حزب البعث أو الحزب الشيوعي ومن الالحاد عموما، فإذا بهم كالبنيان المرصوص ضده. ولو انهم وقفوا عند حدود معقولة وناقشوا الأمر بروح موضوعية وتعقلوا مدىٰ صحة هذا الاسلوب أو ذاك، لكان أمراً سائغاً ومنطقياً، أما أن يعتبروا ذلك انحرافاً ويجعلوه حربة يحملونها بيد، وتحملها السلطة باليد الاخرىٰ، فتسفك بها الدماء وتهتك بها الأعراض وتُستحل الحرمات، فهو أمر بمكان من الخطورة جعل قلب الشهيد الصدر يتفجر دماً وروحه تفيض حزناً وألماً.

إن الجهل الذي يملأ قلوبهم، أو قل الحقد الذي أعماهم وأضلهم كان يخيل لهم أن المسألة محدودة بالشهيد الصدر فقط، ولن تتعداه إلىٰ سواه، فإذا كان اتهامه

بالحزب خير وسيلة للقضاء عليه فليكن هو الاسلوب المتبع.

وكان (رحمه الله) حينما تبلغه الاتهامات والافتراءات التي توجه اليه من قبل بعض الاطراف في الحوزة يقول: «إن السلطة ما استهدفتني من بين المراجع الآخرين إلا بسبب ظروفي وأوضاعي الخاصة، وإلا فإن هدفها أكبر وأشمل، إنها استهدفت الوجود العام كله، المرجعيات كلها، والحوزات كلها بغض النظر عن فكرة الاتهامات الحزبية وما ذريعة الحزب إلا أداة لتضليل الناس».

والغريب أن هؤلاء الذين كانوا يشكلون جبهة متراصة لحرب السيد الشهيد والقضاء عليه، والذين يعتبرون أنفسهم في طليعة المؤمنين الموالين لأهل البيت لم يرتدعوا حتىٰ بعد أن امتدت يد العفالقة إلىٰ شعائر الامام الحسين عليه السلام، وقتل زواره وابادتهم في كربلاء وفي الطريق اليها في انتفاضة صفر البطولية، لقد سكتوا جميعا ولم يتخذوا إلا موقف المتفرج والدماء تسفك والأشلاء تطحن في أقبية مديريات الأمن حقدا وانتقاما علىٰ اهل البيت وانصارهم، وهم في كل صباح ومساء يلعنون قتلة الحسين عليه السلام ومن شايعهم إلىٰ قيام يوم الدين، فما أغرب هذه المفارقة وما أبشعها) ـص ١٧٥ـ ١٧٦.

هكذا كانت المواقف تصمم في بيوت التقليديين.. وهكذا كانوا لايتورعون من القيام بأي عمل من شأنه أن يضعف السيد الشهيد ويعزله عن جماهيره وقواعده التي آمنت به وشكلت ظاهرة متميزة في الحياة الاجتماعية في العراق خلال فترة قصيرة من الزمن.

ويجب التأكيد هنا أن الشهيد الصدر وأبناءه الرساليين رغم ما يرونه من مواقف مضادة من قبل التقليديين، إلا أنهم لم ينجرّوا وراء ردود الفعل ولم يمارسوا أي موقف مضاد ضد المرجعيات التقليدية وضد المشهّرين الذين يتسترون بها، بل انهم وانطلاقا من حسهم الرسالي وفهمهم للدور الاسلامي المطلوب كانوا يدعمون المرجعيات الدينية ويتصدون بقوة ومبدأية لأي محاولة

تحاول النيل منها وإضعافها، لأنهم يجدون في ذلك توهينا للخط العلمائي وإضعافاً للوجود الاسلامي بأسره.

وأود أن أنقل هنا نصاً آخر من كتاب الشيخ النعماني يصوّر فيه بوضوح موقف المرجعية التقليدية من مرجعية السيد الشهيد:

(ان أحد العلماء جاء إلىٰ بيت السيد الشهيد، وكان يتكلم بانفعال وعصبية ويحاسب السيد الشهيد علىٰ تصديه للمرجعية وطبعه للفتاوى الواضحة، وقد سجل رحمه الله نتائج تلك المحادثات من خلال رسالة بعثها إلىٰ أحد تلامذته ـ وهو السيد كاظم الحائري ـ وهذا مقطع منها:

«عزيزي أبا جواد في الفترة الأخيرة جاء إلى الزيارة السيد... وهو شخص لنا علاقات ورفاقة طويلة الأمد معه، وقد اجتمع بي ودارت أحاديث مفصلة خلال خمسة مجالس في محاولة لتصفية العلاقات وتوثيقها بين الجهة (وهو اصطلاح يعني به مرجعيته) ومرجعية السيد...

ان السيد... كان يعترض ويقول كيف تتصدىٰ للمرجعية في عهد السيد، وقد شرحت له كل الظروف وكل سلبيات مرجعية السيد تجاهنا والتي فرضت الاضطرار إلىٰ موقف من هذا القبيل. وبعد أخذ ورد طويلين قلت له: ماذا تريدون قالوا: نريد أن تذكر بأن مرجعيتك طولية. قلت نعم انا ألتزم بذلك. قالوا: نريد أن تؤكد لمحبيك أن طبع الرسالة للمقلدين شيء ومزاحمة المرجعية العليا وإيجاد التفاضل في الاعلمية والتعديل عن التقليد شيء آخر. قلت: وهذا أيضاً إني أراه منذ البداية والان سوف أجدد التاكيد على أصحابي في هذا المجال ...») ـ ص ١٧٧.

كانت الأجواء التقليدية لاتتحمل أن يتصدىٰ فقيه يتمتع بالرؤية الحركية الشمولية كالسيد الصدر لمهام المرجعية، لأنها ترىٰ في ذلك تهديداً لها

ولمصالحها، ولذلك يطلب رجالها من الشهيد الصدر صراحة أن لا يسمح بأن يتحول المقلدون من (المرجعية العليا) إلىٰ مرجعيته، وأن يعلن أن مرجعيته هي في أمتداد تلك المرجعية وليست منافسة لها. وهي مطالب غريبة في الحسابات المنطقية ولكن هكذا كان التقليديون يريدون للامور أن تجري.

ورغم أن الشهيد الصدر وافق علىٰ مطالبهم ونفذها بصدق وإخلاص وأوعز إلىٰ تلامذته بالإلتزام بها، إلا أن المرجعية التقليدية لم توقف حملتها المعادية ضده، فقد استمرت محاولات التسقيط من قبل التقليديين، واستمرت حملات التشكيك والاتهام ضد المرجع الشهيد، كما تصاعدت محاولات عزله عن الجماهير بشتى الوسائل والطرق.

وقد استطاعت تلك الفئات أن تحقق النتائج التي تريدها في فترة من الفترات، وذلك عندما تصاعدت هذه الحملة إلىٰ جانب الحملة الأخرى التي شنتها السلطة الظالمة على الحركة الإسلامية وعلى السيد الشهيد بصورة شرسة امتلأت فيها المعتقلات بابناء الصدر المجاهد. ففي تلك الفترة انحسر نشاط السيد الصدر على الصعيد المرجعي وتقلص عدد تلامذته بشكل ملحوظ. لكن تلك الفترة لم تطل فقد كانت الجماهير قد إستوعبت فكر قائدها وتشبعت بروحيته الرسالية وتفهمت دورها التاريخي المطلوب، فعادت للإلتفاف حوله والانضواء تحت رايته المباركة ونادت به قائداً، ومرجعاً، وزعيماً لحركتها الإسلامية الرامية إلىٰ تحكيم اسس الإسلام الاصيل في الحياة، مهما كانت الظروف صعبة وشاقة.

عطاءات مرجعية الامام الصدر

لقد استطاعت مرجعية الامام الشهيد الصدر أن تحدث تحولا مشهودا في الساحة الإسلامية، فبعد أن كان الجو العام خاضعا للتيارات القومية والماركسية والعلمانية التي طبعت الساحة بأوساطها الطلابية، والثقافية، والاجتماعية بطابعها

الخاص البعيد والمعادي للأسلام، مستغلة ابتعاد المرجعيات التقليدية عن الحياة العامة والمعترك السياسي.. بعد كل هذا، برزت المرجعية الحركية للإمام الصدر (رضوان الله عليه) الذي استطاع أن يفرض نفسه بقوة في الاوساط العلمية والثقافية من خلال النتاجات العملاقة التي طرحها، مما جعله يتحول إلىٰ رمز فكري ومدرسة طليعية في الحياة الإسلامية تتميز بالعمق والشمولية والقدرة الفائقة علىٰ طرح الإسلام الحركي بصورته الاصيلة التي تمكنه من مواجهة التحديات.

لقد باشر الامام الصدر منهاجه التغييري عبر مجموعة من المشاريع الكبيرة في الساحة العراقية، فعلى المستوى السياسي قام بتأسيس الحركة الإسلامية المتمثلة بحزب الدعوة الإسلامية.. وعلى المستوىٰ الاجتماعي طرح مشروع المرجعية الصالحة.. وعلى المستوى العلمي قدم نتاجاته التي أحدثت الضجة الهائلة المعروفة .وقد ركّز الشهيد الصدر في كل ذلك على جانب التغيير الفكري الشامل في المجتمع، فكانت هذه المشاريع تسير في نسق منسجم يكمل بعضها البعض الآخر.

ولم يمض وقت طويل حتىٰ أخذت مشاريعه تعطي ثمارها في الساحة العراقية، حيث بدأ الوعي الاسلامي الحركي يبسط وجوده أمام تراجع التيارات العلمانية والمعادية للاسلام، وأصبح واضحا للعيان أن العراق في عصر الامام الصدر يختلف تماما عما قبله من حيث التحرك الاسلامي وقوة النشاط الحركي في مختلف الطبقات والاوساط الاجتماعية، الأمر الذي أثار خوف وقلق السلطات الحاكمة والأجهزة الاستكبارية المهتمة بأمر العراق ،حيث أحست بخطورة المستقبل الذي ينتظرها فيما لو استمرت هذه الحركة الإسلامية في التنامي والاتساع.

لقد استطاعت مرجعيته (رضوان الله عليه) أن تستقطب الجيل الاسلامي إلىٰ

جانب الاوساط المثقفة في الساحة، وطلبة العلوم الدينية في النجف الاشرف، وأصبح واضحا أن مرجعية السيد الصدر ستكتسح المرجعيات التقليدية في فترة قصيرة.لأن الحاجة لمرجعيته كانت تمثل التلبية الطبيعية للواقع الاسلامي ولتطلع الجماهير المثقفة التي تريد الإسلام الاصيل حياً على أرض الواقع، وليس مجرد أفكار نظرية تعيش في أذهان فئة معزولة عن الحياة والمجتمع.

ان الشهيد الصدر كان منظومة الفكر الشامل والعمل الشامل، وكان يخطط للمرجعية أن تكون شاملة كذلك، وهذا هو الذي جعله يستوعب الواقع الاسلامي بكل آفاقه وأبعاده، ويمكنه من الاحاطة الواعية بحاجاته ومشكلاته، فقدم في ضوء ذلك معالجاته وطروحاته الفريدة من خلال النظرية والتطبيق معاً. ولم يركز الامام الشهيد جهوده على حقل واحد من حقول النشاط الاسلامي، لكنه كان يتعامل مع الواقع الاسلامي برؤية شمولية واسعة مستمدة من شمولية الإسلام واتساعه لكل شؤون الحياة. لذلك قدم نتاجاته الفكرية الرائدة في مختلف المجالات، كما انه اعتمد المنهج الشمولي نفسه في التحرك المبدئي فكان هو رجل الفكر، وقائد التحرك، واستاذ الحوزة، ومرجع المسلمين.

لقد أثارت مرجعية الامام الصدر أصحاب الخط التقليدي، وشعروا أن مقاليد المرجعية ستفلت من أيديهم،إلى الخط الحركي، مما جعلهم يندفعون في مواجهة السيد الشهيد ويمارسون ضغوطهم على المراجع لمواجهته وتضييق الخناق عليه .. وبدأ هذا الخط التقليدي بشن حرب دعائية محمومة ضد القائد الصدر.. فشككوا في شيعيته، وهو الذي قدم للتشيع خدمات مشكورة يعجز عن تقديمها اولئك المناهضون له.. وشككوا في اجتهاده، وهو المرجع الكبير الذي قدم للفكر العلمي ولمدرسة أهل البيت عليهم السلام أكبر الخدمات في بحوثه الاصولية بحيث فاق أعلام الطائفة الشيعية بما اتسمت به مدرسته العلمية من

عمق واتساع ولاتزال آراؤه الاصولية متقدمة في الاوساط العلمية.. واتهموه بأنه أميركي ،وهو الذي أثار خوف وقلق الاجهزة الاستكبارية والاقليمية بعد أن اكتشفت خطورة تحركه علىٰ مصالحها في المنطقة، وعلى الأنظمة الحاكمة نتيجة الحالة الإسلامية الحركية التي صنعها (رضوان الله عليه).

لقد شنّوا حربهم الظالمة ضد المرجع الذي أعاد الثقة إلى النفوس، وواجه بكل شجاعة وكفاءة التيارات المعادية للاسلام، وقام بتأسيس حركة اسلامية قدمت عشرات الآلاف من الشهداء من أجل تحكيم الإسلام في المجتمع ،ونهض بالبحث الاصولي والعلمي إلىٰ مستويات رفيعة، وقدم لمدرسة أهل البيت عليهم السلام خدمات ستظل شاخصة في الوجدان الاسلامي.

اطروحة المرجعية عند الامام الصدر

كان الامام الشهيد (قدس سره) يؤمن بالأهمية القصوىٰ للأمة ودورها المتقدم في صناعة حاضرها ومستقبلها، وكان يرىٰ أن دور المرجعية الحقيقي ومجال عملها هو الامة كلها، لذلك كان في كل نشاطاته ومشاريعه يسير بالإتجاه الذي يخدم الامة ويعيد ثقتها بنفسها من أجل أن تمارس دورها المطلوب الذي تتطلع اليه وتسعىٰ نحوه.

لم يشعر السيد الشهيد في يوم من الايام أنه معزول عن مجتمعه، بل أنه كان يعاني من حالة العزلة الموجودة بين المراجع التقليديين والأمة، وكان يرىٰ أن دور المرجعية غير هذا الدور الذي درج عليه التقليديون منذ زمن طويل، فالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية قد تغيرت كثيرا، وبرزت تحديات جديدة وحاجات جديدة تستدعي تنظيم العمل المرجعي ونقله من الحالة الفردية (الذاتية) إلى الحالة الموضوعية ـكما عبّر عن ذلك رضوان الله عليه ـ.

لقد أراد السيد الشهيد أن تتخلص المرجعية من الفردية لتكون خطاً شاملاً في الامة، فإذا انتهت حياة المرجع، فأن خطه يظل ممتداً متنامياً في حياة المرجع الذي يليه.

ومن أجل أن نتعرف علىٰ رؤية استاذنا وقائدنا المرجع الشهيد رضوان الله عليه في هذا المجال نورد هنا نص الأهداف التي وضعها للمرجعية في اطروحته الرائدة المعروفة بالمرجعية الصالحة وكما دوّنها استاذنا سماحة آية الله السيد الحائري مدّ ظله في مقدمة كتابه مباحث الأصول:

(يمكن تلخيص أهداف المرجعية الصالحة رغم ترابطها وتوحد روحها العامة في خمس نقاط:

١ ـ نشر أحكام الإسلام علىٰ أوسع مدىٰ ممكن بين المسلمين، والعمل علىٰ تربية كل فرد منهم تربية دينية تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي.

٢ ـ إيجاد تيار فكري واسع في الامة يشتمل على المفاهيم الإسلامية الواعية من قبيل المفهوم السياسي الذي يؤكد أن الإسلام نظام كامل شامل لشتى جوانب الحياة، واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم.

٣ ـ إشباع الحاجات الفكرية الإسلامية للعمل الاسلامي وذلك عن طريق ايجاد البحوث الإسلامية الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمقارنات الفكرية بين الإسلام وبقية المذاهب الاجتماعية، وتوسيع نطاق الفقه الاسلامي على نحو يجعله قادراً على مدّ كل جوانب الحياة بالتشريع، وتصعيد الحوزة ككل إلىٰ مستوىٰ هذه المهام الكبيرة.

٤ ـ القيمومة على العمل الاسلامي والاشراف على مايعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الاسلامي من مفاهيم، وتأييد ما هو حق

منها واسناده وتصحيح ما هو خطأ.

٥ ـ إعطاء مراكز العالمية من المراجع إلىٰ أدنى مراتب العلماء الصفة القيادية للأمة بتبني مصالحها والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها، واحتضان العاملين في سبيل الإسلام.

ووضوح هذه الاهداف للمرجعية وتبنيها وإن كان هو الذي يحدد صلاح المرجعية ويحدث تغييراً كبيراً علىٰ سياستها ونظراتها إلىٰ الأمور وطبيعة تعاملها مع الأمة، ولكن لا يكفي مجرد وضع هذه الاهداف ووضوح ادراكها لضمان الحصول علىٰ أكبر قدر ممكن من مكاسب المرجعية الصالحة، لأن الحصول علىٰ ذلك يتوقف ـ اضافة إلىٰ صلاح المرجع ووعيه ـ على عمل مسبق على قيام المرجعية الصالحة من ناحية، وعلىٰ ادخال تطويرات علىٰ اسلوب المرجعية ووضعها العملي من ناحية اخرىٰ.

أما فكرة العمل المسبق علىٰ قيام المرجعية الصالحة، فهي تعني أن بداية نشوء مرجعية صالحة تحمل الاهداف الآنفة الذكر تتطلب وجود قاعدة قد آمنت بشكل وآخر بهذه الاهداف في داخل الحوزة وفي الامة، وإعدادها فكريا وروحيا للمساهمة في خدمة الإسلام وبناء المرجعية الصالحة، وإذا لم توجد قاعدة من هذا القبيل تشارك المرجع الصالح أفكاره وتصوراته وتنظر إلىٰ الأمور من خلال معطيات تربية ذلك الانسان الصالح لها، يصبح وجود المرجع الصالح وحده غير كاف لايجاد المرجعية الصالحة حقاً وتحقيق أهدافها في النطاق الواسع.

وبهذا كان لزاماً علىٰ من يفكر في قيادة تطوير المرجعية إلىٰ مرجعية صالحة أن يمارس هذا العمل المسبق بدرجة ما، وعدم ممارسته هو الذي جعل جملة من العلماء الصالحين ـ بالرغم من صلاحهم ـ يشعرون عند تسلم المرجعية بالعجز الكامل عن التغيير لأنهم لم يمارسوا هذا العمل المسبق، ولم يحددوا الاهداف

الرشيدة للمرجعية والقاعدة التي تؤمن بتلك الاهداف.) انتهى.

هذه هي أفكار الامام الشهيد وآراؤه بخصوص المرجعية التي تستطيع ان تؤدي رسالتها الحقيقية في الواقع الاسلامي، لكن هذه الاطروحة الرائدة لم ترق لأصحاب الخط التقليدي في المرجعية، لأنها تنهي حالة الاسترخاء والامتيازات التي يتمتع بها ثلة من المنتفعين من المرجعيات التقليدية المعزولة عن المجتمع.

ومن هنا كان هؤلاء يحاربون السيد الصدر الذي وجدوا فيه تهديدا لمصالحهم ولخطهم التقليدي المتوارث ـ كما وجدت السلطة الحاكمة فيه تهديدا لمصالحها في الحكم.

لم ترق آراء الامام الصدر الاصلاحية لأولئك، فشنوا حربهم ضده.. لقد شككوا باجتهاده وشيعيته ووصفوه بأنه عميل أميركي وغير ذلك من الاساليب الضالة.

لقد إنعكس المنهج الاصلاحي في شخصية الشهيد الصدر على كل مجالات عمله، فكان بحق شخصية إصلاحية ذات أفق شمولي كبير، قلّ نظيرها في المرجعيات التي سبقته وعاصرته، وهذا ما يمكن إكتشافه من خلال مؤلفاته ومحاضراته وتوجهاته. وسنختار هنا رؤيته لعوامل الاصلاح والتجديد من اجل بيان هذا الجانب الرائد في شخصية الامام الشهيد.

عوامل التجديد في رؤية الشّهيد الصّدر:

عندما يدرس الإمام الشّهيد رضوان الله عليه، المشاريع التجديدية فإنه يقدم رؤية موضوعية شمولية في تقييم التجربة ـ موضوع الدّراسة ـ، وذلك لعاملين أساسيين:

الأوّل: ما تميز به الشّهيد الصّدر من قدرة عالية في كل المجالات الّتي تناولها بالبحث والدّراسة، وهذه سمة طبعت حياته العلمية بالكامل رغم قصر عمره المبارك. فهو باحث من طراز خاص، إذ إنه لا ينطلق في دراسته من محاولات تجزيئية تنحصر في جو الدّراسة، بل إنه قدس سره يجعل الدّراسة ـ كمنهج عام عنده ـ خاضعة لرؤية شمولية عامة يندرج موضوع الدّراسة ضمن سياقاتها الكلية. وعلىٰ هذا فإنّ رؤيته للمشاريع التجديدية تستند إلى العمق الشّمولي الّذي تحتاجه مثل هذه الدّراسات عادة.

الثاني: إنّ الشّهيد الصّدر هو نفسه مجدد وصاحب حركة تجديدية مؤثرة في واقعه الثقافي والإجتماعي والسياسي، الأمر الّذي يجعل من تقيياته للتجارب التجديدية علىٰ قدر كبير من الأهمية، لأنها منطلقة من عقلية تجديدية حقيقية ومن نظرة ترصد الماضي والحاضر والمستقبل بهموم التجديد.

وسنحاول هنا أن ندرس تجربة الشّيخ الطوسي كنموذج للتجديد كما تناولها الشّهيد الصّدر رضي الله عنه.

رؤية الشّهيد الصّدر لتجربة الشيخ الطوسي:

يرى الشّهيد الصّدر إنّ مساهمة الشّيخ الطوسي في علم الاصول لم تكن مجرد استمرار للخط، بل كانت تطوراً جديداً ضمن التطور الشامل في التفكير الفقهي والعلمي الذي حققه. وقد تمثل ذلك في مجال الاصول بكتابه (العدة) وفي مجال الفقه بكتابه (المبسوط).

ومن خلال هذا الإنجاز يعتبر الشهيد الصدر إنّ الشيخ الطوسي حد فاصل بين عصرين يطلق عليهما العصر التمهيدي والعصر العلمي الكامل، (فقد وضع هذا الشّيخ الرائد حداً للعصر التمهيدي وبدأ عصر العلم الّذي أصبح الفقه

والاصول فيه علماً له دقته وصناعته وذهنيته العلمية الخاصة)[١].

ثم يتناول الشّهيد الصّدر دراسة هذه التجربة التجديدية في ضوء موقعها في الترتيب الزّمني للحركة العلمية، فيعتبر إنّ البحث الفقهي الّذي سبق الشّيخ الطوسي كان يقتصر في الغالب على إستعراض المعطيات المباشرة للأحاديث والنصوص أي إصول المسائل، ويرى في كتاب المبسوط (محاولة ناجحة عظيمة في مقاييس التطور العلمي لنقل البحث الفقهي من نطاقه الضّيق المحدود في إصول المسائل إلىٰ نطاق واسع يمارس الفقيه فيه التفريع والتفصيل والمقارنة بين الأحكام وتطبيق القواعد العامة ويتتبع أحكام مختلف الحوادث والفروض علىٰ ضوء المعطيات المباشرة للنصوص)[٢].

ويؤكد الإمام الشّهيد علىٰ أهمية الترابط في مشروع التجديد الفكري مع حركة الزّمن وذلك بقوله: (إنّ التطور الّذي أنجزه الشّيخ (الطوسي) في الفكر الفقهي كان له بذوره الّتي وضعها قبله أستاذاه السيد المرتضى والشّيخ المفيد وقبلهما ابن أبي عقيل وإبن الجنيد.... وكان لتلك البذور أهميتها من الناحية العلمية حتّىٰ نقل عن أبي جعفر بن معد الموسوي وهو متأخر عن الشّيخ الطوسي إنه وقف علىٰ كتاب ابن الجنيد الفقهي واسمه (التهذيب) فذكر إنه لم ير لأحد من الطائفة كتاباً أجود منه ولا أبلغ ولا أحسن عبارة ولا أرق معنىٰ منه، وقد استوفىٰ فيه الفروع والاصول وذكر الخلاف في المسائل واستدل بطريقة الإمامية وطريق مخالفيهم. فهذه الشّهادة تدل علىٰ قيمة البذور الّتي نمت حتّى آتت أكلها على يد الطوسي)[٣].

ويلخص الشّهيد الصّدر رؤيته لتجربة الطوسي التجديدية في بعدها الزّمني

---

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول: ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٢ ـ ٦٣.

بقوله: (ما مضى المجدد محمد بن الحسن الطوسي ـ قدس سره ـ حتّى قفز بالبحوث الإصولية وبحوث التطبيق الفقهي قفزة كبيرة وخلّف تراثاً ضخماً في الاصول يتمثل في كتاب (العُدة) وتراثاً ضخماً في التطبيق الفقهي يتمثل في كتاب (المبسوط). ولكن هذا التراث الضّخم توقف عن النمو بعد وفاة الشّيخ المجدد طيلة قرن كامل في المجالين الإصولي والفقهي على السواء).

وهذه الحقيقة بالرغم من تأكيد جملة من علمائنا لها تدعو إلى التساؤل والإستغراب، لأن الحركة الثورية الّتي قام بها الشّيخ في دنيا الفقه والاصول والمنجزات العظيمة الّتي حققها في هذه المجالات كان المفروض والمترقب أن تكون قوة دافعة للعلم وإن تفتح لمن يخلف الشّيخ من العلماء آفاقاً رحيبة للإبداع والتجديد ومواصلة السير في الطريق الّذي بدأه الشّيخ، فكيف لم تأخذ أفكار الشّيخ وتجديداته مفعولها الطبيعي في الدّفع والإغراء بمواصلة السير)[١].

ويقدم الإمام الصّدر تفسيره لهذه الظاهرة الغريبة، من خلال دراسته للظروف الزّمانية، حيث يرىٰ إنّ هجرة الطوسي إلى النجف الأشرف فصلته عن حوزته المبدعة في بغداد، وإنه ركّز على التفاعل مع أفكاره العملاقة، فكان لابد من مرور فترة زمنية حتّىٰ تصل إلىٰ مستوىٰ استيعاب أفكاره والتفاعل معها حيث كتب يقول:

(فهجرته إلى النجف وإن هيأته للقيام بدوره العلمي العظيم لما أتاحت له من تفرغ ولكنها فصلته عن حوزته الأساسية، ولهذا لم يتسرب الإبداع الفقهي العلمي من الشّيخ إلى تلك الحوزة الّتي كان ينتج ويبدع بعيداً عنها، وفرق كبير بين المبدع الّذي يمارس إبداعه العلمي داخل نطاق الحوزة ويتفاعل معها باستمرار وتواكب الحوزة إبداعه بوعي وتفتح، وبين المبدع الّذي يمارس إبداعه

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٦٢ ـ ٦٣.

خارج نطاقها وبعيداً عنها.

ولهذا كان لابد ـ لكي يتحقق ذلك التفاعل الفكري الخلاق ـ إن يشتد ساعد الحوزة الفتية الّتي نشأت حول الشّيخ في النجف حتّى تصل إلى ذلك المستوىٰ من التفاعل من الناحية العلمية، فسادت فترة ركود ظاهري بانتظار بلوغ الحوزة الفتية ذلك المستوىٰ، وكلّف ذلك العلم أن ينتظر قرابة مائة عام ليتحقق ذلك ولتحمل الحوزة الفتية أعباء الوراثة العلمية للشيخ حتّىٰ تتفاعل مع آرائه وتتسرب بعد ذلك بتفكيرها المبدع الخلاق إلى الحلة)[1].

ونستطيع أن نفهم من رؤية الشّهيد الصّدر في تفسيره هذا، إنّ الشّيخ الطوسي سبق حركة الزّمن في مشروعه التجديدي العملاق، وتقدم على واقعه بمسافة زمنية طويلة، ويمكن أن نتصور حجم هذا الإنجاز بشكله الحيّ عند التأمل في المراحل الّتي تلت مرحلة الطوسي والّتي تحولت فيها النجف إلى المعقل الأوّل للفكر الشّيعي بمنجزاته العلمية الرائدة..

ويقلل الشهيد الصدر من أهمية التفسير السائد لظاهرة الجمود العلمي الذي أعقب الشيخ الطوسي والقائل بأن قداسة الشيخ الطوسي منعت الاخرين من العلماء من مناقشة آرائه. فيقدم سبباً آخر في تفسير هذه الظاهرة يسير في سياق الأول من حيث ارتباطه بعامل الزمن، وهو ان الفكر السّني في تلك الفترة قد تحجم في دائرة التقليد وأغلق باب الإجتهاد رسمياً، وبذلك انكمش الفكر الإصولي السّني ومني بالعقم ـ علي حد قول السيد الشّهيد ـ الأمر الّذي جعل التفكير العلمي لعلماء الشّيعة يفقد أحد محفزاته المحركة.

ويؤكد الشهيد الصّدر إنّ الحركة التجديدية الّتي أحدثها الشّيخ الطوسي والّتي عاشت توقفاً نسبياً بعده، عادت من جديد للتفاعل بالمستوىٰ الّذي يتناسب مع

---

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٦٦.

أفكاره. وذلك علىٰ يد الفقيه المبدع محمد بن أحمد إبن إدريس (ت ٥٩٨) الّذي انطلق في حركته التجديدية من تقدير دقيق للظروف الفكرية الّتي يعيشها الواقع العام والّتي اتسمت بالجمود، فقرر أن يعيد الحياة فيها من جديد، وتمكن بالفعل من إحداث نقلة نوعية في الواقع الّذي عاصره، على إنّ من المهم أن نتذكر إنّ هذه النقلة عندما حدثت فإنها أدركت حينذاك مستوى الشّيخ الطوسي، وكأنّه كان لا يزال حيّاً إلىٰ تلك الفترة الزّمنية.

ويعود السيد الشّهيد إلىٰ تفسير ظاهرة الإنطلاقة الجديدة للفكر الشّيعي في تجربة إبن إدريس، مستنداً علىٰ حركة الزّمن حيث يقول إنّ (الحوزة العلمية الّتي خلّفها الشّيخ الطوسي سرىٰ فيها روح التقليد لأنها كانت حوزة فتية، فلم تستطع أن تتفاعل بسرعة مع تجديدات الشّيخ العظيمة، وكان لابد لها أن تنتظر مدة من الزّمن حتّىٰ تستوعب تلك الأفكار وترتفع إلىٰ مستوى التفاعل معها والتأثير فيها، فروح التقليد فيها كانت مؤقتة بطبيعتها)[١].

هذه باختصار رؤية الشّهيد الصّدر لتجربة الشّيخ الطوسي التجديدية والّتي يؤكد فيها رضوان الله عليه علىٰ أهمية عامل الزّمن في مشاريع التجديد الّتي ظهرت في تاريخ الفكر الإسلامي واستطاعت أن تفرض وجودها واستمراريتها مع حركة الزّمن، وقد اخترنا نموذج الشّيخ الطوسي في دراسة الشّهيد الصّدر باعتبار إنّ تجربته تمثل سبقاً لحركة الزّمن.

التجديد وحركة الزّمن في فكر الشّهيد الصّدر

يرى الشّهيد الصّدر إنّ المشروع التجديدي يتنامىٰ من خلال عامل الزّمن، حيث تكون كل مرحلة مقدمة للمرحلة التالية. وذلك في المجال الواحد من

---

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٧٠.

مجالات التجديد، في التجديد الفكري وبالتحديد التـجديد الإصـولي، يحـدد الشّهيد الصّدر العصور الثلاثة التالية:

أولاً: العصر التمهيدي، ويعتبر قدس سره إنّ هذا العصر بدأ بإبن أبي عـقيل وإبن الجنيد، وفيه وضعت البذور الأساسية لعلم الاصول.

ثانياً: عصر العلم، وهو العصر الّذي بدأ بالشيخ المجدد الطوسي فكان رائده ورمزه الأكبر. وفي هذا العصر تحددت معالم الفكر الإصولي على أساس البذور الأولىٰ. وكان من رجال هذا العصر إبن إدريس والمحقق الحـلّي والعلامة الحـلّي والشّهيد الأوّل.

ثالثاً: عصر الكمال العلمي، وبدأ هذا العصر على يد المجدد الوحيد البهبهاني أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وفيه واصل رجال هذه المدرسة التـجديدية مشروع البهبهاني التجديدي على امتداد فترة زمنية قاربت النصف قرن.

ويرى الشّهيد الصّدر إنّ هذا التقسيم الزّمني العام، تتفرع عنه تقسيمات زمنية فرعية حيث يقول: (ولا يمنع تقسيمنا هذا لتاريخ العلم إلىٰ عصور ثلاثة، إمكانية تقسيم العصر الواحد من هذه العصور إلىٰ مراحل من النمو، ولكل مرحلة رائدها وموجهها، وعلىٰ هذا الأساس نـعتبر الشّـيخ الأنـصاري قـدّس سره المـتوفىٰ (١٢٨١) رائداً لأرقىٰ مرحلة من مراحل العصر الثالث وهي المرحلة الّتي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنة حتّى اليوم)[١].

وهكذا نرىٰ إنّ الشّهيد الصّدر قدّس سره يؤكد على التجديد من خلال عامل الزّمن وفق ترابط دقيق في العـلاقة بـينهما، نسـتطيع أن نـلخصها بـالمرتكزين التاليين:

الأوّل: إنَ الحركة التجديدية إنما تنبثق نتيجة اتجاه عوامل موضوعية تفرضها

---

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٨٩.

طبيعة الظروف العامة في مرحلة زمنية محددة، فقد يبرز اتجاه تجديدي يسبق الزّمن كما هو الحال في تجربة الشّيخ الطوسي، وقد يبرز اتجاه تجديدي يواكب الزّمن ويمنع التخلّف عنه كما في تجربة الوحيد البهبهاني.

الثاني: إنّ الفترة الزّمنية لطول العصر العلمي إنما تتحدد في ضوء مهمة الحركة التجديدية وخصائصها المميزة مما يجعل إمكانية تقسيمه إلى مراحل زمنية متعددة كما في العصر الثالث لتطور علم الاصول.

وفي ختام هذا الفصل أوجّه الدّعوة من جديد إلى كل الإخوة والمفكرين والباحثين إلى ضرورة الإستمرار في دراسة الشّهيد الصّدر كتجربة، ومنهج، ومدرسة رائدة في التجديد المعاصر.

وأؤكد أن هذه الدعوة لا تنطلق من دافع عاطفي فلقد إستنفد الزمن العاطفة، لكنها تنطلق من إحساس بالمسؤولية للرجل الذي قدم كل شيء للاسلام، وعرض الإسلام حياً متفاعلا مع حركة التطور.. أصيلاً كما أراده أهل البيت عليهم السلام.

الباب الخامس

السيد محمّد حسين فضل الله
من الذات إلى المؤسسة

- الفصل الاول: السيد فضل الله . . آفاق الفكر الحركي
- الفصل الثاني: المرجعية المؤسسة في فكر السيد فضل الله
- الفصل الثالث: أضواء علىٰ الازمة المفتعلة

الفصل الاول:

السيد فضل الله . . آفاق الفكر الحركي

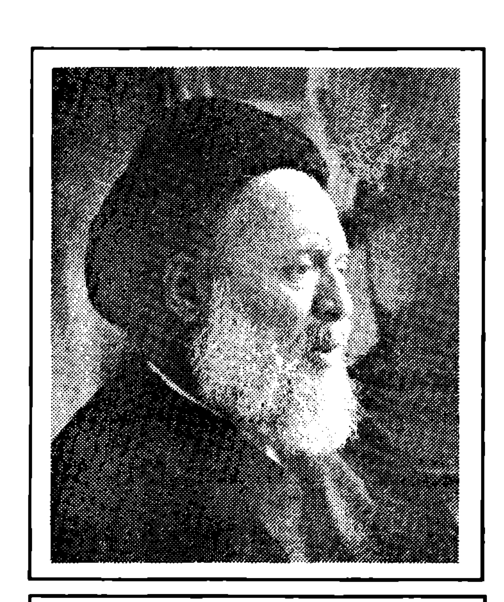
عندما جئت إلى النجف الاشرف طالباً في حوزتها العلمية الكبرىٰ عام ١٩٧٠م، كانت هذه المدينة العملاقة برموزها الفكرية والأدبية، تحتفظ بإخلاص كبير لكل الكبار الذين مروا فيها أو لا يزالون يعيشون في بيوتها القديمة الجميلة. وكنا نحن الطلبة في أوائل حياتنا الجديدة، يهمنا كثيراً أن نسمع ونرى الرموز الذين سمعنا عنهم من قبل. فالسيد محمد باقر الصدر كان الرجل الأول الذي يهمنا اللقاء به، وكذلك المراجع الكبار والأساتذة المبرزين الذين ذاع صيتهم فتجاوز حدود مدينة أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان من بين تلك الأسماء اللامعة السيد محمد فضل الله الذي عرفناه وعرفته الأوساط العلمية والحركية، بغزارة إنتاجه الأدبي والعلمي. ورغم أنه كان قد غادر العراق إلىٰ موطنه في لبنان، إلا أن آثاره كانت محفورة في الذاكرة، وفي الواقع، وكأنه لا يزال يعيش في أزقة النجف، ويتردد على مجالسها العلمية والأدبية.

ترك السيد محمد حسين فضل الله تراثاً كبيراً في الشعر والفكر، وكان بشهادة الأجيال له القصب المعلىٰ في المجالين، حيث كان شعره يحكي كتبه في معالجتها للقضايا الحركية وشؤون الأمة.. وكانت كتبه تحاكي شعره في رقة الاسلوب وجمال العبارة.

في الخمسينات من هذا القرن وهي الفترة الحساسة من التاريخ الاسلامي

الحديث، حيث المد الشيوعي والتيارات الفكرية المعادية للاسلام، كان السيد فضل الله، احد الرموز الحقيقية في العمل الاسلامي إلىٰ جانب رفيق دربه الامام الشهيد السيد الصدر. ولم يكن المتحركون يومذاك كثيرين فكان قسم منهم مشغولاً بأجوائه الخاصة التي لا يريد أن يتعكر صفوها، كما ذكرنا بعضها في الفصل السابق.



السيد محمّد حسين فضل الله

في تلك الأجواء مارس السيد فضل الله العمل الاسلامي الحركي بقوة وإخلاص إلىٰ جانب الثلة المؤمنة التي إنطلقت لتغيير الواقع البائس فكرياً، وتحويله إلىٰ حركة حية في طريق الإسلام. وكان السيد من الذين يشار اليهم بالبنان، فبعد أن إضطر السيد الشهيد الصدر إلى التوقف عن كتابة إفتتاحية مجلة الأضواء والتي كانت تصدر تحت اسم (رسالتنا)، لم يكن هناك من يكتبها بكفاءة ومقدرة وحركية السيد الصدر غير صاحبه السيد فضل الله، فأكمل المشوار بكل ثقة وقوة وكفاءة. وقد طبعت تلك الإفتتاحيات فيما بعد بكتاب مستقل حمل الاسم نفسه أي (رسالتنا)، والمقالات تؤرخ مرحلة هامة من تاريخ الوعي الاسلامي وتسلط الأضواء على أهم القضايا التي كانت تعيشها الأمة، وأهم الشؤون التي كان العمل الاسلامي يحتاجها في معركته الحضارية مع القوى المعادية.

وفي تلك السنوات التي كانت الأساس المتين والأصيل للتحرك الاسلامي

المعاصر، كان سماحة السيد فضل الله يجوب العراق، ليشارك في الاحتفالات الجماهيرية، ويطرح على الملأ وبتحدٍ واضح موقف الإسلام من الأعداء، ويبث في الأمة روح القوة والتحدي والعودة إلىٰ أصالتها الإسلامية. ولا تزال قصائده تعبر عن الوعي الكبير الذي كان ينشره في صفوف الأمة.

في القصيدة الرائعة التي سماها (كالأساليب القديمة) سلط الأضواء على الأجواء الحاكمة في تلك الفترة، وما تزال هذه القصيدة حية متجددة مع الزمن[١].

هموم الأمة في فكر السيد فضل الله:

عاش آية الله السيد فضل الله هموم الأمة بعمق ووعي منذ تلك الحقبة الساخنة من العمل الاسلامي، وعلى أساسها كتب مؤلفاته التي إتسمت بإنها نابعة من واقع الأمة، ومتجهة نحوها، فلم يكتب ابداً من موقع التجريد النظري، بل كتب من موقع المعاناة والتحسس.

وهذا ما نجده واضحاً في كل كتاب من كتبه والتي سنقف عندها وقفة سريعة لنحيط بملامح مدرسته الفكرية الحركية الأصيلة.

في الخمسينات اصدر كتابه (إسلوب الدعوة في القرآن) وهو من أوائل كتب السيد فضل الله، ومن أوائل الكتب الحركية التي شهدتها الساحة الإسلامية، إذ لم تألف الأوساط الثقافية، مثل هذا النوع من الكتابات التي تعالج شؤون الساحة بشكل مباشر، وتتحدث بعمق عن حاجاتها الفكرية والعملية المتنوعة.

لنستمع اليه وهو يعرّف هذا الكتاب والظروف التي دفعته إلىٰ تأليفه:

(كانت فكرة هذا الكتاب وليدة حاجة ملحة عاشها الكتاب الاسلامي

---

(١) راجع نص القصيدة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.

الحديث عن اسلوب الدعوة في القرآن، يرسم للدعاة إلىٰ الله الخط الاسلامي الأصيل، الذي يجب أن يسير عليه كل داعية في حياته العملية من أجل الرسالة، ويمهد الطريق للتجارب الحية التي عاشها النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده، حتّىٰ تتحول في تفكير المسلمين العاملين إلىٰ مخطط عملي في خطى الطليعة الرسالية، قادة وأتباعاً لترتبط الحلقات في اسلوب العمل، كما تترابط في فكرة العمل نفسه.

وربما إزداد عمق الشعور بالحاجة إلىٰ مثل هذا الحديث عندما بدأنا نلاحظ أن عصور التخلف الفكري التي عاشها المسلمون استطاعت أن تترك لنا كثيراً من المظاهر المتخلفة التي كان الدعاة يمارسونها في اساليب العمل، حتّىٰ انطلقت الفكرة التي تقول: إن الدين لا يتحمل المناقشة ولا يشجع على الحوار، ولا يعترف بالانفتاح الواعي على أفكار الاخرين ومشاكلهم الفكرية وشبهاتهم وتحدياتهم للدين.. الأمر الذي استغله الآخرون الذين يحملون افكاراً معادية للدين، في شؤون العقيدة والحياة فعملوا على الايحاء إلىٰ الأجيال الطالعة بأن الايمان الأعمىٰ هو سبيل الدين إلىٰ حياة الناس، أما الايمان المنفتح الذي ينطلق من خلال الحوار للبحث عن الحقيقة فهو سبيل المبادئ الجديدة التي ترسم للانسان طريق الخلاص من خلال حل مشاكله الاجتماعية....

وكان هذا الكتاب في فترة حرجة عاشها العاملون في سبيل الله في مواجهة أعنف التحديات التي وجهت للاسلام.

وكنا نريد للعمل أن يواجه التحديات من خلال الرسالة، لا من خلال الانفعالات الذاتية الطارئة التي قد تضر بالعمل وربما تقضي عليه.

ولم يكن في المكتبة الإسلامية فيما نعلم كتاب يتحدث عن اسلوب الدعوة بشكل موضوعي ومستقل، الأمر الذي جعل الشعور بالحاجة أشد واعمق،

لالتقاء الجانب العملي بالجانب الفكري في ذلك)[١].

ولو تتبعنا كل كتاب من كتب سماحته لوجدناها إنطلقت من حاجة الأمة إلىٰ ذلك الكتاب، ولم يكتب هذا التراث الثر والضخم إلا من خلال المعاناة الحية وحاجة الجمهور اليه، وهو ما جعل الجمهور يتابع كتاباته بشوق وتلهف كبيرين، لأنه يجد فيها الزاد المعنوي في حركته على أرض الواقع.

كما يظهر ذلك جلياً في كتابه القيم (قضايانا على ضوء الإسلام) الذي يحكي عنوانه عن مضمونه، فقد بحث فيه السيد فضل الله قضايا الأمة الحساسة وواقعها المعاصر وما تعاني من مشاكل وتحديات على ضوء الفكر والعقيدة الإسلامية.

وقد إهتم سماحة آية الله السيد فضل الله (دام ظله)، بالدور الميداني لعالم الدين، وضرورة إتصاله بالمجتمع وبدائرة الشباب المسلم، وأن ينزل اليهم ويعيش همومهم وشؤونهم وحياتهم بكل ما فيها من قضايا وإشكالات، وتلك هي سيرة الرسول ﷺ والأئمة الهداة من أهل بيته عليهم السلام. فعالم الدين ليس موقعاً تشريفياً يعزل العالم عن الأمة، بل هو مسؤولية كبيرة تفرض عليه أن يكون جزء الأمة الحي، الذي يتحرك في أوساطها بحيوية وفاعلية، فيعلم كل أمر يدور في شوارعها، ويعرف كل قضية تثير إهتمامها. وهكذا فعل السيد مع المجتمعات التي عاشها وعاشته، كان وجهها المشرقة.. وضميرها الحي.. وقلبها النابض. لذلك جاءت كتاباته حية واقعية معطاءة.

ومن هذا التفاعل مع الأمة، عقد ندوته المفتوحة منذ أكثر من ربع قرن التي كانت تصدر نتاجاتها في سلسة: (مفاهيم اسلامية عامة)، ولا أعتقد ان عالماً بموقعه آنذاك مارس هذا الاسلوب الحركي مع الأمة. وقد كتب عن تلك التجربة قائلاً:

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية من كتاب: إسلوب الدعوة في القرآن.

(في طريق العمل للاسلام يشعر العاملون بالهوة العميقة بين الشباب وبين الدين.

ويلاحظون مع هذا الشعور أن سبب هذه الهوة هو الجو الرسمي الذي يخيم على الصلة التي تربط علماء الدين بالشباب، الأمر الذي يحجب عن كلا الطرفين تطلعات الفريق الاخر وافكاره ومنطلقاته في الحياة، وبالتالي يخلق الحواجز الفكرية والروحية والنفسية التي تمنع من التفاهم أو تشجع على سوء الفهم.

وقد حاولت عندما انطلقت إلىٰ اجواء العمل في العراق أو في لبنان أن أتجاوز هذا الجو الرسمي إلى الجو المنفتح المنطلق الذي يجعل العلاقة في اطار الشعور العميق بالحاجة إلى المعرفة الواعية التي تتطلع في كل اتجاه، وتتحرك في أكثر من طريق لتلاحق لمحات الحقيقة وممضات الحق.

ورأيت أن ذلك يستدعي منا أن نعيش مع الشباب أفكاره، ومطامحه، وآماله، وآلامه لنتعرف حياته على الطبيعة، دون حاجة إلى اللف والدوران....

وعلىٰ ضوء ذلك كله كانت فكرة الندوات الثقافية التي يلتقي فيها الشباب تحت شعار طرحناه في اتجاه الحوار الحر المنفتح، فأثبت نجاحه في أكثر من مجال وهو: «ليس هناك سؤال تافه، وليس هناك سؤال محرج».

فالحقيقة بنت البحث، والبحث لا يتبلور إلا في المجالات التي تُفقأ فيها الدمامل وتنفذ إلىٰ أعماق الاشياء، وتنزع كل ما في داخل الذات من علامات الاستفهام حول كل شيء يتعلق بالعقيدة والحياة)[١].

هذه هي الحقائق التي آمن بها سماحة السيد فانطلق من خلالها إلى الحياة يرشد، ويوجه، ويرسم، ويحدد الطريق الاسلامي الأصيل في كل موقع من مواقع العمل.

---

(١) مقدمة كتاب مفاهيم اسلامية عامة، الحلقات من ١ إلىٰ ١٠.

السيد فضل الله في كتابات الباحثين:

إستقطبت حركية وشخصية السيد فضل الله، الكتّاب الاسلاميين فعكفوا علىٰ دراسة فكره الحركي من زوايا مختلفة. وأغنوا الساحة بهذه الكتابات الحركية العلمية.

ورغم كثرة الكتابات التي تناولت سماحة السيد فضل الله، إلا أن المجال لا يزال مفتوحاً بسعة كبيرة فهناك الكثير من الأبعاد لم يتناولها الباحثون في شخصيته الحركية ولعل مردّ بعض ذلك إلىٰ كثرة نتاج السيد وكثافة حركته العلمية، بحيث تتعب من يلاحقه.

كان أول كتاب صدر عن السيد فضل الله هو للاستاذ سليم الحسني وعنوانه «صراع الارادات» في أواخر الثمانينات، ثم أعقبه في أوائل التسعينات بكتاب آخر عنوانه «المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية»، وكان الكتابان ناجحين فقد طبعا عدة مرات وحظيا بإهتمام الأوساط الثقافية. وبعد محاولة الحسني ظهرت العديد من الكتب مثل كتاب الاستاذ محمد عبد الجبار، وكتاب الاستاذ علي حسن سرور، وكتاب الاستاذ غسان بن جدو وغيرها.

وملاحظتي على كتابي السيد الحسني أنه عاش الخصوصية بشكل واضح، فالكتاب الأول وكان موضوعه الفكر الحركي للسيد فضل الله، ركز فيه الكاتب علىٰ ما كان يدور في الساحة من نقاش ساخن حول الشكل الصحيح للعمل الحركي، وقد طغى هذا الجانب على المواضيع الأخرىٰ. كما أنه لم يسلط الأضواء علىٰ كتب السيد الحركية، فقد كان المنتظر أن يعقد فصلاً أو ملحقاً للتعريف بهذه الكتب. لكن ذلك لا يقلل من قيمة الكتاب وكونه أول محاولة علمية لدراسة فكر السيد فضل الله.

أما كتابه الثاني فيبدو أنه عالج هذه المشكلة، فلم يعش خصوصية الموضوع، لكن كان المنتظر منه أن يعرّف بالمؤسسة الشيعية بشكل أكثر تفصيلاً، فقد تناول دور المرجعية لفترة محدودة وكان الأجدر لو عاد بها إلىٰ زمن أطول، لأن المرجعية كمؤسسة لها تاريخ طويل متصل الحلقات. واختلف مع الاستاذ الحسني في التسمية التي اطلقها على مشروع السيد فضل الله في المرجعية، حيث سماها بالمرجعية الشاملة، في حين كان الأدق أن يسميها «المرجعية المؤسسة» فهذه التسمية أكثر إنطباقاً علىٰ مشروع السيد فضل الله وحقيقة عمله المرجعي.

أما الكتب الأخرىٰ فقد كانت حوارية بشكل كبير، أي أن الحوار هو الذي غلب على الكتاب، ولم تخض الدراسة إلا بعدد محدود من الصفحات. وفي عدد من هذه الكتب التي صدرت عن السيد فضل الله، كانت حوارية بالدرجة الأولى والأخيرة.

لا أريد أن أقلل من أهمية كتب الحوار، فهي كعمل له أهميته، لا سيما إذا كان المتحدث رجل مثل سماحة السيد الذي يقدم لجمهوره المزيد من الثقافة والفكر، ولكني أريد أن أنبه الباحث المسلم إلىٰ ضرورة دراسة السيد محمد حسين فضل الله، دراسة مستوعبة، تتناول آفاق مدرسته الإسلامية الأصيلة، وتغور في أعماق فكره الحركي الواسع، وتتنقل على مفردات المشروع الحضاري الذي يعمل له. وهذه هي مهمة الباحث الحقيقية والتي أراها غير متحققة في كتب الحوار. مع تقديري لكل عمل يخدم الأمة.

فضل الله وهموم العاملين:

لم تحتل هموم العاملين للاسلام إهتمام عالم إسلامي مثلما إحتلت إهتمام آية الله السيد فضل الله، فلقد بذل جهده من اجل أن يسير معهم وأن يمنحهم ما يحتاجون من قضايا الفكر والحركية. وتلك ميزة لا نغالي إذا قلنا أنه تفرد بها من بين علماء

الشيعة.

لقد أولى السيد هموم العاملين وقضاياهم كل وقته وأغلب جهده، وحقق بذلك إنجازات كبيرة نوجزها بما يلي:

الأول: رصد واقع العاملين:

إن السيد فضل الله من خلال معايشته الحقيقية لمعاناة العاملين وقضاياهم، إستطاع أن يخدم شؤون العمل الحركي الاسلامي، وأن يقدم للعاملين الصورة التي يجب أن يكون عليها العمل للاسلام، وأن يعرض واقعهم أمام أعينهم وهي المهمة التي غفل عنها العاملون أنفسهم، لأن زحمة العمل لم تتح لهم فرصة للمراجعة والتقييم. فوقف السيد فضل الله ليرصد ذلك كله، فيعرض الصورة التي يمرون بها كما هي بعيدة عن الانفعال والعاطفة الساذجة، وبذلك أسدىٰ سماحته لكل العاملين خدمة جليلة ما كانوا ليحصلون عليها لو لا إهتمامه بهم وبحركتهم.

ويمكن أن نلاحظ هذا الجانب في معظم كتابات السيد الحركية، فمثلاً في الثمانينات من هذا القرن كان الحماس الثوري يبلغ درجة عالية تصل حد الانفعال، ولم يكتشف العاملون ذلك لأنهم كانوا في زحمة العمل.. لكن السيد فضل الله رصد تلك الظاهرة وغيرها، ووقف ليكتب عنها بكل وضوح وحيادية، كتب عنها قائلاً:

(لعل من أبرز الظواهر التي تطبع شخصية الكثيرين من العاملين للاسلام في هذه الظروف، ظاهرة الانفعالية في الأسلوب العملي، وفي خطوات العمل وفي العلاقات العامة. مما أدىٰ إلىٰ أن يأخذ العمل نفسه هذا الطابع.. ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الظاهرة علىٰ نوعية الرؤية للواقع وللأشياء وللأشخاص، فيفقد العاملون وضوح الرؤية فتختلط الصورة الحقيقية في العيون وترتبك الخطوات

في الطريق لأن الإنفعال يُغرق الشخصية في أجـواء ضـبابية، غـارقة بـالسحر والاغراء في جانب آخر، لأنه يتعامل مع الاحساس والشـعور والعـاطفة، ولا يتعامل غالبا مع الفكر والعقل، مما يجعل للسرعة دورها الكبير فيما يصدره من حكم وفيما يخلقه من انطباع، وفيما يتجه اليه من غايات.. وبذلك يـفقد الحكـم حيثياته الهادئة المتزنة، ويغيب التركيز عن الانطباع في غمار الضباب. وتلك هي بعض ملامح الانفعال العامة في صورته العملية..)[١].

هذا نموذج مما يكتبه آية الله السيد فضل الله للعاملين، فهو ينبههم إلىٰ موضع الخلل في حركتهم، قبل أن ينساقوا بعيداً فلا يمكن حينذاك أن يصححوا ما فات أوانه.

والسيد حفظه الله له الكثير الكثير من الوقفات التي يضع فيها العاملين أمام أنفسهم وجهاً لوجه، حتىٰ ليكادون يشعرون أنهم يتحدثون مع أنفسهم، عندما يقرأون كتابات السيد فضل الله.

الثاني: إغناء الفكر الحركي:

قدم السيد فضل الله بكتاباته الحركية فكراً اسلامياً غنياً في المجال الحـركي، فهو المؤسس الرائد لهذا اللون من الفكر الاسلامي، وهو الذي كشف بوضوح أن المكتبة الإسلامية تفتقر إلىٰ مثل هذه الكتابات التي تتسم بالواقعية والمـيدانـية بعيداً عن التجريد النظري. ولأنه كان رائد هذا الاتجاه فقد كانت كـتاباته تمـثل إغناءً للحركة الفكرية في جانبها الحركي.

لنستمع اليه وهو يصف محاولته في الكتابة عن المواضـيع الحـركية، فـيقول سماحته:

---

(١) الحركة الإسلامية هموم وقضايا، ص ٢٩٤.

(هذه الكلمات لم تكتب في وقت واحد، ولم تنطلق من فكر تجريدي ولكنها كتبت في أوقات متلاحقة ومن موقع الحركية الإسلامية في صعيد الواقع الذي عاشته الحركة الإسلامية في طبيعتها الذاتية، وفي الأجواء المحيطة بها، وفي التحديات الصعبة التي تواجهها على مستوى الشكل والمضمون.

وقد تكون قيمتها فيما نعالجه من قضايا، أنها كانت تتحرك من خلال المشاكل التي أثارتها التعقيدات الفكرية والعملية التي عاشت في ساحة الحركة الإسلامية في مواقع الصراع الداخلي، في اتجاهاتها المتنوعة، وفي مواقع الصراع الداخلي في الاتجاهات غير الإسلامية من تيارات وقوىٰ واحزاب.

فقد نلاحظ أن الاسلاميين الحركيين لم ينفتحوا علىٰ الكثير من التحديات الصعبة من منطلق الواقع ليواجهوها بطريقة واقعية، بل انفتحوا عليها من منطلق الأفكار العامة الكلية، من منطلق المثال، إنطلاقاً من المفاهيم الأخلاقية التي كانوا يختزنونها في وعيهم الفكري الاسلامي...)[١].

الثالث: استلهام تجربة المعصومين عليهم السلام:

إستطاع السيد فضل الله بابحاثه وكتاباته وأحاديثه الحركية أن يستنطق تجربة اهل البيت عليهم السلام في المجال العملي، فهو رائد هذا المجال في دراسة أهل البيت، إذ يتطرق في كل كتاب من كتبه إلى الدور الذي مارسه أهل البيت عليهم السلام، وكيف يجب أن نستلهم الدروس من تجربتهم في حياتنا المعاصرة، وهو إتجاه رائد آخر قام به السيد فضل الله، بحيث يمكن أن تشكل دراساته منهجاً جديداً لدراسة حياة الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

وقد عبر سماحته عن ذلك بقوله:

---

(١) من قدمة كتاب الحركة الإسلامية هموم وقضايا.

(لم يكن العمل الاسلامي بدعا من الاعمال.. لنبحث له عن جذور جديدة، أو بالاحرىٰ لنعمل من اجل أن نمدَّ له جذوره في أعماق الحياة، بل هو امتداد للعمل الرسالي الذي تمتد جذوره إلىٰ الاعماق البعيدة في غور التاريخ، لأنه يرتبط بتاريخ الرسالات والنبوات الغنية بالتجارب العملية في مجال الدعوة، اسلوبا وحركة وجهادا وتضحية في سبيل الله، ويرتبط بالرسالة الإسلامية في حركتها المنطلقة في حياة الرسول ﷺ، في رسالته وجهاده وتضحيته وطريقته في الحياة وفي اسلوب العمل وطريقة التبليغ وفي حياة الأئمة والصحابة والمجاهدين والعلماء العاملين والدعاة المسلمين في كل زمان ومكان)[1].

هذه بعض ملامح الجانب الفكري لآية الله السيد فضل الله، آثرنا التعرض لها بشكل سريع، وندرج فيما يلي قائمة بمؤلفات سماحته مع الاشارة إلى أنها لاتشمل الكتب المخطوطة، والكتب التي تحت الطبع والبحوث والدراسات الكثيرة التي نشرت في المجلات والمؤتمرات الإسلامية.

أولاً: الدراسات القرآنية:

١ ـ اسلوب الدعوة في القرآن.

٢ ـ الحوار في القرآن.

٣ ـ من وحي القرآن ١٠ مجلدات.

٤ ـ من عرفان القرآن.

٥ ـ حركة النبوة في مواجهة الانحراف.

٦ ـ دراسات وبحوث قرآنية.

---

(١) خطوات علىٰ طريق الإسلام، ص ٤١١.

ثانياً: الفقه:

١ ـ المسائل الفقهية (مجلدان).

٢ ـ الفتاوىٰ الواضحة.

٣ ـ فقه الحياة.

٤ ـ كتاب الجهاد.

٥ ـ كتاب النكاح.

٦ ـ القرعة والاستخارة.

٧ ـ اليمين والعهد والنذر.

٨ ـ الايجارة.

٩ ـ رسالة الرضاع.

١٠ ـ فقه الشريعة.

١١ ـ الصيد والذباحة.

١٢ ـ دليل المناسك.

١٣ ـ مناسك الحج.

١٤ ـ الشركة.

ثالثاً: الفكر الإسلامي:

١ ـ خطوات علىٰ طريق الإسلام

٢ ـ قضايانا علىٰ ضوء الإسلام

٣ ـ الإسلام ومنطق القوة.

٤ ـ الحركة الإسلامية هموم وقضايا.

٥ ـ من أجل الإسلام

٦ ـ مفاهيم اسلامية عامة (١٠ أجزاء).

٧ ـ في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي.

٨ ـ دنيا الشباب.

٩ ـ دنيا المرأة.

١٠ ـ تأملات في المرأة.

١١ ـ قراءة جديدة لفقه المرأة الحقوقي.

١٢ ـ الوحدة الإسلامية بين الواقع والمثال.

١٣ ـ قضايا اسلامية معاصرة.

١٤ ـ اسئلة وردود من القلب.

١٥ ـ المرجعية وحركة الواقع.

١٦ ـ الإسلام والمسيحية.

١٧ ـ الإسلام وفلسطين.

١٨ ـ الاسلاميون والتحديات المعاصرة.

١٩ ـ الإسلام والمشروع الحضاري.

٢٠ ـ تحدي الممنوع.

٢١ ـ خطاب الاسلاميين والمستقبل.

٢٢ ـ مع الحكمة في خط الإسلام

٢٣ـ الندوة. . . ٤ مجلدات.

٢٤ـ الجمعة منبر ومحراب.

٢٥ـ صلاة الجمعة، الكلمة والموقف.

٢٦ـ من وحي عاشوراء.

٢٧ـ كلمة عاشوراء.

٢٨ـ احاديث كربلاء.

٢٩ـ تأملات في آفاق الإمام موسىٰ الكاظم.

٣٠ـ في رحاب أهل البيت . . مجلدان.

٣١ـ آفاق اسلامية.

٣٢ـ في رحاب الدعاء.

٣٣ـ الإنسان والحياة.

٣٤ـ حوارات في الفكر والاجتماع والسياسة.

٣٥ـ رؤىٰ ومواقف (٣) أجزاء.

رابعاً: المجاميع الشعرية

١ ـ ياظلال الإسلام (رباعيات).

٢ ـ قصائد من أجل الإسلام والحياة.

٣ـ علىٰ شاطئ الوجدان.

الفصل الثاني

المرجعية المؤسسة في فكر
السيد محمد حسين فضل الله

تتشابه مرجعية آية الله السيد فضل الله وآفاقه للمرجعية، إلىٰ حد كبير مع مرجعية الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر. ووجه التشابه يكمن في أن كل واحد منهما، كانت مرجعيته نتيجة حاجة الأمة اليها. فالشهيد الصدر لم يتصدّ للمرجعية إلا بعد أن أتت اليه قطاعات من الأمة تريد مرجعيته، وأنه شعر أن الظروف الاجتماعية والسياسية تحتم عليه أن يتصدىٰ للمرجعية. لذلك عندما تصدىٰ للمرجعية تعامل معها علىٰ أنها مسؤولية وحالة إسلامية يجب أن تتعمق في الأمة، وأن تسير وفق مشروع اصلاحي جديد، وهذا ما طرحه في مشروع المرجعية الصالحة أو الموضوعية، والتي تحدثنا عنها في فصل سابق.

وكذلك السيد فضل الله فإنه لم يتصد إلى المرجعية إلا بعد أن كانت الساحة بحاجة إلى المرجعيات الواعية الحركية التي تستطيع أن تقف في مواجهة التحديات الكبيرة والمتنوعة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون في مختلف مناطق العالم الاسلامي.

وعليه فإن مرجعية السيد حفظه الله كانت حاجة ميدانية فرضتها الظروف الاجتماعية والسياسية، كما فرضت هذه الظروف مرجعية السيد الخامنئي ولي أمر المسلمين حفظه الله.

وقد كان السيد فضل الله قبل تصديه للمرجعية يمتلك تصورات واضحة حول سبل تطوير المرجعية، وضرورة النهوض بها في مشروع اصلاحي تجديدي

يجعلها بحجم التحديات التي تواجهها الأمة وبضخامة المسؤوليات التي تتصل بموقعها الكبير في حياة الأمة.

إن المرجعية ليست موقعاً تشريفياً ولم تكن كذلك علىٰ مرّ العصور، وهي ليست شأناً شخصياً يختص بشخصية المرجع، بل هي موقع عام مسؤول يتحمل المرجع فيه مسؤولية الأمة بكل تفصيلات هذه المسؤولية السياسية والاجتماعية والفكرية، ومسؤولية الإسلام في آفاقه الحضارية الكبرىٰ. فلا يكفي أن يكون المرجع ذلك الشخص الذي يجلس للفتيا والحقوق الشرعية، بل أصبح موقع المرجع يحتم عليه ان يكون في مقدمة الأمة واعياً لكل ظروفها المختلفة وبالقدرة التي تمكنه من متابعة الأحداث والتأثير عليها، وقول كلمته الحاسمة التي تحدد للأمة مساراتها وللمجتمع آفاقه.

لقد رسم هذه الأبعاد وغيرها سماحة السيد فضل الله في العديد من المناسبات منذ فترة طويلة، ثم عاد فأكدها علىٰ إمتداد العقد الأخير من هذا القرن، والذي دعاه إلىٰ ذلك حسب تصورنا، أن المرجعية واجهت تحديات مختلفة على صعيد الممارسة والمفهوم.

وسنعرض في الفصل القادم خلاصة ما كتبه سماحة السيد فضل الله حول موضوع المرجعية، للأهمية العلمية التي تتسم بها أفكاره في هذا المجال، وقد إخترنا بحثين مهمين كتبهما سماحته في كتاب «آراء في المرجعية الشيعية»، الذي أصدرته الملحقية الثقافية لسفارة الجمهورية الإسلامية الايرانية في دمشق.

المرجعية الدينية
أمام الاتجاهات الفقهية[١]

هل تمثّل المرجعيّة الدينيّة - في نطاقها الشرعي - المرجعيّة في الفتيا والقضاء، فليس للمرجع أن يتدخّل في الشؤون العامّة للناس من موقع الشرعيّة الملزمة التي يملكها في موقعه، بل يقتصر على شؤون الفقه والقضاء أو أنّها تمثّل المرجعيّة العامّة التي تجعل منه مفتياً وقاضياً وحاكماً عاماً للناس، بحيث ينفذ حكمه في الأحكام والخصومات والموضوعات.

هذا سؤال لا بد لنا من طرحه، لنحدّد الجواب عنه من خلال الآراء الفقهيّة المختلفة في صلاحيّات المجتهد فيما يجب على الناس الإلتزام به.

هناك اتجاهاتٌ فقهيةٌ ثلاثة:

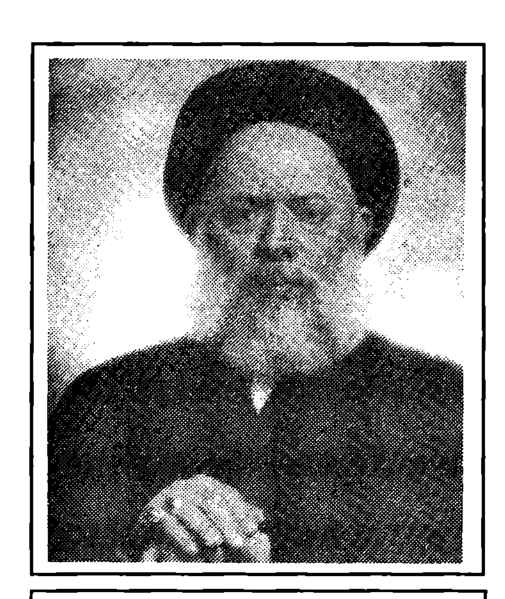
الإتّجاه الأوّل: إنّ الفقيه نائب الإمام - في النظرية الشيعية الإمامية - يملك من السلطات ما يملكه الإمام - إلّا ما ثبت اختصاصه بالإمام - فله حق الفتيا في القضايا الشرعية، وللعوام أن يقلّدوه في ذلك، وله حق القضاء بين الناس، فلهم الرجوع إليه في خصوماتهم، وعليهم الإلتزام بحكمه حتى لو كانوا من الفقهاء الذين يختلف رأيهم الفقهي عن رأيه.

وله حق الولاية على الناس، فيجب عليهم الإلتزام بكل أحكامه في شؤونهم

---

(١) البحث الذي كتبه السيد فضل الله والمنشور في كتاب: آراء في المرجعية الشيعية.

العامة والخاصة التي تتحرّك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السلطة الحاكمة التي تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا هو المعروف بولاية الفقيه.



السيد فضل الله

الإتجاه الثاني: إنّ الفقيه يملك سلطة الفتيا والقضاء، ويملك إصدار الأحكام في الموضوعات العامّة أو الخاصّة فينفذ حكمه فيها، كما ينفذ حكمه في القضايا الشرعيّة.. ولكنه لا يملك الولاية العامة، فيكون موقع حكمه في الموضوعات التي تحتاج الأمة إلىٰ إثباتها بحكم الحاكم كثبوت الهلال ونحوه، كما هو موقع حكمه في باب القضاء، فينفذ على الناس جميعاً سواء أكانوا مجتهدين أم مقلدين، وهذا هو المعروف بحجية حكم الحاكم في الأحكام والموضوعات.

الإتجاه الثالث: هو الذي يسلب عن المجتهد سلطة إصدار الأحكام في الموضوعات، فليس له الحق في ذلك، ولا يجب على الناس إطاعته فيها، فلو أصدر حكماً في ثبوت الهلال في شهر رمضان، فلا يجب على الناس - حتى إذا كانوا مقلدين له - الصيام، لأنّ حكمه ليس حجة عليهم، إلّا إذا أوجب لهم الإطمئنان الذاتي.

إنّنا نلاحظ - في هذا الإتجاه الأخير - اقتصار دور المرجعية على الفتيا والقضاء، فلا تتعدّاه إلىٰ غيرهما إلّا في دائرة الولاية على شؤون القاصرين والغائبين، وبعض الموارد الخاصة كالأوقاف ونحوها، مما يدخل في دائرة الأمور

الحسبية التي نقطع بأنّ الله لا يرضى بضياعها، بل يريد للناس كلهم ان يقوموا بها بنحو خاص. وربما جعل بعض الفقهاء الذين يلتزمون هذا الإتجاه، الولاية للفقيه علىٰ إقامة الحدود بين الناس ليكون موسعاً لمركز القضاء، فيكون له السلطة على الجانب التنفيذي بالإضافة إلىٰ سلطة إصدار الأحكام.

وفي ضوء ذلك لا مجال للمرجعية الدينية العامة في موقع المجتهد، حتى لو كان يملك المرجعية في التقليد، فليس له التدخل في الشؤون العامّة للناس من موقعه المرجعي، بل يكون رأيه مجرد رأي شخصي، كبقية الآراء الصادرة عن الآخرين الذين لا يملكون أي موقع ديني عام، فللناس أن يقبلوه أو أن يرفضوه، تبعاً لما تفرضه قناعاتهم من ذلك.

أما في الاتجاه الثاني، فقد نجد له موقعاً أكثر فاعليةً في الشؤون المتصلة بحياة الناس، لكن ذلك يبقىٰ في دائرة الموضوعات التي تحتاج إلى الإثبات - في غير باب الخصومات - مما يملك فيه الحاكم الشرعي وسائل ثبوته.. فلا يتعداه إلى التدخل في شوؤن الناس من موقع السلطة العامّة التي تفرض عليهم التزاماً سياسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، فيما لا يقتنعون به أو يرفضونه، وفي ضوء ذلك فإنّ مرجعيته تتصل بدائرة حجية رأيه في الإثبات في الموضوعات العامة، فلا تقتصر علىٰ جانب الحجية في الإثبات في باب القضاء.

ويبقىٰ الاتجاه الأول هو الاتجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلامياً عاماً، إذا كان مؤهلاً للتقليد، بحيث كان جامعاً لشروطه، لأنّه يمثل القيادة الإسلامية التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامّة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواء أكان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متسعةً لكل ما تتّسع له ولاية النبي والإمام في صفة الحاكمية، أو التي تجعل لها حدوداً ضيّقةً تختلف عنها في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصية النبوّة والإمامة بعض المميّزات في ذلك، كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الإبتدائي.

وفي هذا الإتجاه يمكن للمجتهد الفقيه أن يعمل على التحرّك في الأمور العامّة خارج نطاق الدولة في المناطق التي لا يحكمها الإسلام في شريعته الشاملة، كما يعمل على التخطيط لبناء الدولة بكلّ الوسائل الشرعية المطروحة بين يديه، فيكون قائداً في الحرب وحاكماً في السلم، ومرجعاً في الأمور الجزئية والكلية التي تحتاج إلىٰ قرارٍ شرعي حاسم.

أما في الإتجاهين الأوّلين، فقد يمكن للأمّة أن ترجع إليه في غير دائرة الإلزام، فيما قد تحتاجه من الموقع الذي يملك الإحترام والخضوع الروحي والثقة الدينيّة ممّا يحصل عليه المجتهد المقلّد من خلال رجوع الناس إليه في التقليد حيث يملك من إمكانات التأثير ما لا يملكه غيره من الفعاليّات السياسيّة أو الاجتماعيّة، فيمكن له أن يتحرّك في الظروف الصعبة التي تحتاج فيها الحركة إلى الرمز الذي يوحّد الأمّة ويحرّك مواقعها على الطريقة الشرعيّة فيما تفرضه الوقائع من مجريات الأحكام، ولن يكون قراره في إصدار التعليمات السياسيّة او العسكريّة نافذاً من حيث هو قرار قياديّ ملزم، بل من حيث هو كاشف عن شرعيّة التحرّك في تحديده للتكليف الشرعي، فيما يمكن للمكلّف أن يستقلّ فيه بشكل فرديٍ أو جماعيّ تبعاً للدائرة التي يتحرّك فيها هذا التكليف.. أو من حيث هو مبيّن للمصلحة العامّة الملزمة التي قد تفرض حكماً شرعياً ملزماً على أساس العناوين الثانوية.

وربما تفرض المصلحة العامة قيادة الفقيه في بعض المواقع أو المواقف على أساس الظروف الطارئة الدقيقة التي تمرّ بالمسلمين فيما يواجهونه من التحدّيات السياسيّة والعسكريّة في ساحة الصراع، بحيث ترتبط المسألة بالقضايا المصيرية التي لا يمكن أن تُترك في منطقة الفراغ القيادي، فيدور الأمر بين قيادة الفقيه العادل الذي يملك تقوى القرار، كما يملك تقوى التنفيذ من خلال معرفته بحدود الله، وخوفه من الله، لا سيما في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وبين قيادة

غيره الذي لا يملك ما يملكه الفقيه من ذلك، أو لا يصل إلىٰ مستواه في كلّ الأمور إذا كان يشاركه في بعضها.. وحينئذٍ يطرح الأصوليّون حكم العقل القطعَي بتعيين الفقيه للقيادة لدوران الأمر بين التعيين أو التخيير، لأنّ الضرورة التي تفرض وجود القيادة تفرض براءة الذمّة بالسير مع الفقيه في قيادته لأنّه طرفٌ في دائرة التخيير، ومتعيّنٌ في احتمالات التعيين.. بينما لا تفرض براءة الذمّة مع غيره على كلّ حال.

ولعلّ هذا التخريج للمسألة، يطرح الحلّ في قيادة الفقيه للدولة بعد قيامها، حتّىٰ لو لم يجد لنفسه الولاية على الناس بالنظرة الأولية فيما هو الحكم الشرعي الأولي، لأنّه يجد نفسه ملزماً بالقيام بهذه المهمّة في نطاق الظروف التي تتحرك في حجم الضرورة بالنظرة الثانويّة فيما هو الحكم الشرعي الثانوي.

ويبقىٰ للفقيه أن يحدّد الضرورة الملزمة من خلال خبرته أو خبرة الآخرين الذين يملكون عمق المعرفة للمصالح العامّة للمسلمين ليتحرّك علىٰ هذا الأساس.

وربّما كانت مشكلة الكثيرين من الفقهاء أنّهم يعيشون في عزلةٍ عن حركة الواقع الإسلامي، في القضايا السياسيّة، فلا يستشعرون الأخطار التي تحيط بالمسلمين في بعض الظروف الصعبة التي تهدّد الإسلام في الصميم في وجوده الفكري والتشريعي، حتّى على مستوى الأفراد أو تهدّد المسلمين في قضاياهم المصيرية في خطّ الحريّة والعدالة، بالمستوى الذي يفرض على العلماء الفقهاء أن يتحركوا ليحركوا الأمة حسب الطاقات التي يملكونها.

وربما يحيط ببعضهم في دائرة المرجعية بعض الأصحاب والمستشارين الذين لا يؤمنون بالتحرّك الفاعل، لا سيّما إذا كان يؤدّي إلىٰ بعض الأخطار علىٰ نظرة بعض القواعد الشعبيّة أو الرسميّة للمرجعيّة بطريقةٍ سلبيّة، لأنّ مثل هؤلاء قد يستغرقون في مصلحة نجاح المرجعيّة من ناحية ذاتيّة، أكثر ممّا يستغرقون في

نجاح الإسلام من خلال مواقعها العامّة. فيحجبون عن المرجع المقلَّد كثيراً من المعلومات الضروريّة التي توضّح الرؤية بشكلٍ جيّد، أو يمنعون الجهات الفاعلة الواعية التي يمكن أن تعرّفه غوامض القضايا ودقائق الأمور.

وقد يهوّلون عليه الوضع بحيث يشعر بعدم القدرة علىٰ مواجهة المشاكل، ويصل إلىٰ بعض القناعات التي قد يجد فيها المفسدة في التحرّك غالبةً على المصلحة ليكون الحكم الشرعي في نطاق المنع لا الرخصة.

وقد يقودونه إلى التحرّك في الاتجاه الآخر المضادّ الذي فرض نفسه ودوره على الواقع من خلال قوّة الظلم وأجهزة الإستكبار.. وذلك من خلال الفكرة القائلة بأن على الناس مجاملة الظالم والانسجام معه في حكمه في الحالات التي لا يستطيع الناس فيها أن يعارضوه أو يسقطوه، لأنّ في ذلك حفاظاً على مصالح الناس العامة والخاصة التي قد تضيع في خطّ المقاطعة أو المواجهة.

وهكذا تفقد الأمّة طاقةً كبيرةً فاعلةً في موقع المرجعيّة بفعل بعض المحيطين به، أو بفعل العزلة عن الواقع العامّ وقد يتّخذ بعض الناس مثل هذا الإتّجاه العملي حجّة على القعود والانكفاء والابتعاد عن التيّار الإسلامي الحركيّ بحجّة أنّه لا يمثّل الشرعية الإسلامية، لأنّها تحتاج إلىٰ رأي الفقيه الذي لا يرضىٰ للحركة أن تنطلق في مواقع الخطر، لأنّه لا يرى المصلحة للإسلام والمسلمين في ذلك.

إنّ النقطة التي نحبّ إثارتها في هذا المجال هي أنّ موقع الفقيه، لا سيّما إذا كان مرجعاً، فيما هي المرجعيّات الصغيرة أو الكبيرة، يمثّل الموقع المتقدّم في حياة الأمّة، حيث تجد فيه الشخص الذي تمثّل كلمته أو حركته الموقف الشرعي المبرئ للذمّة أمام الله.

ولذلك فإنّ إيجابيته أو سلبيته تجاه القضايا العامة تترك تأثيرها الإيجابي أو السلبي على مجمل النتائج العمليّة.. حتى لو كان لا يرىٰ لنفسه الصلاحية

الشرعيّة في ولاية أمور المسلمين في مثل هذه القضايا، لأنّه لا يرىٰ حجية حكم الحاكم في الموضوعات، أو لأنّه لا يرىٰ ولاية الفقيه العامّة.. لأنّ المسألة تتّصل بالمستوى الواقعي لموقعه الديني في تأثيره الإجتماعي أو السياسي.

وفي ضوء ذلك، فإنّنا لا نتحدّث عن ضغوطٍ يمارسها العاملون عليه، بل نتحدّث عن انفتاح على الواقع كلّه من أجل التدقيق في الموضوعات الواقعيّة التي قد تختزن المصلحة الملزمة أو العناوين المختلفة عن الطبائع الذاتيّة للأشياء، فتحدّد له تكليفه في مواقفه، كما تحدّد للناس مواقعهم في هذا التكليف.

وإذا كان بعض الناس يجد أنّ مهمّة الفقيه الاجتهاديّة لا تتدخّل في الموضوعات، بل تقتصر على التدخّل في الأحكام، فإنّنا نشير إلى حقيقةٍ مهمّة، وهي أنّ بعض القضايا المصيريّة قد تفرض التكليف من جهة أخرىٰ، وهي الأهميّة الكبرى التي يتوقّف عليها حفظ النفوس والأموال والأعراض، بحيث لا يكون إهمالها والأبتعاد عن النظر فيها عذراً شرعيّاً علىٰ كلّ حال..

وربّما كانت هذه الأمور تمثّل تكليف الإنسان المسلم بقطع النظر عن صفته العلميّة أو السياسيّة أو الإجتماعية إلا بمقدار ما يكون للصفة من دور في حجم التأثير في الموقف.. وربّما كانت بعض هذه الأمور خاضعةً لعنوان الإهتمام بأمور المسلمين من الناحية الفكريّة أو العمليّة، أو لعنوان الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم من الكافرين والمستكبرين.

المرجعية: الواقع والمقتضىٰ[1]

في المصطلح الفقهي، الفقيه هو العالم بالفقه الإسلامي عن اجتهاد، لا عن تقليد. وهذا هو الذي جرى عليه الفقهاء في الإحكام الخاصة التي ذكروها في

(١) البحث الذي كتبه السيد فضل الله في كتاب: آراء في المرجعية الشيعية.

خصوصيات هذا العنوان. -

وضمن دائرة الفقه الإسلامي حديث عن موضوع تقليد العامي للمجتهد، فلابد للجاهل أن يرجع إلى العالم، فإذا كانت معرفة الحكم الشرعي تحتاج إلى دراسة متخصصة واسعة لا يملكها الإنسان العادي، فلا بدّ له أن يرجع إلى المتخصصين الذين يملكون هذه المعرفة بالمستوىٰ الإجتهادي، بحيث يكونون حجة له فيما يتحرك به في مسؤولياته الإسلامية أمام الله فيما يأخذ به أو فيما يدعه من أقوال وأفعال.

وقد لا يكفي في مرجع التقليد أن يكون مجتهداً، بل لابدَّ من أن يكون أعلم المجتهدين، فلا يجوز الرجوع للمفضول مع وجود الأفضل، لأن الأفضل أقرب للوصول إلى الحقيقة من غيره ثم... لا بد للمرجع من أن يكون عدلاً في دينه فيما يمثله ذلك من الدرجة العالية في الالتزام الشرعي والإستقامة على خط الشرع لأن ذلك هو الذي يوحي بالثقة.

والمرجعية في عرف الناس، تاريخياً، تعني ذلك المنصب أو الموقع الذي يرجعون إليه لمعرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بحقوقهم، أو بالأموال الشرعية المترتبة على المكلفين منهم، او تلك المتعلقة بشؤون الأوقاف والقاصرين، والتي تندرج تحت عنوان الولاية الخاصة، أو تلك المتعلقة بما هو أشمل لمن يعتقد أو يقول بالولاية العامة علىٰ أساس نظرية ولاية الفقيه. من هنا، فالمرجع هو الشخص الذي يملك المؤهلات الشرعية، كالاجتهاد والعدالة، بحيث يجوز للناس أن يرجعوا إليه في أحكامهم الشرعية، وفي طريقة تصرفهم بالأموال الشرعية، وفي قضاياهم الخاصة والعامة، وذلك تبعاً لسعة دائرة الولاية. إن المرجع هو الذي يتولىٰ الأمور الدينية المتصلة بحياة الناس علىٰ صعيدي الفتوى والحركة التي قد تضيق تارة وتتسع تارة أخرىٰ.

وما يمكن أن نسجله من ملاحظات، هنا، علىٰ مصطلح المرجعية في واقعه

التاريخي الممتد إلى حاضرنا، هو أن المرجعية اتخذت باستمرار صفة الافتاء، بينما اتخذ المرجع صفة المفتي.

إن الواقع الشيعي، في تاريخه السابق، كان يجعل علاقته بالمرجع تتمثل في مسألة الفتاوى التي يحتاجونه فيها، بحيث كان دوره هو دور المفتي، والقاضي، ودور الشخص الذي يشرف على الأمور الحسبية التي يعيشها الشيعة. ولذا، كانت المسألة هي أن المرجع لا بد من أن يكون هو الأعلم في الفقه والأصول حتى ولو لم يكن هو الأوعى.

هذا في جانب، وفي جانب آخر، نلاحظ أن المرجعية ما فتئت تعيش حالة شخصية، ولذلك فإن الذين يعاونونها يلتفّون حول الشخص بحيث تكون القضية في وعيهم لخدمة الشخص، ولا يكون الشخص في خدمة القضية، فجلّ اهتمام من يحيطون بالمرجع هو الاهتمام باسم المرجع بتأكيد شخصيته وفاعليته ومصداقيته لدى الناس. وإذا كانت مسألة المرجعية هي مسألة فتاوى وحقوق، فإنّ النظرة إلى كل المواقع الشيعية تتأثر بهذا الخط.. ما هو الرصيد من الحقوق الذي تقدمه هذه المنطقة أو تلك وما هي مسألة الارتباط بالفتوى.. ولهذا، فإننا لا نجد، من قبل الذين يحيطون بالمرجع، اهتماماً يتجاوز تأكيد شخصيته إلى الاهتمام بالدعوة إلى التشيع والمبادرة إليها وحمايته من خلال تهيئة الكوادر التي يجب أن تنطلق في هذا المجال وذاك المجال، وهذا الخط وذاك الخط وما إلى ذلك.

إننا نعتقد أن المراجع يمثلون قيمة روحية كبيرة، ولكن مشكلتهم أنهم قد يعيشون في ظروف تبتعد بهم عن الإمكانات الكبيرة التي يستطيعون فيها أن ينفّذوا ما كانوا يفكرون فيه قبل المرجعية.

مشكلة المرجعية:

إن مشكلة المرجعية في كل تاريخها أنها كانت شخصاً، كانت تعتمد على

مستوىٰ هذا الشخص، وعلىٰ مبادراته، وعلىٰ سعة أُفقه والظروف والأشخاص المحيطين به، ومن هنا، فإننا في الوقت الذي نؤكد أن المرجعية في كل تاريخها قامت بمبادرات مهمة في الدائرة الشيعية، وأنها حفظت التشيع بطريقة أو بأخرىٰ، لكنها لم تفكر بأن تتحمل مسؤولية التشيع أمام كل المتغيرات الواقعية على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى مستوى التطورات التي انطلقت في العالم.

إننا نعتقد أن المرجعية، مع كل احترامنا للأشخاص الذين يتحركون في دائرتها أو يشرفون عليها أو يقودونها، لا تستطيع أن تواجه تطورات العصر، ولذا، فهي تعيش انكماشاً في دائرتها الخاصة في نطاق الفتاوىٰ، أو في نطاق بعض الأعمال التي تتحرك هنا وهناك.

لهذا علينا أن نفكر في ضرورة أن تتحول المرجعية إلى مؤسسة دون أن تفقد العناصر الذاتية التي تفرضها الخطوط الشرعية فيمن يجب أن يكون المرجع، وفي طبيعة ارتباط الأمة بالمرجع.

ثمة واقع في المرجعية يجعل الإسلام خاضعاً للقيادة في ظروفها وإمكاناتها، بحيث تكون ظروف وإمكانات الإسلام هي ظروف القيادة وإمكاناتها، بدلاً من أن تكون القيادة خاضعة للإسلام، بحيث تكون ظروف الإسلام هي التي تحدد للقيادة ظروفها وحركيتها. نحن نعرف بأن الإسلام هو دين الله، وأن عظمة الرسول ﷺ هو أنه بلّغ رسالة الله، وأراد أن يكون الدين كلّه لله، لذلك كان الرسول هو خادم الدين، ولم يكن الدين خادماً للرسول، فالله لم يرسل الإسلام ليكون وظيفة تعطىٰ للرسول.. الله لم يرسل الإسلام ليكون حالة خصوصية للرسول، وإنما أرسل الرسول وشرّع القيادة لمن بعده من أجل أن يكونوا في خدمة الإسلام، من أجل أن يكونوا دعاة وقادة للإسلام، ولذا، فالإسلام يأتي أولاً، والقيادة تأتي ثانية.

سبب واقع المرجعية الحالي:

ولعل السبب الرئيسي يكمن وراء مشكلة المرجعية هو أن المرجع نتاج الحوزة من جهة، ونتاج الظروف الموضوعية المحيطة بالمؤثرات الداخلية التي تحكم ذهنيته من خلال بعض التأثيرات التي تحيط به من الخارج، أو من خلال الظروف الموضوعية التي قد تحكم كثيراً من خطوطه الفكرية التي يتحرك من خلالها في هذا الواقع، أو من خلال عبقريته الخاصة التي تجعله يتجاوز بيئته من جهة أخرىٰ.

ولذلك كانت حركة المرجعيات بين مد وجزر. فهناك مرجعيات استطاعت أن تنفتح على الواقع الإسلامي بحجم الظروف التي كانت تعيشها، ولذلك كانت مرجعيتها تعطي بعض اللمعات والإضاءات في كثير من مراحل الواقع الإسلامي.

بينما نجد أن هناك مرجعيات انكمشت انكماشاً شديداً حتّىٰ كان يخيل للناس أنها غائبة تماماً عن كلّ شيء في الواقع. فيما عدا العلاقات الفقهية المباشرة بينها وبين الناس في المسائل التقليدية، لدرجة أنها لا تشارك حتّىٰ في القضايا الثقافية العامة التي تطرح فيها الأفكار في مستوى الفعل أو رد الفعل في ساحة التحديات للإسلام ولأهله.

وهذه هي المشكلة التي عاشها الواقع الإسلامي الشيعي في الإرتباكات التي كانت تحدث بين الطلائع الإسلامية التي تحاول أن تنفتح على الواقع بطريقة حركية أو بطريقة ثقافية منفتحة، أو من خلال توسيع الساحات التي يتحرك فيها الإسلام في هذا الواقع أو ذاك الموقع، فقد كانت تواجه من بعض المرجعيات إهمالاً، أو سكوتاً، أو ابعاداً، أو موقفاً مضاداً في هذا أو ذاك المجال.

ولذلك، فإننا نتصور أنّ الواقع الإسلامي الشيعي، الذي استطاع أن يجد في مرجعية الإمام الخميني الصدمة الكبيرة لكلّ الأوضاع المتخلفة التي عاشها والارتباك الذي يتخبّط فيه، لا يزال هذا الواقع خاضعاً لكثير من المؤثرات السلبية هنا وهناك، بفعل فقدان الخط البياني المتحرك بطريقة تصاعدية منظمة، لأنك عندما تلتقي بمرجعية رائدة، فإنها قد تخلفها مرجعية عادية جداً قد تجمد تلك الروح التي كانت قد انطلقت أو تحركت.

المرجعية مواكبة للحياة:

عندما نريد دراسة حركة المرجعية في صيرورتها التاريخية، فإن علينا أن نفهم طبيعتها وطبيعة المضمون الذي يحكمها من خلال النظرة الإجتهادية الإسلامية في خط أهل البيت عليهم السلام، فالمرجعية شغلت، في نشأتها وصيرورتها، مركز النيابة عن الإمام، لأن الله لا يترك الأرض خالية من الحجة، سواء كانت الحجة حجة أولية فيما تعطيه النبوّة أو الإمامة من أصالتها، أو كانت حجة ثانوية فيما تتحرك فيه الإمامة لتمنح للعلماء امتداداتها من خلال امتدادات كل المفاهيم التي تتحرك في الحياة، سواء في المضمون الفكري الذي يغني الذهن بالإسلام عقيدة وفقهاً ومنهجاً وقاعدة للحياة، أو في المضمون الحركي الذي يدفع بالإسلام إلى صعيد الواقع.

من هنا، شكلت المرجعية الحجة الثانوية لغياب الحجة الأصيلة التي ابتدأت مع غياب قائم آل محمد عليه السلام الإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

وإذا كانت المرجعية في نظرنا تمثل مركز النيابة عن الإمام، فهذا لا يعني أننا نؤمن بعصمة المراجع، ولكننا نعرف جيداً أنهم يتحركون في خط العصمة حتّىٰ إذا أخطأوا من خلال نقاط الضعف الإنساني، أخطأوا من حيث يريدون الإصابة ومن حيث يجتهدون بكل معاناة المجتهد في الوصول إلى خط الصواب.

لذلك التقت الأمة علىٰ محبتهم من حيث التقت علىٰ تقليدهم، التقت الأمة عليهم لأنهم كانوا يمثلون الرسالة التي تؤمن بها الأمة، من خلال ما يتجسد فيهم من روحية الرسالة ومعناها ومضمونها. ونحن نعرف أن المرجعية في واقعنا الإسلامي في أجواء خط أهل البيت عليهم السلام، لا تصدر بمرسوم من حاكم ولا بفعل التصويت، بل إن الأمة تلتقي بالمرجع كما تتنفس الهواء، وكما تشم العطر، وكما تلتقي بكل المعاني وهي تتحرك بالطريق. المرجع يولد فجأة لا بمعنى أنك فجأة تشعر أنه كان خفياً وظهر، ولكن مرجعيته تنطلق في العقول من خلال علمه، وفي القلوب من خلال تقواه، وفي الواقع من خلال حركته. يشير شخص إلى شخص، هذا يملك علماً كبيراً، ويشير آخر إلىٰ آخر، هذا يملك عدالة عظيمة، ويتحرك شخص مع آخر، هذا يملك رشداً، وينطلق ويبقىٰ ويتحرك، وهو لا يستمع كثيراً إلى الكلمات، ولكن الكلمات تأتي لتخترقه، لتقول له: لا خيار لك كن أنت المرجع، أو كن أنت مع بعض إخوانك في طبقة تلك المراجع.

والمرجعية ليست مجرد منصب يقدم الفتيا للناس هنا وهناك، بل هي في كل أبعادها تمثل حركة الإجتهاد في حركة الإسلام في الزمن.

إن المرجعية . . . قيمتها أنها ترافق حركة الحياة في حاجاتها وحركة الحياة في مشاكلها وكل قضاياها لتعطي لكل واحد منها حكماً ينسجم مع حاجاته. أن الحكم لا يتغير ولكن فهم الحكم قد يتغير، وفهم حركة الحكم قد يتغير، والموضوعات تتغير ويتغير الحكم بتغيرها.

أحد أبرز ما قام به الإمام الخميني (رض) أنه منح المرجعية هذا الأفق الواسع، فهو رأىٰ أن مسألة الحكومة الإسلامية، تعني حركية الإسلام في نظام الحياة وفي نظام الناس بشكل شامل، لقد رأىٰ فيها قضية الحياة. وإذا كانت المسألة، بحسب الفقه الإسلامي الشيعي، انطلقت من خلال القيادة الواحدة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بالنسبة للأئمة عليهم السلام، فإنها لا بدّ أن تتحرك في هذا الخط على المستوى الشمولي

الذي كان يحدث، لذلك فليس هناك فرق بين مهمة الفقيه العادل المؤهل للقيادة من خلال العناصر الأساسية وبين مهمة الإمام، وإن لم يصل هو إلىٰ مرتبة الرسول أو إلىٰ مرتبة الإمام، مما يجعل مسألة المرجعية تتسع حسب اتساع مسألة الإسلام، ومسؤولياتها تكبر حسب مسؤوليات الإسلام، فليست هناك حدود لمسؤوليات المرجعية ما دام الإسلام لا يعيش مثل هذه الحدود. ومن هنا، يمكن أن نلاحظ أن موقع المرجعية في نظر الإمام الخميني، رضوان الله عليه، هو موقع الإسلام في كل المجالات، فلا بد أن تتحرك حيث يتحرك الإسلام، وهذا هو الذي يجعل المرجع المؤهل للقيادة وللولاية منفتحاً على الحياة متحملاً مسؤولية شاملة اتجاه كل ما فيها من وقائع وأحداث وتحديات وآفاق.

أمّا الشهيد السيد محمد باقر الصدر، رضوان الله عليه، فإنه في أفقه الإسلامي الواسع، ليس بعيداً عن هذا الخط، فقد لاحظنا كيف استقبل الثورة الإسلامية ونجاح الإمام الخميني في قيادته بالكلمات الرائعة التي أطلقها في ضرورة الذوبان في مرجعية الإمام الخميني، لأنه يلتقي بهذا الأفق الواسع الذي انطلق منه الإمام الخميني (رض)، وحاول أن يتحرك في هذا الخط في رسالته (الإسلام يقود الحياة) ولكنه، عندما تحدّث عن المرجعية، كان يتحدث عن المرجعية فيما سماه المرجعية الرشيدة في مسألة الجانب التنظيمي الإداري للمرجعية، ولم يكن يبحث من خلال طبيعة مسؤولياتها الإدارية، بتعبير آخر، إنه كان يريد أن يحدّد الوسائل العملية لتتحرك المرجعية كمؤسسة ولا تبقَ كشخص.

الواقع الشيعي وواقع المرجعية:

إننا نلاحظ أن العصر قد تطور، وأن المراكز الدينية في العالم، سواءً على مستوى المسيحية أو علىٰ مستوى اليهودية، أو علىٰ مستوى المسلمين من غير الشيعة، أصبحت تملك مواقع في الإطلالة على الواقع الثقافي والاجتماعي

والسياسي في دوائرها الخاصة وغير الخاصة، كما أن الشيعة، بفعل التطورات والمتغيرات التي حدثت في مواقعهم، وبفعل الآفاق الجديدة التي انفتحت عليهم والتي انفتحت لهم، أصبحوا يمثلون حجماً كبيراً يستطيع أن يشارك في كثير من القضايا، كما أنه أصبحت لهم حاجات سياسية واقتصادية وثقافية وما إلىٰ ذلك مما يفرض على المرجعية أن تتطور، في انطلاقاتها وفي شروطها تبعاً لتطور الواقع الذي تتحرك فيه، ولكن الواقع الذي نعيشه أصبح أكبر من المرجعية في طبيعة خصائصها وظروفها وطريقة تكوينها بكثير، بحيث أن المرجع الذي يراد له، من خلال عنوانه أن يشرف علىٰ كل شؤون الشيعة، تحول إلىٰ مجرد شخص مفتٍ لا يتصرف في الشؤون الشيعية إلا بطريقة حيية خجولة متواضعة.

إننا نلاحظ أن الواقع الشيعي هو أكبر بكثير من واقع المرجعية، وأننا نخشى أن هذا الواقع قد يتطور إلىٰ مجال أوسع بحيث تفقد المرجعية معناها عنده، لأن المرجعية لم تستطع أن ترجع هذا الواقع إلى الوراء، ولهذا لا بد من التفكير بهذه المسألة بكثير من الخطورة، لأن المسألة، فيما نلاحظه، بالواقع أخطر مما يتصوره الكثيرون.

المرجعية المؤسسة: المبررات والدوافع

ترتكز هذه الرؤية علىٰ قراءة خاصة لمضمون المرجعية وموقعها، وهذه القراءة ترىٰ، كما أثرنا ابتداءً، أن المرجعية الإسلامية الشيعية، تستبطن في اللاوعي الشيعي، آفاقاً واسعة جداً. فالمرجع هو نائب الإمام ووجوده يسدّ فراغ الإمام في مختلف الجوانب، الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية، بحيث لا يعيش الناس فراغ القيادة في أيّ جانب من الجوانب، سواء إن كان ذلك في دائرة القضايا التي تتحرك في داخل الوضع الإسلامي الشيعي، أو داخل الوضع الإسلامي العام، أو في القضايا العالمية المرتبطة بالواقع الإسلامي.

عندما نجد أنّ الكلمة تستبطن كلّ هذه الآفاق، فمن الطبيعي أن لا يكون المرجع مرجعاً في الفتيا فقط، أو مرجعاً في القضايا التي تعيش على هامش الفتيا كالحقوق الشرعية وأمور القاصرين وما إلىٰ ذلك، مما اعتاد الفقهاء أن يتحدثوا عنه كموقع للمجتهد أو كموقع للمرجع، أو مسألة القضاء التي يعتبرها الفقهاء من صلاحيات المرجع أو صلاحيات المجتهد.

إن المرجعية الإسلامية الشيعية قد تحتاج في ظروفها المحدودة أو في طبيعة أوضاعها الخاصة، إلىٰ أن تتحرك في دائرتين، الدائرة الأولى: هي ألّا تكون المرجعية شخصاً بحيث يرث أولاده تراثه وتجربته، أو أن تكون أجهزته خاضعة لخصوصياته، بل أن تكون المرجعية مؤسسة بحيث أن المرجع عندما يأتي، يأتي إلىٰ مؤسسة تختزن تجارب المراجع السابقين، بحيث تكون كلّ الوثائق التي تمثل علاقات المرجعية بالعالم وتجاربها وخصوصيات القضايا التي عالجتها، حتّىٰ في مسألة الاستفتاءات والأسئلة والأجوبة متوفرة للمرجع الجديد، الذي يجد كلّ هذه التجارب جاهزة في مؤسسة المرجعية، ليبدأ من حيث انتهى المرجع السابق، لا ليبدأ بعيداً عن كلّ التجارب السابقة.

وفي هذا المجال فلا مانع أبداً في أن يكون للمرجع معاونون يختارهم، ولكن علىٰ أن لا يكونوا هم كلّ المؤسسة، بل أن يكونوا المعاونين الذين ينسجم معهم في دائرة المؤسسة، وفي إطار المؤسسة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لا بدّ للمرجعية أن تطلّ علىٰ قضايا العالم، ولو من ناحية اتخاذ المواقف السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية التي تطلّ على كلّ مواقع المرجعية، أو ما تمتد إلىٰ أبعد من هذه المواقع وتؤثر بها سلباً أو ايجاباً.

وهناك نقطة ثالثة في هذا المجال وهي مسألة أن يتحرك المرجع في أنحاء العالم، وألّا يبقىٰ في موقعه بعيداً عنه. فلا بدّ للمرجع، تبعاً لظروفه الخاصة والمرحلة التي يعيش فيها، أن يطلّ علىٰ مواقع مرجعيته ليخاطب الناس ولينفتح عليهم

وليتحدث في شؤونهم. ولا ريب، أنّ هذا هو الذي يمكن أن يحقق للمرجعية حيويتها وحركيتها التي تكون بها عنصراً فاعلاً في حياة كلّ الناس الذين ينتمون إليها ويتبعون ويتخذون مواقف منها. ومن الطبيعي، أنّ الجوانب التنظيمية في هذه المؤسسة لا بدّ أن تخضع لتخطيط معين بحيث تتكامل كلّ المواقع في داخل الموقع الكبير. إن طبيعة تحديات العصر، وشمولية قضاياه، والأوضاع والمتغيرات التي تتحرك بين يوم وآخر، والحيرة التي يعيشها الناس فيما هو تكليفهم الشرعي في كلّ القضايا التي تتصل بحياتهم السياسية والاجتماعية، تحتاج إلى أن تخرج المرجعية من عزلتها، وأن يكون المرجع إنساناً منفتحاً علىٰ الإسلام كله، وعلى العالم كله بكل متغيراته التي تتحرك في ساحته لا بالثقافة فحسب، وإنما بالموقف أيضاً..

إن المرجعية تحتاج إلىٰ ذهنية واسعة سعة المسؤولية التي تتحرك فيها بعنوان كونها نيابة عن الإمام، ولا بدّ أن تنطلق من خلال مؤسسات تتحرك في نطاق المؤسسة الكبرىٰ. فالمرجعية يجب أن تضم الخبراء في سائر القضايا التي من الواجب أن يفترض التصدي لها، كما يجب أن تضم الدراسات التي تحتاج إليها. ولا بدّ أن تكون ممثليات المرجعية ممثليات قادرة علىٰ إيجاد الحضور الحيوي للمرجعية في هذا البلد أو ذاك. وهي في ذلك، يجب أن تكون مشابهة للمنظمات الاقليمية والدولية وما إلىٰ ذلك.

ونحن نلاحظ أنّ هناك نوعاً من أنواع التخطيط الدولي الذي يتحرك من خلال بعض المواقع الإسلامية ومن خلال بعض الدول التي تتبنى بعض المذاهب الإسلامية المضادة للتشيع.

نحن نلاحظ أنّ هناك حملة ضد الشيعة تصل حدّ التكفير، وهذه الحملة مربوطة بأخطبوط الاستعمار الدولي، وبالحراس السياسيين في الدول الإسلامية لحركة هذا الأخطبوط في الواقع الإسلامي.

إنّ من أول واجبات المرجعية مواجـهة هـذه الحـملة بـالوسائل العـصرية الحديثة التي لا تجعل المسألة مسألة انفعال، ولكنها مسألة تخطيط طويل الأمـد ينفتح على القضايا الفكرية المذهبية بما يتلاءم مع الأجواء الثقافية المعاصرة.

ومن الطبيعي إنّنا عندما نتحدث عن الواقع السياسي في العالم، فإننا لا بدّ أن ندرس في كل مرحلة ظروف المرجعية وقدراتها على تحريك الشارع الإسلامي في مسائل التحرر الداخلي والخارجي ومـدىٰ الإمكـانات التي تمـلكها في هـذا السبيل أو ذاك من خلال بعض النمـاذج التي عـاشتها المـرجـعيات السـابقة في إطلالتها على الواقع السياسي بنسبة معينة أو بنسبة كبيرة، ممـا يجـعل المسـألة السياسية مسؤوليتها بشكل وبآخر.

المرجع يجب أن يكون شخصاً منفتحاً على العالم كله من خلال انفتاح الإسلام على العالم، وشخصاً واعياً للأحداث يتابعها يومياً حتّىٰ في صغريات أمورها من خلال الدراسات والتقارير التي تقدّم له، أو من خلال الممارسة المباشرة لذلك.

الكوابح والعقبات أمام اطروحة المرجعية المؤسسة

الكوابح التقليدية:

هل أن إحداث نقلة في واقع المرجعية متيسر الآن أم دونه كوابح وعقبات؟

في الحقيقة، ربما كانت الظروف الموضوعية الحاضرة التي تمر بهـا المـرجـعية الشيعية، لا تحمل في طياتها إمكان حدوث انطلاقة لتجديد حركة المرجـعية في الشكل والمضمون والامتداد، بحيث تختزن في داخلها شمولية القيادة وحركيتها

وفاعليتها وامتدادها في كل موقع للإسلام فيه قضية وفكر وحركة وهدف.

ثم إنّ الاتجاه الفكري الشيعي في مضامينه الفقهية لا يزال يركز على مسألة الفقه والأصول في الصفة المميزة للمرجع الذي يكون في الدرجة العليا من هذا العلم.

أمّا مسألة الانتخاب والشورى الخاضعين للدراسة الواسعة، فإنها ليست واردة في الحساب. لأنك قد تصطدم بشخص أكثر علماً ولكنه لا يملك أبعاداً واسعة. وقد تملك شخصاً يمتلك أبعاداً واسعة، ولكنه لا يساوي الشخص الآخر في الدرجة نفسها من العلم.. أو لا يعتقد الآخرون فيه مثلما يعتقدون في الشخص الآخر، لو كانت له كفاءة واقعية في هذا المجال، لكن يبدو أن الساحة الشيعية، سواء علىٰ مستوى الحوزات العلمية أو علىٰ مستوى الواقع الشعبي، لا تملك واقعية عملية في هذا المجال.

لا ريب أن هناك تململاً كبيراً موجود في الحوزات العلمية، ناتج في مجمله عن وجود بعض العناصر السلبية في هذا المرجع أو ذاك، أو إلى إنكفاء المرجعيات غالباً عن حاجات العصر، وعن الإستجابة لكل علامات الاستفهام التي يثيرها العصر في تحدياته.

الصراع بين القديم والجديد:

وثمة موانع أخرىٰ في الواقع، تكمن فيما يمكن تسميته عرفاً بالصراع ما بين القديم والجديد. فمن الطبيعي أنّ هناك نوعاً من أنواع التراكم التاريخي الذي يجعل الناس يشعرون بقداسة التاريخ، وبقداسة الأشكال التاريخية، بحيث يصعب عليهم أن يتحولوا عنه بشكل سريع، لأن الإنسان العادي يحرص علىٰ أن يبقى التزامه الديني الذي يعتبره حالة أساسية في حياته محاطاً بالكثير من الاحتياطات التي تمنع من وجود أي خلل فيه.

ومن الطبيعي أنّ الإنسان في الواقع العام عندما يواجه الحالات الجديدة سواء كانت حالات ثقافية جديدة، أو حالات سياسية جديدة، في شخصية المرشحين للمرجعية قد يرتاح إليها، ولكنّه في الوقت نفسه قد لا يطمئن إليها، وهذا ما نلاحظه أنّ كثيراً من الناس المنفتحين فكرياً وسياسياً هم مستغرقون في الجانب التقليدي في المسألة العبادية، أو في بعض القضايا المنفتحة على الجانب التقليدي في المسألة الفقهية والاحتياطية.

ولذا فإن مسألة الصراع بين القديم والجديد مسألة طبيعية جداً، لأنّ للقديم قداسته في نظر الناس، ولكن تحرك الخط الجديد بطريقة متوازنة تحفظ له المعاني الروحية التي يختزنها الخط القديم، بحيث لا يجد الناس فيه ابتعاداً عن حالة الاحتياط في مواجهة القضايا الحادة مثلاً، هذا فضلاً عن استمرار ارتباط الخط الجديد بالمسيرة التاريخية للمرجعية، لا سيما في الجانب العلمي، بحيث يكون المرجع الجديد يتميز بعمق علمي لا يقل عن المرجع القديم مثلاً.. هكذا انطلاقة يمكن أن تعطي إيماناً للناس بذلك، وتاريخ مرجعيتنا المعاصر يسند وجهة النظر هذه، فهناك، مثلاً، مرجعية السيّد محسن الحكيم - قدّس سره - التي انفتحت على الواقع بطريقة لم يعرفها المراجع السابقون، فالسيّد الحكيم انطلق في مرجعيته بشكل واسع، والأمر عينه نجده في حركة مرجعية الشهيد السيّد الصدر، الذي لم يصل إلى المرجعية بمعناها الواسع، ولكن الكثير من المقلدين يرجعون إليه في التقليد مع وجود آخرين أقدم منه سناً، كما نلاحظ ذلك في مرجعية الإمام الخميني، فإنّ الكثيرين من الناس، الذي يعتبرون من المقدّسين حسب الاصطلاح المعروف، أو من المحتاطين، رجعوا إليه في التقليد وانطلقوا معه في حركته السياسية، لماذا ذلك لأن هذه الأسماء الثلاثة لم تبتعد عن الجانب الروحي في حركتها، وفي سيرتها ومسيرتها، وإطلالتها على واقع الناس، وانطلاقتها في خط الإسلام. كما أنها تملك قوة علمية فقهية أصولية لا يستطيع

معها أحد رميها بالسطحية وبالابتعاد عن الخط الأساسي في هذا المجال.

المرجعية المؤسسة في ضوء الاتجاهات الفقهية

تحدثنا في الحديث السابق عن كوابح أو موانع موضوعية قد تحيل دون دفع أطروحة المرجعية المؤسسة إلىٰ حيز التطبيق العملي، بيد أن ثمة مانعاً آخر، ومن نوع آخر، يمكن أن ينهض في وجه هذه الأطروحة. ويرتكز هذا المانع على ما تستبطنه أطروحة المرجعية الشاملة - أو المرجعية المؤسسة من القول بالولاية العامة للفقيه، في الوقت الذي يرى كثيرون من الفقهاء المجتهدين غير هذا الرأي. وهذا ما يفرض علينا إثارة هذه الأطروحة في ضوء الاتجاهات الفقهية ومحاولة تلمس المخارج العملية للإشكالات النظرية أو العملية التي يمكن أن تثار في الطريق.

وبادئ بدء نعرض لطبيعة الاشكالية في سبيل توضيح الاتجاهات والآراء الفقهية في هذا السياق، وتحديد الموقف المناسب منها، وجلاء إمكان إزالة ما يمكن أن تثيره من عقبات في وجه أطروحة المرجعية - المؤسسة. السؤال الذي لا بد من طرحه، والذي في ضوء الإجابة عليه، تتميز الاتجاهات الفقهية هو التالي:

هل تنحصر المرجعية الدينية - في نطاقها الشرعي - في الفتيا والقضاء، فليس للمرجع أن يتدخل في الشؤون العامة للناس من موقع الشرعية الملزمة التي يملكها في موقعه، بل يقتصر على شؤون الفتيا والقضاء، أو أنها تمثل المرجعية العامة التي تجعل منه مفتياً وقاضياً وحاكماً عاماً للناس، بحيث ينفذ حكمه في الأحكام والخصومات والموضوعات

ولاية الفقيه في الإطار الفقهي:

ولاية الفقيه هي من الموضوعات الفقهية التي أخذت حيزاً كبيراً من البحث

العلمي الفقهي لدى الفقهاء، منذ بدأ الفقه الإسلامي يتحرك ليحدد مسؤوليات الناس في حياتهم الخاصة والعامة، وليحدد السلطات التي منحها الله تعالى لبعض الناس على البعض الآخر.

هذا الموضوع جزء من بحث الولاية الذي يذكره الفقهاء عادةً في باب التجارة من الفقه، فيتناولون منه الأصل الذي يحكم علاقات الناس من حيث سلطة بعضهم علىٰ بعض، فيقولون: إن الأصل هو عدم سلطة أحد علىٰ أحد، فكل إنسان يملك السلطة علىٰ نفسه وشؤونه، وليس له سلطة علىٰ أحد، وعلىٰ ذلك فإن تصرف أي إنسان لا يكون في الأصل ملزماً لأي إنسان آخر من ناحية قانونية أو شرعية.

ولكن الفقهاء يضيفون إلىٰ ذلك قائلين: إن الله سبحانه وتعالىٰ جعل لبعض الناس سلطة على البعض الآخر، كولاية الأب والجد علىٰ غير البالغ، فللأب ولاية علىٰ ولده، وللجد ولاية علىٰ ابن ولده، لهم الولاية أن يتصرفوا في ماله ونفسه علىٰ أساس المصلحة، أو عدم المفسدة... فللأب أو الجد أن يزوج الطفل الصغير أو الطفلة الصغيرة في نطاق المصلحة أو عدم المفسدة. كما يذكر الفقهاء ولاية الأب أو الجد على المجنون الذي يمتد جنونه إلىٰ ما بعد البلوغ...

ثم ينسحب حديثهم إلىٰ ولاية النبي ﷺ فيقولون: إن الله جعل لنبيه الولاية على الناس كلهم، بالإضافة إلىٰ دوره كنبي أو رسول،... وولاية النبي على كل أمور الناس، هذا ما تقرره الآية الكريمة: **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**

(سورة الأحزاب /الآية ٦)

إن ما تشير إليه هذه الآية: أن النبي يلي من المؤمنين ما يلونه من أنفسهم، فلو أراد النبي أن يتصرف بحياة إنسان ما، وأراد هذا الإنسان أن يتصرف تصرفاً آخر، فالنبي أولى به من نفسه...

هذه الآية ركزت علىٰ حاكمية الرسول، فدوره ليس فقط دور الرسالة والإرشاد والإبلاغْ، بل له دور آخر، هو دور الحاكمية على الناس.

وبعد ذلك -كما هو خط التفكير الإمامي الذي يسير عليه آل البيت عليهم السلام - جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الولاية -بأمر من الله - لعلي عليه السلام انطلاقاً من الآية التي نزلت عليه يوم الغدير:

﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (سورة المائدة/الآية ٦٧)

وما ترويه أحاديث السنة والشيعة، خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المؤمنين في غدير خم:

(ألست أولىٰ بكم من أنفسكم).

قالوا: اللهم بلىٰ...

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم اشهد... من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه...).

ويفسر علماء أهل البيت كلمة (المولىٰ) بـ(الأولىٰ)، بقرينة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألست أولىٰ بكم من أنفسكم... فكأنه قال: من كنت أولىٰ به من نفسه، فعليٌّ أولى به من نفسه.. وبذلك أثبت الولاية بمعنى الحاكمية لعلي عليه السلام

ثم جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام لتؤكد أن هذه الحاكمية انتقلت من نص إمام إلىٰ إمام، بتعليمات من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتّىٰ أكملت السلسلة الثانية عشرة، ووصلت النوبة إلىٰ الإمام الحجة (عج).

إذاً، الفكرة تقول: إن الولاية بمعنى الحاكمية، أو السلطة على الناس كلهم، ثابتة لأئمة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي الآن من شأن الإمام الحجة (عج).

لمن الولاية بعد الغيبة...

بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام تطرح الأسئلة التالية:

- لمن الولاية...
- هل جُعلت لفرد يتمتع بصفات محددة...
- هل الولاية لجماعة يملكون مؤهلات وصفات معينة...

تعرض الفقهاء السابقون والمحدثون للإجابة علىٰ هذه الأسئلة، وكانت لهم مواقف نذكر منها:

أ - الولاية علىٰ أساس الشورىٰ:

هناك نظرية تقول: إن الولاية، بعد أو في زمان الغيبة، هي للمسلمين على أساس الشورىٰ فيما بينهم، فللمسلمين الحق في أن يتجمعوا ويتباحثوا ويتشاوروا في كل شأن من شؤونهم الخاصة والعامة، ليعملوا في نهاية الأمر وفق ما ينبثق عن نتائج الشورىٰ.

وينطلق هؤلاء في رأيهم هذا من عدة أدلة، منها: إن الله سبحانه وتعالى يخاطب الناس في كثير من آياته: يا أيها الناس... يا أيها الذين أمنوا... قل للمؤمنين... ومن هذا الخطاب المتكرر يستفيد بعض الفقهاء: إن الله تعالىٰ جعل الأمة مسؤولة عن الحياة، عن شؤونها التشريعية والتطبيقية. فالخطاب جاء بشكل عام، ولم يوجه إلىٰ جهة خاصة، وذلك دليل - في رأيهم - على أن مرجع الأمور هو الأمة، فهي التي تحدد بوسائلها الخاصة: الحاكم وطبيعة الحكم، وكل القضايا التي تتصل بالمصلحة العامة.

وهناك دليل آخر يعتمدون عليه، وهو ما ورد من خطاب الله لرسوله في

الآية: ﴿وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله﴾[١].

فالرسول ﷺ لا يحتاج إلىٰ مشورة، فهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى... ومع ذلك أمره الله أن يشاور الناس للإيحاء بأن الشورىٰ هي خط من الخطوط العملية العامة التي يريد الله للأمة أن تتحرك فيها... حتّى الرسول ﷺ حينما يريد أن يتحرك في أي أمر من أمور السلم أو الحرب، لا بد له من مشاورة الأمة.

أيضاً هناك دليل ثالث يستدلون به علىٰ أن الشورىٰ هي الأساس الذي يرتكز عليه الحكم في الإسلام: فالله تعالى حينما يصف خلق المسلمين وطبيعة المجتمع الإسلامي يقول: ﴿وأمرهم شورىٰ بينهم﴾[٢].

يعني أن أمر المسلمين في كل ما يبتلون فيه من أمور، وما يختلفون فيه من شؤون، يرتكز علىٰ أساس الشورىٰ، طابع حياتهم الشورىٰ، إنهم يتشاورون، ولا يتجاوزون رأي الآخرين، ولا يستبدون بأي موقف دون الباقين.

هذا الرأي هو الذي يستقر به صاحب تفسير الميزان المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي – رحمة الله عليه –، وكان الشهيد السعيد آية الله – السيد محمد باقر الصدر (ره) – يستقر به أيضاً في بدايات حياته الاجتهادية، وإن انتهىٰ بعد ذلك إلى القول بولاية الفقيه.

ولكن هذا الرأي يناقشه كثير من الفقهاء ويقولون: إن الآيات التي تخاطب المؤمنين كافة ليست في مقام جعل الولاية للمؤمنين، ولكنها في مقام بيان تكاليفهم ومسؤولياتهم، كل إنسان بحسب دوره وظروفه. إنها آيات لبيان الأحكام الشرعية، لا لبيان الولاية والسلطة. وكذلك الأمر بالنسبة للشورىٰ،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الشورىٰ، الآية ٣٨.

سواء كانت في خطاب لرسول الله ﷺ، أو في بيان سمة المجتمع الإسلامي، الشورىٰ هذه، إنما يراد بها إعطاء المسلمين جواً من أن يتداولوا في أمورهم وليست في مقام جعل الولاية والسلطة.

طبعاً، لسنا هنا في مقام تحليل الأدلة الاجتهادية بشكل مفصل، لأن ذلك يحتاج إلىٰ وقت طويل، وثقافة فقهية، لكننا في مقام الإشارة إلى ذلك فقط.

وهنا لا بد من الإشارة أيضاً، إن اتجاه الشورىٰ يتبناه المسلمون من أهل السنّة، إذ يرون أن الشورىٰ هي أساس الحكم من البداية وحتّىٰ الآن، بينما نرىٰ نحن أن خط الإمامة هو أساس الحكم، بينما الشورىٰ - لمن يراها من علماء الشيعة - هي في زمان الغيبة فقط.

ب - الحكم علىٰ أساس ولاية الفقيه:

وهناك اتجاه آخر في فهم طبيعة الحكم في الإسلام هو الحكم على أساس ولاية الفقيه، والمجتهدون اختلفوا فيها بين السعة والضيق، وهنا يمكن رصد اتجاهات فقهية ثلاثة:

الاتجاه الأول: الولاية العامة: يذهب هذا الإتجاه إلىٰ أن الفقيه هو نائب الإمام - في النظرية الشيعية الإمامية - فهو يملك من السلطات ما يملكه الإمام - إلا ما ثبت اختصاصه بالإمام - فله حق الفتيا في القضايا الشرعية، وللعوام ان يقلّدوه في ذلك، وله حق القضاء بين الناس، فلهم الرجوع إليه في خصوماتهم، وعليهم الالتزام بحكمه حتّىٰ لو كانوا من الفقهاء الذين يختلف رأيهم الفقهي عن رأيه.

وله حق الولاية على الناس، فيجب عليهم الالتزام بكل أحكامه في شؤونهم العامة والخاصة التي تتحرك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السلطة الحاكمة التي تدير شؤون البلاد والعباد، وهذا هو المعروف بولاية الفقيه. وأصحاب هذا الاتجاه يلخصون استدلالهم علىٰ قولهم بالولاية العامة بما يلي:

إن الله سبحانه وتعالىٰ أنزل الشريعة على الناس لتبقىٰ وتنفذ وتطبق وتتحرك في حياة الناس. فإذا قلنا: إن الولاية تنتهي بغياب الإمام الحجة (عج)، ولا تبق هناك ولاية لأحد: فمن الذي يدير شؤون الناس العامة في الحياة..

- ومن الذي يطبق أحكام الله... وفي أحكام الله جوانب كثيرة لا يمكن أن يقوم بها الأفراد من قبل أنفسهم، لأنها قضايا تمس الجانب العام من حياتهم.

فلا بد - إذن - أن يلي أمور الناس شخص أو أشخاص باستطاعتهم تحقيق الأهداف التي تريدها الشريعة التي رسمها الله تعالى لحياة الناس.

- ومن يكون الشخص المؤهل لإدارة الناس هذه

ان الشخص المؤهل لتطبيق الشريعة، وتركيز مفاهيمها وتحريكها بشكل أمين في حياة الناس إنما هو العارف بعلوم الشريعة، الذي يملك الملكة القدسية من العدالة وتقوىٰ الله سبحانه، والذي يملك نفاذ البصيرة في الأمور بالطريقة التي يستطيع من خلالها أن يثير الخطة، ليكفل للناس الوصول إلىٰ الأهداف المقررة من قبل الله سبحانه وتعالىٰ.

إذن يؤكد هؤلاء الفقهاء: إن طبيعة الشريعة الإسلامية وشموليتها، وحاجة القضايا العامة في الشريعة للإدارة والولاية... تحتم وجود ولي للأمر يوجه ويحكم... وإذا دار الأمر بين الفقيه وغيره، فالفقيه مقدم، لأنه القدر المتيقن ممن يكون له الولاية. ويمكن أن نوضح ذلك بالمثل التالي: في حالات الحرب قد تحتاج الأمة إلىٰ فرض ضرائب معينة، فمن الذي يفرض هذه الضرائب ويعطيها شرعية... ليس هناك إلا الفقيه الذي تتجاوز ولايته سلطة الناس علىٰ أنفسهم.

ومثل آخر: إذا أردنا أن نفتح طريقاً، ويستوجب ذلك امتلاك بعض البيوت وهدمها وأخذ بعض الأراضي دون إذن أصحابها، فمن الذي يقوم بمثل هذا الأمر.

إذا لاحظنا الأحكام الفردية، فإنها تقضي ألا يصح التصرف بمال امرئ مسلم

إلا بإذنه، وإذا لم تكن هناك ولاية عامة لشؤون المسلمين، فإن ذلك سيؤدي إلىٰ تجميد كل حركات شق الطرق، وكل الأمور العامة التي لابد فيها من الضغط على الناس والأفراد.

علىٰ هذا الأساس يرىٰ هؤلاء الفقهاء: أنه لا يمكن أن تُدار حياة الناس إلا من خلال وليّ يدير أمور الناس، ولا يكون هذا الولي إلا العادل العارف بشؤون الشريعة والناس.

يناقش هؤلاء من يضيقون دائرة ولاية الفقيه، فيقولون لهم: إنكم ترون أن الفقيه ولي على إدارة شؤون الأطفال والمجانين والسفهاء والأوقاف العامة، والأموال التي ليس لها وليّ معين... فلماذا للفقيه الولاية في هذه الأمور خاصة دون غيرها..

فكما أن الله تعالىٰ لا يرضىٰ أن تضيع حقوق ومصالح الأطفال والسفهاء والمجانين، فبالأولىٰ أن لا يرضىٰ بأن تضيع حقوق الأمة كلها... وعلىٰ هذا يمكن الوصول إلى النتيجة التالية:

إن الله تعالى الذي جعل الولاية للفقيه في حفظ ورعاية حقوق هؤلاء الأطفال والسفهاء والمجانين... جعل له أيضاً الولاية علىٰ الأمة التي تحتاج إلى من يرعى مصالحها ويدير شؤونها.

الاتجاه الثاني: الولاية الخاصة: يرىٰ هذا الاتجاه أنّ الفقيه يملك سلطة الفتيا والقضاء، ويملك إصدار الأحكام في الموضوعات العامة أو الخاصة فينفذ حكمه فيها، كما ينفذ حكمه في القضايا الشرعية.. ولكنه لا يملك الولاية العامة، فيكون موقع حكمه في الموضوعات التي قد تحتاج الأمة إلى إثباتها بحكم الحاكم كالهلال ونحوه، كما هو موقع حكمه في باب القضاء فينفذ على الناس جميعاً سواء أكانوا مجتهدين أم مقلّدين، وهذا هو المعروف بحجية حكم الحاكم في الموضوعات.

الاتجاه الثالث: الولاية الجزئية: هذا الاتجاه يسلب من المجتهد سلطة إصدار الأحكام في الموضوعات، فليس له الحق في ذلك، ولا يجب على الناس إطاعته فيها، فلو أصدر حكماً في ثبوت هلال شهر رمضان، فلا يجب على الناس - حتّى المقلّدين منهم له - الصيام، لأنّ حكمه ليس حجة عليهم، إلا إذا أوجب لهم الاطمئنان الذاتي.

إننا نلاحظ في هذا الاتجاه الأخير - اقتصار دور المرجعية على الفتيا والقضاء - فلا تتعداه إلىٰ غيرهما إلا في دائرة الولاية على شؤون القاصرين والغائبين وبعض الموارد الخاصة كالأوقاف ونحوها، مما يدخل في دائرة الأمور الحسبية التي نقطع بأن الله لا يرضى بضياعها، بل يريد للناس كلهم أن يقوموا بها بنحو خاص. وربما جعل بعض الفقهاء الذين يلتزمون هذا الاتجاه، الولاية للفقيه علىٰ إقامة الحدود بين الناس ليكون موسّعاً لمركز القضاء، فيكون له السلطة على الجانب التنفيذي بالإضافة إلىٰ سلطة إصدار الأحكام.

وفي ضوء ذلك لا مجال للمرجعية الدينية العامة في موقع المجتهد، حتّىٰ لو كان يملك المرجعية في التقليد، فليس له التدخل في الشؤون العامة للناس، من موقعه المرجعي، بل يكون رأيه مجرد رأي شخصي، كبقية الآراء الصادرة عن الآخرين الذين لا يملكون أي موقع ديني عام، فللناس أن يقبلوه أو أن يرفضوه، تبعاً لما تفرضه قناعاتهم من ذلك.

أمّا في الاتجاه الثاني، فقد نجد له موقعاً أكثر فاعليّة في الشؤون المتصلة بحياة الناس، لكن ذلك يبقىٰ في دائرة الموضوعات التي تحتاج إلى الإثبات - في غير باب الخصومات - مما يملك فيه الحاكم الشرعي وسائل ثبوته.. فلا يتعداه إلى التدخل في شؤون الناس من موقع السلطة العامة التي تفرض عليهم التزاماً سياسياً أو اجتماعياً أو عسكرياً، فيما لا يقتنعون به أو يرفضونه، وفي ضوء ذلك فإن مرجعيته تتصل بدائرة حجية رأيه في الإثبات في الموضوعات العامة، فلا

تقتصر علىٰ جانب الحجية في الإثبات في باب القضاء.

ويبقىٰ الاتجاه الأول هو الاتجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلامياً عامّاً، إذا كان مؤهّلاً للتقليد جامعاً لشروطه، لأنه يمثّل القيادة الإسلامية التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواءً كان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متسعةً لكل ما تتّسع له ولاية النبي والإمام في صفة الحاكمية، أو التي تجعل لها حدوداً ضيّقةً تختلف عنهما في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصية النبوة والإمامة بعض المميّزات في ذلك كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الابتدائي.

وفي هذا الإتجاه يمكن للمجتهد الفقيه أن يعمل على التحرك في الأمور العامّة خارج نطاق الدولة في المناطق التي لا يحكمها الإسلام في شريعته الشاملة، كما يعمل على التخطيط لبناء الدولة بكل الوسائل الشرعية المطروحة بين يديه، فيكون قائداً في الحرب وحاكماً في السلم ومرجعاً في الأمور الجزئية والكلية التي تحتاج إلىٰ قرار شرعيّ حاسمٍ.

أما في الاتجاهين الثاني والثالث، فقد يمكن للأمة أن ترجع إليه في غير دائرة الإلزام، فيما قد تحتاجه من الموقع الذي يملك الاحترام والخضوع الروحي والثقة الدينية مما يحصل عليه المجتهد المقلّد من خلال رجوع الناس إليه في التقليد، حيث يملك من إمكانات التأثير ما لا يملكه غيره من الفعاليات السياسية أو الاجتماعية فيمكن له أن يتحرّك في الظروف الصعبة التي تحتاج فيها الحركة إلى الرمز الذي يوحّد الأمة، ويحرّك مواقعها على الطريقة الشرعية فيما تفرضه الوقائع من مجريات الأحكام، ولن يكون قراره في إصدار التعليمات السياسية أو العسكرية نافذاً من حيث هو قرار قيادي ملزم، بل من حيث هو كاشف عن شرعية التحرّك في تحديده للتكليف الشرعي، فيما يمكن للمكلّف أن يستقل فيه بشكل فردي او جماعي، تبعاً للدائرة التي يتحرّك فيها هذا التكليف، أو من حيث

هو مبيّن للمصلحة العامة الملزمة التي قد تفرض حكماً شرعياً ملزماً على أساس العناوين الثانوية.

الفقيه وتحديد المصلحة العامة:

وربما تفرض المصلحة العامة قيادة الفقيه في بعض المواقع أو المواقف على أساس الظروف الطارئة الدقيقة التي تمر بالمسلمين فيما يواجهونه من التحديات السياسية والعسكرية في ساحة الصراع، بحيث ترتبط المسألة بالقضايا المصيرية التي لا يمكن أن تترك في منطقة الفراغ القيادي، فيدور الأمر بين قيادة الفقيه العادل الذي يملك تقوى القرار، كما يملك تقوى التنفيذ من خلال معرفته بحدود الله، وخوفه من الله، لا سيّما في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وبين قيادة غيره الذي لا يملك ما يملكه الفقيه من ذلك، أو لا يصل إلىٰ مستواه في كل الأمور إذا كان يشاركه في بعضها.. وحينئذ يطرح الأصوليون حكم العقل القطعي بتعيين الفقيه للقيادة لدوران الأمر بين التعيين أو التخيير، لأنّ الضرورة التي تفرض وجود القيادة تفرض براءة الذمة بالسير مع الفقيه في قيادته لأنه طرف من دائرة التخيير، ومتعين في احتمالات التعيين.. بينما لا تفرض براءة الذمة مع غيره على كل حال.

ولعل هذا التخريج للمسألة، يطرح الحل في قيادة الفقيه للدولة بعد قيامها، حتىٰ لو لم يجد لنفسه الولاية على الناس بالنظرة الأولية فيما هو الحكم الشرعي الأولي، لأنّه يجد نفسه ملزماً بالقيام بهذه المهمة في نطاق الظروف التي تتحرك في حجم الضرورة بالنظرة الثانوية فيما هو الحكم الشرعي الثانوي.

ويبقىٰ للفقيه أن يحدد الضرورة الملزمة من خلال خبرته أو خبرة الآخرين الذين يملكون عمق المعرفة للمصالح العامة للمسلمين ليتحرك علىٰ هذا الأساس.

وربما كانت مشكلة الكثيرين من الفقهاء، أنهم يعيشون في عزلة عن حركة

الواقع الإسلامي، في القضايا السياسية، فلا يستشعرون الأخطار التي تحيط بالمسلمين في بعض الظروف الصعبة التي تهدد الإسلام في الصميم في وجوده الفكري والتشريعي حتىٰ على مستوى الأفراد، أو تهدد المسلمين في قضاياهم المصيرية في خط الحرية والعدالة، بالمستوى الذي يفرض على العلماء الفقهاء أن يتحركوا ليحركوا الأمة حسب الطاقات التي يملكونها.

وربما يحيط بعضهم في دائرة المرجعية، بعض الأصحاب والمستشارين الذين لا يؤمنون بالتحرك الفاعل، لا سيما إذا كان يؤدي إلىٰ بعض الأخطار علىٰ نظرة بعض القواعد الشعبية أو الرسمية للمرجعية بطريقةٍ سلبية، لأن مثل هؤلاء قد يستغرقون في مصلحة نجاح المرجعية من ناحية ذاتية، أكثر مما يستغرقون في نجاح الإسلام من خلال مواقعها العامة. فيحجبون عن المرجع المقلّد كثيراً من المعلومات الضرورية التي توضح الرؤية بشكل جيّد، أو يمنعون الجهات الفاعلة الواعية التي يمكن أن تعرفه غوامض القضايا ودقائق الأمور.

وقد يهولون عليه الوضع بحيث يشعر بعدم القدرة علىٰ مواجهة المشاكل، ويصل إلىٰ بعض القناعات التي قد يجد فيها المفسدة في التحرك غالبةً على المصلحة، ليكون الحكم الشرعي في نطاق المنع لا الرخصة..

وقد يقودونه إلى التحرك في الاتجاه الآخر المضاد الذي فرض نفسه ودوره على الواقع من خلال قوة الظلم وأجهزة الاستكبار.. وذلك من خلال الفكرة القائلة بأن على الناس مجاملة الظالم والانسجام معه في حكمه في المجالات التي لا يستطيع الناس فيها أن يعارضوه أو يسقطوه، لأن في ذلك حفاظاً على مصالح الناس العامة والخاصة التي قد تضيع في خط المقاطعة أو المواجهة.

الفقيه ومعرفة الواقع:

بعيداً عن الإطار النظري الفقهي لمسألة ولاية الفقيه، فإن النقطة التي نحب

إثارتها في هذا المجال، هي أن موقع الفقيه، لا سيما إذا كان مرجعاً فيما هي المرجعيات الصغيرة أو الكبيرة، يمثل الموقع المتقدّم في حياة الأمة، حيث تجد فيه الشخص الذي تمثل كلمته أو حركته الموقف الشرعي المبرئ للذمة أمام الله.

ولذلك فإنّ إيجابيته أو سلبيته تجاه القضايا العامة تترك تأثيرها الإيجابي والسلبي على مجمل النتائج العلمية.. حتى لو كان لا يرىٰ لنفسه الصلاحية الشرعية في ولاية أمور المسلمين في مثل هذه القضايا، لأنه لا يرىٰ حكم الحاكم في الموضوعات، أو لأنه لا يرىٰ ولاية الفقيه العامة.. لأن المسألة تتصل بالمستوى الواقعي لموقعه الديني في تأثيره الاجتماعي أو السياسي.

وفي ضوء ذلك، فإنّنا لا نتحدث عن ضغوط يمارسها العاملون، بل نتحدّث عن انفتاح على الواقع كلّه من أجل التدقيق في الموضوعات الواقعية التي قد تختزن المصلحة الملزمة أو العناوين المختلفة عن الطبائع الذاتية للأشياء فتحدد له تكليفه في مواقفه، كما تحدّد للناس مواقعهم في هذا التكليف.

وإذا كان بعض الناس يجد أن مهمّة الفقيه الاجتهادية لا تتدخل في الموضوعات، بل تقتصر على التدّخل في الأحكام، فإننا نشير إلى حقيقة مهمّة، وهي أن بعض القضايا المصيرية قد تفرض التكليف من جهة أخرىٰ، وهي الأهمية الكبرى التي يتوقف عليها حفظ النفوس والأموال والأعراض، بحيث لا يكون اهمالها والابتعاد عن النظر فيها عذراً شرعياً علىٰ كل حال.

وربما كانت هذه الأمور تمثّل تكليف الإنسان المسلم بقطع النظر عن صفته العلمية أو السياسية أو الاجتماعية إلّا بمقدار ما يكون للصفة من دور في حجم التأثير في الموقف.. وربّما كانت بعض هذه الأمور خاضعةً لعنوان الاهتمام بأمور المسلمين من الناحية الفكرية أو العملية، أو لعنوان الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم من الكافرين والمستكبرين.

ولكننا نتحدّث عن حيوية المرجعية في تطلّعاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، وحركيتها الفاعلة في حجم الظروف الواقعية المحيطة بها.. بحيث تبقى في انفتاح دائم على كل الأوضاع والمتغيّرات ونقاط الضعف في الواقع الإسلامي كلّه، ممّا يعطي المرجعية دوراً كبيراً يملأ فراغ الأمة في القيادة، فإنّ بعض المواقف التي تفقد عنصر الإلزام للفقيه، لا تفقد عنصر الرجحان الذي قد يقترب في بعض ظروفه من خط الإلزام.

وقد يكون للبعد عن مواقع المسؤولية الحركية الفاعلة، تأثير سلبي كبير، لأنّ الفراغ القيادي سوف يملؤه الكافرون والظالمون والجاهلون، كما أنّ الفراغ الحركي، سوف تسيطر عليه الحركات غير الإسلامية.. وهذا هو الذي جعل الساحة الإسلامية خاضعةً للقيادات السياسية الكافرة أو المنحرفة، وللحركات الضالة أو المنحرفة أو الكافرة، فإنّ طبيعة الأشياء تفرض على الواقع أن الحياة لا تتحمّل الفراغ، فإذا لم يملأ العالمون الفراغ فسيملؤه الجاهلون.. وإذا لم تنطلق القيادة من مواقع الهدىٰ فسوف تنطلق من مواقع الضلال.

إنّ الواقع الإسلامي، في خطورته المصيرية، لا يقف عند النظريات الفقهية المحدودة، بل يتحرّك في النظريات البديلة في نطاق العناوين الجديدة التي تحفل بها حركة الحياة في كل زمان ومكان.

ويبقىٰ ما يجب لفت الإنتباه إليه هنا، هو أن قضية ولاية الفقيه شأن فقهي، ينطلق فيه الفقهاء علىٰ أساس الأدلة الاجتهادية المستوحاة من الكتاب والسنة، وفي هذا الإطار تتفاوت وجهات نظر المجتهدين كما رأينا.

والمهم، أننا في الوقت الذي نتبنى فيه - من ناحية إجتهادية - نظرية ولاية الفقيه، علينا أن نفهم طبيعة المبدأ، المبدأ هو الحكم الشرعي الذي لا يستطيع أن يؤكده أو يرفضه إلا أهل الاختصاص في الأحكام الشرعية، ولا يجوز أن يمارس بطريقة انفعالية أو حماسية أو استعراضية، فالقضية تخضع لأسس علمية

واجتهادية وفقهية.

المرجعية – المؤسسة وإشكالية ثنائية المرجعية والولاية

وفي سياق أطروحة المرجعية – المؤسسة قد يثار إشكال من نوع آخر.

ذلك، أن أطروحة المرجعية – المؤسسة توحّد ما بين المرجعية والولاية، بحيث ترىٰ في المرجع ولياً، أو ترىٰ في أن يكون الولي هو المرجع، وهذا الطرح من شأنه أن يواجه اعتراضات، لا سيما من قبل الإتجاه الفقهي الذي لا يقول بالولاية العامة للفقيه.

فكيف يمكن، والحال هكذا، التصدي لمثل هذه الإشكالات في ضوء أطروحتنا الخاصة بالمرجعية – المؤسسة.

نتوقف ابتداءً عند طبيعة المضمون الفقهي لنقاط الخلاف، عارضين لها وصولاً إلىٰ طرح تصورنا الخاص بالمخارج الممكنة أو المقترحة.

أولاً: الحل الظرفي يكمن في العناوين الثانوية والعامة:

عندما تكون هناك مرجعية وولاية قد يحصل هناك بعض المشاكل في هذا المجال، كالتصدّي لموضوعات مشتركة، وهنا يدور جدلٌ فقهي هل يجوز لمجتهد أن يتصدّ له مجتهد آخر، ويتحرّك هذا الجدل في كتاب القضاء، عندما يقوم قاض بالنظر في مسألة، فهل يجوز لقاض آخر أن ينظر فيها في أثناء نظره أو لا، هذا جدل فقهي. وقد تختلف المسألة في الحكم الشرعي، نرىٰ أنّ مجتهداً ما يجد الجهاد واجباً في حال الغيبة، في حين لا يجده مجتهد آخر واجباً مثلاً، وهنا قد يختلف الولي الفقيه مع المرجع.

عندما يكون المرجع شخصاً ويكون الولي الفقيه شخصاً آخر، فإنه من الطبيعة أن تكون هذه التعددية سبباً لأكثرمن مشكلة، لأن هناك قضايا قد

يختلف فيها المرجع في فتواه عن رأي الولي في حركته.

مثلاً، ربما يرىٰ بعض المراجع أن الجهاد غير مشروع في غيبة الإمام، أو يرىٰ أن العمل من أجل اقامة دولة إسلامية في بلد ما بحيث يحصل من ذلك سفك للدماء، وإرباك للواقع الإقتصادي والإجتماعي للأمة محرم. ولكن الولي الفقيه يرىٰ ضرورة الجهاد ويدفع إليه، أو يرىٰ ضرورة إقامة الدولة الإسلامية في هذا البلد الإسلامي أو ذاك ويبعث نحوه.

في مثل هذه الحالة قد يعيش الناس الذين يلتزمون بهذا المرجع، ويلتزمون بولاية هذا الولي، مشكلة الإزدواجية بالأنتماء للمرجع فتوائياً والانتماء للولي حركياً.

في مثل هذه الحالة، ربما يرىٰ هذا المرجع في مسألة الولاية ولاية مطلقة للفقيه المتصدي، فإذا لم يكن متصدياً فمن الطبيعي أن يدعم ولاية الولي الفقيه إذا توفرت فيه شروط الولاية من وجهة نظره انسجاماً مع رأيه، ولا بد من أن يدفع الناس إلىٰ طاعته، وبذلك يكون تحرك الولي في خط الولاية نافذاً شرعاً لا من الناحية الفتوائية، بل من ناحية أن حكم الولي نافذ وتحركه شرعي، تماماً كما هي فتوى المجتهد الذي يختلف مع مجتهد آخر في النظرية الفقهية التي يقضي به المجتهد الآخر في مسألة دعوىٰ بين إثنين، فإن اختلافه معه في الفتوىٰ لا يجيز له أن يرفض حكمه في القضاء. في هذا الحالة تكون مسألة حركة الولي في ولايته كحركة القاضي في قضائه، مما يجب على مَنْ يرىٰ ولاية الفقيه أن يطيعه.

أما إذا كان هذا المرجع لا يرىٰ ولاية الفقيه، ولكنه يرىٰ أن حكم الحاكم في الموضوعات وفي الأمور العامة المتعلقة بالموضوعات نافذ، فإنه في مثل هذه الحالة لا بد من إمضاء حكمه في هذا الموضوع أو ذاك، حتّىٰ لو لم يتفق معه في هذا الحكم. لا من باب الولاية، ولكن من باب أن المجتهد إذا حكم بحكم فلا بد لمجتهد آخر من تنفيذ حكمه. فلو حكم مجتهد في البداية، ولم ينكشف خطأه عند مجتهد

آخر، فإن عليه أن يمضي حكمه.

وربما تبقىٰ بعض المسائل التي تتصل بقضية النظرية، والتي ربّما تكون الفتوىٰ فيها علىٰ خلاف فتوى الولي، مما قد يجعل المرجع يرىٰ أن الولي يرتكب حراماً وأن حكمه في هذا المجال تماماً كما لو حكم في أمر حرام، فإنه في هذه الحالة لا ينفذ حكم الحاكم، لأن حكم الحاكم إنما ينفذ إذا كان مشروعاً أما إذا كان متعلقه حراماً فلا ينفذ لذلك. لا بد في مثل هذه القضية من دراسة العناوين العامة التي يمكن تطبيقها علىٰ حركة الولي الفقيه، مما يتنافى من خلال الخط العام مع رأي المرجع بالبحث عن عناوين ثانوية، تجعل هذا الأمر الذي حكم به الولي واجباً أو جائزاً للعنوان الثانوي، إذا لم يكن جائزاً للعنوان الأولي، مما يعني وجوب إطاعة الولي الفقيه، لكن ليس من باب الولاية، ولا من باب حكمه، ولكن من باب أن ما أمر به يمثل مصلحة إسلامية عليا، التي لو أدركها المرجع لحكم بها. لأن العناوين الثانوية تغير الموضوعات فتتغير الأحكام الثابتة لها بعناوين أولية.

أما إذا كان المرجع لا يرىٰ ولاية الفقيه العامة، ولا يرىٰ أن حكم الحاكم في الموضوعات نافذ، كما كان عليه المرحوم آية الله الخوئي رحمه الله، فقد كان لا يرىٰ ولاية الفقيه العامة، كما كان لا يرىٰ أن حكم الحاكم نافذ في الموضوعات، في هذه الحالة يتوقف الإنسجام الشعبي لمن يقلّد هذا المرجع مع ولاية الولي بالبحث عن عناوين عامة يمكن أن تنطبق على الموضوعات التي حكم فيها الولي الفقيه الحاكم، فيكون سير التدين للمرجع مع خط ولاية الفقيه من ناحية عملية منسجماً مع الحكم الشرعي.

أتصور أن القضية لا بد أن تعيش في هذه الاحتمالات تبعاً لاختلاف المباني الفقهية في المسألة.

إننا نتكلم في القضية من ناحية المبدأ، وفي التفاصيل كما يمكن أن يختلف الولي الواحد مع المرجع، فقد يختلف أكثر من ولي في ساحته مع المرجع، ولا بد أن

تعطي كل ساحة عناوينها التي تنسجم مع شرعية العلم أو الفقيه.

ولكن ماذا لو اختلف الولي مع الولي الآخر؟

لا بدّ لنا من أن نبحث عن حل هذه المسألة من خلال دخول فئة من خبراء الأمة الذين يحاولون أن يحلوا هذا الإختلاف علىٰ أساس إدارة الحوار حوله وما إلىٰ ذلك، أو تخفيف السلبيات التي قد تنتج عنه فيما لو لم يتفق الوليان كلّ في ساحته، كما قد يحصل خلافٌ بين المجتهدين نتيجة عدم قناعة أحدهما بالحيثيات التي استند إليها الآخر بحيث يعرف خطأه، أو أن هذا المجتهد لا يرىٰ تمامية شروط الحاكمية في المجتهد الآخر، كأن يشكك في اجتهاده أو في عدالته، أو أنه يرىٰ أن حكم الحاكم نافذ بالنسبة له.

وقد يكون شيء ما حلالاً في نظر مجتهد وحراماً في نظر مجتهد آخر كما في الجهاد، قد يرىٰ مجتهد أن الجهاد حرام إذا كان يشتمل علىٰ بعض الأخطاء، وكما نلاحظ مسألة إقامة الدولة الإسلامية، فالإمام الخميني كان يرىٰ وجوب إقامة الدولة الإسلامية حتّىٰ لو أدّىٰ ذلك إلى إزهاق النفوس وإسالة الدماء، بينما يرىٰ بعض العلماء أنه يحرم السعي لإقامة الدولة الإسلامية إذا كان ذلك مؤدياً لسفك الدماء أو إرباك الواقع العام للناس مثلاً.

وهكذا نلاحظ أن هناك بعض الآراء المختلفة التي ترىٰ حرمة إقامة دول إسلامية في زمن الإمام الغائب، لأن كل راية قبل القائم راية ضلال، بينما يرىٰ بعض الناس وجوب أو جواز ذلك.

ففي مثل هذه الحال لو تبنى الولي الفقيه مثلاً، كالإمام الخميني، الجهاد وأطلقه حركياً، وكان الفقهاء الآخرون، الذين يقلدهم جماعة من الناس، يرون حرمة ذلك، فإن القضية، في مثل هذا، لا بد من أن تدرس، ايجابياً، بالبحث عن عناوين ثانوية تجعل الجهاد معنوناً بعنوان ينطبق عليه حكم الجواز أو حكم

الوجوب علىٰ طريقة العناوين الثانوية، وإلّا ففي دائرة العناوين الأولية التي يختلف فيها المقلد والولي، لا بد من أن يتجمد المقلدون عند حكم المجتهد، وهنا تنشأ المشكلة الحادة في إرباك الواقع الإسلامي.

الحل الجذري بوحدة المرجعية والولاية:

في مطلق الأحوال، إننا عندما نتحدّث عن التعددية، فإننا نتحدّث عن النظرية الفقهية التقليدية التي تُعطي للمرجعية شروطاً أخرىٰ، مما يجعل شخصية تاريخية إسلامية عظيمة كالإمام الخميني يشعر بمسؤوليته أن يؤكّد، وهو الذي أعطى المرجعية معنى الولاية وأعطى الولاية حركية المرجعية، على الفصل بين المرجعية وبين الولاية. تلك هي النظرية التي تحبس المرجعية في دائرة قد لا تجعلها تنفتح على الولاية، وتجعل الولاية في موقع قد لا يمنحها الصعود إلى مستوى المرجعية.

إنّ الطموح الذي يتجاوز الحلول المشار إليها آنفاً، يكمن في رأينا في وحدة المرجعية والولاية. ولكن مسألة الوحدة ليست شعاراً سياسياً يجتذب الإنفعال، ليتحرك الناس علىٰ أساسه في هذا الموقع. بل هو عنوان ينطلق من عناصر حقيقة فيما هي الشروط الفقهية للولاية وللمرجعية. فإذا رأينا أنّ المرجع لا بدّ أن يكون أعلم، كما هو المشهور بين الفقهاء، بما فيهم الإمام الخميني - رضوان الله عليه - ولو علىٰ أساس الأحوط وجوباً ولم يكن هذا الإنسان الأعلم قادراً علىٰ إدارة شؤون الأمة، لأنّه لا يملك وعي الواقع الشامل لحركة الأمة في قضاياها المتنوعة الواسعة، فإنّه قد يكون مشروع ولي فيما هي مسألة موقع المجتهد في الولاية، ولكنّه لا يملك مشروعية فعلية الولاية، لأنّه لا يملك الخبرة في إدارة مسألتها.

وقد نجد هناك شخصاً مجتهداً يملك الخبرة في شؤون الأمة ولكنّه لا يملك

الأعلمية، لأنّ الولاية لا يشترط فيها الأعلمية، بل يكفي الإجتهاد مع العدالة والخبرة. فإنّنا في هذه الحالة لا نستطيع أن نوحّد بين الولي وبين المرجع، أو بين الولاية وبين المرجعية، لأنّ الولي لا يملك عنصر المرجعية وهو الأعلمية، ولأن المرجع لا يملك عناصر الولاية وهي الخبرة والقدرة على الإدارة. فلا بدّ من الفصل بينهما.

أمّا إذا قلنا بنظرية عدم وجوب تقليد الأعلم -كما نراه في اجتهادنا الفقهي- فإن من الممكن توحيد مسألة الولاية والمرجعية، إذا توفرت العناصر الفقهية الكافية في المرجعية في شخص من يملك القدرة على حركية الولاية لأنّ الإجتهاد وحده لا يكفي، بل لا بدّ من أن يكون هناك اجتهاد متمرس منفتح على قضايا الفقه كلها، ليستطيع هذا الولي المرجع أن يجيب على كل مسألة... وليملك القدرة علىٰ إدارة المسألة الفتوائية كما يملك القدرة علىٰ إدارة المسألة الولائية.

إنّنا في هذه الحال، يمكن أن نوحد بين المرجعية وبين الولاية.

أمّا إذا كانت الولاية تملك مقداراً من الاجتهاد، لكنها لا تملك سعته، فإن الاجتهاد وحده -كما قلنا- لا يكفي في هذه الوحدة.

إنّ القضية لا بدّ أن ترتكز علىٰ أساس القاعدة العلمية التي يمكن أن توحد من جهة.. ويمكن أن لا تملك طريقة للتوحيد من جهة أخرىٰ.

في نظرية تقليد غير الأعلم يمكن ذلك بالشروط التي ذكرناها، وبذلك يمكن انتخاب المرجع الذي يملك الخبرة فتتحد الولاية والمرجعية.

هنا، ألفت إلىٰ مسألة غاية في الأهمية، هي أن الحاكم في قضية المرجعية والولاية هو القاعدة الفقهية والمستند الشرعي، وبالتالي لا مكان للعصبية والإنفعال، نحن طموحنا أن يكون هناك تكامل بين المرجعية والولاية، والمساحة الفاصلة بين المرجعية والولاية يمكن أن تضيق إلىٰ حد قد تغيب

الفواصل، عندما نعرف كيف ندير الخلافات، لأنّ مشكلتنا هي أنّنا لسنا فقط لا نعرف كيف نتفّق، بل إننا، أيضاً، لا نعرف كيف نختلف، ولو عرفنا كيف نختلف، كيف ندير خلافاتنا، وكيف ننطلق بمسؤولية في تحريك قضايانا، لاستطعنا أن نجد للخلافات حلاً، أو لاستطعنا أن نجد لها عذراً.

إننا نستذكر كلمة رائعة للشهيد حسن البنّا عندما قال: (نلتقي فيما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه). عندما تكون الخلافات في التطبيق العملي، فإن الذين يتقون الله في حركة الواقع لا يمكن أن يهدموا الواقع لتنفيس مشاعرهم في الخلافات، لذلك لا مشكلة في هذا الجانب إذا اتقينا الله فيما نختلف فيه.

ولعل ما يمكن أن يقوي حجتنا بحذف شرط الأعلمية في تقليد المرجع يكمن في أن السيرة العقلائية قد تكون على خلاف القول بالرجوع إلى الأعلم في الفقه أو في الطب أو في الهندسة، فنحن نجد أنّ الناس في كل الفنون ترجع إلى كل إنسان يملك ثقافة يأمن الإنسان من خلالها علىٰ ما يحتاج إليه منها، ولذلك نرىٰ أنّ الناس لا ترجع إلى الطبيب الأعلم بل ترجع إلىٰ غيره، ولا إلى المهندس الأعلم أو المحامي الأعلم. ربما يقول بعض الناس إنّ الناس يرجعون إلى هؤلاء لأنهم لا يعلمون مخالفتهم لرأي الأعلم، ولكن نجد أنّ المسألة أوسع من ذلك. كما أن الذي يقول بعدم وجوب تقليد الأعلم قد يعتمد علىٰ بعض الأدلة الشرعية من إطلاقات وما إلىٰ ذلك. فالمسألة هي من المسائل التي تخضع للجدل الفقهي.

أما حكاية بأنّ ذلك يعطي نتائج سلبية على مستوىٰ حركة الإجتهاد، إنّه لا يُعطي ذلك، لأنّ الذي يعمل على أن يصير الأعلم لا يضع في حسابه أنّه يعمل للأعلمية حتّىٰ يصير مرجعاً، لأنه يعرف أن الناس قد تختلف في مسألة أعلميته وعدم أعلميته في هذا المجال، فليس طموحاً يمثّل الواقع العملي في كل ما يتحرّك فيه الناس. فهذه المسألة، أي أن يأخذ الإنسان بالدرجة العليا في الفقه، تنطلق من طموح الإنسان، وتنطلق من خلال طبيعة وعيه للعلم ورغبته في العلم.

ولذلك، نجد أنّ هناك أناساً بلغوا أعلىٰ درجة من العلم من دون أن يكون هناك أي طموح شخصي، أو أية فرصة لهم في بلوغ أية درجة متقدّمة في هذا المجال.

أما أن هذا لا يُلغي الخلاف، فنحن لا ندّعي بأنه يمنع الخلاف، لكننا نقول إنّه يحلّ لنا مشكلة عملية وواقعية ﴿ولو شاء ربك لجعلَ الناس أُمة واحدة﴾[١]، لم يتفق الناس علىٰ الأنبياء فكيف يتّفقون على المرجع في هذا المجال. لكننا كنا نتحدث عن الحل العملي في هذا الموضوع.

أما قضية مَن هو الأعلم، الفقهاء يتّفقون أنّ قضية الأعلم في الفقه هو الأقدر علىٰ استنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها، ولا يدخلون مسألة الكفاءة السياسية والإجتماعية في هذه المسألة، لأنها مسألة فنية، كما نقول، الأعلم في الهندسة، فهل يحتاج أن يكون عنده وعي سياسي، أو الأعلم بالقانون عندما يُراد الرجوع إليه في الفُتْيا، كما هي النظرة التقليدية للمرجع أنّه مرجع في الفُتْيا، فمن الطبيعي أن تكون أعلميته في دائرة أن تكون فتاواه أقرب إلى الواقع، من باب أنّه الأقرب إلىٰ فهم الواقع في هذا المجال ولا علاقة للجوانب الأخرىٰ. فلذلك لم يشترطها حتّىٰ الإمام الخميني الذي كان يتحرّك في المرجعية بطريقة واسعة، ويدعو إلىٰ أن يأخذ المراجع بأسباب المسؤولية السياسية وما إلىٰ ذلك، لكنه في مسألة التقليد يؤكد على المسألة العلمية في هذا المجال ولا يؤكد على المسائل الأخرىٰ.

إنّني من الأشخاص الذي لا يقولون بالأعلمية شرطاً في المرجعية، ولكنني عندما أتحدث حتّىٰ في الجو العام، الذي يرى الأعلمية أساسية في هذا الموضوع، أجد أنه لا بدّ أن نضيف إلىٰ الأعلمية في الفقه والأصول، صفات أخرىٰ ليكون فيها الإنسان مرجعاً لا مفتياً، لأنّ المسألة المطروحة الآن في الواقع أنّ الأعلمية

---

(١) سورة هود، الآية ١٨٨.

تعني التقدّم في الفتيا ولكنها لا تعني التقدم في الجانب الآخر.

فإذا أريد للأعلم في الفتيا الذي يقلّده الناس أن يكون مرجعاً للشيعة لما للمرجعية من سعة، فلا بدّ أن تتوفر فيه خصائص أخرىٰ يمكن أن يطلّ من خلالها على الجانب الآخر الذي يمكن أن يكون مرجعاً فيه، وإلّا فكيف يكون مرجعاً فيما لا يملك خبرة فيه

مسؤولية بناء العصر المرجعي الجديد:

لا شك، أن كلاً من العلماء والأمة مسؤولون عن ذلك، فالعلماء يتحمّلون المسؤولية من خلال توجيه الأمة نحو هذا اللّون من المرجعيات الرائدة المنفتحة علىٰ حاجات العصر.

إنّ العلماء بحاجة إلىٰ أن يوجّهوا الأمة إلى الخطوط الجديدة للمرجعية التي تحمل، إلىٰ جانب الخطوط القديمة، خطوطاً جديدة.

باعتبار أنّها تضيف إلى الثقافة الأصولية الفقهية، ثقافة اجتماعية حركية، تنفتح علىٰ أهل الخبرة في كل مواقعهم لتتكامل معهم ولتستفيد منهم، وتنطلق للواقع الذي يعيشه الناس لتعالج مشاكلهم.

أمّا بالنسبة إلىٰ الأمة، فإنّ عليها، عندما تعيش الفراغ في حاجاتها ومشاكلها وتحدياتها، وعلامات الاستفهام التي تدور في واقعها، فلا تجد للمرجعية دوراً في كل هذا، إنّ عليها أن ترفع الصوت عالياً من أجل أن تضغط على العلماء من جهة ليتحركوا في هذا الاتجاه، وتضغط على المرجعيات لتتحرك في توجهات جديدة تفسح المجال لهذا النمو التطوري الذي يطوّر حركة المرجعية وخطوط المرجعية في المستقبل.

إنّنا نتصوّر أن هذه المسألة تحتاج إلىٰ جو مشترك يتكامل من خلال حركة

العلماء وحركة الأمة مع العلماء، ليتمكن من إيجاد العوامل المؤثرة لعملية التطوير في المجتمع. وليمكن من خلال ذلك ولادة مشاريع مرجعية، ولو في دوائر صغيرة، بما يمكن أن يكون حالة جنينية للمرجعية المنفتحة في المستقبل.

الفصل الثالث

أضواء
علىٰ الأزمة المفتعلة

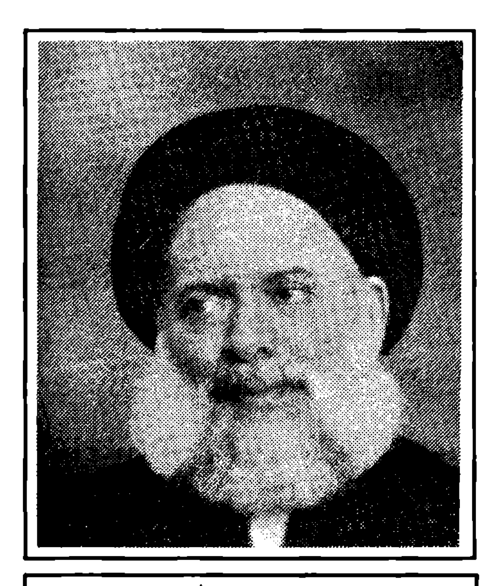
في مطلع التسعينات أثار بعض المغرضين، أزمة حادة إستهدفوا بها سماحة السيد فضل الله، وكانت الأزمة تقوم على أساس أن السيد حفظه الله تحدى المشاعر الشيعية فيما يتعلق بفاطمة الزهراء عليها السلام.

وقد أثار الأزمة بعض المشبوهين الذين كشفت التجارب فيما بعد أنهم يعملون ضد الجمهورية الاسلامية في ايران، وضد قائدها السيد الخامنئي ولي أمر المسلمين، وقد لاحق بعضهم القضاء الاسلامي في ايران فاضطروا الى الهروب. كما أن بعضهم الآخر ترك ايران وأخذ يتحدث علناً في الصحافة بما يسيء الى الثورة وقائدها.

لقد إستغل هؤلاء مشاعر الناس البسطاء وشوهوا آراء السيد فضل الله، وحرّفوا أقواله في عملية تزوير مخالفة للشرع والأخلاق والأمانة العلمية.

والحملة المغرضة على آية الله العظمى السيد فضل الله، تشبه الى حد بعيد تلك الحملة الظالمة التي تعرض لها السيد محسن الأمين العاملي قدس سره، عندما أراد إصلاح الشعائر الحسينية، أعلن حرمة بعض مظاهرها، فقام عليه خصومه وحساده ووصفوه بالخارج عن التشيع، وغير ذلك من الأوصاف، وهو الذي دافع طوال حياته عن التشيع، وقدّم له الخدمات الجليلة التي لا تزال نتائجها ممتدة في عالم التشيع الى الآن.

لكن المغرضين شنّوا عليه حملة شعواء ظالمة، لم تستند الى عقل أو دين أو


السيد فضل الله

حق، كانت باطلة في مرتكزاتها ومنطلقاتها وأهدافها وأغراضها، فلم تستمر طويلاً، ومضت الأيام حتى برّهن الزمان على أفضلية السيد محسن الأمين على خصومه، وأثبت أن أعداءه أثاروا زوبعة في فنجان.. ورسموا احلامهم على رمال متحركة، سرعان ما أزالتها الرياح.

كتب المرحوم الاستاذ جعفر الخليلي عن تلك الفترة بتفصيل جميل، وتحدث عن الأساليب التي إتخذها خصوم السيد الأمين لإسقاطه جماهيرياً ومن ذلك أنهم أطلقوا على المؤيدين له إسم (الأمويين) في مقابل (العلويين) الذي يقفون ضده. ونختار مقطعاً مما كتبه والذي يتحدث فيه عن نهاية المعركة التي كانت لصالح السيد الأمين قدس سره:

(وجاءت الأخبار تنبئ أن السيد محسن قادم الى العراق، فاختلف أنصاره في أمر هذا القدوم، فمنهم من رجحه، ومنهم من لم يرجحه، ذلك لأن الفتنة فتنة «الأمويين» و «العلويين» لم تكن قد خمدت بعد تماماً. وأن رد الفعل وإن كان قد بدا أخف من السابق ولكنه لم يكن بحيث يستهان به او تتجاهل عواقبه، وقد كتب البعض الى السيد محسن ينصحه بتأجيل قدومه الى وقت أنسب وذلك خشية أن يلقى ما لا يليق به من الاعراض والتنديد والتحرش، بصفته البطل الأول في تلك الدعوة التي مست السواد في الصميم، ولكن السيد محسن كان جريئا وكان غير هياب، فتحرك من دمشق..ولست أدري كيف إنقلب الوضع

مرة واحدة وكيف دبت في النفوس روح جديدة! فاذا بالجماهير كلها تتحرك، وتستعد لاستقباله، وجاءت إشارة «السيد أبي الحسن» بوجوب التهيؤ لاستقبال السيد محسن ملهبة لشعور الناس، فاذا به يستقبل استقبالا لم تشهد النجف نظيرا له في كل المناسبات الماضية. واذا بالسرادق الكبير ـ وهو أكبر ما تملك النجف ـ يقام خارج المدينة... فلم يبق عالم او تاجر أو وجيه أو وضيع، دون أن يخرج الى استقباله على نحو من الجلال الذي لا يوصف... وإذا «بكلو الحبيب» وهو من الزعماء ومن وجوه الطبقة التي يسمونها «بالمشاهدة» والمعروفة باستخدامها السلاح في حل مشاكلها، إذا «بكلو الحبيب» الذي كان أكبر دعامة للسيد صالح الحلي وأكبر خصوم السيد محسن الأمين، إذا به يدنو من السيد محسن، ويأخذ يده وينهال عليها بالتقبيل، مرة بعد اخرى، وهو يقول ويردد هذا المضمون «لعن الله من غشني فصورك لي أموياً فها هو ذا وجهك النوراني يشع بالايمان فاغفر لي سوء ظني واعف عني، فانما الذنب ذنب أولئك المغرضين المارقين الذين شوهوا الحقائق وقالوا عنك ما قالو»...)[1].

لقد رفع أولئك المحاربون راية الاستسلام أمام السيد محسن الأمين، والذي دفعهم الى ذلك، هو أن معركتهم لم تكن قائمة على مبدأ صحيح، ولم يتجمعوا على حق، وكان معظمهم قد سار وراء الموجة معصوب العينين، فقد ملأ أقطاب الفتنة عقولهم بالأكاذيب. لكن الأكاذيب لا يمكن أن تظل هي الحاكمة فما هي إلا غمامة تقشعها شمس الحقيقة الساطعة.

دوافع الأزمة:

ما هو السبب أو الأسباب التي جعلت هذه الأزمة تستعر ضد آية الله السيد

---

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم الجزء الأول، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

فضل الله، لا سيما وأنها كانت تسير بشكل مخطط ومنظم، ولم تصدر بشكل عشوائي.

في تقديرنا أن التأمل في تاريخ إنطلاق هذه الازمة يلقي الضوء على بعض دوافعها. فلقد بدأت لأول مرة عام ١٩٩١م، وكان محركها شخص كان يعمل ضابطاً في الشرطة الكويتية، حيث وزع شريطاً صوتياً لسماحة السيد فضل الله في جلسة صغيرة، وقد أجاب سماحته على سؤال وجه اليه حول صحة رواية كسر ضلع الزهراء عليها السلام وإسقاط جنينها، إثر هجوم عمر بن الخطاب على الدار لأخذ البيعة لأبي بكر. وقد اجاب السيد بأن الرواية عنده موضع دراسة وهو لم يقطع برأي حولها.

لقد إستغل هذا الشخص هذا التسجيل الصوتي، ووزعه على نطاق واسع في مدينة قم المقدسة على وجه التحديد، وكان معه من راح يردد أن السيد فضل الله يقول أن عمر بن الخطاب لم يكسر ضلع الزهراء ولم يسقط جنينها، فهو عدو للزهراء، وهو ليس شيعي، وغير ذلك من الكلام الذي يتنافى مع لغة العقل والمنطق والحوار العلمي.

كانت هذه الحركة وكما أشرنا تستند الى جماعة منظمة تهدف الى إثارة الأزمة ضد السيد على نطاق واسع، فبعد هذه البداية بأسابيع أصدر أحدهم كتاباً يكيل فيه التهم للسيد فضل الله، والكتاب هذا يذكّرنا بما كتبه ذلك الرجل في هجومه على السيد محسن الأمين، والذي ضمنه أقوال لا تستحق النقاش، لكن السيد الأمين قدس سره، رد عليه رداً علمياً أظهر فيه بعد صاحبه عن المنطق العلمي، والبحث الموضوعي كل البعد، فقد كان عبارة عن تهم إنفعالية لا تصمد أمام لغة الدليل والحوار العلمي.

كان هذا الكتاب ضد السيد فضل الله، قد هيء قبل فترة من إعلان الأزمة، وعندما تم إعلانها، صدر الكتاب في مدينة قم المقدسة، وقد تضمن آراء غريبة،

إعتبرها مؤلفه على أنها مؤاخذات علمية ضد السيد فضل الله. فمنها على سبيل المثال أنه يأخذ على السيد فضل الله قوله:

(وكان الامام الصادق يحدّث بعض حديثه ويفتي ببعض فتاواه ويقول إنه من مصحف جدتي الزهراء).

فيعترض الكاتب إعتراضاً حاداً ويعتبر هذا الكلام تحريفاً، لأن إسم المصحف هو مصحف فاطمة!.

ومنها أيضاً إعتراض الكاتب على السيد فضل الله وصفه للزهراء عليها السلام بأنها إنسانة وأنثى!.

وعلى هذه الشاكلة كتب هذا الرجل كتابه، وبإمكان القارئ أن يتصور معنى الحملة والاشكالات المزعومة على سماحة السيد فضل الله.

وقد فرّ هذا المسكين من الجمهورية الاسلامية بعد إصدار كتابه بأسابيع، لأنه كان ملاحقاً من قبل القضاء الاسلامي. والجدير بالذكر أن التهمة التي لاحقه القضاء الاسلامي عليها، كان لها جذور وبدايات منذ كان في النجف الاشرف. ولا أريد الحديث هنا عن هذا الموضوع.

كما فرّ أيضاً الضابط الكويتي الذي كان يموّل الحملة مالياً وأقام خارج الجمهورية الاسلامية ليمارس نشاطه المعادي من هناك، بعد أن أغدق الأموال بسخاء على كل من يتعاون معه ضد السيد فضل الله.

أما دوافع هذه الأزمة المفتعلة فيمكن حصرها بما يلي:

أولاً: العداء للحركة الاسلامية ولخط الامام الشهيد الصدر.

ثانياً: الخوف من المرجعية الحركية الواعية.

ثالثاً: الموقف العدائي من الثورة الاسلامية في ايران.

هذه هي أهم وأبرز دوافع الأزمة التي أكلت من الجسم الشيعي، وشغلت أوساطه عن التحديات الكبيرة التي يواجهها، وعن مسؤوليات علماء ومراجع الدين ودورهم الحقيقي في معركة الاسلام الحقيقية ضد أعدائه.

وسنتحدث بإختصار عن كل عامل من هذه العوامل:

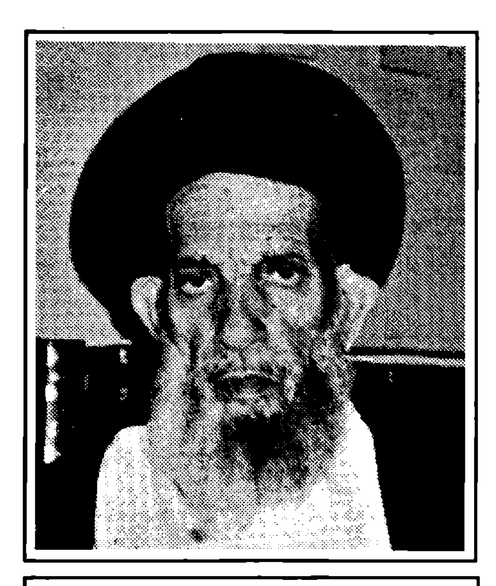
أولاً: العداء للحركة الاسلامية ولخط الامام الشهيد الصدر:

قبل أن تتجه الحراب الى آية الله السيد محمد حسين فضل الله، كان أصحابها يحاولون غرزها في قلب الحركة الاسلامية التي أسسها الامام الشهيد الصدر، وسار أبناؤها على نهجه الاسلامي الأصيل. فلقد تفنن هؤلاء في إختلاق مختلف الأجواء من اجل إثارة الغبار في وجه الحركة الاسلامية، في الوقت التي كانت تبذل الدماء بسخاء على جبهات القتال وفي داخل العراق وتحت التعذيب الوحشي للنظام الحاكم في العراق.

لم تكن المعادلة تحتاج الى تفسير وإيضاح، فالنظام البعثي كان يريد القضاء على الحركة الاسلامية بأي شكل، وفي هذا الجو الحساس، رفع هؤلاء شعار القضاء على الحركة الاسلامية. أي أنهم كانوا يريدون تحقيق نفس الهدف الذي يريده نظام صدام حسين.

إن العداء للحركة الاسلامية ينطلق في حقيقته من موقف ثابت معاد لعموم التحرك الاسلامي، ولرمزه الكبير الخالد الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، لذلك كانت حربهم تتجه ضد الحركة وضد رمزها المؤسس. وقد واجهوا في هذه الحرب عقبتين:

الأولى: تمثلت في صعوبة إسقاط الحركة الاسلامية وجرها الى معركة جانبية، فبينما كان هؤلاء يكيلون التهم الباطلة ضد الحركة الاسلامية، كان


السيد مرتضىٰ العسكري

أبناؤها المجاهدون يملأون كل مواقع الجهاد وساحاته، تضحية وصموداً. فلم يكن أمامهم سوى الاستمرار في خلق التهم في غرفهم المظلمة، حتى ملوا من هذه الحرفة التي لا توصل الى أي نتيجة، فكان أن قرروا التصدي لضرب قواها الداعمة من علماء ورموز إسلامية كبيرة.

الثانية: لم يكن بمقدور هؤلاء أن يتوجهوا بحربهم مباشرة الى شخص الامام الشهيد الصدر، لأن ذلك سيجعلهم مكشوفين أمام الأمة، كما أن الأمة الاسلامية لن تسمح لأي جهة أو شخص مهما كان مملوءاً بالمال أن ينال من شخص القائد الشهيد، لذلك قرروا أن يناولوا من الشخصيات التي تمثل إمتداداً للإمام الشهيد، فأشرعوا حرابهم ضد إثنين من أبرز الشخصيات التي تمثل خط الشيد الصدر، وهما العلامة الكبير السيد مرتضى العسكري، وآية الله السيد محمد حسين فضل الله.

فقاموا بكتابة المقالات وإصدار المنشورات التي تثير الشبهات على العلامة العسكري، والملفت بالأمر أن أحد هؤلاء كتب مقالاً في مجلته ـ التي أغلقتها الجمهورية الاسلامية فيما بعد ـ يأخذ على السيد العسكري عدم فهمه للفكر الشيعي!. ولو كان هذا المسكين قد أثار عليه تهمة أخرى لكان أهون عليه، فالسيد العسكري رمز شامخ في عالم التشيع والفكر الاسلامي عامة، وهو الذي قدم الخدمات العظمى للفكر الشيعي والاسلامي من خلال مؤلفاته الرائدة ذات

الطابع العلمي المتين.

أما السيد فضل الله فقد أثاروا عليه الإشكالات التي ذكرناها سابقاً، والتي كانت إنطلقت من تقديرهم بإنه يمثل خط الوعي الحركي الاسلامي الأصيل.

ثانياً: الخوف من المرجعية الحركية الواعية.

ذكرنا في فصل سابق من هذا الكتاب صور تبين ما تعرض له الامام الشهيد الصدر من مضايقات وتحديات من داخل الحوزة العلمية، وكانت هذه التحديات نابعة من التقليديين الذين تصوروا أن مرجعية الامام الشهيد الصدر تضعف المرجعيات التقليدية، فعملوا على إضعافها بشتى السبل. لكن الحقيقة غير ما تصوروا، فلم تكن مرجعية الامام الشهيد لتتعارض مع المرجعيات التقليدية، بل أنها كانت تسعى الى دعمها وإبقائها مصونة في الساحة من التحدي المعادي للاسلام. لأن الوعي الذي إمتلكته مرجعيته (قدس سره)، كان يفهم أن الوجود الاسلامي كل لا يتجزأ، وأن إضعاف أي طرف إسلامي، هو بالنتيجة إضعاف للوجود الاسلامي. لكن هذه الحقيقة لم يفهمها التقليديون، وخاصة الحواشي المرتبطة بالمرجعيات التقليدية، فقد كانت تنظر الى عالم المرجعية نظرة ضيقة، لا تخلو من الحسابات الذاتية المغلقة، وهذا ما جعلها تهتم بالصراع الداخلي دون أن تهتم أبداً بالصراع الخارجي الكبير والخطير الذي يتعرض له الوجود الاسلامي من قبل السلطة والدوائر المعادية للاسلام.

وقد ظلت هذه النظرة هي الحاكمة لمعظم المرجعيات التقليدية، وهي ثغرة خطيرة في الجسم الشيعي. وقد إستغل المغرضون والمشبوهون هذه الثغرة فولجوا منها لإدارة الحملة ضد أي مرجعية حركية واعية، لا سيما إذا كانت تمثل الامتداد الطبيعي لمرجعية الامام الشهيد الصدر. وهذا ما جعلهم يستهدفون مرجعية السيد فضل الله لأنهم وجدوا فيه المكمل لخط الشهيد الصدر.

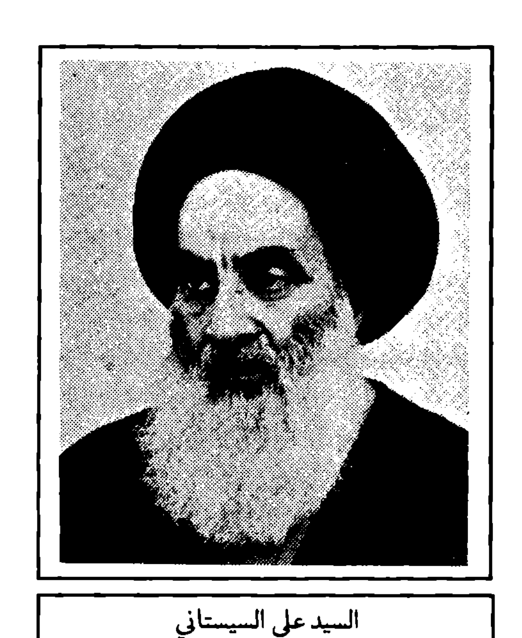
والذي يؤكد هذه النظرة أن الحملة المغرضة ضد السيد فضل الله إنطلقت بشكل مكثف بعد وفاة السيد الكلبايكاني (قدس سره)، وخلو الساحة تقريباً من المرجعيات الكبيرة المعروفة، فقد برز السيد فضل الله في تلك الظروف كمرجع له بريقه لما يتمتع به من قدرات وإمكانات ووعي وثقافة عصرية، يفتقر إليها بقية المراجع. وهذا يعني أن خط السيد الشهيد الصدر في المرجعية، سيتجدد في مرجعية آية الله السيد فضل الله.

يضاف الى هذا عامل آخر، ذاك هو بروز آية الله السيد الخامنئي قائد الثورة الاسلامية وولي أمر المسلمين كشخصية قائدة لها وزنها في عالم التشيع، لما يحظى به من إمكانات كبيرة على مستوى العالم الاسلامي، وبإعتباره المكمل لخط الامام الخميني (قدس سره).

وبذلك وجد المغرضون أن المرجعية الحركية الواعية ستمتلك هذه المرة قوة هائلة، فالتقارب واضح بين السيدين الخامنئي وفضل الله، وهما متحدان في التوجهات الاستراتيجية والوعي الحركي، والنظرة الشمولية لمشاكل الأمة، والفهم الدقيق لموقع الاسلام في معركته الحضارية ضد قوى الاستكبار.. كل هذا يعني أن الاتجاه الحركي في المرجعية سيكون هو الغالب في عالم الشيعة، وهذا يعني في المقابل أن الاتجاه التقليدي سينحسر في القريب.

في ضوء هذه المعطيات قرر المغرضون أن ينالوا من المرجعية الحركية بشكل سريع ومكثف قبل أن يحدث التلاحم العملي بين مرجعيتي السيد الخامنئي والسيد فضل الله. ولأن إستهداف مرجعية السيد الخامنئي عملية صعبة، قرر هؤلاء النيل من مرجعية السيد فضل الله. وكانت أمنيتهم لو أن شرخاً يحدث بين السيد الخامنئي والسيد فضل الله، فهذا هو المطلوب في مخططهم الاستراتيجي. وقد حاولوا ذلك في عدة مناسبات، حتى أن أحدهم ألق قصيدة شعرية ينال فيها من السيد فضل الله، خلال اللقاء الاسبوعي العام الذي يعقده سماحة ولي أمر

المسلمين كل يوم أثنين، لكن السيد الخامنئي ردّ بشدة على صاحب القصيدة، وإعتبر ذلك عملاً غير لائق، وأصدر تعليماته بسرعة الاتصال بالسيد فضل الله وإحاطته علماً بما حدث وموقف السيد القائد مما حدث[١].



السيد علي السيستاني

في تصوري إن هذه الحادثة كانت محاولة لجس النبض من قبل المغرضين، وخطوة تتبعها خطوات أكبر، لكن السيد الخامنئي أحبط اللعبة منذ البداية. إلا ان المحاولات ظلت متواصلة حتى كتابة هذه السطور.

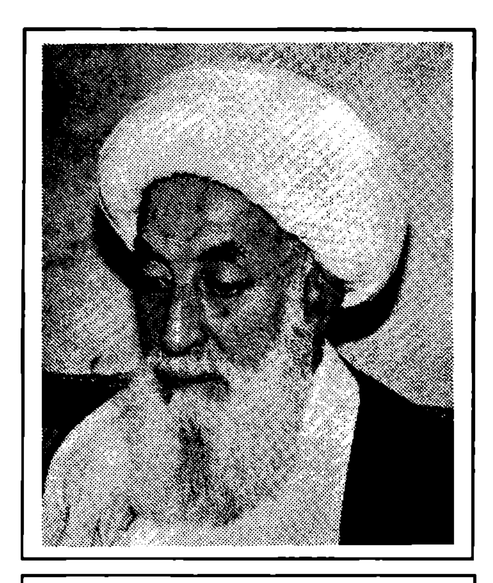
بعد ذلك إتجه المغرضون والمشبوهون والتقليديون الى إثارة الأزمة على مستوى أكبر فقد قرروا جر المرجعيات الى صراع داخلي، وذلك بأن يكون المراجع ضد السيد فضل الله، وفجأة صدر بيان يحمل اسماء عدد من مراجع النجف الأشرف يتهجم على آراء السيد فضل الله، والبيان في حقيقته كان ورقة مزورة إفتراها هؤلاء المتصيدون في الماء العكر. وقد إنكشفت المؤامرة عندما أصدر سماحة السيد السيستاني حفظه الله، بياناً كذّب فيه ما نسب اليه[٢].

كانت ذكرى وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، مناسبة

---

(١) راجع الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.

(٢) راجع الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.



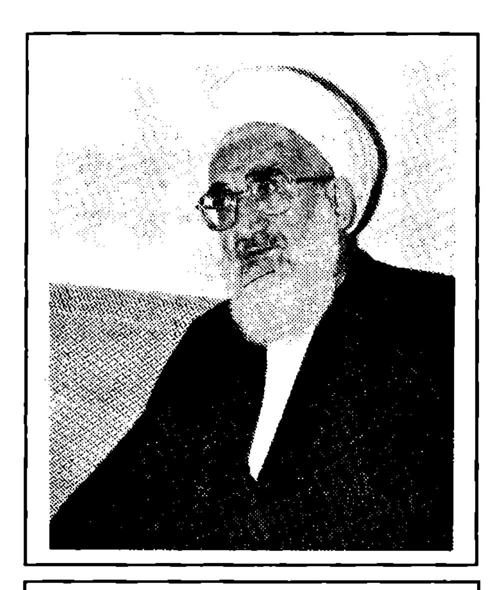
الشيخ جواد التبريزي

سنوية لإشعال الأزمة وتجديدها، وهكذا حوّل هؤلاء مناسبات المعصومين توقيتاً لبث الفتن والإختلاف بالباطل، بدل أن يعمقوا خط أهل البيت عليهم السلام في نشر فضائلهم وجمع الأمة على نهجهم الحق الأصيل. وبذلك فقدت مناسبة وفاة الزهراء عطاءاتها الروحية والمعنوية، وحولوها الى معترك ساخن، إستخدموا فيه التزوير وقلب الحقائق، مدعين أنهم ينتصرون للزهراء، في حين أن الزهراء قامت ضد الذين زوروا وكتموا الحق وغصبوه عن اهله.. والعبرة واضحة هنا لا تحتاج الى إيضاح.

وحدث في إحدى المناسبات أن صدر بيان موقع من قبل ثمانية علماء في قم المقدسة ينالون من شخص السيد فضل الله، ويعتبرون أن آراءه منحرفة. لكن صدر في أعقابه مباشرة بيان من قبل جمع من طلبة الحوزة العلمية في قم المقدسة تضمن حواراً أجروه مع أحد الموقعين الثمانية، حول الأسس التي إستند اليها في إدانة السيد فضل الله، ولم يستطع هذا العالم أن يدافع عن وجهة نظره، ووقع في مغالطات متتالية حتى إضطر أن ينهي الحوار بخشونة، بعد أن أعياه الحوار العلمي السليم.

وتوالت بعد ذلك هذه المحاولات وكان أهمها هو جر مراجع الدين في قم المقدسة الى هذه الأزمة، وقد نجحت المحاولات في جر أثنين منهم الى حلبة الصراع هما آية الله الشيخ جواد التبريزي وآية الله الشيخ الوحيد الخراساني.

وقد أدرجنا في الملحق الوثائقي نصوص المراسلات والبيانات الصادرة في هذا الخصوص.



الشيخ حسين نوري الهمداني

برز في تلك الأجواء الساخنة آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني، ليمثل ظاهرة في هذه الأزمة. فقد بدأ معارضاً الاتجاه المغرض، وأصدر عدة بيانات وتصريحات تؤيد السيد فضل الله، وتدافع عنه بقوة. لكنه في شهر آب ١٩٩٨م، تحول الى الاتجاه الآخر، دون سابق إنذار. ولم يكن يملك مبرراً منطقياً لهذا التحول في الموقف.

في البداية وقف الشيخ النوري موقف الباحث عن الحق والحقيقة، فقد وقف عند الشبهات المثارة على السيد فضل الله، واراد أن يعرف الحقيقة كما هي، فبعث برسالة الى السيد فضل الله يستفسر فيها عن آرائه في الموارد التي أثاروها. وأجابه السيد فضل الله برسالة واضحة بيّن فيها رأيه في كل مورد من الموارد[١].

كما قام الشيخ النوري الهمداني بزيارة الى بيروت عام ١٩٩٧م، حيث إلتقى بالسيد وتحدث معه مباشرة عن آرائه والشبهات التي يثيرها المغرضون حوله، وعاد الى قم وهو يحمل صورة واضحة عن الموقف، فقد أعلن رأيه صراحة بأن آراء السيد فضل الله لا غبار عليها، وأنه يحمل فكر أهل البيت عليهم السلام

---

(١) راجع الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب.

الأصيل، وعارض الاتجاه الذي يحاربه ويحاول إثارة الشبهات حوله.

وقد تعرض الشيخ النوري نتيجة مواقفه هذه لحملة تشويه قادها ضده المغرضون. وكانت هناك محاولات خفية للضغط عليه، من أجل دفعه الى التخلي عن موقفه المؤيد للسيد فضل الله.

وقد فوجىء الجميع بصدور بيان من الشيخ النوري، يتراجع فيه عن مواقفه السابقة، ويعلن عدم تأييده للسيد فضل الله، وقد برر ذلك بأنه كان يؤيده على مواقفه السياسية وليس الفكرية، وقد شكك في هذا البيان بإجتهاد السيد فضل الله.

وقد كان البيان ضعيفاً لأنه كان يناقض البيانات السابقة للشيخ النوري، فقد ذكر الشيخ سابقاً ان السيد فضل الله عالم مجتهد بارع، وأعلن أن آراءه العقائدية هي أفكار صحيحة لا غبار عليها، وان الذي يتعرضون له، إنما يهاجمونه بدافع الصراع على المرجعية، وأنهم متأثرون (بالدينار الكويتي).

وعندما كان يستفسر طلبة الحوزة العلمية منه عن سبب هذا التحول، كان يجيب بأنه تعرض لضغوط كبيرة، وهذا الجواب يمثل إدانة له، لأن المفروض من عالم الدين أن يقول الحق، لا أن يخضع للضغط.

كان يرافق كل هذه التطورات والأحداث صدور العديد من الكراسات والمنشورات التي كانت تلق في شوارع قم المقدسة وهي خالية من التوقيع والأسماء الصريحة. في حين كانت هناك الكثير من المنشورات والبيانات التي تصدر في مختلف البقاع، وهي تقف الى جانب سماحة آية الله السيد فضل الله، وتدين الحملة المغرضة التي يثيرها المنتفعون المتصيدون في الماء العكر. وقد أدرجنا بعض تلك المنشورات في الملحق الوثائقي من هذا الكتاب.

وهناك ملاحظة جديرة بالتأمل وهي أن الحملة كانت تستعر في بعض

المواقف والظروف التي تهم المسلمين عموماً والتي يسجل فيها السيد فضل الله موقفه الصريح، مثل إنعقاد مؤتمر شرم الشيخ، حيث شجب السيد فضل الله هذا المؤتمر بعنف وكشف خفاياه وما يراد منه، فسارع المغرضون الى تصعيد حملتهم ضده، وكأنهم يريدون التعمية على القضية الأهم التي تمس واقع المسلمين.

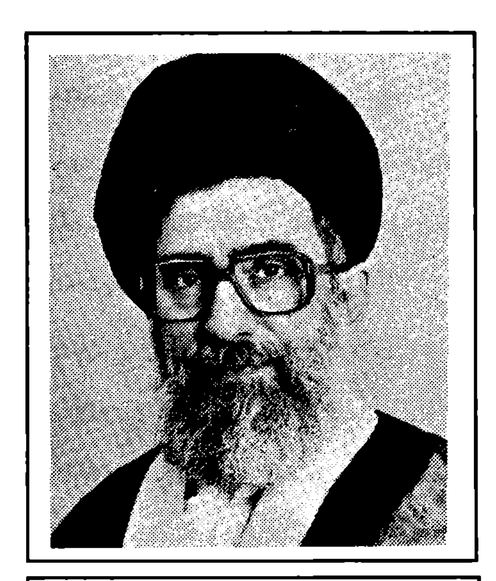
كان الغرض كما أشرنا هو النيل من شخصية السيد فضل الله كمرجع، ولو أنه لم يصبح مرجعاً لما تعرض الى سهام هؤلاء وحرابهم. لكن هؤلاء لم يستوعبوا حقيقة إجتماعية مهمة، وهي أن بعض المراجع لا يتصدون الى المرجعية بمعنى السعي إليها، إنما المرجعية تأتي اليهم طوعاً نتيجة موقف الأمة. فالامام الخميني والسيد الشهيد وغيرهما لم يطرحوا أنفسهم للأمة كمراجع إلا بعد ان نادت بهم الأمة بمرجعيتهم. والسيد فضل الله من هذا الطراز من الشخصيات الاسلامية، فهو لم يرد المرجعية هدفاً، إنما الجماهير التي عرفت تاريخه وثقافته وفكره الحركي المؤثر أرادته أن يكون مرجعها. وهذه الجماهير لن تغير موقفها ببيان مكذوب أو بأوراق صفراء أو بخطبة رجل إنفعالي. إن الجماهير بلغت من الوعي ما يمكنها من فرز الخطأ والصواب بلمحة عين، وهذا هو الذي حصل وسيبقى هو القانون في نظرة الجماهير الى قادتها ومراجعها وعلمائها.

ثالثاً: الموقف العدائي من الثورة الاسلامية في ايران:

منذ بداية إنتصار الثورة الاسلامية في ايران، وقف آية الله السيد فضل الله، مدافعاً عنها وعن قائدها الكبير الامام الخميني قدس سره، وكان يمثل القوة المتصدية لكل محاولات التشويه للثورة، وذلك عبر خطبه ومحاضراته ومقابلاته الصحفية وكتاباته، وقد أثارت مواقفه هذه أجهزة الاستكبار العالمي كما أثارت أعداء الثورة ضده.

لقد كان السيد فضل الله ـ ولا يزال ـ الشخصية الاسلامية الوحيدة التي وقفت

بكل قوة وإخلاص للدفاع عن الثورة الاسلامية، فكان يتعامل معها على أنها قضيته ومسؤوليته، رغم أن هذا الموقف جعله يواجه تحديات حقيقية، كان منها المحاولات العديدة التي حاولت تصفيته جسديا لكن العناية الألهية أنقذته منها، ليواصل مشروعه الكبير في التوعية والاصلاح.



السيد الخامنئي

لم يكن أعداء الثورة بحاجة الى التحليل والاستقصاء لمعرفة موقف السيد فضل الله، من الثورة الاسلامية، فلقد كان واضحاً ما ذا تعني الثورة بالنسبة له، وقد أدرك المغرضون أنه يقوم بدور كبير في نصرة الثورة.. دور مؤثر لا يمكن تغافله لا سيما في خطبه المؤثرة ومقابلاته الصحفية المتكررة. فشعر هؤلاء أنهم أمام قوة ضخمة تمتلك كل عناصر القوة المتمثلة في القدرة البيانية والخطابية، والفكر الحيّ الذي يحلل ويفسر ويكشف النقاب عن كل محاولات التشويه المبذولة ضد الثورة.

ولأن المغرضون لم يكن بمقدورهم مواجهة الثورة من الداخل، والنيل من قيادتها، لذلك بدأوا بآية الله السيد فضل الله، وهم في الحقيقة إنما يستهدفون آية الله السيد الخامنئي وكل رمز ثوري إسلامي.

وعلى هذا كانت حربهم المعلنة على السيد فضل الله، تمثل في معناها العميق، الحرب على الوجود الحركي والثوري بأسره. وقد فكر المغرضون أنهم لو أسقطوا السيد وأعاقوا حركته، فإنهم سيحققون إنجازاً كبيراً يتمثل في سلب

الثورة الاسلامية من نصيرها القوي وسندها الواعي الواقف بصمود أمام أجهزة الاستكبار العالمي.

ومن هنا وجدنا أن أعداء الثورة يتحدون مع بعضهم البعض لشن الحرب الظالمة على السيد فضل الله، بعد أن أدركوا صعوبة شنها ضد ولي أمر المسلمين صراحة.

وقد ادرك المغرضون أن التلاحم بين ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي وبين السيد فضل الله، يشكل جبهة إسلامية قوية لنصرة الاسلام وإنطلاقته في الآفاق إنطلاقة حركية واعية، الأمر الذي يضعف وجودهم بدون شك، ويحولوهم الى وجودات هامشية في الساحات الاسلامية، وهو مما لا ينسجم مع تطلعاتهم وأهوائهم. لذلك ركزوا على اهمية فصل الشخصيتين عن بعضهما، وإضعاف السيد فضل الله، كمقدمة لإضعاف السيد الخامنئي، وبذلك ينتهي التلاحم التاريخي بين الشخصيتين. وللأسف فقد مرت هذه المؤامرة على بعض الأوساط، وتعاملت مع القضية ببساطة ما من المتوقع أن تسقط فيها.

وبشكل عام فإن الحملة المغرضة إستطاعت أن تثير جواً من اللغط والضبابية في بعض الأوساط، لكنها لم تستطع أن تمتد الى خارج ايران، وقد ظلت تعيش حالة من التحفز المؤقت، حيث تطفو على السطح في مناسبات عاشوراء وذكرى وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام، ثم تنزوي في غرفها المغلقة بعد ذلك.

وفي تقديرنا حتى ساعة كتابة هذه السطور، أن الأزمة المفتعلة هذه لا يمكن أن تستمر طويلاً، لأن الحراب التي تمَّ رفعها باتت واهية تتكسر تدريجياً، كما أن الأمة سأمت هذه الممارسات التي لا تستند الى المنطق العلمي والروح الاسلامية المسؤولة، كما أن أبناءها يعرفون جيداً من هو آية الله السيد محمد حسين فضل الله، ومن هم خصومه.

فالسيد فضل الله صاحب المدرسة الحركية البارزة، أما خصومه فهم الذين آثروا الجلوس في غرفهم بعيداً عن هموم المسلمين وقضاياهم المصيرية.

لقد قدم السيد فضل الله مشروعاً ضخماً سار عليه طوال سنوات حياته، كان يهدف الى تقديم الاسلام وفق رؤى حركية منهجية، وقد أعطى هذا المشروع ثماره طرية نظرة، من خلال الجو الثقافي والحركي الذي عاشته الساحات الاسلامية. وإستطاع أن يحرك المضامين الفكرية الاسلامية الأصيلة في الاتجاه العملي بشكل واضح، ولا يتعامل معها بشكل نظري تجريدي، باعتبار أن الاسلام هو فكر الحياة في كل عصر ومكان، ولا بد أن يكون فكره متجهاً الى الحياة في كل أبعادها واتجاهاتها.. ليقدم الحلول للمشاكل التي تواجه الانسانية، ويصنع الانسان الذي يحمل رايته للعالم بأسرهَ، وليبني المجتمع الاسلامي الأصيل.

هذه هي الملامح الاساسية في فكر السيد فضل الله، وهي نفسها ملامح الامام الشهيد الصدر وغيره من كبار العلماء والقادة الذين ظهروا في فترات مختلفة من التاريخ الشيعي، وأرادوا التغيير والاصلاح، وكانت لجهودهم المباركة المعطاءة أثرها البالغ في مسيرة التحرك الاسلامي، وفي نشوء الاجيال الاسلامية الهادفة في مسيرتها وحركتها وتوجهاتها.



الملاحق والوثائق

ملحق رقم (١)

نص البرقيتين المتبادلتين بين الإمام الحكيم وشيخ الجامع الأزهر حول اعتراف ايران باسرائيل

نص برقية فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر إلى المرجع الأعلىٰ آية الله العظمىٰ السيد محسن الحكيم.

أخي في الله صاحب السماحة والاستاذ العلامة السيد محسن الحكيم ـ النجف العراق.

سلام الله عليكم ورحمته وعلىٰ جميع اخواننا واخوانكم علماء العراق الشقيق وكل من ينهض مدافعاً عن الحق ومحافظاً على الوحدة والالفة بين المسلمين ـ أما بعد، فان سماحتكم وجميع إخوانكم الأجلاء تعلمون نبأ الحادث المحزن الذي حدث في هذه الأيام وذلك هو اعتراف جلالة شاه إيران بعصابة اسرائيل التي اعتدت علىٰ فلسطين، وشتتت اهلها واغتصبت حقوقهم، هذا الاعتراف اقلقنا جميعاً كما اقلق كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، إذ كيف يقدم ملك مسلم لشعب مسلم علىٰ تأييد أعداء المسلمين وموالاتهم. ولقد ابرقنا لجلالة الشاه مرتين، وأبرقنا لسماحة السيد البروجردي! «قم» منبهين إلىٰ خطورة هذا الامر وما قد يؤدي إليه من فتنة جامحة، ولا سيما وقد صدر من شخص الشاه الذي هو شيعي من اخواننا الإمامية مما قد ييسر للذين يحبون أن يصيدوا في المياه العكرة وهمسة التشويش ومحاولة قصم الروابط التي عملنا علىٰ تقويتها، هذا فضلا عن منافاة ذلك للدين منافاة صراحة لا تحتمل التأويل. ولا شك انكم أسفتم لذلك كما أسفنا، وانكم أنتم وسائر إخواننا وإخوانكم علماء العراق الكرام ستبذلون كل ما في وسعكم من السعي لاستنكار هذا القرار بقوة، والعمل علىٰ أن يرجع الشاه عنه كما رجعت حكومة الدكتور

مصدق في ايران عن مثله عام ١٩٥١م. ان صدور هذا المسعىٰ منكم له تأثـيره البـعيد في علماء إيران وشعب إيران نفسه، كما سيكون له تأثير حميد عندنا إذ تبين للناس جمـيعاً أننا وإياكم زملاء في الجهاد، والعمل علىٰ رفع راية الإسلام وتثبيت الوحدة بين أهله، وانا لمـا تبعثون به الينا من بيان سعيكم الموفق وعملكم الصالح لمنتظرون، والله المسؤول ان يكلأكم برعايته، وان ينفع المسلمين ببركاتكم وصالح سعيكم والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم محمود شلتوت ـ شيخ الجامع الأزهر

ملحق رقم (٢)

نص جواب المرجع السيد محسن الحكيم إلىٰ فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر(١)

بسم الله وله الحمد

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ـ القاهرة.

تلقينا برقيتكم الكريمة التي تستنكرون فيها اعتراف ايران باسرائيل فشكرنا لكم اهتمامكم بأمور المسلمين، وحرصكم علىٰ تقوية الرابطة الإسلامية بينهم. واننا منذ بلغنا نبأ هذا الاعتراف بادرنا إلىٰ ابلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤولين في ايران بواسطة بعض إخواننا العلماء في طهران، واوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمة الإسلامية، ونصحناهم بالاحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين. وتلقينا الجواب موضحاً عدم صدور أي اعتراف من ايران باسرائيل وانه ليس في نية الحكومة ذلك لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل، ومظهراً للعطف علىٰ قضايا المسلمين في كل مكان، واننا إذ نستنكر كل خطوة تتخذ لتعزيز كيان اسرائيل من أي جهة كانت نلفت أنظار المسلمين كافة إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم، وندعوهم جميعاً إلىٰ رص صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهة موحدة أمام التيارات الآتية من قوى الظلم والكفر والطغيان. والتي جعلت همها الأول محاربة الإسلام وابعاده عن واقع المسلمين. وما أقامة إسرائيل في فلسطين إلا مثل من الأمثلة الكثيرة علىٰ محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه، ومن هنا كان لزاماً على المسلمين عامة، والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصة أن يرجعوا إلىٰ حضيرة الإسلام ويلتفوا حول لوائه الظافر الذي هو عنوان نصرهم وعزتهم ويستمدوا تشريعاتهم

---

(١) عن مجلة الأضواء، ٦ / ٨ / ١٩٦٠.

من ينبوعه الثر ومنهله الصافي ليستعيدوا مجدهم وكرامتهم، ويحللوا ما حلل الإسلام ويحرموا ما حرمه. وما هذه المآسي التي ضجت بها حياة المسلمين إلّا أثر من آثار تهاونهم في الأسلام وابعاده عن إدارة شؤون الأُمة الأمر الذي ينذرهم بالخطر، ويهددهم بالخذلان وختاماً نبتهل إلى العلي القدير أن يجمع كلمة المسلمين على التقوىٰ والهدىٰ، ويأخذ بأيديهم إلىٰ ما فيه صلاحهم ونجاحهم انه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

ملحق رقم (٣)

نص رسالة الإمام الحكيم لاهالي النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

أبنائي الأعزاء أهالي النجف الكرام.

أيّها الوافدون المؤمنون.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وبعد فاني أشكر لكم قيامكم بشؤون الأحتفال بهذه الذكرى المباركة، ذكرىٰ ميلاد سيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما واشكر إخواننا المؤمنين الذي شاركوا بالحضور في هذا الحفل الديني البهيج، وشكر الله سبحانه أعظم وثوابه أوفر.

وانني لا استكثر عليكم نخوتكم الدينية وتعظيمكم شعائر الله لانكم ـ والحمد لله ـ قد خصصتم بجوار سيد الأوصياء عليه السلام فغمركم بروحانيته، واكتنفتم الحوزة العلمية الدينية فاستشعرتم شعارها، فمنكم يأخذ الناس معالم دينهم وبكم يقتدون.

ونحن حين نستعيد هذه الذكرى المقدسة انما نستعرض في اذهاننا عصر النبوة الزاهر يوم أطل المولود العظيم علىٰ دنيا مباركة أقامها النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ أساس الإسلام، نستمد منه مفاهيمها وشرائعها، وترجع إليه في حل مشاكلها وجميع شؤون حياتها فكانت دنيا تفيض بالعدل والاستقامة وتزخر بالسعادة المادية والروحية.

فمن الجدير بالأُمة اليوم وهي تعيش واقعاً فاسداً بعيداً كل البعد عن تلك الحياة الإسلامية المشرقة أن تجعل من ذكرى الحسين عليه السلام نبراساً لها تهتدي بهداه وتستضيئ بنور سناه، وما أحوج المسلمين عموماً إلىٰ تذكر الأهداف الدينية المقدسة التي جاهد من أجلها

الحسين عليه السلام والتي ناموا عنها طويلاً، وما أحوج حكام المسلمين اليوم في جميع البلاد الأسلامية علىٰ اختلاف شعوبها إلى الاعتبار بهذه الذكرى التي طالما اسمعتهم من وعدها ووعيدها شيئاً كثيراً وحذرتهم من سخط الله سبحانه وانتقامه، ونصحت لهم ان يقدروا مسؤولياتهم أمام الله تعالى الذي أوجب عليهم الأخذ بالإسلام وتعاليمه وتطبيق شرائعه وأحكامه ولم يرض عنه بديلاً ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً لن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾.

دعوتهم إلىٰ هذا مراراً وتكراراً ونصحت لهم سراً وجهاراً ﴿فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً، واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا أستكباراً﴾ ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، أنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفاراً﴾.

وختاماً أبتهل إلى المولىٰ عز أسمه رافعاً أكف الضراعة إليه سبحانه قائلا ﴿رب أغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلّا تبارا﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق رقم (٤)

رسالة الإمام الحكيم إلى المؤتمر الإسلامي
المنعقد عام ١٣٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء المؤتمر الإسلامي المحترمين نفع الله بهم المسلمين.

السلام عليكم ورحمة الله، والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد.

لقد وصلتنا رسالتكم الكريمة التي ذكرتم فيها عن قرب انعقاد المؤتمر الإسلامي العام، وعما يعتزمه من نشاط موفق باذن الله تعالىٰ في سبيل جمع صفوة من المفكرين الإسلاميين لدراسة شؤون الأمة الإسلامية ومشاكلها، فتلقينا هذا النبأ بارتياح، لأن فكرة انعقاد مثل هذا المؤتمر تلتقي مع الروح الإسلامية التي تدعو إلى التقارب والتشاور والاجتماع وتشجيع هذه الأعمال والأفكار.

وما أحوج الأمة دائمًا وفي هذا الظرف الدقيق بالذات إلى التفكير في مشاكلها ودراستها ووضع خطتها خطة العمل بأمثال هذه المؤتمرات العامة.

غير أن الحقيقة التي يجب أن تقال بهذا الصدد ونعترف بها بمرارة هي أن المؤتمرات الإسلامية التي تألفت حتىٰ الآن لم تؤد وظيفتها بالصورة المطلوبة منها، فان الصحيح منها ما كان ليعقد في الغالب إلّا للتنفيس عن عاطفة إسلامية مشكورة، أما المساهمة الحقيقية في حل مشاكل الأمة في مختلف مجالات حياتها فليس للمؤتمرات التي عاصرناها نصيب ملحوظ من ذلك، وهذا هو أحد أسباب الانفصال الذي أحسناه بين المؤتمرات والأمة، مع أن المفروض في الأمة أن تساير هذه المؤتمرات في نشاطها، وتعيش مع مقرراتها في واقعها العملي بوصفها ـ أعني الأمة ـ المجال السمح للعمل الإسلامي الكبير الذي تقصده هذه

المؤتمرات.

وهذا أرىٰ من الواجب عل المؤتمر الإسلامي إذا أراد لنفسه أن يحقق هدفاً أسمىٰ أن يضع نصب عينيه:

(أولاً) ـ ان المؤتمر الذي يمكن للأمة الإسلامية أن تنظر إليه بوصفه عنصراً من عناصر القيادة لها هو المؤتمر الذي تنبثق فكرته عن الاحساس العميق بآلام الأمة ومصائبها الحقيقية التي تراكمت في تاريخها الطويل، حتىٰ عزلتها عن مركزها الرئيسي من تيار الحضارة العالمية، وفرضت عليها أن تواكب التيارات المعادية لها باستسلام وخضوع، بدلاً من أن تكون هي الموجهة للتيار العالمي، كما كان لها مثل هذا التوجه في تاريخها البعيد.

وأما المؤتمر الذي لم يمتلئ شعوراً بحرارة تلك الآلام، وإنما يتولد عن رغبة في التعارف علىٰ إخوان مسلمين وبلد إسلامي مقدس فقط. فقد يتاح له أن ينشيء صلات أخوية طيبة بين عدد من المفكرين والناسبين المسلمين، ولكن لن يتاح له بحال من الأحوال أن يشعر الأمة بقيادته الفكرية.

(وثانياً) ـ إن المؤتمر حينما يتحسس بآلام الأُمة ومصائبها يجب عليه ألّا يفكر في الإستسلام لتلك المصائب واعتبارها أموراً لا مفر منها يدير جلساته ومحادثاته ضمن نطاقها العام، لأن مثل هذا الإستسلام يجعل الإحساس إنفعالاً مجرداً، فالقيادة لا تقوم علىٰ أساس الإنفعال فحسب، لأنها توجيه وبناء وليست تبعية وانعكاساً. فالأمة تنتظر من المؤتمر الجدير بقيادتها أن تجد عنده التعبير المنظم لتلك الآلام، وأن تجد عنده قدرة الترفع على الواقع الفاسد الذي تعيشه الأمة ليتاح له بجدارة أن يفكر في كيفية معالجة هذا الواقع وإصلاحه.

(وثالثاً) ـ إن هناك حقيقة يجب أن لا ننساها، وهي أن المسلمين.. وبالأحرى الشعوب الإسلامية ـ ليست بحاجة إلىٰ تعارف بينها بقدر ما هي بحاجة إلى أسس إسلامية قوية يقوم عليها التعارف، لأنا لا نكتفي بالتعارف بين المسلمين فحسب، وإنما نريد أن يكون المسلمون بالمعنىٰ الصحيح، فيتعارفوا علىٰ هذا الأساس، فإنه إن لم يعرف المسلمون الإسلام في أفكارهم وفي حياتهم وعلاقاتهم فلا أمل في قيام تعارف حقيقي بينهم.

والكلمة نفسها تصدق على الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية فان هذه الحكومات

بحاجة إلى التعرف على الإسلام نفسه في جهازها وقوانينها، ليتاح لها بعد ذلك أن تتعارف بينها علىٰ أساس إسلامي، فلن يكون التعارف أو الاتحاد بين حكومات المسلمين ـ مهما كان شكله ـ إسلامياً ما لم تكن الحكومات إسلامية بحد ذاتها، وإلّا فهي جهاز من أجهزة أعداء الإسلام لتحبيطه والقضاء عليه، وبالأخير القضاء على الشعوب الإسلامية وكيانها الذاتي.

وإني ختاماً ابتهل إلى المولىٰ سبحانه في أن يسبغ عليكم عنايته ولطفه ويأخذ بيدكم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، ويكتب لكم التوفيق في مؤتمركم الإسلامي الكبير، والنجاح في الوصول إلىٰ نتائج إيجابية حقيقية.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١٥ ـ ج ٢ ـ ١٣٨١

ملحق رقم (٥)

نص الرسالة التي وَجهَها
الإمام السّيد محسن الحكيم
إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد في عمان بتاريخ ١٦ ـ ٢٠ / ١ / ٩٦٧
بعد نكسة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء مؤتمر العالم الإسلامي المحترمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فاني إذ أحيي مؤتمركم الموقر وأرجو له التوفيق في أداء مهمته أحس احساساً واضحاً بأن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى التفكير العملي في الواقع المرّ الذي تعيشه الأُمة، واعادة النظر في هذا الواقع بكل جوانبه الفكرية والاجتماعية والسياسية ومناقشته علىٰ ضوء المأساة المروعة التي أصيب بها المسلمون في هذه الأيام، والتي لم تكن إلّا نتيجة لانحراف أساسي في ذلك الواقع الذي ساهم المسلمون بكل أسف مع أعدائهم المستعمرين في اقامته وترسيخه وفصله عن الله سبحانه، وقطع صلاته برسالته المقدسة.

وقد وضع الله سبحانه المسلمين جميعاً أمام مسؤوليات كبيرة في أعقاب هذه المأساة المفجعة، كما وضع الحكام منهم، بصورة خاصة، أمام مسؤوليات اكبر، وليست هذه المسؤوليات إلّا امتحاناً جديداً للأُمة وارادتها وللحكام في العالم الإسلامي، ومدىٰ قدرتهم على الأرتفاع إلىٰ مستوىٰ القيادة الواعية الحريصة علىٰ كرامة الإسلام والمسلمين.

وبحكم تلك المسؤوليات الضخمة فأن المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين، مدعوون للتوبة إلى الله سبحانه والرجوع إلىٰ صراطه المستقيم، وبناء حياتهم، علىٰ أساس تعاليمه

وتشريعاته، وتغيير الوضع الاجتماعي للأُمة تغييراً اسلامياً ليغير الله ما بنا ﴿إن اللهَ لا يغير ما بقومٍ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾ ويبدل ذلنا بعزّ، وانكسارنا بنصر، وضيعتنا بوجود حقيقي فعّال.

وإن حكام المسلمين جميعاً مدعوون بصورة خاصة إلىٰ مواجهة مسؤولياتهم أمام الله والتاريخ والأمة الإسلامية بروح مخلصة، وايمان صامد، وحشد كل قواهم، وامكاناتهم لأعادة الاراضي السليبة إلىٰ دار الإسلام، والعمل بكل ما يملكون من حول في سبيل تحرير القدس والمسجد الاقصى الذي أُسرى إليه رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، واستنقاذ اولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين من أيدي اليهود المجرمين الذين أباحوا حرمة تلك البقعة الطاهرة، وداسوا بأقدامهم أرضها التي باركها النبي ﷺ في مسراه العظيم.

ولا بد للحكام في العالم الإسلامي أن يعلموا أن استنقاذ القدس والاراضي السليبة الأخرىٰ من براثن الاعداء لا يمكن إلّا باتخاذ موقف إسلامي صارم يتمثل فيه الأصرار الهائل المستميت علىٰ تطهير البقعة المقدسة والأرض الطاهرة من الأعداء الغاصبين، ورفض أية محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف، أو تقديم أنصاف الحلول أو استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل.

ولابد لنا أن نؤكد هنا، كما أكدنا في مجالات سابقة أن قضية فلسطين عموماً والقدس خصوصاً هي قضية الإسلام مهما حاول البعض أن يضعها في اطار أضيق أو يفسرها علىٰ أساس آخر، ولهذا فأن مسؤوليات الموقف العظيمة يواجهها المسلمون عموماً، وحكامهم بشكل خاص علىٰ اختلاف لغاتهم وقومياتهم، وان التاريخ سوف يقيّم والأمة سوف تحدد مفهومها عن الحكام اليوم، العرب منهم وغير العرب، علىٰ أساس مواقفهم من المأساة، ودرجة الصمود الذي يتحلون به في معركة تحرير القبلة الأولىٰ للإسلام، وطرد الغاصبين من أرضنا الإسلامية الطاهرة.

وختاماً أسأل المولىٰ سبحانه أن يوفق الجميع لمراضيه ويأخذ بيدكم لما فيه عزة الإسلام، وخير المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١٥ جمادي الآخرة ١٣٨٧

ملحق رقم (٦)

. الأسس الفكرية لحزب الدعوة الإسلامية

الأساس رقم (١)
الإسلام

الإسلام في اللغة هو الإستسلام والإنصياع، وبهذا المعنىٰ كان صفة للدين الإلهي بشكل عام في قوله تعالىٰ ﴿ان الدين عند الله الإسلام﴾ وآيات اخرىٰ.

أمّا المعنىٰ الإصطلاحي للإسلام فهو (العقيدة والشريعة اللتين جاء بهما من عند الله تعالى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ) وهذا المعنىٰ هو المقصود من الإسلام في قوله تعالىٰ ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

ونقصد بالعقيدة (مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرسول ﷺ التي تعرفنا خالق العالم وخلقه وماضي الحياة ومستقبلها ودور الإنسان فيها ومسؤوليته امام الله وقد سميت هذه المفاهيم عقيدة لأنّها معلومات جازمة يعقد عليها القلب.

ونقصد بالشريعة (مجموعة القوانين والأنظمة التي جاء بها الرسول ﷺ التي تعالج الحياة البشرية كافة، الفكرية منها والروحية والإجتماعية بمختلف ألوانها من أقتصادية وسياسية وغيرها.

فالإسلام اذاً مبدأ كامل لأنّه يتكون من عقيدة كاملة في الكون ينبثق عنها نظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة ويفي بأمس وأهم حاجتين للبشرية وهما القاعدة الفكرية والنظام الإجتماعي.

الأساس رقم (٢)
المسلم

المسلم علىٰ قسمين:

مسلم واقعي، وهو من استسلم عن ايمان ويقين بالله واليوم الآخر ورسالة النبي ﷺ ويعبر عنه في القرآن الكريم كثيراً بالمؤمن وعن مقابله بالكافر.

ومسلم ظاهري. وهو كل من شهد الشهادتين ولم يظهر منه انكار لضروري من ضروريات الدين. ويعتبر كل من اعلن الشهادتين في عرف الدولة مسلماً مساوياً في الحقوق والواجبات لسائر المسلمين.

والدليل الشرعي علىٰ ذلك:

أولاً ـ سيرة النبي ﷺ والمسلمين مع من كان يسلم تحت ضغط التهديد بالقتل، فانّه كان يُقبل إسلامه بمجرد اعلانه الشهادتين.

ثانياً ـ سيرة النبي ﷺ مع اشخاص علم نفاقهم بشهادة القرآن الكريم.

ثالثاً ـ نصوص السنة المصرحة بأنَّ احكام الإسلام تدور مدار اعلان الشهادتين.

وعلىٰ ذلك فالدولة الإسلامية تساوي في الحقوق والواجبات بين جميع المشتركين في اعلان الشهادتين، في احكام الإسلام العامة: الطهارة، جواز التزويج، دخول المساجد ونحو ذلك. وان كان لا يجوز لها ان تسند إلىٰ من تخشىٰ نفاقه ورياءه شيئاً من الوظائف والمهام التي يشكل اسنادها خطراً على الإسلام، كما يجوز لها ان تضعه في رقابة وتحدد تصرفاته طبقاً لمقتضيات المصلحة الإسلامية العليا.

كما ينبغي أن يُعلم ان المرتد عن الإسلام سواء كان ملياً أو فطرياً اذا تاب واناب فان الدولة تقبل اسلامه واقعاً وظاهراً وتعامله كبقية المسلمين وذلك استناداً إلىٰ رأي فقهي تتبناه الدعوة.

الأساس رقم (٣)
الوطن الإسلامي

الوطن الإسلامي هو (ما يسكنه المسلمون من أقطار العالم).

يجب أن نميز بين استحقاق الدولة الإسلامية للأرض وبين صفة الوطن الإسلامي التي صح ان نصف بها الأرض.

ان استحقاق الدولة الإسلامية للأراضي نوعان:

النوع الاول: الإستحقاق السياسي وهو ما تستحقه الدولة الإسلامية من الأرض باعتبارها الإدارة السياسية العليا للإسلام اي باعتبارها المسؤولة عن الكيان السياسي للمبدأ الإسلامي والموظفة الشرعية علىٰ تطبيقه ونشره وحمايته ودائرة هذا الإستحقاق ليست محدودة بحدود لان الكيان السياسي للدولة الإسلامية قائم علىٰ مبدأ فكري عام لا تختلف في حسابه الأراضي والبلاد. ولذلك كان الإسلام المتمثل في الدولة الإسلامية صاحب الحق الشرعي في الأرض كلها ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ فيحق للدولة الإسلامية اخضاع جميع أراضي العالم لها سياسياً. غير ان طريقة استعمال هذا الحق وشكل تنفيذه يختلف باختلاف طبيعة الأشخاص المستوطنين للأرض من حيث كونهم مسلمين أو ذميين أو كفاراً غير ذميين الخ... وتشرح ذلك الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدولة الخارجية.

النوع الثاني: استحقاق مالكي وهو ما تستحقه الحكومة الإسلامية من الأرض باعتبارها الممثل الأعلىٰ للأمة الإسلامية والوكيل الشرعي عنها في حقوقها واملاكها. ودائرة هذا الإستحقاق هي الأرض الخراجية فانّها املاك عامة للأمة المسلمة وتقوم بولايتها أو وكالتها عنها بتولي شؤونها طبقاً لمصالح الأمة. وتشرح ذلك الأحكام الشرعية المتعلقة باملاك الأمة العامة.

ومن الواضح ان صفة الوطن الأسلامي تختلف في طبيعتها عن صفة الإستحقاق

السياسي والمالكي فان استحقاق الدولة السياسي للأرض هو بسبب تحمل الحكومة حماية المبدأ مما جعل لها الحق في تنفيذ ارادة الإسلام في الأرض طبقاً لتشريعاته. والإستحقاق المالكي سببه املاك الأمة مما جعل لها الحق في تنفيذ ارادة الأمة طبقاً لمصالحها، وهذا الإستحقاق بنوعيه حكم شرعي لا بد في استنباطه وتحديد دائرته من الأدلة الشرعية.

اما تحديد الأرض التي يصح وصفها بالوطن الأسلامي فهو ليس حكماً شرعياً فيكون المرجع فيه العرف السليم الذي يقضي في تعريف الوطن الإسلامي بأنّه (كل ما يسكنه المسلمون من أقطار الأرض).

الأساس رقم (٤)
الدولة الإسلامية

الدولة ككلّ علىٰ ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الدولة القائمة علىٰ قاعدة فكرية مضادة للإسلام كالدولة الشيوعية والدولة الديمقراطية الرأسمالية، فان القاعدة الفكرية الرئيسية للدولة الشيوعية تناقض الإسلام تماماً، وكذلك القاعدة الفكرية الرئيسية للدولة الديمقراطية الرأسمالية، فانّها وان لم تمس الحياة والكون بصورة محددة إلّا أنّها تناقض نظرة الإسلام إلىٰ المجتمع وتنظيم الحياة، فهي ايضاً قائمة علىٰ قاعدة فكرية مضادة للإسلام. وهذه الدولة دولة كافرة لانّها لا تقوم على القاعدة الفكرية للإسلام وهي بسبب تبنيها لقاعدة فكرية مناقضة للإسلام تعد كل امكاناتها للتبشير بتلك القاعدة ومحاربة كل ما يناقضها بما في ذلك الإسلام بعقيدته وأفكاره وتشريعه. وحكم الإسلام في حق هذه الدولة انّه يجب على المسلمين ان يقضوا عليها وان ينقذوا الإسلام من خطرها اذا تمكنوا من ذلك بمختلف الطرق والاساليب التبشيرية والجهادية لان الإسلام في هذه الدولة حتىٰ بصفته عقيدة موضع للهجوم وموضع للخطر فتكون الحالة معها حالة جهاد لحماية بيضة الإسلام، غير أن وجوب جهاد هذا العدو لا يعني بطبيعة الحال القيام باعمال تعرض العاملين للخطر دون نتيجة ايجابية.

النوع الثاني: الدولة التي لا تملك لنفسها قاعدة فكرية معينة كما هو شأن الحكومات القائمة علىٰ أساس ارادة حاكم وهواه أو المسخرة لإرادة أُمة اخرىٰ ومصالحها. وهذه الدولة دولة كافرة وليست دولة اسلامية وان كان الحاكم فيها والمحكومون مسلمين جميعاً لأن الصفة الإسلامية للدولة لا تنبع من اعتناق الاشخاص الحاكمين للإسلام وانّما تنشأ من اعتناق نفس الدولة كجهاز حكم للإسلام، ومعنىٰ اعتناق الدولة للإسلام ارتكازها على القاعدة الإسلامية واستمدادها من الإسلام تشريعاتها ونظريتها للحياة والمجتمع، فكل دولة لا تكون كذلك فهي ليست اسلامية ولما كان الكفر هو النقيض الوحيد للإسلام صح أن نعتبر كل دولة غير اسلامية دولة كافرة وكل حكم غير اسلامي حكماً كافراً، لأن الحكم حكمان: حكم الإسلام، وحكم الكفر والجاهلية، فما لم يكن الحكم اسلامياً مرتكزاً على القاعدة الإسلامية فهو حكم الكفر والجاهلية وان كان الحاكم مسلماً متعبداً بعبادات الإسلام ففي الحديث الشريف أن الحكم حكمان حكم الله عزّ وجلّ وحكم الجاهلية فمن اخطأ حكم الله فقد حكم بحكم الجاهلية.

والإسلام في هذه الدولة وان كان لا يجابه منها حرباً مركزة علىٰ عقيدته وافكاره إلّا أنّه حيث أُقصي عن قاعدته الرئيسية اصبح يفقد ضمان الدولة بكل وجه من الوجوه، وأصبح وجوده في خطر.

والحكم الشرعي في حق هذه الدولة انّها ليست دولة شرعية ويجب على المسلمين هدمها وابدالها بدولة إسلامية، وكذلك فأن وجوب ابدالها لا يعني القيام باعمال تعرض العاملين للخطر دون احتمال نتيجة ايجابية، كما ان الطرق التي تستعمل في سبيل هدمها وابدالها تقدر من حيث درجة العنف والقوة طبقاً لمدىٰ الخطر الذي يتهدد الإسلام منها وطبقاً لإمكانات العاملين واحتمال عود جهادهم بنتيجة على الإسلام.

النوع الثالث: الدولة الإسلامية وهي الدولة التي تقوم علىٰ اساس الإسلام وتستمد منه تشريعاتها بمعنىٰ انّها تعتمد الإسلام مصدرها التشريعي وتعتمد المفاهيم الإسلامية منظارها الذي تنظر به إلىٰ الكون والحياة والمجتمع.

والدولة الإسلامية هذه علىٰ ثلاثة أنحاء:

النحو الأول: ان تكون جميع التشريعات التي تقوم بها الدولة مستمدة من القاعدة الفكرية بحيث ان سير الدولة التشريعي والتنفيذي يكون منسجماً ومتفقاً مع متطلبات الإسلام وأحكامه وبصورة مضمونة دون أي قصور أو تقصير. وهذا انّما يتأتىٰ فيما اذا كانت السلطة الحاكمة معصومة من الخطأ والهوىٰ كالسلطة الحاكمة أيام النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

وحكم الإسلام بحق الدولة من هذا النوع انّه يجب اطاعتها ولا يجوز التخلف عن اوامرها وقراراتها التي تصدرها بصفتها سلطة حاكمة بحال من الأحوال.

النحو الثاني: ان تكون بعض التشريعات والتنفيذات متعارضة مع الإسلام تعارضاً ناشئاً من عدم اطلاع السلطة الحاكمة علىٰ حقيقة الحكم الشرعي أو طبيعة الموقف. وحكم الإسلام بحق الدولة من هذا النوع:

١ ـ انّه يجب على العارف من المسلمين ان يشرح للدولة ما تجهله من أحكام الإسلام أداءً لوجوب تعليم أحكام الإسلام لمن يجهلها خاصة السلطة الحاكمة.

٢ ـ كما يجب على المسلمين إطاعة هذه السلطة في كل الحقوق والمجالات التي تشملها صلاحياتها الشرعية.

٣ ـ واذا اصرت السلطة الحاكمة علىٰ وجهة نظرها الخاطئة عن حسن نية ولم يمكن لمن يختلف معها في وجهة نظرها ان يثبت لها رأيه، فان كانت القضية من القضايا التي يجب فيها توحيد الرأي كالجهاد والضرائب وامثالها وجب على المخالف إطاعة أمر الدولة وان كان معتقداً خطأها وان لم تكن القضية مما يجب فيه توحيد الرأي كان للمخالف ان يطبق في مجاله الخاص اجتهاده المخالف لإجتهاد الدولة.

النحو الثالث: ان تشذ الحكومة في تصرفاتها التشريعية أو التنفيذية فتخالف القاعدة الإسلامية الأساسية عن عمد مستندة في ذلك إلىٰ هوىٰ خاص أو رأي مرتجل. وحكم الإسلام في هذه الدولة:

١ ـ انّه يجب على المسلمين عزل السلطة الحاكمة واستبدالها بغيرها لأن العدالة من شروط الحكم في الإسلام وهي تزول بانحراف الحاكم المقصود عن الإسلام فتصبح سلطته

غير شرعية ويشترط في ذلك ان يتوصل المسلمون إلىٰ عزل السلطة الحاكمة بغير الحرب الداخلية.

٢ ـ واذا لم يتمكن المسلمون من عزل الجهاز الحاكم وجب عليهم ردعه عن المعصية طبقاً لأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة المقدسة.

٣ ـ واذا استمرت السلطة المنحرفة في الحكم فان سلطتها تكون غير شرعية ولا يجب على المسلمين إطاعة أوامرها وقراراتها فيما يجب فيه اطاعة ولي الأمر إلّا في الحدود التي تتوقف عليها مصلحة الإسلام العليا كما اذا داهم الدولة خطر مهدد وغزو كافر فيجب في هذه الحالة ان يقف المسلمون إلىٰ صفها ـ بالرغم من انحرافها ـ وتنفيذ أوامرها المتعلقة بتخليص الإسلام والأمة من الغزو والخطر.

والدولة في كل هذه الإنحاء الثلاثة هي دولة اسلامية لقيامها فكرياً علىٰ اساس الإسلام وارتكاز كيانها على القاعدة الإسلامية، ومجرد حدوث تناقض بين القاعدة التي تقوم عليها وبعض معالم الحكم ومظاهره لا يخرجها عن كونها دولة اسلامية. كما هو الشأن في كل دولة تقوم علىٰ قاعدة فكرية فانّها تحمل صفة تلك القاعدة وان حصلت بعض التناقضات في جهاز الحكم.

ويترتب على الدولة الإسلامية في كل هذه الحالات بعض الاحكام الفقهية كسقوط الزكاة عن ذمة من تجب عليهم اذا اخذته الدولة منهم كما نصت علىٰ ذلك أحكام الشريعة المقدسة.

الأساس رقم (٥)
الدولة الإسلامية دولة فكرية

لما كانت الدولة هي المظهر الأعلىٰ للوحدة السياسية التي توجد بين جماعة من الناس فلا بد ان تكون وحدتها انعكاساً لوحدة عامة قائمة بين الجماعة.

وهذه الوحدة العامة بين الناس التي تنعكس في الوحدة السياسية تارة تكون وحدة

عاطفية واخرىٰ وحدة فكرية.

فالوحدة العاطفية هي العاطفة الواحدة التي يحسها ويشترك فيها جماعة من الناس بسبب من الأسباب كاشتراكهم في أقليم متميز بحدوده الجغرافية او اشتراكهم في قومية متميزة بلغة أو دم أو تاريخ معين.

وأما الوحدة الفكرية فهي عبارة عن ايمان جماعة من الناس بفكرة واحدة تجاه الحياة يقيمون علىٰ اساسها وحدتهم السياسية، وهذه الوحدة هي الوحدة الطبيعية والجديرة بأن ينشأ علىٰ اساسها كيان سياسي موحد متمثل في دولة بعكس الوحدة العاطفية لأن العاطفة لما كانت لا تعني بطبيعتها الموقف السياسي للأُمة ولا نظرتها العملية نحو الحياة فبالتالي لا يمكن ان توجد للأُمة حكماً ونظاماً، لان الحكم والنظام انما يوجده الفكر ولذا كان الفكر هو القاعدة الطبيعية للحكم وكانت الوحدة الفكرية هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسية المتمثلة في الدولة تعليلاً علمياً.

علىٰ ضوء ذلك نستطيع أن نقسم الدولة ولو بصورة غالبة إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ الدولة الأقليمية: وهي التي تعكس في وحدتها السياسية الوحدة الاقليمية.

٢ ـ الدولة القومية: وهي التي تستمد وحدتها السياسية من القومية الموحدة.

٣ ـ الدولة الفكرية: وهي التي ترتكز في وحدتها السياسية علىٰ وحدة فكرية معينة.

والدولة الإسلامية من القسم الثالث. ومن طبيعة الدولة الفكرية انّها تحمل رسالة فكرية ولا تعترف لنفسها بحدود إلّا حدود ذلك الفكر، وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في أوسع مدىٰ انساني ممكن، وكذلك الدولة الإسلامية فانّها دولة ذات رسالة فكرية التي هي الإسلام، والإسلام دعوة إنسانية عامة بعث بها النبي محمد ﷺ إلى الإنسانية كافة في مختلف العصور والبقاع بقطع النظر عن الخصائص القومية والاقليمية وغيرها كما يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ ﴿وما ارسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ وقوله تعالىٰ ﴿قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ﴾، مع آيات ونصوص اخرىٰ كثيرة لا تدع مجالاً للشك بأن الإسلام رسالة عالمية لا اقليمية ولا قومية.

الأساس رقم (٦)
شكل الحكم في الإسلام

تعريف الحكم في الإسلام:

الحكم في الدولة الإسلامية هو (رعاية شؤون الأُمة طبقاً للشريعة الإسلامية) ولذلك يطلق على الحاكم كثيراً اسم الراعي وعلى المحكومين اسم الرعية كما في الحديث الشريف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ولا بد لكي تكتسب الرعاية صفة الشرعية ان يتوفر فيها أمران:

الاول: تنفيذ رعاية شؤون الأُمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها.

الثاني: ان تكون الرعاية نفسها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام فلا يكفي لأن تكتسب الرعاية الصفة الشرعية ان تقوم فعلاً بتطبيق الدستور والقوانين الإسلامية في ادارة شؤون الأُمة من جهاد واقتصاد وعلاقات سياسية بل لا بد ان يراعي تطبيق الدستور والقوانين الإسلامية في الرعاية نفسها لأن رعاية شؤون الأُمة من شؤون الأُمة أيضاً فيجب ان تكون بالشكل الذي حدده لها الإسلام.

المهام التي تتطلبها الدولة الإسلامية

تتطلب الدولة الإسلامية عدة مهام هي:

أولاً: بيان الأحكام وهي القوانين التي جاءت بها الشريعة الإسلامية المقدسة بصيغها المحددة الثابتة.

ثانياً: وضع التعاليم وهي التفصيلات القانونية التي تطبق فيها أحكام الشريعة على ضوء الظروف، ويتكوَّن من مجموع هذه التعاليم النظام السائد لفترة معينة تطول وتقصر تبعا للظروف والملابسات.

ثالثاً: تطبيق أحكام الشريعة ـ الدستور ـ والتعاليم المستنبطة منها ـ القوانين ـ على

الأُمة.

رابعاً: القضاء في الخصومات الواقعة بين أفراد الرعية أو بين الراعي والرعية علىٰ ضوء الأحكام والتعاليم.

شكل الحكم الإسلامي

للحكم في الإسلام شكلان:

الأول: الشكل الإلهي: وهو يعني حكم الفرد المعصوم الذي يستمد صلاحياته من الله مباشرة ويمارس الحكم بتعيين إلهي خاص دون دخل لإختيار الناس وآرائهم. وهذا الشكل من الحكم ثابت في الإسلام دون شك وباجماع المسلمين فمن المتفق عليه لدى المسلمين كافة ان حاكمية رسول الله ﷺ كانت من هذا الشكل كما يدل عليه قوله تعالىٰ ﴿النبي اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم﴾ وقوله تعالىٰ ﴿واطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم﴾ وقوله تعالىٰ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ وغير ذلك من النصوص، ولم تكن البيعة التي يأخذها الرسول ﷺ من المسلمين تعني أن الرسول يستمد صلاحياته للحكم منها ولا المشورة المأمور بها في قوله تعالىٰ ﴿وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله﴾ تعني ان حاكميته مقيدة برأي الأُمة ومستمدة منها لأن الله تعالىٰ لم يوجب عليه الأخذ بما يُشار عليه وانّما علق الأمر علىٰ عزمه خاصة.

وعلىٰ هذا فوجود الشكل الإلهي للحكم في الإسلام لا شك فيه ولا نزاع بين المسلمين وانّما النزاع في تحديد الاشخاص الذين ثبت لهم الحق في ممارسة الحكم بهذا الشكل وهل ثبت بعده ﷺ لأحد ام لا، فيذهب السنة إلىٰ انحصار هذا الشكل من الحكم برسول الله ﷺ ويذهب الشيعة إلىٰ أن هذا الشكل من الحكم ثبت بعد الرسول ﷺ للأئمة الأثني عشر المنصوص عليهم بصورة خاصة.

والضمان الأساسي في الشكل الإلهي من الحكم هو العصمة من الهوىٰ والخطأ التي تشكل الضمان الحتمي لإستقامة الحكم ونزاهته.

وبملاحظة المهام الأربع التي يتطلبها الحكم في الإسلام يتضح ان صلاحيات الحاكم المعصوم تشمل المهمة الاولىٰ بوصفه مبلغاً للشريعة إلىٰ الأُمة كما تشمل المهمة الثانية والثالثة بوصفه حاكماً، كما تشمل المهمة الرابعة للقضاء بوصفه قاضيا أعلىٰ فهو يمارس صلاحيات القيام بالمهام الأربع بوصفه مبلغاً وحاكماً ورئيساً أعلىٰ للقضاء بينما يختلف الأمر في الحاكم غير المعصوم كما سنرىٰ.

الثاني: الحكم الشوري أو حكم الأُمة:

والمصدر التشريعي لهذا الشكل من الحكم قوله تعالىٰ ﴿وامرهم شورىٰ بينهم﴾ فان هذه الآية الكريمة الواردة في سياق صفات المؤمنين التي تستحق المدح والثناء تدل علىٰ ارتضاء طريقة الشورىٰ وكونها طريقة صحيحة حينما لا يوجد نص من قبل الله ورسوله واما حيث يوجد النص فلا مجال لإعتبار الأمر شورىٰ لانّه سبحانه يقول ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم﴾. فالأمر انما يجوز أن يكون شورىٰ بينهم فيما اذا لم يقض النص الشرعي بقضاء معين، ومن الواضح ان مسألة شكل الحكم في الوقت الحاضر لم تعالج في نص خاص علىٰ مذهبي الشيعة والسنة معاً.

وبكلمة اخرىٰ أن الشورىٰ في عصر الغيبة شكل جائز من الحكم فيصح للأُمة إقامة حكومة تمارس صلاحياتها في تطبيق الأحكام الشرعية ووضع وتنفيذ التعاليم المستمدة منها، وتختار لتلك الحكومة الشكل والحدود التي تكون أكثر اتفاقاً مع مصلحة الإسلام ومصلحة الأُمة، وعلىٰ هذا الاساس فان أي شكل شوري من الحكم يعتبر شكلاً صحيحاً ما دام ضمن الحدود الشرعية، وانّما قيدنا الكيفية التي تمارس بها الأُمة حق الحكم بأن تكون ضمن الحدود الشرعية لانّها لا يجوز أن تختار الكيفية التي تتعارض مع شيء من الأحكام الشرعية كأن تسلم زمام الأمر إلىٰ فاسق أو فساق لأن الإسلام نهىٰ عن الركون إلىٰ فاسق بالأخذ بقوله في مجال الشهادة فضلاً عن مجال الحكم ورعاية شؤون الأُمة.

فلابد للأُمة حين تختار كيفية الحكم والجهاز الذي يباشر الحكم ان تراعي الحدود الشرعية.

الأساس رقم (٧)
تطبيق الشكل الشوري للحكم
في ظروف الأُمّة الحاضرة

عرفنا ان الشكل الشوري للحكم شكل صحيح في أساسه في ظرف عدم وجود الشكل الإلهي المتقدم وعدم وجود النص الشرعي علىٰ كيفية معينة لممارسة الحكم.

ولا بد أن نعرف الشروط لممارسة الأمة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم وهي الشروط الثلاثة التالية:

١ ـ ان يكون اختيار شكل الحكم واختيار الجهاز الحاكم ضمن الحدود الشرعية الإسلامية وغير متعارض مع شيء من أحكام الإسلام الثابتة.

٢ ـ ان يكون اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم اكثر اتفاقاً مع مصلحة الإسلام التي تعني الوضع الافضل للإسلام باعتباره دعوة عالمية وقاعدة للدولة.

٣ ـ ان يكون اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم اكثر اتفاقاً مع مصلحة المسلمين بوصفهم أُمة لها جانبها الرسالي والمادي.

ومن الواضح ان ممارسة اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بهذه الشروط تتوقف علىٰ وعي الأمة للإسلام من جهة ووعيها للظروف الحياتية والدولية من جهة اخرىٰ فاذا تم للأُمة بشكل عام مثل هذا الوعي فان باستطاعتها أن تختار شكل الحكم وان تنتخب الجهاز الكفء لرعاية شؤونها ويتساوىٰ حينئذ في ممارسة هذا الحق كل المكلفين باحكام الإسلام من الأُمة من بلغ السن الشرعية من المسلمين والمسلمات.

اما اذا لم تكن هذه الشروط متوفرة في الأمة لعدم وجود الوعي العام للإسلام وبالتالي عدم معرفة الحدود الشرعية التي يجب ان تراعىٰ في اختيار شكل الحكم والجهاز الحاكم بما يتفق مع مصلحة الإسلام والأُمة فانّه لا بد للدعوة بوصفها طليعة الأُمة الواعية لحدود الإسلام ومصلحته والواعية لظروف الأُمة ومصالحها ان تقيم في الأُمة شكلاً للحكم الإسلامي وتختار جهازاً حاكماً. حتىٰ يجيء الظرف المناسب لإستفتاء الأُمة لإختيار شكل

الحكم.

الأساس رقم (٨)
الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم

أحكام الشريعة الإسلامية المقدسة هي الأحكام الثابتة التي بينت في الشريعة بدليل من الأدلة الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والعقل. فلا يجوز في هذه الأحكام أي تبديل أو تغيير لانّها ذات صيغة محددة وشاملة لجميع الظروف والأحوال فلابد من تطبيقها دون تصرف.

ولنضرب لذلك مثلا بإلزام الأُمة الإسلامية باعداد ما تستطيع من القوة في مواجهة أعداء الإسلام فهو حكم شرعي نصت عليه الشريعة في بعض ادلتها كما في قوله تعالىٰ ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ولذلك فهو حكم ثابت شامل لجميع الظروف والأحوال.

اما التعاليم أو القوانين فهي أنظمة الدولة التفصيلية والتي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعية الدستورية لظرف من الظروف ولذا فهي قوانين متطورة تختلف باختلاف ظروف الدولة، ومنشأ التطور فيها انّها لم ترد في الشريعة مباشرة وبنصوص محددة وانّما تستنبط من احكام الشريعة علىٰ ضوء الظروف والأحوال التي هي عرضة للتغير والتبدل.

ويدخل في الأحكام الشرعية كل حكم دل عليه الدليل الشرعي بصفته المعينة كحكم وجوب الصلاة والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافة التفاصيل المحددة التي جاءت بها الشريعة المقدسة.

ومثال التعليم إلزام المسلمين القادرين بالتدريب على القتال فان هذا الحكم ليس حكماً شرعياً ثابتاً في كل الأحوال ولم يدل عليه دليل من الأدلة الأربعة بهذه الصفة المعينة ولذا لم يوجد إلزام بالتدريب أيام الرسول ﷺ إلّا قليلاً حيث كانت وسائل الحرب بسيطة ومتداولة والحاجة اليها والتدرب عليها يكاد يكون عاماً، واما في الظروف الحاضرة فقد أصبح التدريب، أسباب القوى التي يجب رصدها واعدادها فهو لذلك تعليم تقتضيه طبيعة

الحكم الدستوري الذي هو وجوب اعداد القوة القتالية.

وهكذا يدخل في التعاليم. كل أحكام القوانين التي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعية كقانون الشرطة وقانون الاستيراد والتصدير وقوانين التعليم والتخصص وقانون العمل وأمثالها مما تقضي به طبيعة الأحكام الشرعية في ظرف من الظروف.

وعلىٰ ضوء ما سبق نعرف ان اصطلاح «الدستور الإسلامي» حينما يطلق على الشريعة المقدسة هو أوسع من المصطلح المتعارف للدستور لأنّه يشمل كافة أحكام الشريعة الخالدة حيث تعتبر بمجموعها احكام دستورية، كما أن وصف التعاليم والقوانين بالأحكام الشرعية هو وصف صحيح وان كانت احكاماً ظرفية لانّها تكتسب الصفة الشرعية ووجوب التنفيذ شرعاً من الأحكام الشرعية التي اقتضتها ولأن الجهاز الحاكم العادل قد تبناها من أجل رعاية شؤون الأُمة والحفاظ علىٰ مصلحتها ومصلحة الإسلام العليا.

كما نعرف ان المرونة التشريعية التي تجعل أحكام الإسلام صالحة لجميع الأزمان ليس معناها ان الإسلام قد سكت عن الجوانب المتطورة من حياة الإنسان وفسح المجال للتطور ان يشرع لها من عنده وانّما معناها ان الإسلام اعطىٰ في تلك الجوانب الخطوط العريضة الثابتة بحيث ان التطورات المدنية للإنسان لا توجب تغير هذه الخطوط وتبدلها وانّما تؤثر في القوانين والتعاليم التي تباشر تنظيم الحياة في ظروف تقصر او تطول.

الأساس رقم (٩)
مهمة بيان أحكام الشريعة وتعيين
القضاة ليستا من مهام الحكم

عرفنا ان قيام الدولة الإسلامية يتطلب مهاماً اربعاً وهي:

١ ـ بيان أحكام الشريعة «الدستور».

٢ ـ وضع التعاليم «القوانين التي تقتضيها طبيعة أحكام الشريعة في ضوء الظروف الراهنة».

٣ ـ تنفيذ أحكام الشريعة والقوانين.

٤ ـ القضاء في الخصومات.

وهذه المهام وان كانت لازمة للدولة غير انّها ليست جميعاً من شؤون رعاية الأُمة حتىٰ تدخل في صلاحيات الحكومة بوصفها حكومة.

فقد عرفنا ان بيان المعصوم ﷺ لإحكام الشريعة لم يكن منه بوصفه حاكماً بل بوصفه مبلغاً مأموراً بالتبليغ وكذلك قضاؤه بين الناس وتنظيمه لجهاز القضاء وعزل من لا يرىٰ صلاحيته من القضاة كان بوصفه قاضياً اعلىٰ. وفي الشكل الشوري للحكم، الشكل الذي تقيمه الأُمة في غياب المعصوم ﷺ لا تملك الحكومة الحق في حصر ممارسة بيان أحكام الشريعة وتبليغها كما لا تملك الحق في حصر ممارسة القضاء في الخصومات كما لا يملك احد من الحكومة او غيرها حق القاضي الاعلى الذي يستطيع عزل القضاة وتعيينهم.

والشكل الذي تؤدى به هاتان المهمتان كما يلي:

١ ـ مهمة بيان الأحكام الشرعية هي من حق وواجب كل من يتوفر من الناحية العلمية علىٰ درجة الإجتهاد ومن ناحية السلوك والصفات علىٰ درجة العدالة فالمجتهد العادل فقط من حقه ان يبيّن الأحكام الشرعية في ضوع الأدلة الأربعة ويسمىٰ بيانه للحكم الشرعي علىٰ هذا الأساس «افتاء» فان كان لا يوجد في الأمة إلّا مجتهد عادل واحد وكان هو الذي وقع عليه اختيار الأمة وأُسندت إليه مهمة الحكم فقد اجتمعت عليه مهمة الحكم ومهمة الإفتاء معاً وان تعدد المجتهدون العدول فان لم يختلفوا في نتائج استنباطهم فلا مشكلة وان كان بينهم اختلاف في بيان الأحكام الشرعية وجب أن ينظر إلىٰ طبيعة الحكم المختلف فيه فان كان حكماً يلزم على الدولة ان تتبنىٰ فيه اجتهاداً معيناً وتجعله الإجتهاد السائد في المجتمع الإسلامي كالأحكام التي تتصل بمجالات السياسة والاقتصاد والجهاد فان على الحاكم اما ان يكون مجتهداً او يختار اجتهاداً من تلك الإجتهادات ويتبناه لان هذا الإنتخاب والتبني لاجتهاد معين داخل في رعاية شؤون الأمة ومن الواجبات الشرعية على الحاكم، غير ان تبني الدولة لاجتهاد معين لا يعني منع المجتهدين المخالفين لذلك الاجتهاد من استنباطهم أو ابداء آرائهم وانّما يعني اختصاص ذلك الاجتهاد المختار بالعمل والتنفيذ.

اما اذا كان الحكم الذي اختلفت فيه وجهات نظر المجتهدين من الأحكام التي لا يجب على الدولة توحيد الاجتهاد فيها عملياً ولا يضر بكيان الأمة والمجتمع اختلاف الأفراد في

سلوكهم طبقاً لإختلاف المجتهدين في آرائهم فلا يجوز للدولة والحالة هذه ان تتبنىٰ اجتهاداً معيناً بل توكل كل مسلم إلىٰ رأي مقلده الخاص او رأيه ان كان مجتهداً.

٢ ـ القضاء وتعيين القضاة:

القضاء في نظر الإسلام لون خاص من الحكم لانّه رعاية لشؤون الأمة لدىٰ وقوع المخاصمة ولكن السائد في لسان الشريعة هو التعبير عنه بالقضاء وعمن يباشره بالقاضي لا بالحكم والحاكم، غير أن حق القضاء لا يثبت للحاكم بمجرد كونه حاكماً بل يثبت لمن نصت عليه الشريعة نصاً خاصاً كالقضاة الذين كان يعينهم المعصوم عليه السلام في زمانه او نصاً عاماً كما هو الحال في المجتهد العادل بصورة عامة فكل مجتهد عادل يتمتع بحق ممارسة القضاء. ويستمد القاضي في المجتمع الإسلامي هذا الحق من نصوص الشريعة التي دلت علىٰ جعل هذا الحق لكل مجتهد عادل وليس من جهاز الحكم.

ومما يتصل بذلك:

أ ـ لا يجوز للدولة ان تمنح حق القضاء لغير المجتهد العادل الذي ثبت له هذا الحق في الإسلام، كما لا يجوز لها ان تمنع مجتهداً من ممارسة هذا الحق بل يجب عليها امضاء قضائه وتنفيذه.

ب ـ يجب على الدولة توفير المجتهدين العدول لممارسة القضاء بالدرجة التي تسد احتياج الأمة في قضاياها وخصوماتها لان ذلك يندرج ضمن الرعاية الواجبة لشؤون الأمة.

ج ـ اذا تعدد المجتهدون العدول ووقع الإختلاف في اقضيتهم فلذلك صورتان احداهما: ان يكون مرد الإختلاف بينهم إلى الإختلاف في استنباط الأحكام الشرعية.

والصورة الثانية: ان الإختلاف بسبب التطبيق، فان كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف الإجتهاد وكانت مصلحة الأمة تتطلب اقامة القضاء علىٰ حكم شرعي معين كان على الحاكم ان يتبنىٰ اجتهاداً معيناً ويفرض علىٰ جميع المجتهدين العدول ان يقضوا علىٰ اساس ذلك الإجتهاد فمن كان منهم مصوّباً لذلك الإجتهاد قضىٰ طبقاً لرأيه ومن كان منهم مخالفاً قضىٰ بالوكالة عن المجتهد الذي يرتأي نفس الإجتهاد المتبنى للدولة، وهذا التبني يكون واجباً على الحاكم لأنّه من شؤون الرعاية الواجبة للأمة، امّا اذا كان اختلاف

الأقضية لا يضر بنظام المجتمع واستقراره فيجب ان يعطي لكل مجتهد حرية القضاء طبقاً لإجتهاده.

وان كان اختلاف الأقضية بسبب اختلاف المجتهدين في تطبيق الحكم الشرعي مع وحدة الرأي فيه اساساً، كما اذا كان هذا القاضي يرىٰ شهادة زيد وعمرو بينة شرعية ولا يراها القاضي الآخر بينة لإعتقاده بفسقهما فان هذا الإختلاف لا يولد مشكلة تستوجب تدخل الحكومة فيجب ان يسمح لكل منهما بممارسة حقه في القضاء وان يباشر القضاء حسب رأيه واذا قضيا في مسألة واحدة بقضائين تنفذ الحكومة القضاء الأسبق زماناً منهما. وتفصيل الكلام في بحوث القضاء في الفقه.

ملحق رقم (٧)
بيان التفاهم الصادر من حزب الدعوة الإسلامية إلىٰ الأمة في العراق*

حزب الدعوة الإسلامية
الاعلام المركزي

بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرضِ وَجَعَل أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضعِفُ طَآئِفَةً مِنهُمْ يُذَبِحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَستَحْي نِسَآءَهُمْ إِنهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدينَ * وَنُريدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الذَّينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * ونُمكِنَ لَهُمْ في الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿وَالعصرِ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسرٍ * إلاّ الذينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصبرِ﴾.

أيّها الأخوة المؤمنون.

أيّها الدعاة إلى الله.

يا أمتنا الإسلامية: عرباً، واكراداً، وتركماناً، واعراقاً اخرىٰ

(*) لايحمل الكراس تاريخ الصدور، وقد صدر عام ١٩٨٠م.

أيّها المنتظمون في الأحزاب السياسية والنقابات والمنظمات

يا أهل الكتاب من نصارى العراق: عرباً، وكلدانيين وآثوريين، وأرمن واقليات اخرىٰ.

أيّها العراقيون جميعاً:

نحدّثكم جميعاً باسم الدعوة الإسلامية:

حديث الإيمان والحب والإخلاص.

حديث الرعاية والسياسة:

ان الحياة السياسية في العراق هبطت إلىٰ درجة تكاد لا تصدق، فقد اشاع المتحكمون الإرهاب إلىٰ ان اوصلوه إلىٰ جميع الأوساط، واصبح الإنسان لا يأمن، ولا يجد الإستقرار النفسي، سواءاً كان قريباً من السلطة ام بعيداً عنها، أو كان في الوظيفة الحكومية ام في العمل الحر، طالباً أو متخرجاً، يريد العمل في السياسة أو يبتعد عنها، رجلاً كان أو امرأة... ولأول مرة في تاريخ العراق يسري الإرهاب بنطاق واسع ليصل إلى العائلات في بيوتها، ويصل إلى النساء المصونات، والأطفال الأبرياء لتتوسع أجهزة القمع البوليسية في انتهاك حرمات النساء الطاهرات لقهر وسحق الرجال، ولم يصل اي بلد في العالم إلىٰ ما وصل إليه هؤلاء الأشرار الذين يتحكمون بمصائر الناس في العراق إلّا في واحد أو أثنين من البلاد في العالم، كما حدث في غينيا ـ بيساو. وكما حدث في نيكاراغوا!! ولذلك فلابد ان يتداول العراقيون في امورهم ويتناصحوا، وان يحدث بعضهم بعضاً..

نحن نبتدىء الحوار ونقدم نداءاً عاماً، وسيكون حديثنا اليكم حديثاً ذا شجون.. فيه الحزن، والألم، والهموم، وفيه الأمل والعمل، فيه مبادىء اولية عملية يمكن ان يتفق اكثر العراقيين عليها في هذه المرحلة من حياة أُمتنا.

نحدثكم حديثاً مفعماً بالحزن، نشاركُ فيه أحزان أرامل وأيتام وأهل وأصدقاء الذين ذهبوا ضحية الظلم والإضطهاد والطغيان والوحشية، وما اكثرهم..

الحزن على الذين ذهبوا ويذهبون ضحية التعذيب الوحشي في اقبية الإستخبارات والأمن والمخابرات والأجهزة الإرهابية الخاصة بدون محاكمة ولا تهمة معلنة..

الحزن على الذين أتاهم ويأتيهم رصاص الغدر وهم آمنون في بيوتهم.

الحزن على الذين أعدموا ويعدمون نتيجة لأحكام جائرة في محاكم ظالمة، يحكم فيها أشباه الرجال الذين يؤمرون فيطيعون بذلة ما بعدها ذلة، وبضمير ميت لا حياة فيه، يحكمون علىٰ كرام الناس بتهم باطلة وملفقة.

الحزن على الذين يصلون إلى الموت في كل يوم اكثر من مرة تحت ايدي المتفننين بالتعذيب المتلذذين بمنظر آلام الناس..

ان الطغمة الشريرة الحاكمة في العراق تذكّرنا بأصحاب الأخدود:

﴿قُتل أصحابُ الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.

حديثنا اليكم مفعم بالألم لما آلت إليه اوضاعنا الحضارية حيث تعيش أُمتنا علىٰ هامش الحياة وهي سادرة منساقة وراء السراب الحضاري الخادع.

يعتلي منابرنا الإعلامية العملاء العشائريون المنبهرون ببريق المظاهر الفكرية والمادية، والراكضون وراءها، ولا يصلون إلّا إلى السهل الساقط الذي لا يحتاج الوصول إليه إلىٰ جهد وعمل.

ويتسلط علينا العملاء السياسيون، يلعبون بمصائرنا ويهدرون حقوق الإنسان الممتنع عن الإنسياق مع قطيع المنساقين، بل يهدرون كرامته وحياته لأتفه الأسباب، ويبددون أموالنا بأتفه الطرق وأحطها..

ويلعب ساسة الدول الكبرىٰ ببلادنا ويقسمونها، ويستولون علىٰ خيراتنا، ويسلطون علينا من لا يرحمنا من اليهود والعملاء وان عذاب الإنسان في فلسطين والساواك ومخابرات الحكام في البلاد العربية اوضح شاهد علىٰ ما يقوم به المستعمرون في بلادنا علىٰ أيدي حلفائهم اليهود وأتباعهم الحكام.

وأصبح الكثير من أبناء أُمتنا ينساق وراء العملاء الفكريين والعملاء السياسيين ويقلد حياة المستعمرين تقليد القردة دون تفكير.

ويركض وراء السلع والطراز والأعلان ركض الضائع في صحراء الحياة.

حديثنا إليكم حديث مفعم بالهمّ لما آلت إليه أحوال الأمة، وحديث الهموم يتطاول ويتسع ليغطي ساحه الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية، ولابد من الإقتصار علىٰ

نقاط محدودة حتىٰ لا يتشعب الحديث.

لقد تفرقت أُمتنا وتمزّقت وتوغلت في ذلك اكثر مما يطمح إليه المستعمر الكافر، والفرقة بين فئات الأمة واضحة، والفجوة بينهم واسعة، والسلطات تعمل حسب الخطط التي وضعها المستعمرون، الخطط التي تعتمد علىٰ فكرة: (فرّق تسد).

لقد أُهدرت ثرواتنا العامة، فأخذ المستعمرون حصة الأسد، وسرق الحكام بعضها وبذّروها ـ بلا حياء ـ للمتملّقين والأنصار.. يعطي النظام لمجلة واحدة: مليوني دينار... هل من سفه أكثر من ذلك؟.

تكلف أجهزة التبريد للقيادة القومية لحزب البعث العربي الإشتراكي: مليون ونصف دينار، (ونرجو الأنتباه إلىٰ صفة: «الإشتراكي»)، ويعيش المتسلطون في مجموعة قصور فيها من الترف ما يعتبر ترفاً خرافياً نسبة إلىٰ ما يعيش الناس فيه في العراق.

والمصانع ـ نتيجة سوء التدبير ـ تتحول بالإدارة الفاسدة إلىٰ حديد صدئ. والمردود الإقتصادي سلبي دائماً، وتتكلف خزانة الدولة بذلك الكثير الكثير. والأرض الزراعية تستغل نصف استغلال، والإنتاج عليه مظاهر الإنحطاط، والسلع والمواد الإستهلاكية تتلاعب بها الدولة لإلهاء الناس.

أصبحنا نعيشُ في خدعة كبيرة، وكذبة واسعة، فما تعطينا الدولة من اعلام كاذب ومفسد للذوق والكرامة.

فلا صوت إلّا للإنتهازيين وضعاف النفوس ومن لا كرامة لهم. ولا تسمع كلمة حق ولا توجيه جاد وسليم.

ان الفساد والإفساد الخلقي، وأشاعة الفاحشة، ونشر الميوعة والتربية الفاسدة للكبار والصغار، والنساء والرجال، أمر أصبح كالأعلام نراه ونسمعه ليل نهار.

وحديثنا إليكم مفعم بالأمل كذلك:

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾.

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾.

ان أملنا بالله كبير بان يفرغ علينا صبراً ويثبت أقدامنا وينصرنا علىٰ القوم الكافرين.

أملنا بالله كبير بأن ينصرنا في عملنا.

أملنا كبير في يقظة أُمتنا واحساسها بالظلم، والثأر للكرامة التي يهدرها المتحكمون.

وحديثنا اليكم حديث العمل المثمر.

نعمل لحفظ حقوق الإنسان وكرامته وحياته وفق الأطر التي حددها الله تعالىٰ في شريعته، ونعمل لتنمية اقتصادية زراعية وصناعية متقدمة.

ونعمل للحصول علىٰ التعليم والعلاج والعمل الشريف.

ونعمل لإيقاف الرشاوىٰ والسرقات وعرقلة الأعمال وايقاف الأعمال الطفيلية واحتكار المناصب الهامة.

ونعمل لوحدة الكلمة، وعدم التفريق، وتكافأ الفرص للجميع.

أيّها العراقيون: وقبل التوغل في التفصيل، نعرّف انفسنا بوضوح وايجاز لإزاحة الغشاوة عن عيون الذين سمعوا الأشاعات الكاذبة، أو أخذوا صورة مشوهة عن العمل الإسلامي نتيجة لتربية الاستعمار، ونعطي معلومات صحيحة للذين لم يعرفوا دعوتنا من أبناء الأمة.

ان دعوتنا الإسلامية: دعوة إلى الله.. إلىٰ اتباع كتاب الله عزّ وجلّ، والسنة الشريفة، وأعطاء العقل الإنساني الذي هو أعظم هبة من الله لمخلوقاته مجاله الأوسع، كما بيّنه الله في كتابه.

ندعو إلىٰ انطلاق الإنسان المسلم من قيود التخلف والتبعية، وقيود التحكم الفردي الجاهلي الظالم، ليأخذ هذا الإنسان مكانه تحت الشمس، ويبني حضارته المتميزة عن الحضارة الوضعية السائدة.

ندعو لنبذ الفرقة المذهبية والعنصرية وكل ما يتصل بالتعصب الذميم في جميع المجالات، ومع جميع الناس.

ندعو للعمل الجاد والتعاون المثمر والحياة الفاضلة.

نحارب الظلم والجور، وندعو إلى العدل والأنصاف.

نكافح الفقر والجهل والمرض، وندعو إلىٰ بيت المال الذي يسد حاجة المحتاجين من

مأكل وملبس ومسكن وعلاج محققاً بذلك التكافل والتوازن الإجتماعيين.

لقد سارت دعوتنا المباركة هذه في طريق ذات الشوكة بتحرك اسلامي شعبي مرحلي جاد، وقد لاقت العنت منذ نشأتها الأولىٰ، فلأنّها تتحرك في محيط راكد أحسّ بها المعارضون، ولأنّها تعمل لمكافحة الوجود الإستعماري من جذوره حاربها العملاء، ولان الحكم البوليسي والفردي يسود العراق فانّه خنق كل صوت وحركة.

لقد راقبت الأجهزة الإستعمارية الحركة الإسلامية منذ البداية، لأن هذه الأجهزة ـ وخاصة الأجهزة الإستعمارية الإنكليزية ـ متغلغلة في العراق وتنظر إلى التحركات الشعبية بالمنظار المكبّر فترىٰ قبل غيرها، وتخطط وتعمل بدهاء.

وتحرك عملاء الإنكليز.. وكان البيان الأول في ١٧ تموز ومحاولات النظام لإحتواء العمل الإسلامي، فلم يتمكنوا من ذلك.

وحاولت الأجهزة خنق العمل الإسلامي بالإضطهاد والتشريد وبالإعتقال والتعذيب والقتل.

حاول المستعمرون تفتيت الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقاموا بحملة بشعة لإخراج المسلمين الذين لهم اصل إيراني، وقد استفاد من هذه الحملة شاه إيران المخلوع لتغطية مساوئه البشعة.

قام العملاء بمضايقة المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم ﷺ. وواصل الحكم البوليسي أعماله البربرية لتصفية الحوزة العلمية بعد وفاة آية الله السيد الحكيم، وبلغت هذه الأعمال أحَط درجاتها من الوحشية والوقاحة والدناءة باعتقال آية الله العظمى المرجع الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر وعدد كبير من علماء الأمة المخلصين ثمّ اقترفت أكبر جريمة بحق المسلمين في العصر الحديث باعدام هذا الإمام القائد.

كما قامت السلطة العميلة بتهجير عشرات آلالاف من العراقيين الذين يحملون شهادة الجنسية العراقية بحجة انّهم من أصل إيراني، بما فيهم النساء والأطفال وكبار السن.

اغتالت الأجهزة العميلة الشهيد السعيد أبا عصام «صاحب دخيّل» بالتعذيب الوحشي، والشهيد السعيد رجل مؤمن عامل لم يكل ولم يمل من العمل، مناظر، لبق، ومنظّر، وقائد حزبي شعبي فذّ.

واعدمت السلطات العميلة الشهيد السعيد الشيخ عارف البصري العالم العامل الحزبي التقي الصابر، والمخطط النبيه، والمتواضع الصادق، والصلب السائر علىٰ طريق ذات الشوكة باصرار.. ومعه الشهيدان السعيدان حسين جلوخان، والسيد نوري طعمة معاونا الشهيد أبي عصام في نشاطاته، وحاملا الجذوة الإسلامية المتقدة، والسيد عز الدين القبانجي، والسيد عماد التبريزي اللذان مزجا النشاط الدراسي بالنشاط العملي واستقاما برفعة وشموخ في الجهاد دون وجل ولا تردد في بيئة تحصىٰ فيها خطوات المتحرك.

واعدمت السلطات العميلة مجموعة طاهرة من الشباب النجفي: الطالقاني والإيرواني وأبو كلل ورفاقهم، كما حصدت رشاشات الجيش والشرطة عشرات من الشباب اليافع الغض والرجال والنساء، وضمت المعتقلات المئات منهم وذلك في انتفاضة اربعين الإمام الحسين عليه السلام سنة ١٣٩٧ هالموافقة سنة ١٩٧٧ م.

وقتلت السلطات العميلة بتعذيب لا يوصف الشهيد السعيد عبد الأمير مشكور من ابطال العمل الجامعي في العراق بعد ثلاث ساعات من اعتقاله بعد انتفاضة رجب ١٣٩٩هـ.

وحكمت بالإعدام علىٰ مجموعة كبيرة من العلماء المجاهدين من جميع أنحاء العراق، واعدمت أكثر من ٥٠٠ رجل من خيرة رجال العراق منهم السيد قاسم شبّر الذي بلغ من العمر ٨٩ سنة، والعلامة الشيخ مهدي السماوي عالم منطقة السماوة والعلامة السيد قاسم المبرقع من علماء بغداد في منطقة الثورة، الرجل الذي عذبوه وهو في الثمانين، والشيخ العلامة المجاهد الصابر عبد الجبار البصري ـ من علماء بغداد في منطقة السلام.

والعلامة الشيخ محمد علي الجابري ـ من علماء الناصرية في منطقة الفهود.

والعلامة السيد عباس الشوكي ـ من علماء بغداد ـ في منطقة الثورة.

والعلامة الشيخ خزعل السوداني ـ من علماء بغداد ـ في منطقة الكريعات.

والعلامة السيد عبد الجبار الموسوي ـ إمام وخطيب مسجد كميل في النجف الأشرف.

والمهندس المؤمن السيد علاء الشهرستاني من أبناء كربلاء.

والرجل الغيور السيد عمران من أهالي السماوة، وبقية الشهداء.

واعتقلت عشرات الآلاف من الشباب، وشملت الإعتقالات حتى النساء ونفذت حكم

الإعدام في شهيدتين كريمتين من معقل الأبطال.. (مدينة الثورة).. وتبع ذلك اعدام مجموعات مجاهدة اخرىٰ كان منها مجموعة من الشباب الجامعي والمتخرج وكلهم في معنويات عالية من الإيمان والعمل ومنهم:

١ ـ الشهيد عبد الأمير صادق.

٢ ـ الشهيد كاظم عبد الله.

٣ ـ الشهيد السيد فالح الحلو.

٤ ـ الشهيد احمد عبد الزهرة.

٥ ـ الشهيد محمد غضبان العسكري.

٦ ـ الشهيد صباح حبيب الشوكي.

٧ ـ الشهيد ازهر الطيار.

٨ ـ الشهيد حسن عاجل.

٩ ـ الشهيد عبد الساده عبد الله.

وقد اقدمت السلطة الجائرة علىٰ قتل أكثر من تسعين رجلاً من المجاهدين الأبطال مرة واحدة يوم ١٧ / ٣ / ١٩٨٠، بينهم ضباط وجنود واطباء ومهندسون ومدرسون وطلاب.

وهذا غيض من فيض.

إن هذا الطريق قد اختاره الدعاة اختياراً قربة إلى الله تعالىٰ، قدموا فيه الضحايا وهم في مرحلتهم العملية الاولىٰ، فقد قتل العملاء، شهداء الدعوة للقضاء على التحرك الإسلامي الذي يخيف المستعمرين واذنابهم، وارداوا شيئاً واراد الله شيئاً آخر، فازدهر العمل الإسلامي بضياء نور الشهداء، وتعاظم تصميم الدعاة على العمل في سبيل الله.

وها هي الدعوة الإسلامية تتقدم خطوات إلى الأمام، وتدخل حلبة الصراع السياسي في ظرف يصعب أن يكون له مثيل.

ومن أجل وحدة الكلمة في هذا الظرف البالغ الخطورة الذي يعيشه اقليمنا العراقي.. نخاطب كل المجموعات البشرية والسياسية في العراق، ونقدم نقاطاً يمكن ان يكون كثير منها نقاط إلتقاء بيننا وبين المجموعات السياسية للعمل جميعاً في الصراع مع عملاء الإستعمار المتحكمين في رقاب الناس.

❊ ❊ ❊

أيّها الدعاة إلى الله :

حديثنا معكم حديث الله للمؤمنين : فاسمعوا لعلكم ترحمون :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين. ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحصّ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾.

﴿ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

﴿ولقد كنتم تمنّون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون. وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم علىٰ اعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين. وما كان لنفس ان تموت إلّا باذن الله كتاباً مؤجلاً، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسيجزي الله الشاكرين﴾.

﴿وكأيّ من نبي قاتل معه ربّيون كثير، فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما أستكانوا والله يحب الصابرين. وما كان قولهم إلّا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبّت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾.

﴿يا أيّها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم علىٰ اعقابكم فتنقلبوا خاسرين. بل الله مولاكم وهو خير الناصرين. سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً، ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾.

أيّها العاملون في سبيل الله :

يا علماء المسلمين: في النجف، والرمادي، وكربلاء، والموصل، والأعظمية، وباب الشيخ، ومدينة الثورة، والكرخ، والرصافة، والبصرة، والناصرية، وسوق الشيوخ، وسامراء، وكركوك، واربيل، والسليمانية، والديوانية، والسماوة، وتكريت، وكبيس، وهيت، والفلوجة، وخانقين، والنعمانية، والكوت، والعمارة، وبعقوبة، والخالص.. وجميع مدن العراق...

أيّها المسلمون: المنتظمون في مختلف الأحزاب والتنظيمات: (الأخوان المسلمون)،

(التحريريون)، و(الشباب المسلم)، و(الحركة الإسلامية). و(شباب محمد)، و(الشبان المسلمون)، و(انصار السُّنة)..

يا كلَّ العاملين في سبيل الله:

﴿يا أيّها الذين آمنوا: اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وانتم مسلمون﴾.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾..

﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾.

﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم﴾.

ان الصراع السياسي والفكري مع عملاء الإستعمار احد مهمات العاملين في سبيل الله، بل هو من افضل العبادات:

﴿ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين﴾.

وان التعاون في هذا السبيل بين المسلمين هو طاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ:

﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾. لا مجال إذن للوقوف موقف المتفرج في ساحة الصراع:

﴿من رأىٰ منكم منكراً فليغيّره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الإيمان﴾.

سيلجأ المستعمرون واذنابهم لتفريق المسلمين باثارة الخلافات المذهبية والعصبيات العرقية. فكونوا علىٰ حذر من هذه اللعبة الإستعمارية الخبيثة التي يلجأ إليها المستعمرون، بقاعدة: (فرّق تسد).

وسيلجأ الإستعماريون واذنابهم إلىٰ لباس الإسلام ليمتص النقمة الشعبية الإسلامية، ويبعد بعضنا عن بعض.

فلا ينخدع احد بألاعيب الإستعمار الكافر.

وسيحاول العملاء أن لا تسري النقمة الشعبية إلىٰ جميع المدن والقصبات، وعلينا ان نتحد ونعمل سوية لتوسيع رقعة الصراع بيننا وبين العملاء المتسلطين، وعلىٰ جميع

المسلمين ان يخططوا للدخول في حلبة الصراع فان الله لا يرضىٰ من المسلمين أن يتقاعسوا عن نصرة دينه:

﴿يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون. ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكم علىٰ تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * واخرىٰ تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين﴾.

* * *

أيتها الحركات والفصائل القائمة علىٰ اساس القومية والوطنية من عرب واكراد:

﴿يا أيّها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

أيّها الأخوة العراقيون:

نناديكم بالصدق الإسلامي البسيط وبالإخلاص الكامل لله تعالىٰ وبالإلتزام بمصلحة الأقليم العراقي وساكنيه.

نخاطبكم من موقع النضال ضد الحكم البعثي والتحكم الفردي.

من موقع النضال ضد الدكتاتورية والغرور والصلف.

من موقع النضال ضد الإستعمار والتبعية والإرتباطات المشبوهة.

نخاطبكم ونحن ملتزمون بمبدئنا الإسلامي منه نستمد أفكارنا، وعلىٰ أُسسه نعمل، ومن منطلقاته ننطلق، وعلىٰ أصوله نهتدي، وبقواعده نلتزم، وبميزانه نزن الأمور.

نقول لكم بصراحة: اننا نستنبط من واقع الحياة السياسية انكم انطلقتم في العمل السياسي من منطلق التحسس بآلام الأمة والعمل ضد الإستعمار الرابض بكلكله علىٰ صدر أُمتنا، ان جذوركم الإسلامية هي التي دعتكم إلىٰ هذا المعترك في الأعم الأغلب من افراد تنظيماتكم.

وان المنضوين تحت لواء مختلف الأحزاب دخلوا هذه الأحزاب للتخلص من الأوضاع

السياسية برفع اللواء ضد الآلام التي تعيشها ألأمة، فالتجأتم بعفوية إلىٰ ما تعتقدون انّـه يؤدي إلىٰ ضرب مصالح الاستعمار.. ولذا فاننانعتقد ان مـقاصدكم اسـاساً هـي مـقاصد إنسانية نبيلة ذات جذور اسلامية فطرية صافية. واننا نعتمد على النـقاء الفـطري الذي يتصف به أبناء أُمتنا ونثق بانكم ستجيبون نداءنا هذا الذي ندعوكم فيه لِلإلتقاء في ساحة الصراع السياسي مع عملاء الإستعمار الحكّام الظالمين في عراقنا الحبيب.

* * *

أيّها الأخوة الأكراد في أرض العراق، وخارج العراق.

أيتها الحركات والمنظمات الكردية:

نخاطبكم بأسم الإسلام الذي يحمل حزب الدعوة الإسلامية مهمة اعادته إلى الحـياة السياسية والإجتماعية... لدى المسلمين.

يا من وقفتم ضد الحكام العملاء الذين امتهنوا سياسات التفرقة بين العـراقـيين عـلىٰ أساس عنصري أو عرقي.

نخاطبكم.. ونذكّركم بمواقف علماء الحوزة العلمية في العراق.. فلا يمكن لأحد أن ينسىٰ فتوى المرجع المغفور له السيد محسن الحكيم لأفراد الجيش العراقي بحرمة مقاتلة أخـوتهم الأكراد في حرب الشمال الدامية.

ونحن نعتقد أن الحل الإسلامي هو الحلّ الطبيعي لكلّ قضاياكم وقضايا سائر القوميات علىٰ أساس معاملة القوميات بمستوىٰ واحد ضمن إطـار الإسـلام، إذ يـرفض الإسـلام التعصب العرقي والأذلال القومي، كما يرفض تجزئة البلاد وتقطيعها إلىٰ أوصال.

إن مواقف وأعمال الحكومات العميلة لم تَـزِد المـوضوع إلّا تـعقيداً، لأنّهـم أرادوا أن يعالجوا القضايا معالجات كاذبة تمسّ القشرة، ولا تعالج الجوهر، والنظام الإرهابي الحاكم أوضح مَثَل علىٰ التعامل العِرقي الجاهلي والتصرف العشائري الحاقد.

إنكم تذكرون ولا شكّ النـقض الصـارخ لإتـفاقية آذار، وتـذكرون اتـفاقية صـدام المشبوهة في الجزائر مع شاه ايران المخلوع، وتذكرون حملات الإبادة الجماعية ضد الأكراد، وحرق القرى الكردية بساكنيها، وتهجير عشرات الآلاف إلىٰ مناطق أخرىٰ، كما تذكرون تسليط العملاء تحت شعار الحكم الذاتي أو ما يسمىٰ بـ(الجبهة الوطنية).

إننا ندعوكم إلىٰ العمل المشترك ضد النظام البوليسي العشائري لإسقاطه وانقاذ الإنسان في العراق من الظلم والقهر والأبادة، والمعاملة العِرقية والعشائرية التي يترفّع عنها الإسلام.

* * *

أيّها الشيوعيون.. أيّها الماركسيون

أن نظرتكم إلى الإسلام تعتمد علىٰ فكر جماعة من المفكرين الأوروبيين الذين نشأوا في محيط ديني نصراني مؤيد لإوضاع الظلم السائدة في اوروبا، في محيط يعادي الإسلام، فقد تبنىٰ هؤلاء المفكرون افكاراً معادية للدين بصورة عامة، واخذتم هذه النظرة اخذاً مسلماً به فاخطأتم من ناحية فكرية. ثمّ أن قواكم السياسية ربما كانت تتعامل مع الإسلام من خلال تعاملها مع عملاء الإستعمار من حكام المسلمين، امثال الحكام السعوديين وحكام باكستان وشاه ايران السابق، فكانت تصم الإسلام بالعمالة والإسلام بريء من سلوك هؤلاء الحكام، فاخطأتم من ناحية سياسية كذلك.

إن الإسلام يأمرنا بجهاد الكفار وكافة القوى التي تخدم الإستعمار، ويأمرنا بمكافحة الطغاة اينما كانوا. واذا اردتم ان تصلوا إلىٰ حقائق معرفة الإسلام فانّه يجب عليكم ان تعودوا إلىٰ اصول الإسلام: كتاب الله القرآن والسنة الشريفة، لتجدوا الأفكار الكاملة للسياسة الإسلامية. ونحن نعلن لكم أن الدعوة الإسلامية لا تنخدع بالشعارات التي ترفعها القوى الرأسمالية احياناً فتغري بها السذج، ونعتقد أن جمهور الشيوعيين لم يعملوا مع الشيوعية لإلحادها ولا لفكرها المعادي للإسلام، وانّما عملوا معها لإعتقادهم أنّهم يعملون ضد الإستعمار ويعملون ضد الظلم الإقتصادي الواقع علىٰ بلاد المسلمين، ولذا فان مقومات الدوافع لهذا العمل هي من الفكر الإسلامي المتأصل في النفوس لمكافحة الظلم والتسلط والهيمنة.

ونعلن لكم كذلك ان الدعوة الإسلامية ترفض الإلحاد رفضاً تاماً، لانّه في نظر الإسلام: ليس بعد الشركّ والإلحاد ذنب، ونحن لا نخلط بين الأمرين، وليس من واجبنا التفتيش عمن هو ملحد ومن هو ليس كذلك لأن هذا الأمر من اختصاص رب العباد، وما علينا إلّا الظاهر، والظاهر لدينا ان جمهور الشيوعيين في منطقتنا دخلوا الشيوعية ليس

بدافع فكري وعقائدي، وانّما بدافع الأوضاع المعاشة، ولذا فاننا ندعوكم وندعوا جميع المواطنين للعمل علىٰ مصارعة الظالمين المتحكمين في رقابنا.

أيّها العراقيون الحزبيون:

ان (سوموزا) العراق قد تجاوز أيّ مشاعر إنسانية في التعامل مع الأحزاب والمنظمات، فان اوامر الإبادة لمن لا يوافقه في اعماله البربرية تجري عن لسانه كما يجري العواء من كلب مكلوب بدون أي تخلف، وقد انقلب أو انمسخ إلىٰ حيوان متعطش للدماء، وعليه فلا أمل لأي تنظيم من تنظيماتكم في ان يعمل في الساحة السياسية بكرامة واحترام إلّا في مجال الصراع مع هذا الإنسان المنحط إلىٰ درك الحيوانية.

فالشهيد عبد الأمير مشكور مثلاً قد اعتقله الجلادون وقطّعوه وقتلوه خلال ثلاث ساعات فقط من اعتقاله، كان ذلك لا لشيء إلّا لنشاطه الإسلامي.

وان لهذا المثل اشباهاً تبلغ الألوف وسيسجل التاريخ صفحات سوداء لعهد يتحكم فيه صدام، فهل بعد هذه الأعمال التي تصدر من شرير كهذا أن يأمن احد أن يعيش معه إلّا من خلال التبعية والذل او من خلال الصراع والكرامة؟.

وقد بلغ من جرائم الزمرة الحاكمة في بغداد ان اصدرت حكماً باعدام كل من ينتمي إلىٰ حزب الدعوة الإسلامية أو يروّج لأفكاره المعادية للظلم والتفرقة وسياسات الإستعمار في المنطقة، وزادت هذه الزمرة الحاكمة بان حكمت باعدام حتى الذين سبق ان كانت لهم صله من أي نوع بحزبنا المجاهد، فهل حدثكم التاريخ السياسي عن اعمال وحشية بربرية طائشة كهذه؟.

فتشوا عن نقاط الإلتقاء معنا من خلال هذه الأفكار المطروحة في هذا النداء ولنعمل علىٰ اسقاط هذا النظام الظالم.

ان حق الإنسان المهدور ينادي كل من له كرامة ليعمل ضد انتهاك هذا الحق المعترف به من الجميع.

غوصوا في أعماق ذواتكم: سوف ترون ان الفطرة الإنسانية تدعو إلىٰ رفض الظلم، والحكم التعسّفي..، وهل في عالم اليوم اظلم مما نعيش فيه من مظالم؟!.

ان اسرائيل.. لا تعامل العرب كما يعامل النظام الحاكم أي إنسان في العراق، انّه يتعامل

مع جميع الحزبيين تعامل السيد المطلق.. وقد شرع لهذه المظالم شريعة، وهذا ما لم يـفعله انسان قبله إلّا ان يكون انساناً انحط إلىٰ درك الحيوانية.

* * *

أيّها العراقيون من اعضاء الأحزاب وانصارهم

هناك آفاق عملية كثيره يمكنكم ان تتقبلوها كلها او ان تتقبلوا بعضها:

١ ـ نريدكم أن تتفهموا مواقفنا جيداً، فاننا نعاهدكم:

ـ ان نكون ضد الظلم دائماً.

ـ وان نكون ضد التبعية دائماً.

ـ وان نكون ضد الإستعمار دائماً.

ـ وان نكون مع العدالة دائماً.

ـ وان نكون مع الفقراء لإزالة فقرهم.

ـ وان نكون مع ازدهار العراق وتقدمه ورفعة شأنه.

٢ ـ نريد ان لا تعارضوا كفاحنا الشعبي ضد المظالم التي تقع علينا جميعاً، وضد الظالمين، وان لا تعينوا الظالم ونحن في صراعنا، فلا تفتحوا عيون الحاكم وجواسيسه علىٰ نشاطاتنا واشخاصنا.

ولا تتبرعوا بالمعلومات عنا لإجهزة القمع البوليسية.

نريد منكم ان لا تعطوا عنا معلومات وعن اعمالنا الكفاحية ما استطعتم لتضليل أجهزة التجسس والقمع.

٣ ـ ونطلب منكم ان تتعاونوا معنا في الأعمال التي تتفق مع اهدافكم وتتحملوا تـبعية الأعمال التي ستقع علينا وعليكم نتيجة ذلك.

انشروا المفاهيم التي نطرحها وترون صدقها.

لا تبخلوا علينا في نشر اعمالنا التي ترونها صالحة في نشراتكم الحزبية.

شاركونا في تعبئة الجماهير من خلال الشعارات والمفاهيم التي تطرحونها.

شاركونا في تحريك الجماهير عندما يقتضي العمل الحركة الكفاحية.

* * *

أيّها المهاجرون من العراق، أيّها المخرجون من دياركم:

أيّها الفارون بدينكم وكرامتكم:

أيّها الطلاب ورجال الأعمال العراقيون في الخارج:

إن المظالم من الطغمة الفاسدة، الحاكمة في العراق والتي تحمل قلوبكم آلامها وتصلكم وانتم بعيدون بعض شرورها تستدعي منكم ان تعملوا ما في طاقتكم لتكونوا طرفاً في الصراع السياسي القائم بين الحاكم والشعب في العراق، ولا خيار لكم إلّا مناصرة شعبكم.

كوّنوا لجان مساندة لنصرة الشعب العراقي في محنته.

اجمعوا التبرعات لعوائل الشهداء والمعتقلين.

اصدروا النشرات السياسية لنشر الأخبار الداخلية.

افضحوا المظالم التي تقع على الإنسان في العراق.

افضحوا الإرتباطات المشبوهة التي يرتبط بها حكام العراق مع المستعمرين.

اكشفوا السرقات الضخمة والأموال المهرّبة إلى البنوك الرأسمالية في أوروبا.

اكشفوا الصفقات المشبوهة التي يقوم بها الحكام وسماسرتهم وشراء العقارات في اوروبا.

استنكروا جميع الأعمال والتصرفات الشاذة التي يقوم بها الحكم الفردي الظالم في العراق.

ارفعوا أصواتكم ولا يأخذكم الخوف، وانتبهوا واحذروا من الأجهزة البوليسية المرتبطة بالسفارات العراقية في الخارج.

أيّها العراقيون خارج العراق:

ان عليكم واجباً يقتضيه الإصلاح لبلادكم ودينكم فلا تقصروا.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

* * *

أيّها النقابيون وأصحاب الجمعيات والتنظيمات المهنية:

أيّها العمال والفلاحون والأطباء والصيادلة والمهندسون:

أيّها الزراعيون والكيمياويون والجيولوجيون والأقتصاديون والحقوقيون:

أيّها المعلمون والطلاب:

نحن وإيّاكم وكلّ الشعب العراقي بجميع فئاته نعيش في جو من الإرهاب والتجسس، وقد تحولت حياة الإنسان إلىٰ حياة ترقب وحذر دائم، أو توتر وخوف من أجهزة السلطة والإنتهازيين.

نحن نعلم وإيّاكم ان جميع التنظيمات النقابية الحالية قد فُرضت فرضاً ولم يجرِ أيّ انتخاب نزيه في أيّ منها علىٰ جميع المستويات وفي جميع المجالات.

ونحن نعلم وإيّاكم ان جميع النشاطات النقابية ممنوعة إلّا من خلال الأشخاص الذين باعوا انفسهم للسلطة بثمن بخس دراهم معدودة ،وانتصبوا علىٰ منصات القيادات النقابية، وما هم إلّا أجراء للشيطان.

ان التنظيم النقابي علىٰ هذه الصورة انّما هو تنظيم قمعي وجزء من القمع البوليسي وسياسة التحكم والتسلط الذي أُبتلي به شعبنا.

ان سوق النقابيين إلى المسيرات السياسية كما تساق الأغنام هو امتهان للكرامة الإنسانية.

وان ارتباط القادة النقابيين لا يتجه إلىٰ مصلحة النقابيين، بل يدور في فلك النظام والمتسلطين عليه، في اطار استخدام هذه المجموعات البشرية لخدمة المتسلطين على النظام.

ان هذه الأوضاع لا تتغير اذا بقي النقابيون والمهندسون سلبيين في مواقفهم، يسيرون بعكس اتجاه مصالحهم الحقيقية.

ان تغيير الأوضاع لا يتم بالسكوت عن الحق، والرضا بالمظالم والأعمال الشائنة.

ولذا فاننا ندعو جميع النقابيين إلى التأمل والتفكير في اوضاع نقاباتهم، واوضاع البلاد بكل جدية واخلاص، وندعو إلىٰ اعادة النظر في جميع اوضاعنا بشجاعة واقدام.

ان واجب العمل النقابي ان يفتش عن مصالح النقابيين ومصالح المهنة وبذلك يكون الإتجاه نحو مصلحة الأُمة.

ان ارتقاء المهارات المهنية بجميع اصنافها العملية والنظرية، وتحقيق مصالح النقابيين لا يتحققان مادامت النقابات علىٰ اوضاعها الحاضرة.

على النقابيين ان لا يخضعوا لتوجيهات السلطة في الإنتخابات النقابية.

على النقابيين ان يعملوا لمصحلة المهنة بعيداً عن التزلف للنظام.

بكتابة الأبحاث المختلفة حول اوضاع المهنة.

وترجمة ما يمتّ إلى المهنة بصلة من ابحاث مكتوبة باللغات الأخرىٰ.

واصدار مجلات مهنية موضوعية.

وتنظيم ندوات ومؤتمرات مهنية.

والأتصال باصحاب المهن المتشابهة في البلدان الأخرىٰ.

والأتصال باصحاب المهن الأخرىٰ داخل البلد لتقوية العمل المهني.

على النقابيين ان يعملوا لمصلحة المهنيين بعيداً عن التزلف للنظام.

يُفتح صناديق مالية للأعانات المالية للمرضىٰ والمحتاجين من أصحاب المهنة.

والعمل علىٰ توفير السكن والعلاج.

وانشاء جمعيات تعاونية استهلاكية للمهنين.

والعمل علىٰ ايجاد مراكز تدريب ودورات تثقيفية للمهنين.

أيّها النقابيون: ان جزءاً عظيماً من الكفاح السياسي لتغيير الأوضاع السياسية الظالمة الىٰ اوضاع سياسية تتيح لكم العمل النقابي الشريف يقع علىٰ عاتقكم.

تعاونوا ـ أيّها النقابيون ـ ما استطعتم مع طلائع الكفاح السياسي الذي تخوضه أُمتنا للتخلص من العبودية التي يفرضها علينا النظام الحالي.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

* * *

ايتها الأقليات الدينية: يا نصارى العراق ويا صابئة العراق:

اننا نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ومنهم الأنبياء والمرسلون الذين تعتقدون بهم وتؤمنون.

﴿قولوا آمنا باللهِ وما أُنزِل علينا وما أُنزِل علىٰ إبراهيمَ واسماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتِي موسىٰ وعيسىٰ والنبيونَ مِن ربِهم لا نُفرّق بين أحدٍ منهم ونحنُ لهُ مسلمونَ﴾.

نناديكم نداءاً مفعماً بالإيمان والأخلاص والتكريم.

ونطلب منكم ان لا تنفروا من دعوتنا الإسلامية ومن التزامنا الكامل بالإسلام.

ان الحياة الكريمة لاننالها جميعاً تحت الحكم الفردي القائم، ولا أيّ حكم مشابه له، ان الحياة الكريمة لنا ولكم مضمونة في ظلال أحكام الإسلام، وسيتاح لكم العيش في ظلال أحكام دينكم عندما يتاح للإسلام ان يعود إلى الحياة.

ان الإسلام يحفظ ويصون للإنسان حياته وصحته وماله وعرضه واسرته ودينه وكرامته وعقله كأفضل ما يحفظ ذلك نظام.

وان أهل الكتاب لم يعيشوا ابداً في بلادنا في ظلال الأمان كما عاشوا أيام الدولة الإسلامية التي تطبق أحكام الله.

* * *

أيّها البعثيون السائرون مع الظالمين عن غير وعي ولا ادراك لما تجتنيه أيديكم من أعمال جائرة بصورة مباشرة في حق هذا الأقليم.

عودوا إلىٰ نفوسكم وتأملوا اوضاعكم، وستصلون إلىٰ حالة من الندم علىٰ ما انتم عليه ان كنتم صادقين.

سائلوا أنفسكم:

من أوصل قيادتكم إلى السلطة؟ هل التنظيم الحزبي الذي أوصل هذا النظام إلى الحكم في ١٧ تموز؟ هل الشعب اوصله إلىٰ ذلك؟.

والجواب واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار: «لا الحزب ولا الشعب الذي أوصله إلى الحكم، بل اللعبة الدولية والمخابرات الإنكليزية».

سائلوا أنفسكم: أين الأسماء الحزبية اللامعة في تاريخ حزب البعث؟ كلها اختفت! اختفت عن الوجود بالقتل، او عن المسرح السياسي بالإبعاد أو السجن أو الفصل! سائلوا أنفسكم: لماذا كل هذا؟.

سوف تجدون الجواب واضحاً بين صفوفكم، وسوف تجدون ذلك وراء كل التحركات الحزبية التي انتجت المذابح الجماعية في قياداتكم وكوادركم ذات التفكير الحزبي، لا الولاء الشخصي.

سائلوا أنفسكم: اين الوحدة التي يسعىٰ لها الحزب؟ لاحظوا ان الحزب وصل إلى

الحكم في قطرين متجاورين وبدلاً من ان يتحد القطران انشق الحزب إلىٰ حزبين!.
ولاحظوا انكم تعيشون في أجواء الشعارات وأجواء الأعلام الوحدوي الكاذب،
واستعرضوا ذلك من خلال الأحداث فسوف لا تجدون إلّا الخداع.

سائلوا أنفسكم: أين الحرية في هذا الجو البوليسي الخانق الذي تمارسه السلطة في البلاد وانتم تتعاونون معها في ذلك؟ والذي تعيشون فيه انتم كما يعيش فيه الشعب العراقي الصابر.

سائلوا أنفسكم: أين الإشتراكية في هذا الجو المترف الذي يعيش فيه الحكام من قادتكم واقربائهم وانسبائهم ولا يصل اليكم إلّا الفتات.. وانظروا إلىٰ أنفسكم: كيف تتراكضون علىٰ هذا الفتات؟.

إن كثيراً منكم قد تورط بأعمال التجسس علىٰ الناس، وان بعضكم تورط بأعمال القتل، تنفذون بذلك اوامر قيادتكم التي لا ترضي الله ورسوله ولا المؤمنين ولا احداً من الناس يملك العقل الصحيح.

إن التجسس والقتل اللذين تورط بعضكم فيهما من الأعمال المشينة.

يقول تعالىٰ: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً؟﴾.

ويقول تعالىٰ: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾.

فتشوا أيّها البعثيون عن جذور الفكر الذي تدّعون حمله، وتسيرون علىٰ نهجه، ويردده الأعلام ليل نهار، ويتشدق به قادتكم.. سوف ترونه نابعاً من الفكر الإستعماري، نقله اليكم العملاء الفكريون: ميشيل وأمثاله ليفرقوا المسلمين ويبعدوهم عن إسلامهم.

اسمعوا قوله تعالىٰ:

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتقوا منهم تقاة ويحذّركم الله نفسه وإلىٰ الله المصير﴾.

﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله علىٰ كل شيء قدير. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾.

﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾.

﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾.

﴿قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين﴾.

أيّها البعثيون: لا تتمادوا في تأييد الطغاة وابتعدوا عن فعل كل شائن تقومون به، ولا تتقبلوا اكاذيب النظام وخداعه، وحاسبوه علىٰ السرقات، واعمال الترف التي ترونها رأي العين، وانتم تطّلعون عليها قبل غيركم، ولا تكونوا للظالم عوناً على الشرفاء من أبناء أُمتكم، فان الظالمين لا يقدرون علىٰ ظلمهم بدونكم.

دققوا في ارتباطات الحكام المشبوهة بالمستعمرين فانكم لم تنضموا إلىٰ حزب البعث لتكونوا مساقين إلىٰ مستنقع العمالة، او لتكونوا مخدّرين بالفكر الإستعماري فتكونوا من الذين ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم، وعلىٰ ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.

واخيراً لا تكونوا عوناً على الدعوة الإسلامية ، فان موقف النظام القائم من الدعوة الإسلامية كموقف فرعون من الدعوة إلى الله.

﴿إن فرعونَ علا في الأرضِ وجعلَ أهلَها شِيَعاً يستضِعفُ طائفةً منهم يذبّحُ أبناءَهم ويستحيي نساءَهم إنّه كانَ من المفسدينَ﴾.

﴿ونريدُ أن نمنّ على الذينَ أُستضعِفَوا في الأرضِ ونجعلَهم أئمّةً ونجعلَهم الوارثينَ﴾.

* * *

يا جماهير أُمتنا:

أيّها العراقيون بجميع انتماءاتكم واتجاهاتكم الفكرية:

ان الأوضاع السياسية لم تعد اوضاعاً تخضع للمنطق الإنساني السليم، ولا حتىٰ للمنطق الإنساني المتخلف، فقد أُبتلي العراق وأهله بأعمال تحولت إلىٰ أحط من منطق الحيوان، فان الولوغ بدماء الناس واعراضهم وكراماتهم، والتعذيب الوحشي الذي تمارسه الوحوش البشرية في السجون والمعتقلات والزنزانات والأقبية الخاصة، واحتكار العمل السياسي، وسلب أبسط حقوق الإنسان الذي انحدر في العراق إلىٰ حدّ لم يصل إليه في أي شعب من الشعوب إلّا ما تذكر بعض اخبار الرئيس المخلوع سوموزا في نيكاراغوا ورئيس غينيا بيساو السابق الذي طلب من الناس كما تنقل الصحف ان يعبدوه من دون الله! وان سياسة

التبعيث التي يتبّعها النظام ما هي إلّا صورة لما تناقلته الصحف عن رئيس غينيا بيساو السابق، لأن التحزب في صورته الحاضرة هو طاعة الحاكم والسير في ركابه بكل ذلة وعبودية.

ان الأعمال المشينة التي يقوم بها الحكم الفردي في العراق تكاد لا تحصىٰ من كثرتها، وان أكثر ما يحزّ في النفس منها ان يلعب النظام بورقة التفريق بين المسلمين.

فقد قام العتلّ الزنيم: خير الله طلفاح المقنّع بقناع العروبة والإسلام بالإتصال ببعض علماء المسلمين وطلب منهم أن يقفوا ضد التحرك الإسلامي الشعبي بحجة أن هؤلاء يريدون التحكم، ويريد بذلك ان يثير فتنة مذهبية بين السنة والشيعة في العراق، ومن رحمة الله، أنّه لم ينجح في لعبته القذرة.

إن تفريق المسلمين وضرب الحركة الإسلامية ببعض علماء المسلمين باستعمال سلاح التفرقة المذهبية انّما هو ضلال مبين، ولا يقوم بذلك إلّا عميل نذل..

واننا نقول لإخواننا العلماء:

﴿ولا تطعْ كلَّ حلّاف مهين، همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم. عتلّ بعد ذلك زنيم﴾. ونقول لهم:

﴿ولتكنْ مِنْكم أُمةٌ يدعونَ إلى الخير﴾ أي إلىٰ الإسلام الذي يمنع من الدعوة إليه هذا المعتدي الأثيم.

ما نعمل في مثل هذه الأوضاع البالغة السوء؟.

هل ينفع الحوار مع السلطة؟ أم ان كل حوار يعتبره النظام ضد الثورة وضد الحزب وضد الزعيم الأوحد؟.

هل ينفع طرح تصورات سياسية واقتصادية واجتماعية؟ ام ان ذلك احتكار لا يجوز الإقتراب نحوه؟.

هل يمكننا التفكير بحاضر العراق ومستقبله؟ ام أن ذلك من الحقوق المقدسة للحاكم المتفرد التي لا يجوز التفكير في الأنتقاص منها بالمشاركة الحرة؟.

ما العمل؟ وكل الأبواب مغلقة؟.

ان طريق الصراع السياسي لفرض الوجود السياسي للإنسان في العراق هو الطريق

الوحيد في هذه المرحلة من حياة أُمتنا.

وان من مستويات هذا الكفاح والصراع الذي ستخوضه أُمتنا وجود التفاهم المرحلي وذلك:

ـ لان وجود اهداف مرحلية واضحة ضروري لتعمل كل الأحزاب والمنظمات السياسية علىٰ تحقيقها.

ـ لكي تعرف الجماهير أن كفاحها مرتبط بتحقيق مطالب معينة فلا تنخدع بالأقوال دون الأفعال، وحتىٰ لا يرافق الكفاح السياسي غموض فكري يستغله الإستعمار من خلال اللعبة الدولية.

وفيما يلي بيان التفاهم لحزبنا المجاهد نطرحه كتصور مرحليّ يصلح ـ فيما نعتقد ـ لأن يكون محور تفاهم مشترك لكافة الحركات والأحزاب السياسية وجماهير الأمة.

* * *

نص بيان التفاهم
الصادر من حزب الدعوة الإسلامية
الى الأمة في العراق

الآفاق السياسية
(١)

أودع الله تعالىٰ في الإنسان العقل المدرك، والوجدان الإجتماعي، والإرادة الحرة في دائرة الأعمال التي يسيطر عليها، واستخلفه في الأرض ليعمرها، وارسل إليه ما ينير له الحياة من أفكار وتعليمات.. وكل من يعطل أو يكبت هذه الإمكانات الإنسانية، او يمنعها من أن تسير في طريق الهدى الذي وضعت فيه، فانّما هو معارض للفطرة الإجتماعية التي فطر الله الناس عليها، ومعيق لقدرات الإنسان الأبداعية ان تنطلق لخدمة الناس والمجتمع.. وهذا المنع

والتعطيل والكبت هو من الظلم الفاضح، وعلينا ان نرفضه ونعمل لتقويضه.

(٢)

امر الله تعالىٰ المسلمين ان يكونوا سياسيين في حياتهم ووضع لهم عبر النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة وسيرة القادة أُسس العمل الاجتماعي السياسي وأصوله ومنطلق تصوراته ومرتكزاته وقواعده وآفاقه وموازينه.

ولا يجوز لأيّ حاكم في بلد إسلامي ان يمنع المسلمين عن العمل السياسي، ومن يفعل ذلك.. فليس من الله في شيء، وهو يحكم بغير ما انزل الله سبحانه.

وعلى المسلمين ان يعملوا لتغيير هذا الوضع لأنّه من أعظم المنكرات.

(٣)

العمل السياسي في العراق محتكر لفئة قليلة من الناس من دون غيرها من الناس.

وما الجبهة الوطنية التي لفقها النظام لتغطية احتكاره للعمل السياسي إلّا خدعة يحاول ان يخدع بها الأمة.. فالأحزاب والفئات الداخلة في هذه الجبهة لا يسمح لها ان تتحرك إلّا ضمن اطار تحدده السلطة بكل سيطرة، وان سيف التجسس مسلط تسليطاً كاملاً على الفئات داخل الجبهة، حتىٰ ان الملاحظ السياسي كان يرىٰ بأم عينه كيف ان اجهزة الأمن لا تسمح بتعليق لافتة للحزب الشيوعي ـ العضو الرئيسي في هذه الجبهة ـ حتىٰ لو كانت هذه اللافتة تحمل شعاراً تتبناه الجبهة، ويرىٰ كيف ان السجون والمعتقلات تضمّ فيما تضم الحزبيين المنضّمين إلى الجبهة لأنّهم اظهروا بعض النشاط السياسي على الساحة العراقية، ويرى الملاحظ السياسي كيف ان الإغتيالات لم تتوقف في أي وقت من الأوقات للسياسيين ومن ضمنهم العاملون في صفوف الجبهة الوطنية.

واذا تجاوزنا الجبهة الوطنية وتوغلنا أكثر فسنرىٰ أن شعار الحزب القائد هو خدعة أُخرىٰ يمارسها المتسلطون، ويرى المراقب السياسي أن حزب البعث ليس إلّا واجهة من واجهات السلطة وليس له من الأمر شيء، فليس هناك حزب بالمعنى الصحيح وانّما هناك متسلط تحيطه زبانية يحملون الولاء الكامل له، والحزب قطيع يساق بأوامر المتسلط كما

يساق قطيع الماشية! وكل من يعارض هذا الأسلوب من العمل يطرد من الحزب اذا لم يسجن او يقتل.

وبالتالي فسوف نرىٰ أن العمل السياسي في العراق يحتكره شخص واحد أو بضعة أشخاص علىٰ اكثر تقدير.

ان احتكار العمل السياسي لشخص واحد أو بضعة أشخاص أمر مستهجن ولا يطبق إلّا في البلاد المتخلفة، ولا يطبقه إلّا رجل عميل فرضته القوة الإستعمارية على البلاد لتنفيذ أغراضها وتحقيق أهدافها، أو رجل مصاب بعاهة نفسية يتصور من خلالها بأنّه رجل متميز له حقّ التصرف في رقاب الناس.

والعمل السياسي في العراق يبدو للخارج وللناظرين إلى الإشياء والأحداث نظرة سطحية أنّه حكر علىٰ حزب البعث العربي الإشتراكي، إلّا انّه كما بيّنا حكر على المتسلط علىٰ حزب البعث، لا بصفته الحزبية بل بصفة العمالة للإستعمار، وهذا المتسلط يسمح لمن يحمل الولاء الكامل له بالعمل السياسي ويمنع ذلك عن غيرهم.

ولو كان العمل السياسي لحزب البعث كما هو في الظاهر لما تهاوت قياداته في فترات متوالية وبصورة جمعية، ولما تساقطت رؤوس اكثرهم تمسكاً بالعمل الحزبي.

ولو فرضنا جدلاً أن حزب البعث هو الذي يحتكر العمل السياسي، فبأيّ حق يفعل ذلك؟ وما هو فضل الحزب على العراق؟

يلاحظ المتتبع السياسي ان حزب البعث العربي الأشتراكي تكاثر أعضاؤه بصورة غير طبيعية عندما انتمى إليه كثير من الناس وزمرة كبيرة من الضباط خوفاً من الشيوعية أيام عبد الكريم قاسم، ونظراً لإرتباط بعضهم بالإستعمار الانكليزي توصل إلى الحكم، وكلنا يعلم ان انقلاب ١٧ تموز ما هو إلّا حلقة من حلقات التآمر الإستعماري على العراق لإبقائه تحت النفوذ، ولم يكن حزب البعث إلّا واجهة لهذا التآمر، وما هذا الإحتكار للعمل السياسي السائد في العراق إلّا لإستمرار التآمر على الإنسان والأرض والثروة.

ومن مظاهر احتكار العمل السياسي في العراق الأمور التالية:

أ ـ التشريعات التي تمنع العمل السياسي.

ب ـ سياسة التبعيث.

ج ـ الحكم البوليسي المتعدد الأجهزة.

د ـ اعتقال السياسيين والتعذيب الوحشي.

هـ ـ الاغتيالات السياسية.

و ـ المحاكمات الصورية والأعدامات.

ز ـ التصفيات المستمرة داخل حزب البعث.

ح ـ احتكار الصحافة.

ط ـ احتكار وسائل الأعلام.

ي ـ احتكار التنظيم النقابي والمهني.

ك ـ احتكار مناهج التربية في مستويات التعليم المختلفة.

ل ـ احتكار المراكز العليا للدولة.

م ـ احتكار بعض المؤسسات العلمية.

ن ـ احتكار المراكز الحساسة للدولة.

س ـ احتكار الوظائف العسكرية.

ع ـ التسلط الفردي داخل الحزب.

ف ـ التسلط الفردي داخل مجلس قيادة الثورة.

ص ـ التسلط الفردي داخل الوزارة.

ان العمل السياسي ليس منحة يتفضل بها الحاكم ويهبها للشعب، وانّما هو حق من حقوق الإنسان الإلهية لا يجوز المساس بها، لأن السياسة هي رعاية الناس ضمن اطار معين ومتفق عليه، والإنسان الممنوع من ممارسة حق العمل السياسي والمحاسبة السياسية انّما يعامل معاملة الحيوان، ومن يقوم بذلك فانّما ينزل بظلمه من درك التعامل الإنساني إلى الدرك الحيواني.

(٤)

السياسة التشريعية في هذا العهد تدور مدار احتكار العمل السياسي وضرب كل المؤسسات الإعتبارية والتاريخية الموجودة في العراق والتي لا تنضوي تحت لواء السلطة.

وقد سنّت السلطة العميلة قوانين جائرة متعددة تحتوي علىٰ أقسىٰ أنواع الأحكام، وقد لا يكون لها مثيل إلّا في بعض البلدان النادرة في امريكا اللاتينية حيث تتحكم الشركات الرأسمالية الأحتكارية فيها.

ومن يتتبع هذه القوانين في جريدة الوقائع العراقية يجد العجب العجاب، ولابد للمتتبع لهذه المرحلة من حياة العراق السياسية ان يضع الدراسات الخاصة عن هذه التشريعات التي يمكن ان ينطبق عليها وصف شريعة الغاب.

وأول الأمور التي ينبغي التفكير فيها لإعادة حقوق الإنسان في العراق هو إلغاء هذه القوانين الصادرة بتوجيه عقلية اجرامية مستهترة بحقوق الإنسان.

ان هذه التشريعات القانونية المنحطة لم تسن إلّا لتغطية جرائم النظام التي يمارسها المجرمون علىٰ مدار الأيام، حتىٰ ان صدام يتبجّح وبكل غباء وغطرسة في احد المؤتمرات الصحفية بان الأعدامات التي تجري بصورة المذابح الجماعية انّما هي تطبيق للقوانين! وبكل غباء يطلب من الصحفي الأجنبي ان يشكره علىٰ تطبيق القانون لا أن ينتقده.

وسيسجل التاريخ صفحات سوداء عن الفترة التي تسلط بها هؤلاء الأشرار المجرمون علىٰ رقاب العباد في العراق، ولن ننجو من هذا الوضع المنحط إلّا بزوال هذه الطغمة وتطبيق احكام الإسلام.

(٥)

لا يمكن للعمل السياسي في العراق ان يأخذ مجراه الطبيعي المعتاد ولا يمكن للعراقي ان ينطلق في خدمة شعبه في المجال السياسي والإجتماعي والإقتصادي والفكري والتعليمي والأعلامي... الخ.

مادامت أوضاع التجسس الواسعة والمتعددة لها اليد الطولىٰ في العراق ولا تعلو عليها يد إلّا يد المتسلط الأوحد عليها. فلم يمرّ عهد في العراق حتىٰ في العهد الإستعماري المباشر، ولا يوجد في أي بلد ظالم وحتىٰ في اسرائيل هذا التعدد في اجهزة التجسس.. ففي العراق جهاز للأمن وجهاز للأستخبارات وجهاز للمخابرات، وجهاز الجيش الشعبي. وجهاز الحزب واجهزة خاصة اخرىٰ... كلها تعمل في سلك التجسس المقيت.

وقد شاع العمل التجسسي حتىٰ شمل القيادات الحزبية ليحصي أنفاسها ويضبط تحركاتها لكي لا تخرج أو لا تفكر أن تخرج عن تعليمات المتسلط على النظام!

فكيف بالآخرين؟

ولذلك فلابد لهذا النداء العام للتفاهم ان يحتوي علىٰ اعطاء هذا الموضوع اهمية خاصة، ويؤكد على العمل على إلغاء هذه الأجهزة المتعددة للتجسس والتي تعمل علىٰ مطاردة السياسيين والمفكرين ومن لا يصفق للسلطة، وابدال هذه الأجهزة بجهاز يعمل لمراقبة التحركات الإستعمارية التي تريد شراً بالبلاد وتعمل ليل نهار لإبقاء العراق تحت النفوذ الإستعماري كمراقبة تحركات الأجهزة الصهيونية السرية والعلنية، ومراقبة التحركات لأجهزة المخابرات الانكليزية المتدخلة في كثير من المؤسسات الموجودة في العراق والتي يحمل لها الولاء كثير ممن تربىٰ في احضان الإستعمار وترتبط مصالحه بعجلة الاستعمار، ومراقبة اجهزة المخابرات الإمريكية التي ينمو نشاطها في العراق، عليه فلن نضمن حياة طبيعية من هذه الناحية إلّا بتقويض النظام الحاكم والعمل في الإطار الإنساني الذي رسمه الإسلام.

(٦)

يقوم النظام بتسلطه على الموظفين، وارتباطهم المعاشي براتب الدولة باجبار قطاع كبير منهم علىٰ ان ينتمي إلىٰ حزب البعث ليكون سيف القانون الحزبي مسلطاً علىٰ رقابهم.

ايّ ظلم هذا الذي يمارسه النظام يا ترىٰ؟

هل يعتقد القائمون علىٰ النظام ان هذا الأسلوب في اجبار الناس على دخول الحزب سيهيء لهم تأييداً وولاء؟ فاذا كان هذا هو تفكيرهم فان ذلك يدل على الغباء. أو هل يظنون ان هذا الأسلوب سيمنع الناس من الثورة على الظلم؟ فان كان هذا هو ظنهم فانّهم يجهلون التاريخ، ويجهلون مجرياته، ويعيشون في أجواء احتقار الإنسان واحتقار الأمة.

هل ان اذلال الناس هو من تطبيقات شعار الحرية؟ أم من تطبيقات الإعتزاز بالأمة العربية؟ وهل يأخذ النظام العبرة من تجربة مثيله أي النظام الشاهنشاهي الذي أراد ان يدخل الشعب الإيراني بالضغط في حزب البعث الإيراني (رستاخيز) ففشل فشلاً ذريعاً.

اننا نعتقد انّها وسيلة لجأ اليها النظام ليحتفظ بقواعده المنهارة، ولكنها وسيلة غبية لا تنفعه في تحقيق مآربه البتة.

(٧)

تمتلئ المواقف والمعتقلات والسجون في العراق بالسياسيين والحزبيين من جميع الإنتماءات، حتىٰ ان النظام في رجب ١٣٩٩ عندما تحرك المسلمون للتعبير عن وجهة نظرهم اعتقل الناس بالجملة من الشوارع، وكان ينقلهم بسيارات الجيش الكبيرة، وكذلك فعل الحكام في شهر صفر سنة ١٣٧٧ حيث اعتقل النظام في كلتا المناسبتين آلاف الناس وقتل برصاص الحقد عشرات الشباب الناهض، وان عمليات المراقبة والمطاردة، وترويع اناس في بيوتهم والإعتقال والتوقيف دون محاكمة، والتحقيق المصحوب بتعذيب وحشي، والمحاكمات الصورية اصبحت هي العمل الرئيسي للدولة حتىٰ إن السلطة في التعديل الوزاري الأخير خصصت وزارة خاصة لذلك.

كل ذلك اضافة الىٰ ان هذه العمليات هي الوظيفة الرئيسية لرجل الدولة الأول حتىٰ انّه يتبجح في مؤتمر للقضاة والمحامين بانّه هو شخصياً يأمر بذلك وليس هذا الفعل من اعمال الأجهزة البوليسية!

ان هناك من يطالب:

أ ـ بالغاء سياسة القاء القبض التعسفي التي تقوم بها اجهزة الأمن والمخابرات.

ب ـ باطلاق سراح جميع الموقوفين والمحتجزين السياسيين بدون محاكمة.

ج ـ باطلاق سراح جميع السجناء السياسيين واعادة حقوقهم المهدورة.

د ـ باعادة اعتبار جميع المظلومين الذين نفذ بهم الإعدام ظلماً وعدواناً، ونشر كل ما يمت إلىٰ هذه المحاكم المهزلة لتبين للناس المظالم التي وقعت علىٰ كرام الناس.

هـ ـ بفسح مجال العمل السياسي والتنظيم الحزبي والمهني.

و ـ بايجاد محكمة عليا عادلة لتكون ملاذاً يلتجئ اليها الذين تقع عليهم مظالم السلطة الحاكمة.

ز ـ بسن قوانين رادعة لكل احتكار للعمل السياسي في العراق.

ح ـ بسن قوانين لمحاسبة الحكام علىٰ اعمال الظلم السياسي.

والواقع ان كل هذه المظالم مرتبطة عضوياً بنوعية النظام الحاكم ولا يمكن رفعها إلّا بنفي هذا النظام وقبره.

(٨)

اضطهاد الشعب وابعاده عن المشاركة السياسية هي القاعدة الأساسية المتبعة في العراق، وقد اشتدت هذه الصفة عندما تبنت السلطات الشعارات الفارغة في الحرية والأمة الخالدة، وكأن شعار الحرية يعني: الكبت والإضطهاد، وكأن شعار الأمة الخالدة يعني: الأمة التي تُداس كرامتها، وتُمنع من ممارسة أبسط حقوقها، وتُذل إذلالاً شديداً!

ان هذه الأوضاع لا يجوز ان تدوم، ولابد لأُمتنا ان تنهض وتأخذ مكانتها بين الأمم. وهذا لا يحدث مادامت هذه القاعدة السياسية الشاذة هي المتبعة ولذلك لابد من اطلاق حرية المشاركة السياسية للأمة في جميع المجالات وذلك يتم عبر:

أ ـ اطلاق حرية التنظيم السياسي لخدمة الأمة والمجتمع وفي الأطر المشروعة.

ب ـ تنظيم انتخابات لوكلاء الشعب أو لنواب الأمة للقيام بعرض المشاكل التي ترزح تحتها الأمة، وللمشاركة في رسم السياسات المختلفة للبلاد ومحاسبة السلطة علىٰ اعمالها.

ج ـ فسح المجال لتشكيل مجامع علمية حرّة لمختلف فروع المعرفة الأختصاصية العليا تكون مراجع للناس ترجع اليها، وتطور الوجود الفكري والمادي للأمة في طريق الإرتقاء والنهوض، مثل مجمع العلوم الإسلامية، مجمع العلوم اللغوية، مجمع العلوم الهندسية والصناعات، مجمع العلوم الطبية، مجمع العلوم الزراعية، مجمع العلوم الطبيعية، مجمع الطوائف الدينية غير الإسلامية.. الخ.

د ـ افساح المجال لإصدار الصحافة التي تخدم مصلحة الأمة وعقيدتها، وإلغاء الإحتكار في كل صورة وأشكاله:

ـ الصحافة الإختصاصية العلمية.

الصحافة السياسية الإسبوعية.

الصحافة اليومية.

هـ ـ تنظيم انتخابات حرة لمجالس البلديات في كل محلة ومدينة كبيرة وفي كل بلد وقرية، واعطاء هذه المجالس البلدية صلاحية واسعة في الخدمات المختلفة، والإتجاه نحو اللامركزية في مجال الخدمات.

و ـ تنظيم انتخابات حرة لمجالس النقابات والجمعيات المهنية المختلفة بعيداً عن جميع الضغوط مهما كان نوعها..

ز ـ افساح المجال لجميع الطاقات لإستعمال وسائل الأعلام واخضاعها لخدمة مصالح الأمة العليا والأهداف المشروعة لا لخدمة الحاكم والحزب كما هي عليه الآن، حيث لا يمثل الحاكم ولا الحزب الأمة ومصالحها العليا.

ولكن كل هذا لا يمكن تصور حصوله بصورة صحيحة إلّا اذا قضينا على النظام القبائلي الحاكم في العراق.

* * *

الآفاق الاقتصادية

وسنقتصر علىٰ بحث أمور من الآفاق الأقتصادية:

ـ سياسة الأنفاق.

ـ المواد الأولية وخاصة النفط.

ـ التنمية الزراعية.

ـ التنمية الصناعية.

ـ التجارة الداخلية والخارجية.

سياسة الأنفاق

ليس للأنفاق لدى المتسلطين على العراق سياسة وانّما هي تصرفات فردية تسلطية لا تراعي إلّا المصالح الخاصة، ولذلك فاننا نرى العجب ونحن نستعرض بعض مظاهر الأنفاق الذي يتصرف بها النظام.

ـ فالمشاريع تستباح للطفيليين ليجمعوا الأرباح الخيالية ويغرقوا بالمفاسد نتيجة الأنفاق المترف، فالأموال يحصل عليها الطفيليون من أقرباء السلطان وزبانيته بدون أي جهد، وينفقونها بصورة مزرية كما يفعل الأمراء من آل سعود وأمراء آل صباح وبقية الفسقة من أمراء الخليج.

ـ المخصصات السرية وصلاحيات الأنفاق للحاكم المنفرد التي لا يحدها قانون أدت إلى الإسراف في الترف حتىٰ غدت حياة البعض تغرق بالترف والتفاهة إلى الأذنين. وأصبح منظر البعض منهم أشبه بأوضاع الممثلين والسفلة العالميين الذين ينشغلون عن اللباب بالمظهر والحياة التافهة.

ـ تخصص أموال ضخمة جداً لأجهزة التجسس كمخصصات القائمين بالأعمال المشينة بحق المواطنين من مظالم بشعة، وشراء معدّات الكترونية غالية الثمن لأغراض التجسس والتعذيب.

ـ تنفق الدولة على الأعمال الدعائية أموالاً طائلة فتصرف الملايين على الصحافة المأجورة، وتصرف الملايين على المؤتمرات التي يقصد بها خدمة النظام والحاكم المفرد، لا لأي خدمة موضوعية.

ـ تنفق الدولة اموالاً طائلة علىٰ مشاريع لا قيمة لها ولا مردود لها لعامة الشعب، كالأموال الهائلة التي صرفت علىٰ تكريت وعلى الجمعيات السكنية في الكرادة والأماكن الأخرىٰ التي يقصدها المتسلطون على الناس، والعاملون معهم من المرتزقة الذين يستخدمونهم في مجالات تثبيت النظام الزائف.

ـ امتلأت البنوك الرأسمالية في أوروبا من أموال الأمة المسروقة حتىٰ ان البعض تضخم رصيده الىٰ مئات الملايين من الدنانير.

وكذلك تملك مجموعة كبيرة من المنتفعين من هذا العهد الإشتراكي مجموعة كبيرة من القصور والعقارات في مدن اوروبا المختلفة، وخاصة في بريطانيا وفرنسا، حتىٰ ان السرقات الكبرىٰ بلغت في هذا العهد مالم تبلغه في أي عهد من العهود السابقة التي مرّت على العراق.

ـ تنفق الدولة أموالاً طائلة على المرتزقة في لبنان وغيره باسماء مختلفة، وعمل هؤلاء المرتزقة خدمة اغراض المتسلطين في بغداد والقيام ببعض الأعمال الإستعراضية التافهة،

والقيام ببعض الأعمال الإجرامية.

والإغتيالات التي تقوم بها السلطة العراقية اصبحت مفضوحة ومكشوفة للجميع.

ان سياسة الأنفاق يجب ان تتجه لمصلحة الأمة وان تشمل الأمور التالية:

١ ـ تأمين خدمات الحدّ الأدنىٰ لحياة الإنسان حياة كريمة.

٢ ـ يجب توفير المأكل والملبس والمسكن والتعليم والعلاج لكل الأفراد بلا استثناء، وذلك بتوفير العمل لكل فرد قادر على العمل وعلى الدولة ان تنفق علىٰ من لا يقدر ان يكفي نفسه وعائلته.

ويكون ذلك من خلال مجالس البلديات الذين يمكنهم معرفة حقائق الأوضاع الأقتصادية لكل العوائل في المناطق التي يعملون بها.

٣ ـ تأمين الأمن الغذائي للبلاد بالتنمية الزراعية التي تغني البلاد عن الإعتماد على الدولة الإستعمارية في الحصول على المواد الغذائية الرئيسية.

٤ ـ الخلاص من التبعية العسكرية بأنشاء صناعات عسكرية بالإتفاق مع الدول المحرّرة من الإستعمار، لكي لا تعتمد البلاد في تسليحها علىٰ شراء معدّات تتحول بسرعة إلىٰ مواد معدنية عاطلة بمجرد ان يمتنع البلد المصدر عن تزويدنا بقطع الغيار وما شاكل.

٥ ـ الأنفاق على التنمية الصناعية والدخول الحقيقي في عالم الصناعة الذي يتّجه إلىٰ تحويل المواد الخام إلى السلع التي نحتاجها سواء أكانت انتاج طابوق او صناعة سيارة.

٦ ـ اعمار البلاد بالطرق، والجسور والمطارات، والسكك والموانئ والسدود، وقنوات الري، والآبار الإرتوازية، والنباتات الإقتصادية الصحراوية، والغابات وشبكات الكهرباء وغيرها.

الموادّ الأولية وخاصّة النفط

السياسة النفطية تحددها الأمور التالية:

ـ السعي للإكتفاء الذاتي من ناحية علمية وعملية لعمليات استكشاف النفط واستخراجه وتسويقه وتصنيعه.

ـ استخراج النفط تحدده حاجة البلاد إلى الأموال من البيع، وإلى السلع من التصنيع،

والإبتعاد عن السياسة الحالية التي تتبع حاجة السوق الرأسمالية لهذه المادة الثمينة وشره النظام للحصول على الأموال وصرفها ضمن اطار المصلحة الخاصة له.

ـ استعمال النفط كأداة سياسية لضرب النفوذ الإستعماري في العالم الإسلامي، واداة للحصول علىٰ اسرار الصناعة التي تحتاجها في التنمية الصناعية.

ـ الإتجاه نحو تحويل المواد الخام إلى سلع وتسويقها، فمثلاً نسوق النفط الأبيض وبنزين السيارات وبنزين الطائرات والنفط الأسود.. بدلاً من تصدير النفط الخام.

ـ الإتجاه نحو التعمق والتوسع بصنعة البتروكيماويات والحصول علىٰ أسرار هذه الصناعات بايجاد مراكز علمية متدربة وفعالة.

وبالنسبة للمواد الأولية الأخرىٰ:

ـ إيجاد صناعات تعتمد علىٰ مادة الكبريت الخام وعدم الأقتصار علىٰ تصدير خام الكبريت.

ـ ايجاد صناعات لإستغلال الرمال العراقية الغنية بمادة السلكون التقنية، مثل صناعة الزجاج ذي السماكة، والزجاج ذي النوعية النقية، والزجاج المقاوم للحرارة، والأنواع الأخرىٰ من الزجاج الذي يدخل في الصناعات المختلفة، إضافة إلىٰ صناعة السلع الزجاجية التجارية الشائعة الإستعمال، والصناعات الأخرىٰ التي تعتمد علىٰ هذه المادة.

ـ ايجاد صناعات لتصنيع مواد الفوسفات الخام.

ـ التوسع بصناعة الأسمدة التي تعتمد على الفوسفات والكبريت.

تنمية الثروة الحيوانية:

ـ تعزيز اسطول صيد الأسماك من اعالي البحار، ومحاولة منافسة الدول المتخصصة لهذا المجال.

ـ تعزيز مخازن حفظ لحوم الاسماك وغيرها من اللحوم.

ـ ايجاد بحيرات اصطناعية في المنخفضات الصحراوية لاغراض تربية الأسماك وتحسين المناخ.

ـ تحسين أنواع السمك بتربية أنواع جديدة منه في نهري دجلة والفرات وشط العرب

ونهر ديالىٰ والزاب... الخ.

ـ الإهتمام بالمراعي وخاصة في الأراضي الصحراوية.

ـ تحسين نوعية الجاموس والأبقار والأغنام والماعز، ونشر المزارع الحيوانية الحديثة في جميع أنحاء العراق، وتشجيع القطاع الخاص في هذا الإتجاه.

ـ العناية بتربية الحشرات الإقتصادية كالنحل ودودة القز ونشرها بأوسع نطاق ممكن في الأرياف.

ـ ايجاد مزارع واسعة لإنتاج لحم الدجاج وبيض الدجاج للوصول إلى الإكتفاء الذاتي وتشجيع القطاع الخاص في هذا الإتجاه.

ـ حماية الحيوانات الصحراوية الإقتصادية مثل الغزال من عبث الصيد لتكثيرها وتنظيم الإستفادة منها واستيراد الحيوانات الإقتصادية التي انقرضت بالصيد.

ـ ايجاد صناعات غذائية للحيوانات والطيور باسعار تشجيعية لتربية الحيوانات.

ـ تشجيع الفلاحين لتربية الحيوانات والطيور بتسهيل الحصول على الغذاء لها، والعناية في مكافحة امراضها بالمجان من قبل الدولة.

ـ نشر المرشدين واطباء البيطرة في انحاء العراق لحفظ الثروة الحيوانية وتكثيرها.

ـ ايجاد صناعات تعتمد على الثروة الحيوانية كصناعة الجلود والنسيج التي تعتمد علىٰ شعر الحيوانات وجلودها وصناعة حفظ اللحوم وتعليبها وتعليب العسل، ونسج الحرير الطبيعي.

التنمية الزراعية

ـ تعميم الوعي في مدارس الأرياف، وادخال الثقافة الزراعية كمواد اساسية فيها.

ـ ايجاد مراكز ارشاد زراعي في كل المناطق الزراعية وتوسيعها ما امكن.

ـ ايجاد مراكز علمية زراعية لدراسة التربة والنباتات الصحراوية وتحسين الأنتاج الزراعي الأقليمي بجميع فروعه من الناحية الكمية والنوعية.

ـ حفر قنوات الريّ القديمة وحفر قنوات جديدة لتمتد إلىٰ اقصىٰ حدّ ممكن، وحفر آبار

ارتوازية في البوادي، وبناء سدود للسيطرة علىٰ مياه الأنهار ومياه الأمطار، وايجاد قنوات للبزل في المناطق الزراعية المنبسطة كثيرة الملوحة.

ـ ايجاد دائرة خاصة لكري الأنهار والعناية بمجاريها لأغراض الري والملاحة النهرية.

ـ تصنيف الأراضي إلىٰ أرض مرويّة بالسقي النهري ومرويّة بالمطر ومرويّة بالآبار الأرتوازية، وأراضي صحراوية، ووضع تعليمات عملية وعلمية لكيفية استعمال المياه، وتوزيع الزراعة لتتلاءم مع الظرف الموضوعي لكل صنف من الأراضي، ونشر هذه التعليمات بواسطة الاذاعة، والتلفزيون، والمدارس الريفية، والسينما المتنقلة، الصحافة العامة، والصحافة المتخصصة، والمرشدين الزراعيين، وائمة المساجد.. ذلك حسب الحاجة اليها في حينها.

ـ يكون هدف التنمية الزراعية هو الإكتفاء الذاتي في انتاج المواد الغذائية الرئيسية للإستهلاك، وعدم الإعتماد علىٰ استيرادها من الخارج، ومن ثمّ يمكن توسيع الأنتاج لنجدة الأقطار المجاورة من هذه المواد الأساسية.. الأقرب فالأقرب وحسب الحاجة والعلاقات والمصلحة.

ـ الإهتمام بتطوير زراعة النخيل والعناية به ومكافحة أمراضه وتحسين انتاجه.. وتصنيع ثماره وايجاد صناعات تعتمد علىٰ هذه الشجرة المباركة كصناعة عجين الورق من سعف النخيل وتطوير الصناعات المحلية التي تعتمد علىٰ شجرة النخل.

ـ تطوير الأشجار الإقتصادية وخاصة الأشجار المثمرة كتحسين زراعة الزيتون بالإستعانة بخبراء في هذه الأشجار من اسبانيا او تونس او فلسطين او لبنان، وتشجير جبال كردستان باشجار الفستق والكستناء والجوز والبندق وغيرها، كذلك بالغابات لغرض الإستفادة من خشبها، وتخصيص اراضي واسعة في الوسط والجنوب لزراعة الغابات وخاصة علىٰ اطراف البادية.

ـ تشجيع الزراعة الإقتصادية في الحدائق داخل المدن.

ـ تطوير زراعة الحبوب وخاصة الرز والقمح والشعير والحبوب الرئيسية المتعارفة في العراق وتحسين نوعيتها وكمية انتاجها.

ـ تطوير زراعة الخضروات حسب الطرق المتقدمة في العالم اليوم.

ـ إلغاء سيطرة الدولة المطلقة علىٰ تسويق الأنتاج الزراعي واستبدالها بجمعيات تعاونية حقيقية تنبثق من الإرادة الحرة للفلاحين وتبقى الدولة كمرجع لرفع الظلم عن الفلاحين عند حدوثه.

ـ إيجاد صناعات تعتمد على الثروة الزراعية كحفظ الفواكه والحبوب والخضروات، والصناعات الغذائية الأخرىٰ وصناعية القنّب والورق.

ـ دراسة التقاليد والعادات المتوارثة في عالم الزراعة وما يتعلق بها وتطويرها للإستفادة منها.

التنمية الصناعية

ـ كسر الحاجز اللغوي بين الناس وبين العلوم الصناعية المختلفة بايجاد مجمع متخصص متفرغ لترجمة جميع العلوم إلى اللغة العربية، ومتابعة هذا العمل بصورة دائمة.

ـ ايجاد مراكز تدريب دائمة ومؤقتة، تعمل بصورة مستقلة وتابعة للمؤسسات الصناعية المختلفة.

ـ تنظيم دورات تدريب فنية وتنظيمية بصورة دائمة لمختلف قطاعات الصناعة.

ـ تطوير الإتجاه الصناعي من استهلاك المكائن المستوردة من الخارج إلىٰ صناعة المكائن، ولذلك لا بد من الإتجاه إلىٰ الصناعة الثقيلة، وإلىٰ ايجاد مجامع علمية صناعية اختصاصية للتصميم والدراسات والإشراف والفحوصات لمختلف الفروع الصناعية للحاق بالركب الصناعي المتقدم.

ـ لابد من التفتيش عن بلاد اسلامية نتعاون معها لإيجاد سوق واسع يكفي لإستيعاب الصناعة الثقيلة.

ـ العناية بالصناعات الإستهلاكية لهدف الإكتفاء الذاتي، وبمردود اقتصادي ملائم.

ـ الإهتمام بصناعة التعدين، ومسح العراق لإكتشاف ما في باطن الأرض من معادن.

ـ الإمتناع ما أمكن عن تصدير المواد الخام، ومحاولة تصنيعها نصف تصنيع او تصنيعاً كاملاً للتصدير.

ـ ايجاد مجامع صناعية بتروكياوية، والحصول علىٰ اسرار هذه الصناعة لعلاقتها بحفظ ثروات البلاد من المواد الخام المتوفرة فيها، وهذا ما أكدنا عليه لدىٰ حديثنا عن تـصنيع النفط.

ـ تطوير المواصلات البرية والنهرية والبحرية والجوية، بمختلف اشكالها لتسهيل نقل المواد والبضائع والسلع المختلفة.

ـ تعميم الكهرباء علىٰ كافة مناطق البلاد ووضع خطة صناعية لصناعة الأجهزة المنتجة للكهرباء وما يتعلق بها من نقل وتوزيع، كـصناعة الحـبال النـحاسية والألمـنيوم لنـقل الكهرباء، وصناعة الأبراج وصناعة مولدات الديزل، والمراجل والتوربينات والمحـركات والمحولات وقاطعات الدور الكهربائية وما إلىٰ ذلك، وبالتدريج وضمن خطط مفصلة.

إيجاد مدينة للصناعات الميكانيكية أو مجمع لها تكون نـواة للـصناعات المـيكانيكية الثقيلة، وتكون مقراً للدراسات الهندسية وللمجمع العلمي الهندسي الميكانيكي.

ـ إيجاد مدينة للصناعات الكهربائية والألكترونية، وتكون نواة للصناعات الكهربائية الثقيلة ومقراً للدراسات الهندسية الكهربائية ومقراً للمجمع العلمي في هذا المجال.

ـ استعمال بـيع المـواد الإسـتراتـيجية لديـنا وسـيلة للـحصول عـلىٰ أسرار العـلوم والصناعات.

ـ استدعاء الأختصاصيين للمساهمة في بناء المدن والمجمعات الصناعية.

ـ تطوير الصناعات الغذائية بما يتلاءم مع الأنتاج الزراعي وتوسيعه ما امكـن للأمـن الغذائي للعراق والمناطق المحتاجة من الأقاليم المجاورة.

التجارة الداخلية والخارجية

بفعل السياسة التسلطية التي ينتهجها حكم الطغمة الفاسدة في بـغداد صـار احـتكار السلطة للتجارة الداخلية والخارجية في العراق جزءاً من السياسة العامة للسلطة الحاكمة، وما استتبع ذلك من فرض الضرائب الفاحشة والرسوم الكمركية العالية على المواد الغذائية والسلع، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ أن يدفع المواطن ثمناً باهظاً، حيث أرهقه الغـلاء الفـاحش

وأثقل كاهله غياب المواد الغذائية عن السوق وتدهور السوق المحلية بشكل عام.

ورغم قناعتنا أن هذه المعاناة التي يتعرض المواطن العراقي لها، ولا يمكن التخلص منها إلّا بسقوط هذا النظام، فأن سياسة التجارة الداخلية والخارجية للعراق ينبغي أن ترتكز علىٰ ما يلي:

١ ـ تحرير التجارة من احتكار السلطة وفسح المجال للتجارة الحرة والمؤسسات التجارية الأهلية ان تمارس دورها بما يحقق مصلحة الشعب.

٢ ـ مراقبة الأسواق ومعاقبة المتلاعبين بالأسعار والسلع والحيلولة دون الأحتكار.

٣ ـ خفض الضرائب الكمركية واعفاء السلع الضرورية منها.

٤ ـ دعم بعض المواد الغذائية وتحمل قسط من ثمنها، كاللحوم والرز والحليب والسكر والأدوية وغيرها.

٥ ـ البحث عن الأسواق لتصريف الأنتاج المحلي سواء كان محصولاً زراعياً أم انتاجا صناعياً.

* * *

آفاق السياسة الداخلية

ينبغي أن تحترم أجهزة الدولة الإنسان وتحفظ كرامته وتحافظ علىٰ حياته وأمواله ودينه. ولا يجوز أن تبقى الدولة علىٰ هذا النمط من معاملة الإنسان التي تصل إلىٰ أدنىٰ حدّ من الإنحطاط بالتعذيب والقتل والمحاكمات الصورية التي تصل إلىٰ حد ايقاف معاملات الناس إلّا ان تكون بالواسطة أو بالرشوة، والتي تصل إلى التفريق بين الناس للإنتماء المذهبي والعرقي ولذلك ينبغي ان تتكافأ الفرص، كما ينبغي ان تعمل الدولة على التخلص من آثار السياسة الانكليزية التي وضعوها للعراق لغرض التفريق بين الناس، والتي لا تزال متبّعة إلى الآن يتوارثها السياسيون وكبار الموظفين خلفاً عن سلف، وكأنّها أعراف مقدّسة، وما هي إلّا سموم سياسية واجتماعية وضعها المستعمرون في بلادنا.

ـ على الدولة ان تبسّط المعاملات التي يحتاجها الناس في مراجعاتهم مع الدولة، فلا

يعقل مثلاً ان ينتظر الناس سنين طويلة لحل مشاكل بسيطة يمكن ان تحل ببساطة وبوقت قصير، ولذلك فلابد ان تتبع الدولة سياسة اللامركزية واعطاء الصلاحيات للموظفين المختصين لوضع الحلول وانهاء المعاملات، وإيجاد مكتب للشكايات على المقصرين، ووضع عقوبات رادعة للمرتشين.

ـ إعادة دراسة وضع مختلف دوائر الوزارات والمؤسسات المختلفة لغرض التبسيط وتحسين اداء الأعمال وزيادة الأنتاج.

ـ تحويل اجهزة الشرطة إلىٰ مكافحة الجرائم الإجتماعية والخلقية والإقتصادية والعادات المضرة كالقمار والخمر والحشيشة.

ـ ان المفهوم العام السائد لدى الناس عن الشرطة انّها جهاز للقمع والظلم والرشوة، وهذا المفهوم ينطبق على الواقع، وهو نتيجة مباشرة للسياسة الخاطئة التي رسمها المستعمرون لهذا الجهاز وسار عليه، والتي لا تزال مطبقة إلى الآن وبشكل يزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

ـ ان الشيء الرئيسي الذي ينمو في العراق هو الحكم البوليسي والسجون التي تحول العراق إلىٰ سجن كبير يتحكم فيه الجلادون. حتىٰ أصبح رئيس الدولة هو المشرف المباشر علىٰ هذه الأجهزة وهو عمله الرئيسي.

ـ ان تعدد أجهزة التجسس في العراق بلغت حداً لم يبلغه بلد من البلدان، وقد سنّت السلطة سنّة سيئة في هذا المجال اثرت علىٰ بعض الأحزاب الأخرىٰ، حتىٰ إن الحزب الشيوعي كان يقوم بالتجسس علىٰ نشاطات الدعوة الإسلامية ويبلّغها للأجهزة التجسسّية للسلطة في فترة شهر العسل التي كان يعيشها الحزب الشيوعي مع السلطة العميلة، بعد توقيع المعاهدة العراقية السوفياتية.

ويجب ان يتجه التنظيم الداخلي نحو اللامركزية وتيسير الخدمات التعليمية والصحية وغيرها للجميع من خلال التنظيم اللامركزي، وذلك بتكوين مجالس خدمات لكل عدد من المجموعات السكنية. ولكل مجموعة سكنية فيها (٥٠٠) عائلة او أقل مجلس خدمات يسمىٰ مجلس قروي او بلدي، وتكون صلاحية هذا المجلس انشاء المستوصفات والمدارس والطرق والنظافة.. وما إلىٰ ذلك، وتكون واسطة بين الدولة وبين الناس لتيسير امور جميع

الناس داخل حدود الدولة.

ويمكن ان يتألف المجلس من الاختصاصيين علىٰ قدر الأمكان، ويمكن ان يكون الأعضاء غير متفرغين إلّا عضواً واحداً بمثابة رئيس لهذا المجلس.

آفاق السياسة التعليمية

علىٰ الدولة ان تفكر باستمرار بتحسين المستوى الثقافي والفكري والسلوكي للجهاز التعليمي في جميع المستويات:

أ ـ عقد مؤتمرات لبحث أمور التعليم.

ب ـ اعطاء صلاحية التصرف في منهاج التدريس وتطبيقاته ضمن حدود معينة بقصد تحسين البرامج وتطويرها.

ج ـ تنظيم دورات تدريب وتعليم دائمة لكل الهيئات التعليمية وبجميع مستوياتها.

د ـ اصدار مجلات تعليمية متخصصة لمتابعة تقدم الأبحاث والنظريات وما يستجد من أمور في جميع مجالات التعليم.

تقسيم التعليم إلىٰ مستويات

أ ـ المستوى الأبتدائي الذي يدخله كل الأفراد يتعلمون القراءة والكتابة، ومبادىء الحساب، ومبادىء لغة اجنبية، وكيفية التفكير المنظم، والأسس الإصلاحية السامية التي نأخذها من الإسلام، ويدخل فيه كذلك بعض الدروس الملائمة كالعلوم الزراعية في الريف أو الرياضة المفيدة كالسباحة والرماية وما إلىٰ ذلك.

ب ـ مستوى التعليم المهني:

مدارس مهنية لمختلف الإختصاصات الزراعية والصناعية والخدمات الأخرىٰ التي تحتاجها الدولة كالتمريض، وتكون مدة هذه المدارس أربع أو خمس سنوات لكسب المهارات بصورة جيدة.

ج ـ التعليم الأكاديمي الأولي وهي المرحلة الثانوية للتخصصات المختلفة مثل الرياضيات والعلوم الطبية والأختصاصات الأدبية والأختصاصات الإسلامية.

وتقتصر الدراسة في السنتين الأخيرتين من هذه المرحلة علىٰ ثلاث دروس فقط اضافة إلى اللغة العربية ولغة اجنبية يختارها التلميذ كمقدمة لدخول الجامعة.

د ـ التعليم الجامعي الأولي لتكملة السنتين الأخيرتين من المرحلة الثانوية.

هـ ـ التعليم الجامعي العالي:

وتكون الدراسة فيه حرة باشراف استاذ ويطلب من الطالب كتابة ابحاث وتكون درجة كل بحث بمثابة (دبلوم) ويمكن ان يلقب الحائز على الدرجة الثالثة التي توازي الدكتوراه بالمجتهد في ذلك الإختصاص.

ـ تترجم جميع العلوم إلى اللغة العربية كما فعل المأمون بالنسبة إلىٰ عصره، وستكون الترجمة علىٰ نطاق واسع تضم جميع الدراسات بمختلف اختصاصاتها ومستوياتها باللغة العربية.

ويوضع جهاز متخصص لهذا العمل الكبير والإهتمام بالتربية الإسلامية وتعميق الصلة بالله تعالىٰ في جميع مراحل الدراسة بحيث يكون ذلك هو الإطار الفكري العام للطلاب.

* * *

آفاق السياسة العسكرية

ـ تغيير التعامل الإستعلائي الذي تعامل فيه الضباط مع الجنود بحجة الإنضباط العسكري، وهي أُسس طارئة علىٰ مجتمعنا جلبها المستعمرون ضمن افكار وتشريعات كثيرة زرعوها في بلادنا ولم نتخلص منها بعد.

ـ إبعاد مؤسسات الجيش عن الفرقة المذهبية والعنصرية التي اوجدها المستعمرون والتي تحولت إلىٰ عرف تتقيد بها المؤسسة العسكرية.

ـ عدم استعمال الجيش كمؤسسة لخدمة الحاكم، واستعماله فقط لحفظ البلاد والدفاع عنها:

أ ـ تحويل مؤسسة المخابرات إلىٰ مؤسسة تخدم أهداف البلاد ومصالحها العليا كمراقبة أعمال المستعمرين لا مراقبة أحرار البلاد.

ب ـ عدم إستعمال الجيش لضرب الشعب كما حدث في اربعين الحسين عليه السلام سنة ١٩٧٧.

ج ـ الإستفادة من المؤسسة العسكرية في التنمية الإقتصادية والصناعية والزراعية لإعمار الصحاري وتحويل مصانع الأسلحة لإنتاج السلع الصناعية الإنتاجية عند الحاجة.

ـ السير نحو الحصول علىٰ مختلف المهارات العسكرية بارقىٰ ما توصل إليه الإنسان من فنون عسكرية، والتدريب علىٰ مختلف الأسلحة ووضع الخطط العسكرية لحماية البلاد والمدن ومقاومة الأعداء في كل الظروف والإحتمالات.

ـ السير نحو تصنيع الأسلحة ابتداء من الأسس الصناعية حتىٰ انتاج قطع الأسلحة علىٰ اختلافها لتصل إلىٰ هدف الإكتفاء الذاتي بقدر الأمكان.

* * *

آفاق السياسة الخارجية

يجب بناء السياسة الخارجية علىٰ اسس اسلامية متينة تعبر عن وحدة الأمة الإسلامية والتزامها بتشريعها الشامل وهذا يتطلب فعلاً:

ـ اعتماد السياسة الخارجية علىٰ متطلبات السياسة الداخلية، ومصالح البلاد في كل الأمور، والغاء التبعية السياسية والفكرية والإقتصادية والعسكرية وغيرها للإستعمار الكافر.

ـ إيجاد علاقة متينة مع القوى المحررة من الإستعمار في العالم الإسلامي، وبقية الدول المستضعفة، وخاصة مع الشعب الفلسطيني والثورة الإسلامية في ايران.

وعلىٰ الدولة ان تلغي المنظمات التي اوجدتها باسم فلسطين لخدمة أغراض سياسية محلية.

وان تفسح مجال التدريب الحقيقي للفلسطينيين وتقديم المساعدات الحقيقية لإغراض تحرير فلسطين في المجال العسكري والسياسي الدولي والمحلي والأعلامي... الخ.

ـ تقوية منظمة اوبك، وتحويلها إلىٰ مدافعة حقيقية عن مصالحنا النفطية.

ـ تحويل العلاقات المائعة بين الأقاليم الإسلامية إلىٰ علاقات جادة. وازالة القيود علىٰ تنقل الأفراد والسلع المصنعة محلياً، ورؤوس الأموال والكتب والمجلات بصرف النظر عن علاقات الحكومات لان ذلك يؤثر علىٰ وحدة المنطقة التي مزّقها الإستعمار.

هذه بعض الآفاق التي نتصورها لغد أفضل، ولكنا نعلم ـ كما أكدنا مراراً ـ انّها لا يمكن ان تنزل إلىٰ واقع التطبيق إلّا بعد زوال العقبات وأهمها هذا النظام الطاغي في العراق، وإلّا بعد العمل علىٰ تطبيق منهج الإسلام ذلك المنهج الذي يحقق كل ما تصبو إليه الإنسانية من سعادة ورقي..

والحمد لله رب العالمين

حزب الدعوة الإسلامية

ملحق رقم (٨)

برنامجنا

البيان والبرنامج السياسي
لحزب الدعوة الإسلامية

شعبان ١٤١٢ هـ
آذار ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يـذبح أبـناءهم ويستحيي نساءهم انّه كان من المفسدين ونريد ان نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين.﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾

(آل عمران ١٠٤)

ابتلي شعبنا العراقي المسلم بسلسلة مـن الحكـومات التي تـعاقبت عـلىٰ حـكمه والتي مارست سياساتها علىٰ اسس تتنافىٰ من حيث المبدأ والأهـداف والوسـائل مـع الأسس الإسلامية علىٰ كل الأصعدة، مما عرض الشعب العراقي إلى المزيد من المشاكل والمحن تاركةً

آثارها علىٰ كل مرفق من مرافق الحياة، حتىٰ وصلت غايتها من التردي والإنحطاط وذروتها من التجاوز علىٰ ارادة الشعب في ظل نظام صدام.

وقد شرعت الحركة الإسلامية بعملية التوعية والتغيير منذ نهاية الخمسينات لهذا القرن، وتصاعدت مسيرتها علىٰ مرّ الزمن حتىٰ تبلورت معالمها في مجالات الحياة المختلفة. ولم يكن الرد الإستعماري ازاء هذا الفعل التغييري الرائد والهادف إلّا بلغة القمع الدموي الذي كرست له أضخم الأجهزة ورفدته أكثر الخبرات الدولية. وشهدت الأمة أبناءها الأبرار يمارسون عملية بث الوعي التغييري وهم يخطون نهجاً إسلامياً يستهدف تحكيم الإسلام في كل مجال، ويجزلون العطاء بدمائهم الزاكية من أجل حمل لواءه والذود عن مقدساته والدفاع عن كرامة الأمة. فتضمخت مسيرة الحركة الإسلامية عبر جهادها بالدم، وتقدمت قوافل الشهداء من ابنائها تترىٰ في مسيرة المواجهة المحتدمة. وراح النظام وعبر تطورات محلية واقليمية ودولية يتمادىٰ في غيّه ويرتكب الجرائم التي يندىٰ لها جبين التأريخ علىٰ مرأىٰ ومسمع العالم كله، فاقدم علىٰ اغتيال الفكر والقيم والإنسان، وامتدت يده الآثمة لقتل الشهيد الإمام محمد باقر الصدر ﷺ وأتسعت دائرة اجرامه لتشمل ايران والكويت في حربين مجنونتين عرضت العراق والمنطقة إلىٰ أفدح الخسائر.

وقد برهن شعبنا الأبي علىٰ رفضه لنظام الحكم الشرس من خلال ما سطر من بطولات في انتفاضاته المتكررة والتي كان آخرها صفحة العز والفخر التي سطّرت في انتفاضة ١٥ شعبان ١٤١١ هـ والتي عمّت كل مدن العراق والتي ساهم كل الشعب العراقي بمختلف قومياته ومذاهبه فيها.

وتتجه الأنظار ـ اليوم ـ إلى الأبرار من أبناء الأمة الذين عرفتهم بالمحن وخبرتهم في ساحات المواجهة والإبتلاء، من أجل الوصول إلى الحل الذي يلبي طموحاتها وتطلعها إلى الحرية والإنعتاق، وبما يعيد للشعب العراقي عزته ومنعته، وللمنطقة الأمن والإستقرار.

والدعوة الإسلامية التي دأبت علىٰ طرح افكارها وتصوراتها على الأمة من خلال وسائل الأعلام المتاحة في مختلف المناسبات، فكان بيان التفاهم الذي اصدرته في مطلع الثمانينات والذي راعت فيه الخصوصيات العديدة للشعب العراقي من حيث تكوينته الإجتماعية وقواه السياسية الفاعلة. فكان بيان التفاهم دعوة لكل الفرقاء السياسيين من

أجل النهوض بمهمة خلاص الشعب العراقي وصيانة استقلال العراق ووحدة ترابه.

وهي اليوم تقدر ان هناك حاجة ماسة إلىٰ طرح برنامجها السياسي الذي يترجم موقفها ومن موقع المسؤولية حول مختلف القضايا التي تفرضها الساحة السياسية المتحركة بمفرداتها والعوامل الفاعلة فيها، بما يلبي حاجات الواقع ويتكفل بتوضيح المواقف والتصورات بكل ما يرتبط بمصلحة شعبنا المسلم.

فكان (برنامجنا) الذي يأخذ علىٰ عاتقه توضيح الرؤىٰ والتصورات للجوانب المختلفة في واقع العراق السياسي، تلبية للحاجة الآنية والإنتقالية وللمرحلة المستقبلية علىٰ صعيد النظام السياسي الدستوري المرتقب والذي يتولىٰ شعبنا العراقي صياغته، وما يرتبط بذلك من مهمات تتولىٰ اصلاح الدمار والخراب الذي لحق ببلدنا الجريح.

ويتقدم برنامجنا السياسي بيان سياسي يستعرض مسيرة الجهاد الحافلة بتضحيات شعبنا الجسيمة منذ مجيء هذا الحكم العميل.

اننا اذ نضع هذا البرنامج السياسي الذي يتعامل مع الواقع العراقي الحافل بالمتغيرات والأزمات الحادة داخلياً وخارجياً نقدر ما لهذه العوامل من دور كبير في صياغة اي منهاج يراد له ان يتحرك علىٰ مثل هذه الأرضية السياسية. ونحن اذ نستمد برنامجنا هذا من روح الإسلام وعلىٰ هدي شريعته. نجد فيه كل السعة والمرونة التي تستوعب مفردات واقعنا ضمن اطاره الشامل، ويبقى البرنامج السياسي الإسلامي يتمتع بخصوصيتين اساسيتين هما الصلابة والمرونة فيما تتطلبه الأحكام الثابتة والمرنة ويكون جديراً باستيعاب كل المتغيرات ومن موقع الإنفتاح على الساحة والعوامل المؤثرة فيها، وليتيح لأبناء شعبنا تحقيق أملهم المنشود في بعث التآلف والتعايش في ظل حياة مفعمة بالحرية وعابقة بالحب والعدل.

البيان السياسي

الإنقلاب الأسود.. بداية المحنة

﴿لا يتخذ المؤمنونَ الكافرينَ أولياء من دونِ المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من اللهِ في شيء﴾

كان وصول حزب البعث إلى السلطة في العراق للمرة الثانية عبر انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وبدعم من الدوائر الإستعمارية، بداية مرحلة جديدة في تاريخ الشعب العراقي حيث بدأ النظام بتنفيذ مخطط واسع يرمي إلىٰ احكام قبضته علىٰ مقاليد السلطة وانفراده بها وممارسة سياسة القمع والملاحقة لكل معارضيه وتنفيذ مسلسل اجرامي رهيب استهدف بنية المجتمع العراقي الواحد وتمزيق اواصره وطمس معالم حضارته وقيمه من خلال إشاعة الفساد الخلقي والفاحشة ونشر الميوعة والمناهج التربوية الفاسدة ومحاربة الإسلام فكراً وتراثاً وشعائر.

واتبع النظام سياسة التمييز القومي والطائفي إمعاناً في تمزيق وحدة المجتمع العراقي فتعرض الكرد المسلمون إلىٰ حملات اضطهاد ومطاردة وملاحقة وصلت إلىٰ حد الإبادةالجماعية باستخدام الأسلحة الكيماوية وممارسة سياسة مسح وابادة الآف القرى الكردية من الوجود وتشريد اهلها وتهجيرهم إلىٰ شتىٰ أنحاء العراق واضطرار الآلاف منهم لمغادرته واللجوء إلى الدول المجاورة.

كما حاول النظام بذر روح العداء والخلاف بين القوميتين الرئيسيتين اللتين يتشكل منهما الشعب العراقي وهم العرب والكرد. واستخدم النظام سلاح الطائفية لتمزيق وحدة الشعب العراقي المسلم من خلال إتباع سياسة تميز وفرز طائفي في الجيش ومؤسسات الدولة فضلاً عن قطاعات التجارة والصناعة والتعليم. وقد كرس سياسته الجائرة هذه بسنه قوانين تتنافىٰ مع قيم المجتمع العراقي ومبادئه الإسلامية وتناقض طبيعة المجتمع العراقي المكون من مذاهب وطوائف متعددة وكان من آثار سياسته التعسفية تهجيره قرابة نصف مليون عراقي بعد تجريدهم من جنسيتهم العراقية ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم واحتجاز ابنائهم في سجونه الرهيبة وتمزيق وحدة الأسرة العراقية بتشريعه قوانين للتفريق بين الزوج وزوجته علىٰ اساس عنصري. واشاعة كل ما من شأنّه اضعاف الأواصر بينهما.

ومارست السلطة بعد وصولها إلىٰ سدة الحكم مباشرة سياسة فرض الإنتماء إلىٰ حزب البعث علىٰ كافة قطاعات الشعب وحصر الوظائف وفرص التعليم بالبعثيين فيما كانت أجهزتها تلاحق كل من يحمل فكراً ورأياً لا ينسجم مع أفكارها ومنعت ممارسة العمل السياسي بكل صوره وسنّت القوانين التي اباحت ممارسة القتل والمطاردة ومصادرة

الأموال والممتلكات لكل من ينتمي إلىٰ تنظيم سياسي غير حزب البعث فامتلأت سجون العراق بالآلاف من العراقيين الذين لم يكن لهم ذنب سوىٰ رفضهم لسياسة التبعيث وحملهم لأفكار وتصورات سياسية لا ترضىٰ عنها السلطة.

وقد صودرت الحريات بكل أشكالها فسيطرت السلطة علىٰ جميع وسائل الأعلام والصحافة واحتكرت العمل السياسي والنقابي والمهني وتحول جهاز الحزب إلىٰ مؤسسة تجسسية تراقب الناس وتحصي عليهم انفاسهم فاشاعت بذلك أجواء الإرهاب والخوف والرعب داخل صفوف الشعب ونشأت جراء ذلك قيم وأعراف غريبة وشاذة عن أخلاق المجتمع العراقي وأصالته.

لقد كانت مجابهة التيار الإسلامي المتنامي داخل العراق في الستينات المهمة الرئيسية التي أوكل تنفيذها لحزب البعث. فبدأت السلطة بضرب مراكز القوة الإسلامية والتي كانت تتمثل بالحوزة العلمية والحركة الإسلامية المنظمة فجرى التضيق على المرجعية الدينية والتي كانت ممثلة آنذاك بالإمام الحكيم ﷺ ومحاولة النيل من سمعته باتهام نجله الشهيد السيد مهدي الحكيم بالضلوع في حركة انقلابية مزعومة.

كما قام النظام بتفتيت الجامعة العلمية في النجف الأشرف من خلال تهجير الآلاف من اساتذة وطلبة هذه الحوزة. كما قام النظام بالسيطرة على الكليات والمعاهد الإسلامية في مختلف أنحاء العراق ومصادرة أموال وممتلكات مشروع جامعة الكوفة.

وراحت أجهزة الأمن والمخابرات تلاحق أبناء الحركة الإسلامية وقياداتها ورموزها فزج بالآلاف من خيرة شباب العراق ورجالاتهم في سجون البعث الرهيبة حيث تعرضوا إلى التعذيب، والإضطهاد، والإعدام، وكان في طليعتهم الشهيد الشيخ عبد العزيز البدري والشهيد الأستاذ عبد الصاحب دخيّل (ابو عصام) الذي كان من أبرز قياديي الحركة الإسلامية. واستمرت تلك الحملات الظالمة لتطال أفواجاً أخرىٰ من خيرة أبناء العراق وكفاءاته الإسلامية العلمية من العلماء والأساتذة والأطباء والمهندسين والطلبة وتصاعدت تلك الحملات باعدام قبضة الهدى الشيخ الشهيد عارف البصري وصحبه الأبرار عام ١٩٧٤ واصدار أحكام السجن المؤبد علىٰ أعداد أخرىٰ من أبناء الحركة الإسلامية.

ولم يتوقف المخطط البعثي.. فعمد النظام إلىٰ منع مواكب الطلبة والجامعة وضيق على

الشعائر الحسينية وزوار العتبات المقدسة ولقد اوغل هذا النظام باجرامه في صفر من عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) حين تصدى النظام بطائراته ودباباته وقواته القمعية لجموع الجماهير التي كانت تسير على الأقدام في مسيرة سلمية متوجهة نحو كربلاء.. من النجف الأشرف حيث سقط المئات من الأبرياء شهداء وجرحىٰ جراء عدوان النظام فيما كانت أجهزة الأمن تقوم بحملات اعتقال وتفتيش طالت قطاعات واسعة من الجماهير وجرت محاكمات صورية حكمت بالإعدام علىٰ عدد كبير منهم وبالسجن لأعداد اخرىٰ.

من التغيير إلى المواجهة

وعلى الرغم من حملات الملاحقة والمطاردة والتضييق التي مارستها السلطة بحق الحركة الإسلامية ومحاولات وأدها إلّا انّها باءت بالفشل. فقد استطاعت الحركة الإسلامية استقطاب قطاعات واسعة من الشعب العراقي وشرائحه المختلفة. وراح الشعب العراقي يتطلع اليها للإطاحة بالنظام الغاشم الذي صادر حريات الأمة واستباح مقدساتها.

فمنذ تأسيس حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٥٧ علىٰ يد الإمام الشهيد الصدر وثلة من المفكرين والعلماء عمل علىٰ احداث تغيير فكري وثقافي في أوساط المجتمع العراقي وتوعيته لإستنقاذه من الأنظمة العميلة التي تعاقبت علىٰ حكم العراق وانتشاله من الأفكار الدخيلة المستوردة وطرح المشروع الإسلامي البديل لها.

ولقد احست الدوائر الإستعمارية بخطورة الأوضاع في العراق واحتمالات نجاح التيار الإسلامي في الإطاحة بنظام البعث وما سيشكل ذلك من تغيير في الخارطة السياسية في المنطقة لصالح شعوبها فتحركت تلكم الدوائر بسرعة لترتيب اوضاع الحكم في العراق. فاوعزت بتنحية أحمد حسن البكر وتنصيب صدام رأساً للنظام لما يمتاز به من صفات اجرامية دموية لإنجاز مهمة محاصرة وضرب الوجود الإسلامي في العراق.

ومنذ تسنمه لمقاليد السلطة كاملة في تموز ١٩٧٩ باشر صدام بتنفيذ مخطط واسع ورهيب يستهدف ابادة الحركة الإسلامية وجماهيرها حيث شنت أجهزته القمعية الأمنية والمخابراتية حملات اعتقال واسعة وعمليات إعدام جماعية طالت علماء الإسلام والآلاف من مجاهدي الحركة الإسلامية والمتعاطفين معها.

ولقد بلغت ذروة هذه الحملة القمعية بـاصدار النـظام لقـراره المشـؤوم المـرقم ٤٦١ والمؤرخ في ٣١ / ٣ / ١٩٨٠ والذي نص علىٰ اعدام كل المنتمين لحزب الدعوة الإسلامية والمؤمنين بافكاره والمتعاطفين معه وبأثر رجـعي، فكـان هـذا القـرار سـابقة تـاريخية لم يشهدها العراق من قبل فهو يعني اهدار دم كل الإسلاميين في العراق. وقد ترجمت السلطة قرارها هذا باعدام الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر واخته العلوية بنت الهدىٰ فكانت جريمة تاريخية طالت قمة سامية من قمم الفكر الإسلامي وهو من أبرز علماء الإسـلام فـيما كانت تجري في الوقت نفسه حملات اعدام لخيرة شباب وطـلائع العـراق الواعـية نسـاءً ورجالاً من أبناء الحركة الإسلامية. ولم يتوقف قرار السلطة المشؤوم باعدام الدعاة عـند حدود الذين اتهمتهم السلطة بل تعدت آثاره ليشمل أُسرهم وذويهم إلى الدرجة الثـالثة فتعرض الكثيرون للفصل من وظائفهم ووضعوا تحت رقابة أجهزة السلطة وحرموا مـن أبسط حقوق المواطنة.

وقد تزامنت هذه الحملات الظالمة مع عمليات تهـجير قسرية واسعة النـطاق شمـلت مئات الآلاف من العوائل العراقية ممن شك النظام في ولاءاتهـم للسـلطة فكـانت جـريمة مروعة تخطت كل الأعراف والقيم والمبادئ الإنسانية حيث اسقطت جنسياتهم العراقـية وجردوا من كل ممتلكاتهم واموالهم والقوا على الحدود العراقية ـ الإيرانية يواجهون البرد والظروف الجوية القاسية فمات الكثيرون وبخاصة الأطفال والمسنين وإمعاناً من النظام في جريمته النكراء قام باحتجاز الآلاف من أبناء المهجرين وايداعهم سـجونه الرهـيبة دون ذنب اقترفوه. فما كان على الحركة والحالة هذه إلّا التصعيد الميداني علىٰ كـل المسـتويات والإستمرار في طريق المواجهة رغم وعورته وكثرة التضحيات فيها.

الحرب العراقية ـ الإيرانية

وازاء المأزق الداخلي الذي كان يمر به النظام نتيجة تصاعد العمليات الجهادية المسلحة ضد رموزه ومؤسساته القمعية وحالة الغليان والسخط الشعبيين اللذين عما العراق نتيجة ممارسات النظام الغاشم من جهة وتنفيذاً لرغبات الدوائر الغربية من جهة أخـرىٰ اقـدم صدام علىٰ طعن الثورة الإسلامية فزج العراق في حرب ظالمة مع ايران بعد ان الغىٰ ومـن

طرف واحد اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه ايران عام ١٩٧٥.

فبدأ فصل جديد كانت حصيلته تدمير قدرات كلا البلدين المسلمين الجارين وسقوط أكثر من نصف مليون قتيل وأكثر من هذا العدد من المعوقين والجرحىٰ طيلة سني الحرب الثمان فضلاً عن خسائر لا تقدر لحقت بالمرافق الإقتصادية والصناعية والزراعية والنفطية في كل من العراق وايران كبلّت العراق بديون كبيرة.

لقد كانت مبررات وادعاءات النظام عشية شنه الحرب علىٰ ايران هي استعادة السيطرة الكاملة علىٰ ممر شط العرب واستعادة بعض الأراضي التي تنازل صدام بنفسه عنها لشاه ايران في اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ إلّا ان القادسية السوداء توقفت دون ان يحقق النظام أياً من ادعاءاته تلك. بل ان صدام عاد ليعترف من جديد باتفاقية الجزائر في عام ١٩٩٠ م استعداداً لزج العراق ثانية في مغامرة هوجاء جديدة بغزوه الكويت.

الإرهاب . . أداة الحكم

لقد كان الإرهاب وسيلة النظام للتشبث بالسلطة والقمع أداة لمواجهة أي صوت معارض او رأي قبالها، ولم تسلم شريحة من شرائح الشعب العراقي من البطش والتنكيل حتىٰ داخل دائرة الحزب الحاكم نفسه حيث كانت تجري باستمرار عمليات تصفية تشمل حتىٰ كبار الحزبيين من مدنيين وعسكريين بل انّها وصلت إلىٰ دائرة الزمرة الحاكمة فكانت تصفيات عام ١٩٧٩ والتي صفىٰ بها صدام مناوئيه داخل السلطة.

ولقد كانت اللغة الوحيدة التي يتخاطب بها النظام مع معارضيه هي لغة الإرهاب والقمع ولم يتورع عن ارتكاب أية جريمة في داخل العراق أو خارجه اذا ما أحس بأي صوت معارض سواء كان فرداً أو مجموعة سياسية أو قومية. فكان جراء هذه السياسة الغاشمة ان مسحت مدن عراقية كاملة لانّها عبرت عن رفضها للنظام كما حصل في جيزان الجول والدجيل وحلبجة وغيرها من قرىٰ ومدن العراق ولم يتورع عن استخدام مختلف الأسلحة وأشدها فتكاً بما فيها الأسلحة الكيماوية ضد أبنائه.

كما ان أجهزة النظام الإرهابية راحت تلاحق المعارضين السياسيين وتغتالهم خارج العراق حيث اغتالت الشهيد سهل السلمان في دولة الإمارات عام ١٩٨١ والشهيد الدكتور

اياد حبش في ايطاليا عام ١٩٨٦ والشهيدين سامي عبد المهدي ونعمة مهدي محمد عـام ١٩٨٧ في باكستان والشهيد السيد مهدي الحكيم في الخـرطوم عـام ١٩٨٨ فـضلاً عـن عمليات تصفية لعدد آخر من المعارضين في الخارج.

لقد نجح صدام في الإنفراد بالسلطة بعد تصفية كل الرموز والقيادات البعثية فـتحولت السلطة في العراق من سلطوية الحزب الواحد إلىٰ سلطوية الفرد الذي تحـيط به أُسرته فيما تحولت المؤسسة الحزبية إلىٰ جهاز بوليسي يحمي الحـاكم وينفذ سياساته. ان طبيعة الحكم الإرهابية هذه التي لا تفهم إلّا لغة قـطع الرؤوس والتـفنن بـالتعذيب اضـطرت الحـركة الإسلامية ومن موقع المعارضة لإساليب القوة التي تركزت ضد صدام وازلامه المتورطين بدماء الأبرياء.

تبعيث الجيش

ومنذ مجيء حزب البعث إلى السـلطة مـورست سـياسة مشـبوهة داخـل المـؤسسة العسكرية حيث جرت تصفية كل العناصر التي يشك في ولائها للـنظام امـا بـالإقالة أو الإغتيالات أو الإعتقال ومورست عملية تبعيث اجـباري لضـباط الجـيش ومـنتسبيه وأعتبر البعثيون الجيش مؤسسة مغلقة غير مسموح لأية قوة سياسية أخرىٰ ممارسة أي نشاط فيها حيث كانت عقوبة الإعدام جزاء لكل من يشك في انتمائه أو تعاطفه مع أي تيار سياسي عراقي آخر. فيما كانت سياسة التميز الطائفي والعنصري تتحكم في اختيار مواقـع التوجيه والقيادة في المؤسسة العسكرية.

لقد اساء النظام إلىٰ مكانة الجيش العراقي وسمعته وكفاءاته ومهاراته ودوره من خلال استخدامه كأداة لقمع أي تحرك شعبي وجماهيري فتحول الجيش من قوة لحـماية الشـعب والوطن إلىٰ وسيلة لحفظ الزمرة المتسلطة وتنفيذ سياساتها العدوانية ضد الشـعب فـزج النظام بالجيش في معارك مخزية مع شعبنا الكردي واستخدمت القـوات المسـلحة لقـمع انتفاضات شعبنا في الوسط والجنوب بدءاً من انتفاضة صفر ١٣٩٧ هـ(١٩٧٧م) ومروراً بالعديد من المناسبات التي استخدم فيها الجيش لضرب تطلعات شعبنا وانتهاء بانتفاضة شعبان المجيدة ١٤١٢ هـ(آذار ١٩٩١م).

لقد كانت أمنية جيشنا العراقي ان تتاح له الفرصة الحقيقية لممارسة دوره المشرف في قضايا الأمة المصيرية إلّا ان السلطة البعثية عطلت دوره المشرف هذا وزجته في حروب مع جيران العراق لم تخدم إلّا اعداء القضية المركزية من صهاينة ومستعمرين بل ساهمت على العكس من ذلك في تعطيل وشل قدرات المسلمين والعرب واوجدت حالة من العداء بين شعوب المنطقة عرباً ومسلمين ووفرت للكيان الصهيوني فرصاً ذهبية لتثبيت وجوده الغاصب في فلسطين وفرض هيمنته العسكرية علىٰ كل المنطقة.

النظام والقضية الفلسطينية

لقد رفع البعثيون حين وصولهم إلى السلطة شعار تحرير فلسطين وادعوا ان مجيئهم إلى السلطة هو الرد العملي علىٰ نكسة حزيران ١٩٦٧م. إلّا ان عقدين من الزمن كانا كافيين لكشف زيف هذا الأدعاء وبطلان الشعارات البراقة التي رفعها النظام لتضليل الجماهير وخداعها طيلة سنيّ حكمه البغيضة. لقد ساهم النظام بشكل فعال وخطير في اضعاف وتمزيق وتشتيت المقاومة الفلسطينية وقامت عناصر مخابراته باغتيال العديد من القادة الفلسطينيين وتواطأ مع النظام الأردني في مجازر ايلول الأسود عام ١٩٧٠ بحق الفلسطينيين وعطل قدرات شعوب المنطقة وبدد امكاناتها في أزمات وحروب محلية واقليمية لم تخدم سوى الصهاينة وأعداء الأمة.

وكانت حماقته الأخيرة بغزوه الكويت أكبر اساءة للقضية الفلسطينية حيث تمّ طعن انتفاضة الحجارة داخل فلسطين وتمزيق الصفين العربي والإسلامي. كما ادّت إلىٰ اسدال الستار علىٰ عملية تهجير ملايين اليهود من الأتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية دونما ضجة إلى الكيان الصهيوني. كما ادّت تهديدات صدام الفارغة بحرق نصف اسرائيل إلىٰ تعاطف دولي مع الكيان الصهيوني حيث انهالت المساعدات المالية والعسكرية بشكل لم يحلم به الصهاينة من قبل كما تمّ عزل منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً بعد ان جرها النظام إلىٰ صفه وتأييده في غزوه للكويت.

الموارد النفطية..

إن الموارد الهائلة للنفط وارتفاع أسعاره في عقد السبعينات وفرت للعراق ثروة مالية

ضخمة كان من الممكن لو أحسن استثمارها احداث نهضة علمية وزراعية وصناعية ورفع مستوىٰ معيشة الفرد العراقي إلىٰ مصاف مواطني الدول الغنية إضافة عن دعم الشعوب الإسلامية والعربية التي تواجه مخاطر المجاعة والفقر والتخلف. إلّا ان النظام أستغل هذه الموارد الضخمة في تنفيذ سياسات لا تنسجم مع مصالح الشعب العراقي حيث بددت تلك الثروات على الزمرة الحاكمة واستخدمت في شراء الذمم في العراق وخارجه وبناء مؤسسات قمعية لمطاردة المخلصين من العراقيين واحصاء أنفاسهم في الداخل والخارج وحياكة مؤامرات لزعزعة الأمن والإستقرار في المنطقة واهدار الثروات في حروب في داخل العراق ومع جيرانه لم يكن فيها للشعب العراقي أية مصلحة حقيقية ولم تجلب له غير البؤس والشقاء والفقر.

لقد تعاملت الزمرة الحاكمة في العراق مع الموارد المالية الهائلة وكأنّها فيء شخصي واستخدمت لتكريس سلطة رأس النظام وتنفيذ رغباته العدوانية الهوجاء حيث تمت سرقة عشرات المليارات من الدولارات من أموال شعب العراق وأُودعت في البنوك والشركات الأجنبية لصالح صدام وأُسرته وكانت نتيجة كل تلكم السياسات الرعناء ان أوصلت العراق إلىٰ ما هو الآن عليه حيث أصبح العراق مثقلاً بالديون وبات الشعب العراقي يتضور جوعاً وتفتك به الأمراض والأوبئة.

غزو الكويت . . الحماقة القاتلة

وبعد توقف الحرب العراقية الإيرانية في آب ١٩٨٨ وجد صدام نفسه وقد فشل في تحقيق أي من أحلامه وطموحاته الشخصية فلم يستطع اسقاط النظام في ايران ليصبح شرطي المنطقة رغم جسامة التضحيات والخسائر المادية التي لحقت بالعراق. فما كان يمتلك ترسانة عسكرية هائلة توفرت له خلال سنوات حربه مع إيران حيث انهالت عليه مختلف أنواع الأسلحة والمعدات المتطورة من دول الغرب والشرق وساهمت الحكومات الخليجية بدفع فواتيرها وتغطية نفقاتها حينما كان صدام يتصدىٰ لضرب الصحوة الإسلامية في المنطقة ويمارس سياسة البطش والقمع علىٰ مرأىٰ ومسمع من حكومات المنطقة التي تراصفت مع النظام ضد ارادة الشعب العراقي. وشاركته في قمع تطلعات هذا الشعب. بعد ان

صور لها دوره الهام والخطير في حماية الدول الخليجية من تنامي الصحوة الإسلامية كما وخدعها من خلال اعلامه المضلل في تشويه صورة الحركة الإسلامية علىٰ انّها أداة إرهابية في المنطقة.

لقد شجعت الترسانة العسكرية الهائلة صداماً ليفكر في مغامرة جديدة ليحقق طموحاً شخصياً ويصبح زعيماً للمنطقة دون منازع. فجاء غزوه للكويت تجسيداً لهذا الطموح واستمراراً لنهجه العدواني وأسلوبه في حل النزاعات المحلية والأقليمية والذي اعتمد استخدام القوة العسكرية والعنف دون اكتراث بالقيم والأعراف الدولية وليكشف وجهه الحقيقي واستهتاره بالقيم الإنسانية وتعاليم الإسلام والأعراف العربية وحقوق الجوار. كما جاء هذا الغزو تنفيذاً لمخطط صدام الإجرامي بتمزيق شعوب المنطقة وبذر روح العداء والشقاق بينها خصوصاً وانّه شعر بان دوره من وجهة نظر غربية قد انتهىٰ بعد ان استنفذ مهمته السابقة وعاد خطراً وبؤرة توتر بالمنطقة بسبب خزين الأسلحةالذي توفر له. هذا يضاف إلىٰ ان الدول الإستعمارية شعرت بأن الأرضية السياسية العراقية مجمعة ضد صدام ولا يمكن ان تتقبله رغم اختلاف وجهة نظرها.

ان غزو صدام للكويت وما جر ذلك من حرب مدمرة ومآسي طالت الشعبين العراقي والكويتي وحالة التمزق والتشتت التي لحقت بشعوب المنطقة وتكريس التواجد الأجنبي فيها يشترك مع صدام في تحملها حلفاءه ومساندوه وشركاءه بالأمس من دول الغرب والشرق وحكومات المنطقة الذين وقفوا معه ابان الحرب العراقية الإيرانية. فقد انهالت على النظام مختلف أنواع الأسلحة المتطورة والتكنولوجيا العسكرية الحديثة فيما قامت الولايات المتحدة بتزويده بالمعلومات المخابراتية الدقيقة ووفرت له الغطاء الأعلامي والسياسي للتعتيم علىٰ ممارساته الأجرامية القمعية بحق الشعب العراقي فضلاً عن القروض والائتمانات المالية المفتوحة لدعم اقتصاده ومشترياته من السلاح والعتاد.

وفي نفس الوقت تكفلت الدول الخليجية بتغطية نفقات حربه مع ايران ووضعت موانئها وأراضيها وأجواءها في خدمة المجهود الحربي للنظام وساهمت في ملاحقة معارضي النظام ممن لجؤوا إلىٰ هذه الدول حيث تعرضوا للملاحقة والإعتقال والتعذيب والتسفير وسُلّم الكثير منهم إلىٰ أجهزة النظام القمعية حيث كان ينتظرهم الموت الأكيد.

لقد كانت سفارات النظام والتي هي في حقيقتها مراكز وأوكار للتجسس وملاحقة أبناء العراق كانت تعمل بكل حريتها في دول الخليج حيث مارست عمليات الإغتيال ومطاردة المعارضين وابتزازهم سياسياً ومالياً كما وقفت الصحافة الخليجية تدافع عن نظام صدام وجرائمه بحق الشعب العراقي وتبرر له حرب السنوات الثمان مع ايران وتعتم علىٰ ما يجري داخل العراق من مآسي يقترفها النظام بحق العراقيين وتشوه سمعة الحركة الإسلامية التي تصدت للنظام ولم تتوان الصحافة الخليجية حتىٰ عن تبرير القصف الكيماوي الهمجي للنظام لمدينة حلبجة والذي راح ضحيته أكثر من خمسة آلاف من الكرد المسلمين العراقيين الأبرياء.

أجل لقد كان صدام فارس الصفحات الأولىٰ في الصحافة الخليجية والوجه البارز في وسائل الأعلام لسنين طويلة وحتىٰ عشية احتلاله للكويت..

ونقولها وبمرارة ان حزب الدعوة الإسلامية قد وجه وبمناسبات متتالية وعديدة مذكرات إلى الحكومات الخليجية دعتها يومذاك إلى التوقف عن دعم النظام مالياً وعسكرياً واعلامياً ومنع سفاراته وعناصر مخابراته من ملاحقة أبناء شعبنا العراقي الذين لجؤوا إلىٰ هذه الدول هرباً من بطش النظام.

كما ان الدعوة الإسلامية كانت قد شخصت منذ وقت مبكر بأن صداماً سوف ينقلب علىٰ هذه الأنظمة وعلى الكويت بشكل خاص بمجرد طيه لصفحة الحرب العراقية الإيرانية وهو الأمر الذي حدث بالفعل ومن المؤسف انّه لم تلق تلك النداءات آذاناً صاغية من الحكومات الخليجية التي آثرت التحالف مع صدام ضد مصالح شعوبها والمنطقة فكان ان حلت «أم الكوارث» التي اكتوى الجميع بنارها وآثارها المدمرة. وبعد ان انكشف الوجه الحقيقي الكالح لصدام لأبناء الخليج عموماً ولأبناء الكويت خاصة إلّا ان الذي يؤسف له هو تفشي ظاهرة الخلط بين صدام والشعب العراقي مما يسبب بعض الكراهية بين شعبين مسلمين عربيين جارين.

أميركا .. التحكم بالنفط

لقد وفر صدام بغزوه الكويت المبررات الكافية للأدارة الإمريكية لتشرع بتنفيذ

مخططها في السيطرة الكاملة على المنطقة النفطية في الخليج. فبعد انهيار المعسكر الشرقي وتفكيك الأتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وانتفاء حاجة اوروبا للحماية الإميركية وقرب الأعلان عن ولادة الوحدة الأوروبية والتي ستعزز بدورها ككتلة اقتصادية سياسية كبيرة تشكل محوراً رئيسياً في النظام الدولي. كما ان بروز اليابان كقوة اقتصادية عملاقة تنافس الأقتصاد الإمريكي كل ذلك دعى الإدارة الإمريكية كي تخطط للسيطرة على المستودع النفطي في الخليج والذي يعتبر شريان وعصب الحياة في اوروبا واليابان ولتضمن امريكا بالتالي الدور الرائد في النظام الدولي الجديد وهي تتحكم بمصادر الطاقة وشريان الحياة في العالم الصناعي. فجاءت عملية غزو الكويت لتشكل الفرصة التي كانت تنتظرها امريكا لتنفيذ مخططها فسارعت بارسال قواتها إلى المنطقة تحت غطاء قرارات مجلس الأمن الدولي.

لقد كان موقف حزب الدعوة الإسلامية واضحاً وحاسماً في ادانة وشجب غزو صدام للكويت واستنكاره ورفض كل ما ترتب عليه. كما طالب الحزب بانسحاب غير مشروط لقوات صدام من الأراضي الكويتية واحترام ارادة الشعب الكويتي المسلم في استقلال بلده والعيش الآمن الكريم في وطنه. كما انّه ادان تواجد الحشود العسكرية الإمريكية والغربية باعتبار ان القوات الإمريكية انّما جاءت لتحقيق هدفين رئيسين لا علاقة لهما بدعوىٰ تحرير الكويت.

الأول: تدمير الجيش العراقي والبنى التحتية للإقتصاد والمجتمع العراقي.

الثاني: احكام السيطرة علىٰ منابع النفط وانهاك المنطقة وتحقيق الهيمنة الإمريكية للتحكم بشريان الأقتصاد الدولي الممثل بالنفط.

لقد ترك غزو صدام للكويت آثاراً خطيرة انعكست علىٰ طبيعة العلاقات بين حكومات المنطقة وشعوبها ونسفت مفهوم الأمن القومي العربي واحدثت شرخاً في مجمل العلاقات بين الدول العربية نفسها والتي انقسمت ازاء عملية الغزو إلىٰ مؤيد له ضمناً ومعارض له علناً، كما انسحبت آثاره علىٰ شعوبها التي عانت من آثار هذا الغزو وتلك التي انخدعت بشعارات صدام الكاذبة الداعية إلىٰ تحرير فلسطين وتوزيع الثروة العربية فكان ان نالت القضية الفلسطينية القسط الأكبر من آثار ونتائج الغزو.

ان اصطفاف منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات مع صدام وتأييد للغزو أدّى إلىٰ عزل هذه المنظمة عربياً واسلامياً ودولياً كما خسرت المنظمة الدعم المالي الكبير والذي كانت تتلقاه من الدول الخليجية فيما حرم الفلسطينيون المقيمون في دول الخليج من فرص العمل بعد اخراجهم من هذه الدول مما فرض صعوبات مالية علىٰ ذويهم في فلسطين المحتلة وانسحبت آثاره على انتفاضة الحجارة في الأرض المحتلة. كما تضرر الإردنيون واليمنيون والسودانيون جراء الغزو بسبب مواقف حكوماتهم التي أيدت صدام.

الأشقاء الإسلاميون . . مواقف لا مسؤولة

ولقد انطلت شعارت صدام المظلمة على العديد من الحركات الإسلامية متوهمة بأن صدام جاد في شعاراته متناسية واقع صدام ونظامه الدموي المعادي للإسلام فانجرت هذه الحركات إلىٰ مواقف لم تكن في صالح القضية الإسلامية وسمعة الإسلامين.

وانّه لمن الغريب حقاً ان هذه الحركات الإسلامية لم تحرك ساكناً حينما كان صدام يولغ في دماء المسلمين والإسلاميين في العراق ويقتل خيرة علمائه وشبابه أو حينما شن عدوانه لثمان سنوات متتالية على الشعب المسلم في ايران وحينما انتفض الشعب العراقي ضد صدام في انتفاضة شعبان ١٤١٢ هـ آذار ١٩٩١ اختارت بعض هذه الحركات الإسلامية الصمت فيما راح البعض الآخر يندد بالثورة الشعبية في وقت كان صدام يقمع الشعب المسلم في العراق بأبشع وسيلة مستخدماً الصواريخ والأسلحة الثقيلة لينهال بها علىٰ رؤوس الناس ويدمر المدن والمراقد المقدسة.

ان عدوان صدام على الكويت اعاد إلى المنطقة سياسة الأحلاف العسكرية حيث تسابقت دول الخليج لإبرام المعاهدات الدفاعية مع امريكا وغيرها من الدول الغربية وهيأت الأجواء لتواجد عسكري اجنبي دائم في المنطقة. فقد كانت الحشود الإمريكية ودول التحالف قد تجاوز افرادها النصف مليون جندي في المنطقة فيما تقاطرت على المنطقة براً وبحراً وجواً آخر التكنولوجيا العسكرية والأسلحة المتطورة بما فيها اسلحة لم تستخدم من قبل في حرب سابقة وازدحمت مياه الخليج بالأساطيل وحاملات الطائرات وواصلت امريكا من جانبها بالضغط علىٰ مجلس الأمن الدولي لإستصدار القرارات الواحد تلو

الآخر لتكبيل العراق بالمزيد من القيود والإلتزامات في المستقبل وتهيأة الأجواء لشن حرب مدمرة على العراق وفرض حصار اقتصادي شامل عليه. بينما زج صدام بجيش العراق في مواجهة غير متكافئة وراح يرفض كل النداءات والوساطات الداعية لإنسحابه من الكويت فيما كان يبدو بجلاء بان الحرب واقعة لا محالة.

تدمير العراق.. هو الهدف

وبالفعل فقد شنت امريكا وحليفاتها هجومها الجوي والصاروخي على العراق فجر يوم الخميس ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ حيث استهدف كل البنى التحتية ومراكز الإتصالات والجسور ومحطات الطاقة الكهربائية والمصانع ومراكز تصفية المياه والسايلوات ومعامل الأغذية والتعليب فضلاً عن المراكز العسكرية والمطارات ومصافي النفط فكان من نتائج القصف تدمير العراق واعادته إلى الوراء لعشرات السنين.

وبعد أسابيع من استمرار القصف الجوي بدأ الهجوم البري للقوات الإمريكية والمتحالفة معها على القوات العراقية في الكويت وسيطرت على الكويت وواصلت هذه القوات زحفها داخل الأراضي العراقية حيث وصلت القوات الإمريكية إلىٰ مشارف مدن السماوة والناصرية فيما كان صدام قد أمر بسحب القوات العراقية والتي كانت مكشوفة في صحارى الكويت، امرها بالإنسحاب الفوري خلال ليلة واحدة مما جعلها مكشوفة أمام نيران قوات التحالف وعرضها إلىٰ خسائر رهيبة لم تكشف أرقامها الحقيقية لحد الآن وفجأة أعلن الرئيس الإمريكي بوش ايقاف العمليات العسكرية ثمّ عقد لقاء بين قادة عسكريين عراقيين وامريكان أعلن فيه صدام استسلامه غير المشروط لقوات التحالف.

لقد بدا واضحاً بأن الحرب التي شنتها امريكا لم تكن تستهدف استعادة الكويت فحسب بل كانت موجهة اساساً ضد قدرات الشعب العراقي وامكاناته البشرية وثرواته الوطنية وهو الأمر الذي اكدته سلسلة القرارات التي استصدرتها امريكا من مجلس الأمن الدولي وهي قرارات سعت بمجموعها إلىٰ انتهاك سيادة العراق وارتهان اقتصاده وثرواته النفطية التي هي ملك الشعب العراقي، ارتهانها إلىٰ عقود من الزمن قادمة.

وما ان انتهت الحرب حتىٰ ظهرت ملامح وآثار كارثتها المروعة والتي شملت كل المرافق

الحياتية والصناعية في العراق فضلاً عن مئات الآلاف من ضحايا هذه الحرب من العسكريين والمدنيين. وكان من نتائج الحرب والحصار الإقتصادي المفروض على العراق زيادة معاناة الشعب العراقي وتفشي الأمراض والأوبئة وارتفاع نسبة الوفيات وخاصة بين الأطفال والمسنين. ولقد تظافرت افرازات الحرب ونتائجها المأساوية في تصعيد الرفض والغليان الشعبي ضد النظام والذي تجسد في تفجير البركان الجماهيري في انتفاضة الخامس عشر من شعبان ١٤١٢هـ

الإنتفاضة المباركة

لقد جاءت انتفاضة ١٥ شعبان ١٤١١هـ (آذار ١٩٩١) لتمثل أوسع وأشمل انتفاضة شعبية يشهدها تاريخ العراق الحديث بعد ثورة العشرين المجيدة.

فقد هبت جماهير الشعب العراقي بكل قومياته ومذاهبه وطوائفه معلنةً رفضها المطلق لنظام صدام والذي لم يجلب للعراق سوى الدمار والتخلف ولم يجن الشعب العراقي إلّا المزيد من الإضطهاد والتعسف ومصادرة الحريات وامتهان الكرامات والعدوان علىٰ مقدساته وقيمه النبيلة فضلاً عن الذل والهوان الذي لحقا بالعراق جيشاً وشعباً جراء حماقات صدام ونزعاته العدوانية وسياساته الخرقاء التي زجت بالعراق في مواجهة غير متكافئة مع أعداء هذا الشعب والطامعين في خيراته وكانت الإنتفاضة المجيدة بحق استفتاءً شعبياً عبّر فيه العراقيون جميعاً عن رفضهم لهذا النظام واصرارهم على التخلص من قبضته وتطلعهم إلىٰ بناء عراق جديد تسوده الحرية وتعمه العدالة ويحكمه القانون.

إن أبرز ما تميزت به انتفاضة شعبان المباركة.. هو الاصالة.. اذ تجسدت فيها هوية الشعب العراقي الإسلامية ومثله وقيمه الرافضة للظلم وكانت تعبيراً حقيقياً عن ضمير الشعب العراقي ووجدانه وامتداداً لنهجه الثوري وتتويجاً لإنتفاضاته السابقة وتأكيداً علىٰ اصراره لنيل حقوقه واستعادة حريته والثأر لكرامته.

كما تميزت هذه الإنتفاضة المجيدة بالشمولية. اذ لم تقتصر علىٰ فئة أو طائفة أو مذهب في العراق بل شارك فيها كل العراقيين عرباً، واكراداً، وتركماناً، سنة وشيعة، رجالاً ونساء، فكانت بحق انتفاضة كل العراق من أقصاه إلىٰ أقصاه.

وكانت انتفاضة شعبان واضحة الهدف وهو اسقاط نظام صدام واقامة نظام سياسي يعبر عن تطلعات الملايين من هذا الشعب وكان الإصرار علىٰ تحقيق هذا الهدف واضحاً رغم التضحيات. فقد قطعت الجماهير المليونية الثائرة مع النظام كل الجسور التي حاول مدها من أجل الإستمرار في التضليل والخداع الذي مارسه عبر أكثر من عقدين من سني حكمه الأسود.

لقد تفاعلت عوامل السخط والرفض الشعبيين ومشاعر الثأر للكرامة الوطنية التي أساء لها صدام في حربه الخاسرة مع قوات التحالف وما نتج عنها من دمار شامل للعراق.. والتي هيأت المناخ والأرضية المناسبة لإندلاع شرارة انتفاضة الكرامة والتي سرعان ما عمت كل العراق.

الجنوب . . شرارة الإنتفاضة

لقد اندلعت شرارة الإنتفاضة المباركة من جنوب العراق.. ليلة الخامس عشر من شعبان ١٤١٢ هـ وسرعان ما امتد لهيبها ليشمل كل مدن الجنوب ووسط العراق. فهبت الجماهير الغاضبة تدك معاقل النظام ومراكز الأمن والمخابرات ومقرات المنظمات الحزبية.. فانهارت خلال ساعات قليلة أمام زحف الجماهير الثائرة.

ولقد حفزت الإنتفاضة في الوسط والجنوب وأنباء الإنتصارات الكبيرة التي حققتها الجماهير. حفزت شعبنا الكردي للتحرك بدوره لدك معاقل النظام في كردستان فراحت هي الأخرىٰ تتهاوىٰ امام زحف الجماهير..

فكانت الإنتفاضة تعبيراً رائعاً عن الرفض الشعبي للنظام والإصرار على الإطاحة به.

لقد حققت انتفاضة شعبان المباركة انجازات كبرىٰ ستكون ضمانات مستقبلية أكيدة في انجاح أي مشروع جماهيري آخر لإسقاط النظام. فقد تحطمت وبالكامل حواجز الخوف والتردد لدىٰ قطاعات واسعة من الشعب، تلكم الحواجز التي فرضها النظام بأساليبه الشهيرة في القمع والإرهاب والسجون والتعذيب.. طيلة حكمه الدموي والتي كانت بمجموعها تشكل الركيزة الأساسية لإستمراره في السلطة فيما سقطت هيبة النظام تماماً وتعرضت اجهزته الإجرامية الأمنية والمخابراتية إلى التمزق والتشتت علىٰ يد جماهير

الشعب الثائرة والغاصبة والتي انقضت علىٰ مراكز التعذيب والتجسس الصدامية وحولتها إلىٰ انقاض. لقد اوجدت الإنتفاضة حالة جديدة داخل المجتمع العراقي فلم تعد للسلطة هيبتها وسطوتها السابقة وهذه الحالة تشكل انجازاً علىٰ طريق اسقاط النظام.

كما نجحت الإنتفاضة في تعرية النظام أمام الرأي العام العالمي والأقليمي والإسلامي لتظهره علىٰ حقيقته ونزعته الإجرامية.. كنظام تسلطي قمعي لا يمت إلى الشعب العراقي بأية صلة وهو علىٰ استعداد لإبادة الشعب للإستمرار في فرض دكتاتورية فردية عائلية مستهيناً بأبسط القيم والمبادئ التي تحدد علاقة الحكام بشعوبهم.

ان منطق الأشياء وتسلسل الأحداث كانا يفرضان علىٰ صدام الإعتراف بجريمته التي ارتكبها بحق العراق، والمبادرة إلىٰ تقديم استقالته من السلطة واتاحة الفرصة للشعب العراقي كي يعالج المأساة المروّعة التي جرها عليه، حيث أُسيء إلىٰ كرامة جيش العراق وسمعته ودمرت قدرات الشعب العراقي، بينما راح صدام يستخدم مرتزقة حرسه الجمهوري واسلحته الفتاكة يوجهها إلىٰ صدور أبناء الشعب العراقي وليدك بها مدن العراق الثائرة علىٰ أهلها مرتكباً أبشع الجرائم الإنسانية والتي لم تسلم منها حتى المراقد المقدسة والمساجد والمعابد. ومراكز التراث والمتاحف والمكتبات.

كما كشفت الإنتفاضة الشعبية حقيقة المواقف الدولية والأقليمية حيال محنة الشعب العراقي مع النظام المتسلط عليه، وهي مواقف بمجموعها لم تكن في صالح الشعب العراقي وتطلعاته المشروعة.. فقد ساهم الموقف الدولي في ضرب الإنتفاضة ومنعها من تحقيق هدفها المركزي باسقاط النظام، وذلك حينما سمحت امريكا لصدام بسحب فرق الحرس الجمهوري المحاصرة جنوب العراق واستخدامها لقمع الإنتفاضة الجماهيرية.. كما غضت امريكا الطرف عن استخدام النظام لطائراته في دك المدن والسكان العزل. كما ظهرت تماماً سياسة النفاق والكذب الصريح التي اعتمدتها الإدارة الإمريكية في تعاملها مع مأساة شعبنا في العراق. ففي الوقت الذي كان الرئيس بوش يصرح للمرة تلو الأخرىٰ بان على الشعب العراقي التحرك للتخلص من صدام وجدنا ان امريكا تصطف مع صدام لقمع الشعب حينما نهض للتخلص من الطاغية.

ولم يكن الموقف الإقليمي أحسن حالاً من نظيره الدولي فقد اختارت بعض أنظمة

المنطقة موقف المتفرج علىٰ ما يجري من مآسي داخل العراق بينما راح البعض الآخر يبدي قلقه من انتفاضة الشعب خوفاً من النظام القادم لانّه يمثل ارادة الشعب العراقي.. كما ان دولاً كان يأمل منها شعبنا العراقي ان تقف معه في محنته ابان الإنتفاضة وتهب لدعمه خاصة وان هذه الدول كانت ضحية جرائم النظام وسياساته العدوانية إلّا ان تلك الدول لم ترتقي إلىٰ مستوىٰ مسؤولياتها في تقديم ما ينبغي تقديمه لشعب يتضور جوعاً وهو يُقمع من قبل نظام دموي همجي.

وازاء موقف قوات التحالف التي تواطئت مع صدام لضرب الإنتفاضة والمواقف المتخاذلة والمتفرجة لبعض أنظمة المنطقة وصمت وذهول الشعوب العربية والإسلامية وجد الشعب العراقي الثائر نفسه وحيداً في مواجهة نظام دموي اجرامي لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم من أجل تشبثه بالسلطة فكانت النتيجة سقوط مئات الآلاف من الضحايا من أبناء المدن الثائرة واضطرار حوالى ثلاثة ملايين عراقي إلى الهروب واللجوء إلى الدول المجاورة في وضع مأساوي وتحت اسوأ الظروف فيما استمر النظام في شن حملة ابادة طائفية عنصرية رهيبة لإستئصال الجماهير الثائرة ولم يتورع عن دك المراقد المقدسة بالصواريخ والطائرات والمدفعية الثقيلة.

اصرار علىٰ اسقاط النظام

لقد كان العراق ضحية التحالفات السياسية الدولية والإقليمية طيلة العقود الماضية والتي وجدت في النظام البعثي اداة طيعة لتمرير مؤامراتها. ومنذ دخول حزب الدعوة الإسلامية معترك الصراع السياسي في العراق شخص بان الإطاحة بهذا النظام هو الخطوة الأساسية لإحباط تلك المخططات وتجنيب العراق المزيد من المآسي والويلات وضمان الإستقرار في المنطقة.. فكانت مواجهته مع السلطة ورأسها ورموزها الظاهرة البارزة التي طبعت أحداث العراق في مرحلة الثمانينات وكانت العمليات الجهادية البطولية التي استهدفت رأس النظام كادت ان تنقذ العراق من قبضة هذا النظام الدموي لولا الدعم اللامحدود الذي وفرته القوى الدولية والإقليمية التي تراصفت مع النظام امنياً وسياسياً واعلامياً وشاركته في ملاحقة أبناء الحركة الإسلامية وعناصر المعارضة العراقية في أكثر

من ساحة.

ومن هذا المنطلق فقد شخصت الدعوة الإسلامية في وقت مبكر أهمية توحيد المعارضة العراقية وحشد طاقاتها بهدف اسقاط النظام فطرحت بيان التفاهم في مطلع عام ١٩٨٠ دعت فيه كل العراقيين افراداً وحركات وقوىٰ سياسية.. دعتهم إلى العمل المشترك واوضحت تصوراتها بشأن المستقبل السياسي للعراق.. إلّا ان اندلاع الحرب العراقية الإيرانية وما أدت إليه من تباين في مواقف اطراف المعارضة منها آنذاك واشتداد هجمة النظام ضد الإسلاميين في داخل العراق من جهة اخرىٰ حال دون التوصل إلىٰ صيغة شاملة تجمع كل اطراف المعارضة العراقية.. إلّا ان ذلك لم يمنع قيام تحالفات سياسية بين بعض اطراف المعارضة العراقية واستمرت المساعي الحثيثة لجمع شمل المعارضة العراقية والتي تبلورت بصيغة ميثاق لجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية التي ضمت معظم الحركات السياسية في العراق.

لقد كان حرصنا علىٰ انجاح مشاريع توحيد الصف العراقي المعارض يتجسد في ابداء اكبر قدر من المرونة وتجاوز الذات والقبول بصيغ لا تناسب حجم الحركة الإسلامية وامتداداتها في الساحة العراقية وجسامة تضحياتها ضد النظام.. كل ذلك ايماناً منها بأن مصلحة الشعب العراقي بكل طوائفه وقضيته العادلة هي فوق كل الإعتبارات والحسابات السياسية والشخصية.

اننا نحرص علىٰ تطوير مشروع المعارضة العراقية وصولاً إلىٰ صيغة شاملة تجمع كل الأطراف العراقية المعارضة دون استثناء وبغض النظر عن انتماءاتها الفكرية وتشكيلاتها السياسية تلبية لطموحات شعبنا وتطلعاته في ازاحة كابوس هذا النظام عن صدره وتحرير ارادته وتمكينه من صياغة نظامه السياسي الذي يكفل له الحياة الحرة الكريمة.

اننا نعتقد بأن المعارضة العراقية اليوم تقف في مواجهة اختبار تاريخي حقيقي لكفاءتها وصدق انتمائها للشعب العراقي وقدرتها علىٰ تجاوز الذات ووضع مصلحة الشعب العراقي فوق كل اعتبار، وان بروز المعارضة العراقية كقوة سياسية موحدة ومتضامنة أمام الرأي العالمي والإسلامي يكسبها دعم وتأييد المؤسسات والهيئات الأقليمية والدولية ويمكنها من فرض نفسها كبديل سياسي لنظام صدام.

البرنامج السياسي

الحكومة الإنتقالية

ان مهمة صياغة النظام السياسي واختيار شكل الحكم في العراق. هي من حق الشعب العراقي وحده ولا نعتقد بصحة فرض اية صيغة جاهزة للحكم على الشعب خلافاً لإرادته الحرة.

وفي المرحلة التي تعقب سقوط النظام مباشرة تتولىٰ ادارة البلاد حكومة انتقالية مؤقتة تتشكل من القوى السياسية الممثلة لمختلف شرائح المجتمع العراقي. وتقوم هذه الحكومة الإنتقالية بتهيأة الظروف اللازمة لصياغة دستور دائم للبلاد تتشكل علىٰ ضوئه الحكومة الدائمة.

إن مدة عمل الحكومة الإنتقالية يجب ان لا تتعدى السنتين تقوم خلالها بالمهام التالية:

١ ـ إلغاء المؤسسات القمعية والتجسسية التي أنشأها النظام.

٢ ـ اصدار عفو عام واطلاق سراح المعتقلين السياسيين وأبناء المهجرين ورد الإعتبار اليهم.

٣ ـ إلغاء القوانين الإستثنائية والشاذة والتي تتنافىٰ مع حقوق الإنسان.

٤ ـ العمل علىٰ توفير مستلزمات الحياة الضرورية للمواطنين من مواد غذائية وطبية وخدمات عامة.

٥ ـ وضع خطة طوارىء لإصلاح المرافق الحيوية التي دمرت أثناء حروب النظام.

٦ ـ إتخاذ الخطوات اللازمة لتنظيم وتأمين عودة المهجرين العراقيين.

٧ ـ تأمين ممارسة الحريات السياسية وضمان حرية النشاط السياسي والنقابي والإجتماعي وحرية الصحافة والنشر.

٨ ـ العمل علىٰ اجراء انتخابات حرة ومباشرة لإختيار أعضاء مجلس تشريعي يتولىٰ اعداد دستور دائم للبلاد.

٩ ـ تبني سياسة خارجية مستقلة تقوم علىٰ مبادىء حسن الجوار والتضامن العربي والإسلامي مع الدول العربية والإسلامية والأسرة الدولية والإلتزام بمواثيق الأُمم المتحدة وتصحيح ما أفسده النظام بهذا الخصوص.

١٠ ـ العمل علىٰ رفع العقوبات الجائرة التي فرضت على العراق بسبب سياسات النظام الهوجاء باعتبار ان الشعب العراقي لم يكن مسؤولاً عن تلك السياسات.

نظام الحكم

ان مسألة نظام الحكم في العراق تحتل الصدارة في اهتمام الشعب العراقي وقواه السياسية فكل الذي حلّ بالعراق من كوارث ومآسي كان نتاجاً متوقعاً لطبيعة أنظمة الحكم التي توالت على العراق والتي اعتمدت سياسة تجاهل ارادة الشعب العراقي ومصادرة حقّه في المشاركة في اختيار الحاكم وصناعة القرار السياسي للبلاد فكان نظام صدام اوضح مثال علىٰ الإستهانة بحقوق الشعب ورغباته حيث اعتمد سياسة التسلط الفردي وحكم العائلة والتمييز الطائفي والقومي، تلك السياسة التي قادت البلاد إلىٰ المآسي والكوارث المروعة التي مرَّ بها عراقنا وشعبنا هذه الأيام.

والعراق منذ عقود يعيش اوضاعاً استثنائية حيث يمارس الحكم وتشرع القوانين وتصدر القرارات وحتىٰ تلك التي تمس أمن البلاد ومستقبل الشعب دون الرجوع إلىٰ مؤسسات دستورية تحدد للسلطة صلاحياتها ومسؤولياتها بما يصون سيادة البلاد ومصالح الشعب وحتىٰ الدستور الذي بقي مؤقتاً لعقود من الزمن لم يعمل بمواده وبقي حبراً علىٰ ورق فيما كانت القوانين والتشريعات والأحكام والقرارات تصدر عن هيئة غير دستورية وغير قانونية تمارس حكماً مطلقاً لا رأي للشعب فيه الهيئة.. بقيت مصونة غير مسؤولة. ولقد بلغت الإستهانة حداً ان يتهكم الحاكم بالقانون ليصفه بانّه كلمات يكتبها متىٰ وكيف شاء.

وقد حرم الشعب من اختيار ممثليه بارادة حرة ولم تكن له كلمة في شأن من شؤون الحياة السياسية في العراق فكانت الحكومات المتعاقبة لا تمثله ولم تعمل علىٰ تحقيق طموحاته. بل مارست القمع والإرهاب والإضطهاد السياسي كل ذلك صوناً وحفاظاً علىٰ كرسي الحكم ومواقعها في السلطة وسحق اي تطلع شعبي مشروع لإختيار الحاكم او حتىٰ

مجرد انتقاد سياساته في البلاد. فعمدت إلىٰ تحريم العمل السياسي خارج حزب السلطة وفرض سياسة التبعيث الإجباري اي سياسة الحزب الواحد والتي كانت في حقيقتها تكريساً لسلطة الفرد والإستبداد الفردي.

ولقد احتكرت السلطة لنفسها وسائل الأعلام العامة كالإذاعة والتلفزيون والصحافة والنشر والتي تحولت بالكامل إلىٰ ادوات لتمجيد الحاكم وتبرير سياساته المنحرفة كما خلت الحياة السياسية في العراق من عمل نقابي حقيقي فالنقابات والمنظمات المهنية سيطرت عليها السلطة وافرغتها من مضمونها ودورها في خدمة منتسبيها والدفاع عن حقوقهم وحولتها إلىٰ أدوات للتجسس وقمع التطلعات المشروعة لمختلف قطاعات المجتمع العراقي.

وأزاء حالة غياب الحياة السياسية السليمة القائمة علىٰ اساس من نظام حكم دستوري يستمد صلاحياته من دستور دائم ومؤسسات تشريعية منتخبة من قبل الشعب وحكومة مجسدة لإختياره بصفة مشروعة. ازاء حالة الغياب هذه جرى الإعتماد علىٰ أجهزة التجسس والقمع الأمنية والمخابراتية والتي تضخمت بشكل لا نظير له في تاريخ العراق حيث منحت صلاحيات وامكانيات غير محدودة فكانت الإدارة الفعلية للحاكم ولتأخذ دور السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ان النظام السياسي السليم لابد ان يكون تعبيراً صادقاً عن ارادة الشعب وتطلعاته ومحققاً لطموحاته في حياة حرة كريمة تصان فيها كرامة الإنسان وحقوقه الأساسية والنهوض به على الأصعدة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية وليأخذ الشعب العراقي موقعه الطبيعي والبناء بين شعوب المنطقة كعامل نمو واسقرار وتكامل مع اشقائه من العرب والمسلمين ويساهم بدوره في اثراء المسيرة الإنسانية بما منحه الله سبحانه وتعالىٰ من امكانات بشرية كبيرة وثروات طبيعية وموقع جغرافي متميز وتراث ثقافي ضخم. وهذا النظام السياسي يجب ان يتكون من سلطات ثلاث مستقلة بعضها من بعض.

ان مبدأ الشورىٰ والإنتخاب الحر المباشر هو حجر الزاوية في بناء النظام السياسي الذي نراه .. فضمن مبدأ الشورىٰ يمارس أفراد الشعب كافة دورهم في صياغة دستور دائم للبلاد يستلهم روحه ومواده من مبادئ الإسلام وقيم المجتمع العراقي الأصيلة ومثله واعرافه.. هذا الدستور هو الذي يحدد حقوق وواجبات السلطات والشعب ازاء بعضهم

البعض بما يحقق المصلحة العليا للشعب. ووفق مبدأ الشورىٰ هذا يجري انتخاب ممثلي الشعب وبالإقتراع الحر المباشر لتشكيل مجلس وطني يتولىٰ اصدار القوانين واللوائح وفقاً للدستور حيث يراعىٰ في تشكيله هذا المجلس الطبيعة الخاصة للمجتمع العراقي المكون من قوميات ومذاهب وطوائف متعددة بما يضمن تمثيل جميع فئات الشعب العراقي في المجلس الوطني تمثيلاً عادلاً. وعلىٰ ضوء الدستور يتم تحديد وتشكيل السلطتين التنفيذية والقضائية وطبيعة العلاقات بين السلطات الثلاث اعتماداً علىٰ مبدأ فصل هذه السلطات بعضها عن بعض.

اننا نعتقد بأن السلطة ونظام الحكم في العراق يجب ان لا يقوما علىٰ اساس سلطوي فردي وطبقي أو طائفي أو ممثلاً لمجموعة أو فئة معينة بل يجب ان يكون النظام تجسيداً حقيقياً لرؤىٰ وأهداف الشعب العراقي السياسية بكافة قطاعاته وان يكون الدستور الضمانة الأكيدة للمحافظة علىٰ حقوق الشعب ونظامه السياسي المنبثق عن ارادته وذلك لقطع الطريق علىٰ كل محاولات الإستبداد السياسي والإجتماعي والإحتكار الإقتصادي كما اننا نؤمن بان العمل السياسي ليس منحة يتفضل بها الحاكم ويهبها للشعب بل هو حق من حقوق الإنسان التي لا يجوز المساس بها فالإنسان حين يمنع من حق العمل السياسي يكون قد اجتُرِء علىٰ كرامته.

لقد دفع شعبنا العراقي أفدح الأثمان نتيجة شذوذ الأوضاع والأنظمة السياسية التي توالت علىٰ حكمه ولكي يأخذ شعب العراق موقعه ومكانته بين الأمم لابد من الإقرار والعمل علىٰ اطلاق حرية الممارسة السياسية للشعب في جميع المرافق ومختلف المجالات ويتم ذلك عبر:

١ ـ تصفية مظاهر وآثار الإستبداد التي اشاعها النظام السابق واحياء روح المشاركة الشعبية في الحكم ومؤسساته.

٢ ـ إلغاء سياسات التميز الطائفي والقومي في الحياة السياسية وفسح المجال أمام أبناء الشعب علىٰ قدم المساواة للمساهمة في ارساء دعائم النظام السياسي وذلك بمشاركة مختلف شرائح المجتمع العراقي.

٣ ـ منع ممارسة الإستبداد السياسي من قبل اية جهة سياسية في البلاد ومحاولات

الإنفراد في السلطة واعتماد مبدأ الشورىٰ في العمل السياسي وصياغة النظام السياسي للبلاد.

٤ ـ اجتثاث جذور الإستبداد الفكري والإحتكار السياسي ومظاهرهما وآثارهما في المجتمع العراقي وتوظيف مناهج التربية والتعليم ووسائل الأعلام لنشر وتعميق مفاهيم الحرية والمساواة والمشاركة في الحياة السياسية بين مختلف فئات الشعب.

٥ ـ عدم السماح لأي فرد أو فئة سياسية في استغلال مواقعها في مؤسسات الحكم لتحقيق المصالح الشخصية والذاتية وتكريس نفوذها داخل مؤسسات الدولة.

٦ ـ اعادة صياغة قانون الجنسية العراقية بما يصون حق المواطنة لجميع أبناء الشعب العراقي المؤلف من قوميات ومذاهب وطوائف متعايشة منذ قرون وإلغاء كل مظاهر التمييز العنصري والطائفي التي درجت عليها الأنظمة التي تعاقبت علىٰ حكم العراق.

٧ ـ منع سحب الجنسية العراقية من أي مواطن عراقي أكتسب هذا الحق بصورة قانونية.

٨ ـ ضمان مشاركة المرأة في الحياة السياسية وفسح المجال أمامها للمساهمة في الترشيح والإنتخابات.

٩ ـ اعتماد سياسة الإقتراع السري كوسيلة للتعبير عن رأي الشعب في اختيار النظام السياسي ومفرداته.

١٠ ـ اطلاق حرية العمل السياسي وتشكيل الأحزاب السياسية والعمل النقابي والجمعيات المهنية.

١١ ـ منع التنظيم السياسي داخل مؤسسات الجيش والشرطة وقوى الأمن الداخلي.

١٢ ـ سنّ التشريعات والقوانين التي تضمن عدم ممارسة النظام السياسي من قبل الدولة ضد الأفراد والهيئات والمؤسسات الإجتماعية والسياسية.

١٣ ـ منع الملاحقة السياسية وعدم القاء القبض على الأفراد إلّا بأمر قضائي وتتولىٰ وزارة العدل التحقيق في الجرائم السياسية علنياً بعد تعريفها قانوناً.

١٤ ـ تشكيل مجلس وطني من ممثلي الشعب باجراء انتخابات حرة وبالإقتراع السري.

١٥ ـ ضمان تمثيل القوميات والطوائف والأقليات في المجلس الوطني.

١٦ ـ الحكومة مسؤولة أمام المجلس الوطني وتستمد ثقتها منه.

١٧ ـ تتولىٰ قوات الشرطة والأمن الداخلي مسؤولية المحافظة علىٰ أمن وسلامة الأفراد وممتلكاتهم والمحافظة علىٰ استقرار الوضع الداخلي للبلاد.

١٨ ـ تتولى الحكومة ضمان سيادة القانون وسلامة البلاد وتوفير الأمن للمواطنين وحمايتهم من الجريمة.

١٩ ـ توفير الخدمات العامة والأساسية كالماء والكهرباء والغاز والوقود والبريد والنقل والضمان الإجتماعي للأفراد والخدمات الصحية والتربية والتعليم.

٢٠ ـ ان تعمل الدولة للسعي بالعراق وصولاً إلىٰ مرحلة الإكتفاء الذاتي زراعياً وصناعياً.

٢١ ـ رعاية شؤون أُسر وعوائل الشهداء وضحايا النظام وتكريمهم.

٢٢ ـ تشكيل مؤسسات التخطيط والبحوث في المجالات الصناعية والزراعية والتربوية والتجارية والعسكرية والإجتماعية ومجالس أعمار البلاد.

٢٣ ـ اقرار تشكيل مؤسسات النفع العام كمكاتب الإستشارات القانونية للمواطنين والمؤسسات الخيرية والإنسانية ومراكز رعاية الأمومة والطفولة والمسنين والمؤسسات التعاونية والمصارف العقارية والزراعية والصناعية.

٢٤ ـ تتحمل الدولة مسؤولية حماية الثروات الطبيعية للبلاد ووضع خطط لإحياء الأراضي الموات والمحافظة على البيئة بما يخدم مصالح البلاد.

٢٥ ـ سنّ القوانين الكفيلة بازالة كل أنواع الروتين الأداري وضمان انجاز المعاملات الإدارية للمواطنين بالسرعة الممكنة وجعل مؤسسات الدولة في خدمة المواطنين.

٢٦ ـ منح الفرص المتكافئة للأعمار والتنمية لمختلف مناطق العراق والإستفادة من الثروات الطبيعية والموارد الأقتصادية والمؤسسات الخيرية ورفع الحيف عن المناطق التي تعرضت لسياسات التمييز في مناطق العراق.

٢٧ ـ اقرار الصيغة اللامركزية في التنظيم الأداري المحلي في حقول الخدمات العامة كالتعليم والصحة وغيرها من المؤسسات الخدمية وتشكيل المجالس القروية والبلدية لتتولىٰ مسؤولية التنسيق بين المناطق والسلطة المركزية.

٢٨ ـ تتولىٰ الدولة مسؤولية تعمير العتبات المقدسة والمساجد ودور العبادة لكل الأديان وحماية حريتها ومنع المساس بها وتوفير حرية ممارسة الشعائر الدينية والعبادية فيها.

٢٩ ـ حماية الأوقاف العامة وضمان استرجاع الموقوفات التي تم التجاوز عليها من قبل النظام وسنّ التشريعات اللازمة لحفظ الصيغ الوقفية للموقوفات والحيلولة دون المساس بصيغها الشرعية.

٣٠ ـ رعاية المعالم الحضارية والثقافية في البلاد من مدن مقدسة ومواقع اثرية ومتاحف عامة ومكتبات ومخطوطات تاريخية.

٣١ ـ رعاية الفنون والآداب والعلوم وتوجيهها بما ينسجم مع قيم المجتمع العراقي وعقيدته الإسلامية.

٢٢ ـ انشاء ديوان المظالم ـ للنظر في شكاوى المواطنين ضد مؤسسات الدولة والمسؤولين الإداريين.

٣٣ ـ جميع المواطنين مسؤولين وأفراد عاديين متساوون أمام القضاء.

القضية الكردية

لقد عانىٰ اخواننا الكرد من ظلم الحكومات التي تعاقبت علىٰ حكم العراق والتي مارست سياسات التمييز العنصري والإضطهاد القومي ضدهم فحرمته من حقوقه المشروعة وشنت عليه حروباً متتالية. ولقد لاقى الكرد من النظام البعثي الأمرين حيث تعرضت آلاف القرى الكردية للدمار وقتل الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ علىٰ يد قوات النظام والتي لم تتورع حتىٰ عن استخدام الأسلحة الكيمياوية الفتاكة كما حدث في مدينة حلبجة عام ١٩٨٨ والتي راح ضحيتها اكثر من خمسة آلاف كردي. كما اقدمت السلطة علىٰ تهجير عشرات الآلاف من الأكراد واجلائهم عن قراهم ومدنهم واجبارهم على العيش في مناطق نائية من العراق. كما مورست سياسة التبعيث الإجباري في المناطق الكردية. وحينما قمعت السلطة انتفاضة شعبان ١٤١٢ هـ في العراق اضطر اكثر من مليوني كردي اللجوء إلى الدول المجاورة في ظل اقسى الظروف الجوية والطبيعية.

لقد عانت المنطقة الكردية من الأهمال المتعمد والحـرمان الأقتصادي من قبل النـظام الذي مارس سياسة ابقاء حالة الفقر والتخلف في تلك المناطق امعاناً في سياسته العنصرية. كما عمل النظام علىٰ خلق فجوة بين العرب والأكراد من أبناء العراق وزرع روح البغضاء والعداوة بين الأخوة لتسهيل سيطرته واحكام قبضته علىٰ زمام السلطة.

اننا نرفض سياسة التمييز العنصري التي مورست بحق الكرد طـوال العـقود المـاضية ونؤمن بان الكرد لهم كل حقوق المواطنة وعلىٰ قدم المساواة مع اشقائهم العرب والتركمان وباقي الأقليات القومية الأخرىٰ في وطنهم العراق وخيراته وثـرواتـه. وبـتلاحم العـرب والأكراد وبقية القوميات والأقليات يتم اسقاط النظام التسلطي وبناء عراق جديد يـنعم منه الجميع بالحرية والمساواة العدل ويساهمون في بنائه واصلاح الدمار الذي لحق بالبلاد جراء السياسات الغاشمة للنظام.

ان على الحكومة القادمة ان تعمل لتحقيق:

١ ـ إلغاء كافة القوانين والتشريعات التي تكرس سياسة التمييز العنصري والإضطهاد القومي للأكراد.

٢ ـ اعادة جميع الأكراد المهجرين واللاجئين إلىٰ مدنهم وقراهم ومناطق سكناهم.

٣ ـ اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين الكرد ورد الإعتبار اليهم.

٤ ـ وضع خطة لأعمار كردستان ورفع الحيف الذي لحق بها طيلة العقود الماضية.

٥ ـ اعطاء المنطقة الكردية الحكم الذاتي الحقيقي وضمان ممارسة الشعب الكردي لثقافته ولغته في التعليم والآداب والفنون والمجالات الثقافية والإجتماعية والحياة اليومية.

٦ ـ ضمان المشاركة السياسية للأخوة الكرد في النظام السـياسي للـبلاد ومـؤسسات الدولة بما يتناسب مع عدد سكان المنطقة الكردية نسبة إلىٰ سكان العراق.

الأقليات القومية والدينية

ان الشعب العراقي مكون من قوميات وأديان ومذاهب مـتعددة حـيث عـاش ابـناؤه ولقرون عديدة اخوة شركاء في الوطن ساهموا في بنائه ودافعوا عنه.. وهم مـتساوون في حقوق المواطنة.

ولقد طال اجرام النظام القمعي كل أبناء العراق فلم تسلم قومية أو اقلية دينية أو مذهب من بطشه واجرامه.

اننا نعتقد بان صيانة حقوق الأقليات الدينية والقومية هي من اولويات اي نظام سياسي عادل يحكم العراق.

ومن هذا المنطلق فان على الحكومة القادمة ان تقوم بما يلي:

١ ـ ضمان حقوق المواطنة دستورياً لأبناء الأقليات القومية والدينية كالتركمان والآشوريين والكلدان والصابئة اسوة ببقية العراقيين.

٢ ـ ضمان حقوق الأقليات في المشاركة السياسية والإنتخابات العامة والمحلية، وتخصيص مقاعد لممثليهم في المجلس الوطني تتناسب والحجم السكاني لهذه الأقليات داخل المجتمع العراقي.

٣ ـ ضمان حرية العبادة والسماح للأقليات بممارسة طقوسهم الدينية وبناء المعابد الخاصة بهم.

٤ ـ حماية الحقوق الثقافية لهذه الأقليات وفسح المجال لهم بانشاء مدارسهم ومعاهدهم الخاصة.

٤ ـ منع ممارسة اي اضطهاد سياسي او ديني او عنصري لهذه الأقليات من قبل السلطة.

الحريات العامة

قد عمل النظام التسلطي ومنذ استلامه السلطة في العراق عام ١٩٦٨ علىٰ سحق مفهوم الحرية وهو الشعار الذي طالما طبل له، فكانت الحرية الضحية الاولى التي نحرها النظام، ولم تبق في العراق سوىٰ حرية تأليه الحاكم المستبد وتمجيده، وحرية القتل والتعذيب لأبناء العراق الغيارىٰ من قبل جلاوزة النظام.

فلقد صادر النظام حرية التنظيم السياسي والعمل النقابي.. وحرية الصحافة ووسائل الأعلام التي أممها واصبحت تابعة له تزين جرائمه وحروبه العداونية ضد جيران العراق وأبنائه في الداخل.

وصودرت حرية المواطنين في ممارسة شعائرهم الدينية، وحرية الإجتماعات العامة

والمسيرات والتظاهرات السلمية.

كما شرع النظام قوانينه بإلغاء حرية السفر للعراقيين.

ان على الدولة ضمان الحريات التالية للمواطنين:

١ ـ لكل مواطن عراقي الحرية في تبني أية فكرة أو رأي أو معتقد ولا يجوز مطلقاً ملاحقة الناس بسبب آرائهم ومعتقداتهم وافكارهم.

٢ ـ لكل مواطن او مجموعة من المواطنين حق ممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم العبادية.

٣ ـ للمواطنين الحق في تشكيل أحزاب أو جمعيات أو منظمات سياسية بما لا يتعارض مع أُسس الإستقلال والسيادة الوطنية ووحدة العراق. والمواطنون احرار في الإنضمام إلىٰ اي تنظيم سياسي.

٤ ـ يجب ضمان حرية الصحافة لكل التنظيمات السياسية والجمعيات الإجتماعية والنقابات المهنية ولكل المواطنين بما يحقق وحدة الشعب ومصالحه الوطنية، كما يجب توفير أجواء النقد البناء والإبداع الفكري والثقافي لإحداث نهضة فكرية وثقافية في المجتمع العراقي وتعميق وتأصيل مفاهيم الإسلام وقيم المجتمع العراقي الأصيلة وتوثيق أواصر الأخاء بين أبناء قوميات الشعب العراقي وطوائفه المختلفة.

٥ ـ ضمان حرية الإجتماعات العامة والمسيرات والتظاهرات السلمية.

٦ ـ ضمان حرية السفر والتنقل داخل العراق وخارجه لكافة المواطنين.

٧ ـ لا يحق للأجهزة الحكومية تفتيش الرسائل أو عدم ايصالها أو تسجيل أو مراقبة المكالمات الهاتفية والبرقية أو ممارسة أي نوع من أنواع التجسس على المواطنين.

حقوق المواطنين في العراق

ان المواطن العراقي الرازح تحت نير السلطة الفردية لا يملك أي حق من حقوقه المشروعة، وحتىٰ حقّه في الحياة يتحكم به النظام كيفما يشاء. فقوانين النظام ومنذ أكثر من عشرين عاماً صادرت بالكامل كل الحقوق الإنسانية لأبناء العراق، فليس للعراقيين الحق في التعبير عن الأفكار والمبادئ التي يحملونها، بل ان النظام فرض التبعيث الإجباري،

ومارس النظام سياسة اسقاط الجنسية العراقية عن مئات الآلاف من العراقيين والتي هِي حق طبيعي.

إن على الحكومة القادمة ضمان الحقوق التالية للمواطنين في العراق:

١ ـ العراقيون متساوون في الحقوق دون استثناء أو تفاضل بسبب القومية أو الدين أو المذهب.

٢ ـ القانون يحمي جميع المواطنين ويضمن تمتعهم بكافة الحقوق الإنسانية.

٣ ـ إن أرواح وأموال وممتلكات ومساكن المواطنين مصونة ولا يمكن التعرض لها.

٤ ـ على الدولة الإلتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٠ / ١٢ / ١٩٤٨.

٥ ـ الجنسية العراقية هي حق طبيعي لكل مواطن ولد في العراق وترعرع فيه ومن ابوين مقيمين علىٰ ارضه ولا يجوز سلبها بأي وجه إلّا بتنازل المواطن طوعاً عن هذا الحق.

٦ ـ تضمن الدولة وتصون حقوق المواطن العراقي في المجالات التالية:

أ ـ الإنتخابات والترشيح.

ب ـ التعليم.

جـ ـ العمل.

د ـ التملك.

هـ ـ الضمان الإجتماعي في حالات الترمل والتقدم في السن وفقدان المعيل.

٧ ـ الضمان الإجتماعي حق لجميع المواطنين في حالات الشيخوخة والتقاعد والمرض والحوادث الطارئة والبطالة والدولة مسؤولة عن توفير مستلزمات هذا الحق.

٨ ـ حق العمل: يحق لكل مواطن اختيار أي عمل لا يتعارض مع القانون وبما يتناسب مع كفاءاته وامكاناته واستعداداته ولا يجوز حرمان اي مواطن من ممارسة حقه في العمل ولا يجوز كذلك استغلال عمل الآخرين كما لا يجوز اجبار احد على المشاركة في اعمال السخرة دون اجر والدولة مسؤولة عن توفير فرص العمل لجميع المواطنين وتوفير الظروف المتكافئة للحصول على العمل.

٩ ـ لا يجوز لأي فرد ان يجعل من ممارسة حقّه وسيلة للأضرار بالغير.. او الإعتداء على

المصلحة العامة.

١٠ ـ حق التملك: الملكية الخاصة حق مضمون لكل المواطنين شريطة ان تكون مكتسبة عن طريق مشروع ولكل فرد في المجتمع الحق في حصيلة جهده وكسبه وعمله المشروع.

١١ ـ حق السكن: لكل مواطن الحق في اختيار سكنه ومكانه ولا يجوز اجبار اي مواطن علىٰ ترك سكنه او اسكانه في مكان يتعارض مع رغبته.

١٢ ـ التعليم المجاني حق لجميع المواطنين ولكافة المراحل الدراسية.

١٣ ـ الدولة مسؤولة عن توفير كافة المستلزمات لرعاية الأيتام ومن لا معيل لهم وتربيتهم وتعليمهم وتدريبهم وتأهيلهم.

١٤ ـ لكل مواطن الحق في اقامة الدعوىٰ في المحاكم علىٰ اختلاف درجاتها ضد اي مسؤول في الدولة او مؤسسة تسبباً بالحاق الظلم والاذىٰ به وكذلك له الحق في طلب التعويض عن ذلك.

الأسرة

لقد اساء النظام في العراق للأسرة جراء سياساته وتشريعاته اللاانسانية فتعرضت الأسرة إلى التمزق والتشرد والضياع فالمناهج التربوية للنظام وسياساته التعليمية ووسائل اعلامه كانت تعمل علىٰ مسخ هوية الأسرة العراقية وتفتيتها ومحاربة كل قيم ومثل الخير التي درجت عليها واستبدالها بقيم ومفاهيم غريبة تماماً عن ثقافة وتقاليد المجتمع والأسرة العراقية فاشاع البعثيون ظاهرة التجسس داخل الأسرة ومارسوا سياسة التبعيث الإجباري ومحاولة جعل الولاء للحزب الحاكم والسلطة بديلاً عن الأسرة فظهرت لدىٰ بعض الأسر العراقية مظاهر شاذة كان منها ظاهرة تجسس الأبناء علىٰ آبائهم والأخوة بعضهم علىٰ بعض وبرزت حالات تمرد داخل بعض الأسر العراقية وبوادر تفككها.

لقد تركت سياسة السلطة في تهجير وملاحقة اكثر من مليون عراقي آثاراً سلبية على الأسرة العراقية.. كما ان القوانين والتشريعات الشاذة واللاانسانية التي اصدرها النظام والتي دعت إلىٰ فرض الطلاق الأجباري بين الزوجين أو التشجيع عليه بمكافآت مالية بحق

المهجرين والملاحقين من قبل النظام، أدّت بدورها أيضاً إلىٰ تمزيق مئات الآلاف من الأسر العراقية وتشتيتها.

أما حروب النظام داخل العراق وخارجه فقد تركت مشكلات اجتماعية خطيرة داخل المجتمع لم تكن مألوفة من قبل وستبقىٰ وللأسف الشديد آثارها لفترة طويلة. أما أسر المعارضين السياسيين للنظام فقد تعرضت للقتل والملاحقة والإبتزاز والإعتقال والتهجير والسجن والتعذيب ولم تتورع اجهزة النظام القمعية عن اعتقال نساء واطفال المعارضين السياسيين وممارسة أبشع أنواع التعذيب بحقهم من أجل انتزاع الإعترافات من الأزواج والآباء المعتقلين في سجون النظام، فمات الآلاف منهم تحت التعذيب وانتهكت الأعراض واستبيحت الحرمات.

وتعرضت العائلة العراقية إلى الفقر والحرمان ومصادرة الأموال والممتلكات بسبب معارضة ابنائها للنظام فيما حرم أبناء المعارضين السياسيين للنظام وذويهم من أبسط حقوقهم. ولقد كان استخدام النظام للأطفال والنساء كدروع بشرية والقائهم من الطائرات السمتية وسحقهم بالدباب أثناء قمعه لإنتفاضة شعبان المجيدة في ١٤١٢ هـ، فصلاً بشعاً آخر من فصول جرائم النظام بحق الأسرة.

ان الحكومة القادمة تتحمل مسؤولية جسيمة في معالجة الظواهر والآثار المأساوية التي تركتها سياسات النظام البعثي بحق الأسرة والمجتمع العراقيين وذلك من خلال:

١ ـ إلغاء كافة القوانين والتشريعات والقرارات الشاذة التي اصدرها النظام والتي مزقت عرى الأسرة ووحدتها.

سنّ القوانين والتشريعات التي تكفل صيانة الأسرة والمحافظة علىٰ كيانها انطلاقاً من قيم الإسلام ومثل المجتمع العراقي الأصيلة.

٢ ـ وضع خطة تربوية لمعالجة الآثار السلبية التي تركتها ممارسات النظام الشاذة بحق الأسرة واشاعة قيم الخير والتكافل والمحبة بين افراد الأسرة الواحدة.

٤ ـ توظيف وسائل الأعلام باتجاه البناء السليم لكيان الأسرة واشاعة القيم والمثل النبيلة فيها وتعزيز دور الأسرة البناء والتكاملي داخل المجتمع العراقي.

٥ ـ اتخاذ الخطوات اللازمة والعاجلة لإعادة توحيد الأسر التي شتتها النظام في

ممارساته القمعية وقوانينه الشاذة وتقديم الدعم والمساعدة لتجاوز آثار المشاكل التي سببها لها النظام.

٦ـايجاد مؤسسات تعنىٰ بمعالجة المشكلات الإجتماعية التي خلفها النظام داخل الأسرة العراقية.

٧ـاصدار التشريعات والقوانين لتشجيع الزواج وتسهيله وازالة العقبات التي تعترضه من أعراف ومفاهيم غير صحيحة واعطاء الإهتمام الخاص بمشكلة النساء الأرامل التي خلفتها حروب النظام وسياساته القمعية.

المرأة

٨ ـسنّ القوانين والتشريعات التي تكفل للمرأة ممارستها الكاملة لحقوقها السياسية والإجتماعية والاقتصادية بما في ذلك حق الانتخاب والترشيح.

٩ ـ العمل علىٰ اصدار القوانين والتشريعات لتمكين المرأة من اداء رسالتها في بناء الاسرة والاجيال الصالحة.

١٠ ـ حماية المرأة من مصادرة حقوقها المشروعة وذلك باصدار القوانين التي تكفل ذلك.

١١ ـضمان حق العمل للمرأة ضمن امكاناتها وظروفها وتوفير الاجواء الملائمة لذلك.

١٢ ـ تشجيع المرأة لتحصيل المعارف والعلوم والثقافة التي تؤهلها لاحتلال موقعها الطبيعي داخل المجتمع وتلبية حاجات البلاد من الاختصاصات والطاقات النسوية في كافة المجالات.

١٣ ـوضع التشريعات التي تكفل حماية المرأة من الممارسات والأعراف التي لا تنسجم مع إنسانية المرأة وقيم الإسلام ومثله العليا.

١٤ ـإنشاء مراكز لرعاية الامومة وتقديم الخدمات الاجتماعية والصحية لها.

١٥ ـإيجاد مؤسسة لرعاية شؤون الأرامل والأيتام ومن لا معيل لهن.

١٦ ـ العمل علىٰ توعية الاوساط الاجتماعية عموماً والريفية بشكل خاص لما يصون حق المرأة في الزواج والتعلم والتخصص بما يسهم في بناء المجتمع ويرسي قواعد الاستقرار

فيه.

١٧ ـ الوقوف بحزم أمام الظواهر الشاذة التي تهدد حياة المرأة وتلغي دورها كأم وزوجة وعاملة في المجتمع.

١٨ ـ تشجيع المرأة علىٰ اقتحام المجالات الاجتماعية التي تؤهلها امكاناتها الذاتية كالتعليم والتمريض والطب.

١٩ ـ ابراز المواقف المشرفة للمرأة والتي اسهمت من خلالها في المواجهة السياسية وما اتخذت من مواقف بطولية عبر الصراع الدامي في العراق.

٢٠ ـ توعية المجتمع علىٰ مكانة المرأة ودورها في بناء المجتمع وما منحها الله تعالىٰ من حقوق.

الطفولة

٢١ ـ حماية الطفولة وتشريع قوانين تحرم اعتقال ومطاردة وتعذيب الأطفال.

٢٢ ـ رعاية الأطفال وانشاء دور الحضانة ورياض الأطفال والمراكز الإجتماعية التي تعنىٰ بالأطفال.

٢٣ ـ ضمان التعليم المجاني والرعاية الصحية لكل الأطفال.

٢٤ ـ توظيف وسائل الأعلام ومناهج التربية والتعليم والمراكز المتخصصة بالأطفال لغرس مفاهيم الخير والفضيلة وحب الوطن وحث الأطفال للتعليم واكتساب المهارات التي تؤهلهم للمستقبل.

٢٥ ـ انشاء مراكز تخصصية تعنىٰ برعاية الأطفال وتطوير قابلياتهم ومعالجة مشاكلهم.

٢٦ ـ انشاء مكتبات الطفل الخاصة وتزويدها بالكتب والأفلام والأشرطة والمجلات الخاصة بالأطفال وبما ينسجم مع مثل المجتمع العراقي وقيمه.

٢٧ ـ وضع خطة تربوية لمعالجة الآثار النفسية السلبية التي خلفها النظام لدى الأطفال خلال حروبه الطويلة.

٢٨ ـ ايجاد مراكز رعاية الأيتام ومن لا معيل لهم وحمايتهم من التشرد والضياع.

٢٩ ـ انشاء مراكز لرعاية الأطفال المعوقين جسدياً وعقلياً.

٣٠ ـ توفير وسائل الإيضاح المتطورة لرفع المستوى العلمي للأطفال.

٣١ ـ رفع مستوىٰ المعلمين خصوصاً لطلاب السنوات الإبتدائية لما لهم من تأثير بالغ في تربية الأطفال.

٣٢ ـ ترويج الأجواء الترفيهية التي تساعد علىٰ نمو الطفل من الناحية النفسية واشباع حقّه العام.

الضمان الإجتماعي

ان لكل مواطن الحق في حياة كريمة يضمن فيها العيش والسكن المناسبين. والدولة بالطبع مسؤولة عن توفير هذا الحق للمواطنين الذين لا تتوفر لهم امكانات الحصول على الموارد المالية كالعاطلين عن العمل والمسنين وذوي العاهات ومن لا معيل لهم.

ورغم موارد العراق الكبيرة وخيراته الوفيرة، فان النظام وطوال سنوات حكمه لم يعمل علىٰ توفير وتأمين الحد الأدنىٰ من الضمان الإجتماعي للمواطنين بل انّه سلب الكثيرين اموالهم وممتلكاتهم بسبب معارضتهم لسياساته الإرهابية، فعاش العراقيون في حالات الفقر والعوز المادي الشديد.

ان على الحكومة القادمة توفير الضمان الإجتماعي لكافة أبناء الشعب من خلال:

١ ـ انشاء مؤسسة الضمان الإجتماعي لرعاية المعوقين ومن لا تتوفر لهم فرص العمل المناسب وذوي الدخل المحدود والمسنين..

٢ ـ انشاء مدارس لرعاية عوائل الشهداء وضحايات النظام ومن لا معيل لهم وضمان توفير حياة كريمة لهم.

٣ ـ اشاعة مفهوم التكافل الإجتماعي داخل المجتمع العراقي وتشجيع روح الإنفاق والمساعدة والبذل للمحتاجين وتقنين ذلك من خلال مؤسسات ومراكز خيرية متخصصة.

٤ ـ توظيف وسائل الأعلام من راديو وتلفزيون وصحافة باتجاه بذر وتعميق مفهوم التكافل الإجتماعي وتعميق اواصر التعاون والشعور بالمسؤولية الإجتماعية في أوساط المجتمع العراقي.

٥ ـ تشجيع وانشاء المؤسسات الخيرية والتعاونية ودعمها من قبل الدولة.

٦ ـ ضمان رعاية الأطفال اليتامىٰ ومن لا معيل لهم مادياً وتربوياً وتعليمهم وتأهيلهم.
٧ ـ انشاء دور رعاية المسنين والمعوقين.

الثقافة والتربية والتعليم

كانت سياسات النظام فيقل التربية والتعليم تهدف اساساً إلىٰ مسخ اصالة المجتمع العراقي وقيمه ومثله واستبدالها بقيم شاذة وغريبة عن طبيعته، كما عملت السياسة التعليمية التي انتهجها النظام علىٰ فصل الفرد العراقي عن تأريخه وتراثه وتشويه الوقائع التاريخية خدمة للأغراض السياسية للنظام كما اشاع وعبر خطة مدروسة اجواء التحلل الخلقي والفساد الإجتماعي حيث كانت مؤسساته التعليمية ووسائل اعلامه تروج للقيم والأعراف الشاذة والممارسات المنافية لإصالة المجتمع العراقي وعقيدته وتراثه الحضاري.

ولقد كانت وسائل التربية والتعليم أدوات بيد السلطة تستخدمها لتكريس وتمجيد الحاكم وتبرير سياساته الظالمة والمنحرفة وبذر روح التعصب والتناحر والفرقة العنصرية والطائفية بين أبناء الشعب العراقي ومحاولة زرع روح العداء ضد شعوب المنطقة تبريراً لنزعة العدوان المتأصلة في نفسية الحاكم المستبد.

لقد مارس النظام سياسة تزوير التاريخ المشرق للعراق وشعبه العريق وقَلْبَ الحقائق التاريخية لإيجاد فهم مزور يخدم.

لقد هيمنت السلطة علىٰ وسائل الأعلام من راديو وتلفزيون ومسرح وسينما وصحافة ودور نشر فمنعت طرح اي فكر او ثقافة تهدف إلىٰ توعية الجماهير وتثقيفها وتعبئتها فكرياً باتجاه مفاهيم وقيم الخير والفضيلة واعتزازها بتاريخها المشرق وبمبادئها، فصودرت الكتب وأُغلقت المكتبات العامة ودور النشر التي لا تسير في ركاب السلطة ومخططاتها كما تمّ مطاردة واعتقال وتعذيب واعدام الكثير من المفكرين والعلماء واصحاب الرأي والثقافة وفي طليعتهم الإمام الشهيد الصدر الذي قدم للمجتمع الإسلامي والإنساني افكاراً وطروحات ما زالت تحتل الصدارة في اهتمام المفكرين والباحثين.

وخلال ممارسات النظام القمعية للإنتفاضة الشعبية في شعبان ١٤١١هـ، باشرت قواته بارتكاب ابشع جريمة بحق الفكر والتراث الإسلامي والإنساني حيث عمدت إلىٰ هدم

المدارس الدينية والمكتبات العامة واحرقت الآلاف من الكتب والمخطوطات النفيسة في عملية اجرامية ضاهت ما فعله المغول اثناء احتلالهم بغداد.

لقد كانت المنظمات البعثية داخل المؤسسات التعليمية تمارس ضغوطاً كبيرة على الكادر التعليمي من خلال ما يسمىٰ بالإتحاد الوطني لطلبة العراق والمنظمات الأخرىٰ. والتي أدت إلىٰ مصادرة شخصية الأساتذة والمعلمين واعاقت دورهم في العمل التربوي، كما ان اعتماد مبدأ الولاء للحزب والسلطة كأساس في التعيينات والوظائف داخل الجامعات ومؤسسات التعليم أدّت إلىٰ تولية غير الأكفاء ادارة هذه المؤسسات الهامة، مما انعكس سلباً علىٰ مسيرة التربية والتعليم في العراق. واعتمد مبدأ الإنخراط في الحزب والولاء للسلطة كأساس للقبول في الجامعات والمعاهد العراقية والدراسات العليا في الداخل والخارج دون الأخذ بنظر الإعتبار المستوى الدراسي وتوفر الشروط المطلوبة للدخول في هذه المؤسسات، فتردىٰ بذلك مستوى التعليم وحرمت الطاقات الخلاقة من الإبداع لمجرد انّها لم تكن من حزب السلطة. كما مارس النظام ضغوطاً شديدة ضد الحوزات العلمية في العراق وبخاصة في النجف الأشرف حيث تعرض اساتذة وطلاب الحوزة العلمية هناك للملاحقة والإعتقال والإعدام.

وتحول الأدب والشعر والثقافة والفنون والمسارح في العراق إلىٰ أدوات لتمجيد الحاكم المستبد، وتحول بعض الأدباء والشعراء إلىٰ أبواق لمديح الطاغية وتمجيد سياساته العدوانية ـ اما أولئك الأحرار من الأدباء والشعراء والفنانين الذين رفضوا مسايرة النظام فكان جزاؤهم الملاحقة والتصفية الجسدية.

إن علىٰ عاتق الدولة تقع مسؤولية تصحيح مسار ونهج المسيرة التربوية والتعليمية والثقافية في البلاد وذلك من خلال:

١ ـ اطلاق حرية الفكر والثقافة والإهتمام بالإبداعات الفكرية ودور التأليف والنشر وخلق الأجواء والظروف لإيجاد مناخ ثقافي نشط.

٢ ـ ضمان استقلالية وحياد وسائل الأعلام والمؤسسات الثقافية وتوجيهها لخدمة مصلحة الشعب.

٣ ـ إلغاء القوانين والتشريعات التي تقيد حركة الإبداع الفكري والثقافي والعلمي.

٤ ـ وضع خطة طارئة لمعالجة آثار التخريب الثقافي والتربوي والتعليمي التي اوجدها النظام.

٥ ـ إلغاء مظاهر التمييز العنصري والطائفي في مجالات الثقافة والتربية والتعليم.

٦ ـ تصفية وتطهير الثقافات التي تكرس مبادئ الإستبداد السياسي والفكري.

٧ ـ اشاعة الثقافة التي تنسجم مع هوية المجتمع العراقي وتكريس قيمه الإسلامية ومثله الإنسانية وتنمية روح الإعتزاز بالفكر والثقافة الإسلاميين ورفض كل ألوان التبعية الفكرية.

٨ ـ انشاء وتأسيس ودعم وتشجيع المراكز الثقافية والمعاهد ومراكز البحوث ودور النشر والعمل علىٰ نهضة العراق ليأخذ موقعه الطبيعي كمصدر اشعاع حضاري وثقافي في المنطقة والعالم وتشجيع انشاء المجامع العلمية الثقافية المتخصصة.

٩ ـ توظيف السينما والمسرح والفنون والآداب بما يؤصل ثقافة المجتمع العراقي الإسلامية ومثله الإنسانية وازالة ومحو آثار ثقافة الإستبداد ومخلفات النظام وتخريبه في حقول الثقافة.

١٠ ـ تشجيع حركة الترجمة للإنفتاح على الثقافة العالمية بما ينسجم مع قيم المجتمع العراقي.

١١ ـ رعاية العلماء والمفكرين والمثقفين وتكريم الشهداء منهم ونشر آثارهم والتعريف بهم.

١٢ ـ انشاء مركز لصيانة وحفظ ونشر المخطوطات والتراث الفكري والإهتمام بالمكتبات التاريخية وصيانة المعالم الحضارية والثقافية في البلاد.

١٣ ـ وضع خطة لنشر المكتبات العامة في ارجاء البلاد وتشجيع روح المطالعة والبحث والدراسة في المجتمع.

١٤ ـ وضع سياسة جديدة للتعليم في مراحله المختلفة بما ينسجم مع حاجات البلاد ومصالح الشعب.

١٥ ـ وضع صيغ سليمة للعلاقات بين الكادر التعليمي والطلبة بما يضمن احترام الهيئة التعليمية ويمكنها من اداء دورها ورسالتها ويحقق للطلبة المستوى العلمي والتربوي

المطلوب.

١٦ ـ اعتماد أُسس علمية سليمة في اختيار الكادر التعليمي تأخذ بعين الإعتبار الكفاءة العلمية والخبرة والإبداع والنشاط وإلغاء جميع مظاهر التمييز وبكل أشكاله التي تركها النظام في هذه المؤسسة الحيوية.

١٧ ـ ضمان التعليم المجاني لكافة المواطنين في مراحله المختلفة الأبتدائي والثانوي والجامعي والدراسات العليا.

١٨ ـ رعاية الكفاءات العلمية وتوفير الأجواء المناسبة للمساهمة في تطوير ورفع المستوىٰ في المؤسسات التعليمية.

١٩ ـ العمل علىٰ تسهيل وتشجيع عودة الكفاءات العلمية العراقية المهاجرة وتوفير الإمكانات لإستيعابها وتوظيف طاقاتها بما يخدم مصلحة البلاد وتطورها.

٢٠ ـ اعادة النظر في المناهج الدراسية للمراحل.. الابتدائية والثانوية والجامعة وفق مصلحة البلاد وحاجتها للخبرات والكفاءات وتطهير المناهج الدراسية من آثار سياسة الإستبداد التي غرسها النظام وتصحيح الإنحرافات الفكرية والتربوية في المناهج الدراسية لبناء جيل متسلح بالعلم والثقافة ومؤهل لخدمة البلاد.

٢١ ـ وضع سياسة علمية مدروسة لمحو الأمية في العراق.

٢٢ ـ وضع خطة شاملة للتعليم المهني لضمان تأهيل الأعداد اللازمة من الفنيين والكفاءات الفنية التي تحتاجها البلاد.

٢٣ ـ وضع الخطط الكفيلة بتأهيل وتدريب الكادر التعليمي في مراحل التعليم المختلفة بما ينسجم مع التطور العلمي الحاصل في العالم.

٢٤ ـ انشاء مراكز البحوث والدراسات العلمية وتوفير الإمكانات اللازمة لها من كفاءات واجهزة وميزانية لتطوير قطاعات البلاد الحيوية كالزراعة والنفط والصناعة والعلوم الإنسانية.

٢٥ ـ اقرار إلزامية التعليم في المرحلتين الإبتدائية والثانوية للأولاد والبنات.

٢٦ ـ دعم الجامعات الدينية والحوزات العلمية ورعايتها والإهتمام بها.

٢٧ ـ فسح المجال للأقليات القومية والدينية بأنشاء مدارس ومعاهد خاصة بها.

٢٨ ـ عقد المؤتمرات التخصصية لبحث أمور التربية والتعليم.

٢٩ ـ اصدار مجلات تعليمية متخصصة لمتابعة ومواكبة التقدم العلمي وتطور الأبحاث والنظريات وما يستجد من أمور في كل مجالات التعليم.

٣٠ ـ توظيف وسائل الأعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لإشاعة المعارف والعلوم والثقافة والفنون والآداب في مختلف أوساط المجتمع.

٣١ ـ مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي في العالم والتأكيد علىٰ حضور المؤتمرات الدولية العلمية وارسال البعثات إلى البلدان المتطورة لتوفير الكوادر العلمية وضمان متابعة التطور العلمي والتكنولوجي في العالم.

٣٢ ـ توسيع وافتتاح أقسام جديدة في حقول التخصصات العليا والدراسات العليا لسد الحاجة في البلاد من هذه الكفاءات بما يجاري أو يضاهي التقدم الحادث في الدول المتقدمة.

المؤسسة العسكرية

لقد اساءت الحكومات السابقة إلى الجيش العراقي بحرفه اولاً عن مهماته الأساسية في الحفاظ علىٰ سلامة البلاد والمساهمة في الدفاع عن القضايا المصيرية وفي طليعتها القضية الفلسطينية. واستخدامه ثانياً من قبل الحكام كأداة قمع لضرب تطلعات الشعب كما حدث في انتفاضات الشعب العراقي المتتالية مثل صفر ورجب وشعبان كما زج بالجيش لفض النزاعات الداخلية وقمعه أبناء شعبنا الكردي وتدمير قراه ومدنه بابشع وسيلة فضلاً عن توريطه في حروب اقليمية لم تكن ابداً في صالح العراق وشعبه بل كانت تنفيذاً لنزعة العدوان التي جرت على البلاد الويلات والكوارث التي نشاهدها اليوم.

لقد كانت سياسة الحكومات التي تعاقبت علىٰ حكمه تعتمد فرض حالة التمييز والعزل الطائفي والقومي في تشكيلات الجيش وقيادته وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ احتكرت السلطة المؤسسة العسكرية بالكامل ومارست سياسة التبعيث الإجباري داخل صفوف القوات المسلحة فيما هيمنت العشيرة الحاكمة علىٰ مراكز التوجيه والقيادة في الجيش بتصفية وازاحة كل الضباط والمراتب التي يشك في ولائها للزمرة الحاكمة. ولقد ادخلت السلطة

انماطاً من الممارسات السلوكية غريبة تماماً عن أخلاق وقيم المجتمع العراقي وفرضتها تحت غطاء الأوامر العسكرية والإنضباط على الجيش ومؤسساته واعتبار الولاء الحزبي فوق المهارات والإمكانات العسكرية في التقييم واشاعة ظاهرة التجسس على الآخرين والوشاية بهم طمعاً في الترفيه والتدرج.

لقد ارتكبت السلطة ابشع الجرائم باسم الجيش العراقي حين استخدمته في ضرب كردستان والأهوار بالسلاح الكيمياوي وتدمير قرىٰ جيزان الجول والدجيل وحلبجة وآلاف القرى الكردية ثمّ كانت المآسي الأخيرة ابان الإنتفاضة المباركة حيث اقحم الجيش لمواجهة الشعب وضرب المدن الثائرة بابشع وسيلة وانتهاك حرمة العتبات المقدسة هذا على الصعيد المحلي.. فيما زج بجيش العراق أقليمياً في حربين مدمرتين استمرت الاولىٰ مع ايران لثمان سنوات متتالية بينما سيق جيش العراق في الحرب الثانية في مواجهة غير متكافئة اثر عملية غزو الكويت مع قوات التحالف حيث تسبب رأس النظام بالحاق اسوأ الأضرار النفسية والمادية بجيش العراق. وخلال عمليات اقحام جيش العراق في حروب الداخل والخارج اصدر الطاغية قرارات شاذة ومرتجلة بحق المؤسسة العسكرية ومراتبها كشفت عن نزعة العدوان والحقد والإستبداد وانسحبت آثارها السلبية المدمرة علىٰ جيش العراق كله.

ولكي يكون الجيش العراقي أداة حماية الوطن وبنائه وصون أمن البلاد من العدوان الخارجي وتحقيق مصالح الشعب العراقي فاننا نرىٰ:

١ ـ إن مهمة الجيش الأساسية هي صيانة استقلال العراق وسيادته الوطنية ووحدة اراضيه وحماية حدوده من العدوان الخارجي.

٢ ـ إعادة بناء المؤسسة العسكرية اعتماداً علىٰ أُسس الولاء للوطن وللشعب والكفاءة والقابليات الذاتية والأمكانات في تشكيل وحدات الجيش المختلفة وإلغاء سياسة التمييز العنصري والطائفي التي درجت علىٰ اتباعها الحكومات السابقة.

٣ ـ إبعاد الجيش عن الصراعات السياسية والحزبية.

٤ ـ وضع أُسس لعلاقات سليمة داخل المؤسسة العسكرية وازالة حالة الإستعلاء السائدة داخل هذه المؤسسة بين الضباط والمراتب.

٥ ـ منع استخدام الجيش كأداة قمع للشعب وتوجيهه في خدمة مصالح البلاد العليا.

٦ ـ اعتماد الأسس العادلة في التعيينات والترقيات داخل المؤسسة العسكرية.

٧ ـ تطوير مؤسسات التصنيع العسكري بما يؤمن للقوات المسلحة حاجتها الأساسية من السلاح والمعدات وصولاً إلىٰ مرحلة الإكتفاء الذاتي.

٨ ـ الإستفادة من امكانات الجيش في حالات الطوارئ والكوارث لتقديم الخدمات الضرورية لأبناء الشعب.

٩ ـ وضع خطة للتعبئة النفسية والفكرية واشاعة المثل الإسلامية وقيم المجتمع العراقي في اوساط المؤسسة العسكرية وازالة جميع الآثار السلبية والشاذة التي خلفتها سياسات النظام السابق علىٰ نفسية ومعنوية أفراد الجيش العراقي.

١٠ ـ التأكيد على التزام المؤسسة العسكرية بدستور البلاد واحترامه وعدم التورط في الإنقلابات العسكرية.

١١ ـ ان تقر الميزانية العسكرية وسياسة الإنفاق العسكري من قبل المجلس الوطني.

السياسة الخارجية

ان السياسة الخارجية للعراق يجب أن تأخذ بعين الإعتبار مصالح الشعب العراقي والتزاماته تجاه اشقائه العرب والمسلمين وتؤكد علىٰ روح التعايش السلمي والمنفعة المتبادلة مع شعوب العالم وحكوماتها بما يضمن استقلال العراق وسيادته الوطنية والتزامه بالمواثيق والأعراف الدولية.

إن السياسة الخارجية للعراق يجب ان تعمل علىٰ تحقيق:

١ ـ حفظ استقلال العراق وضمان سيادته الوطنية ووحدة اراضيه.

٢ ـ تعزيز روابط الإخاء مع الدول العربية والإسلامية وتنقية الأجواء وازالة الرواسب السلبية التي خلفتها سياسات النظام وحروبه مع جيرانه والدول الأخرىٰ.

٣ ـ دعم المؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية والدولية كجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة بما يحقق مصلحة الشعب العراقي والشعوب العربية والإسلامية وشعوب العالم وتبني سياسة نشطة وفعالة في هذه المؤسسات.

٤ ـ احترام الأعراف والمواثيق الدولية والإلتزام بها ورفض استخدام القوة العسكرية في حسم الخلافات والنزاعات بين الدول.

٥ ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرىٰ وتسوية المشاكل التي خلفها النظام مع دول المنطقة بما يعزز استقرار المنطقة ويصون مصالح الشعب العراقي وشعوب المنطقة.

٦ ـ التزام سياسة خارجية ايجابية تعتمد مبدأ حسن الجوار بما يعزز وحدة الصف العربي والإسلامي والعمل من اجل التكامل السياسي والثقافي والإقتصادي بين الدول العربية والإسلامية.

٧ ـ اعتبار قضايا أمن وسلامة واستقرار المنطقة من مسؤولية شعوب المنطقة وحكوماتها.

٨ ـ تبني قضايا العرب والمسلمين كفلسطين وافغانستان وكشمير وغيرها.

٩ ـ التنسيق مع الأطراف الأقليمية والدولية للعمل علىٰ رفع العقوبات السياسية والإقتصادية التي فرضت على العراق بسبب سياسات النظام العدوانية والتي لم تكن تعبر عن ارادة الشعب العراقي.

١٠ ـ دعم منظمة الأقطار المصدرة للنفط (اوبك) وتعزيز دورها بما يحقق مصالح الشعوب والإستقرار الإقتصادي في العالم.

١١ ـ مساعدة الدول الفقيرة من خلال المؤسسات الدولية والأقليمية لتجاوز مشكلاتها الإقتصادية والسياسية.

١٢ ـ ادانة الإرهاب الرسمي والعمل علىٰ ارساء علاقات دولية تقوم علىٰ مبدأ التوازن والإحترام وتبادل المنفعة بين اعضاء الأسرة الدولية.

١٣ ـ دعم قضية الشعب الفلسطيني وحقه في استرداد ارضه والعيش بسلام في وطنه واعتبار هذه القضية قضية اسلامية وانسانية يتحمل المسلمون مسؤوليتها.

١٤ ـ انتهاج سياسة متوازنة بالإستفادة من مصادر الطاقة والموارد الطبيعية والمياه في المنطقة بما يحقق مصالح شعوبها ويجنب المنطقة مخاطر النزاعات والحروب.

١٥ ـ رفض سياسة الأحلاف العسكرية والعمل علىٰ تصفية القواعد العسكرية

الأجنبية في المنطقة لإبعادها عن شبح الحرب والنزاعات المسلحة.

١٦ ـ الحد من سباق التسلح في المنطقة وتوجيه الموارد الإقتصادية لدولها نحو رفاه الشعوب والبناء الإقتصادي والتنمية والتقدم العلمي والتقني.

السياسة الإقتصادية

لقد عانى الشعب العراقي جراء السياسة الإقتصادية الخرقاء للنظام، فرغم موارد العراق الضخمة نسبة إلىٰ عدد السكان فأن الفقر والحرمان شمل الأغلبية الساحقة من أبناء العراق ولم توظف موارد النفط الهائلة لإحداث تنمية زراعية أو صناعية كما ان قطاع الخدمات العامة هو الآخر بقي علىٰ مستواه من التخلف، ولقد اهدرت السلطة موارد العراق الضخمة في مجالات لا تخدم التنمية ومصلحة الشعب العراقي وانما استخدمت لتثبيت مواقعها وكبت حرية الشعب العراقي وقمع أية معارضة. فقد استخدم النظام تلك الثروات لتمويل أجهزة القمع من أمن ومخابرات وأجهزة التجسس الحزبية وغيرها. كما استنزفت ثروات العراق لشراء ترسانة هائلة من السلاح لخدمة سياسات النظام العدوانية داخل العراق وخارجه تلك السياسات التي لم يجن منها العراق ودول المنطقة سوىٰ ما نراه اليوم من دمار وخراب.

ولقد تعاملت السلطة مع موارد العراق المالية وكأنّها فيء خاص للحاكم وبطانته الذين اصبحوا يشكلون طبقة اثرت علىٰ حساب الشعب وهيمنت علىٰ كل المؤسسات ومرافق الحياة الإقتصادية في العراق.

لقد أدىٰ تعمد السلطة في الإعتماد على النفط كمصدر مالي رئيسي للدخل القومي أدىٰ إلىٰ اهمال قطاع الزراعة الحيوي فتحول العراق من بلد مصدر للحبوب والموارد الغذائية إلىٰ بلد يعتمد بالكامل علىٰ استيراد ما يحتاجه من المواد الغذائية ولم تتحقق للعراق النهضة الصناعية المرجوة بل تردى الإنتاج الصناعي كماً ونوعاً ليتحول العراق إلىٰ سوق استهلاكية للبضائع.

لقد بات العراق اليوم مثقلاً بالديون فضلاً عن دمار شامل في البنى التحتية جراء الحرب مع الحلفاء وحرب النظام ضد شعبنا ابان الإنتفاضة المجيدة فعاد بلداً فقيراً بعد ان كان من أغنىٰ بلدان المنطقة وأكثرها موارد.

إن الحكومة القادمة في العراق ترث تركة ثقيلة خلفها النظام وتتحمل مسؤولية كبرىٰ في اعادة أعمار البلاد وترميم الخراب الذي لحق بالإقتصاد العراقي وبناه التحتية.

اننا نرىٰ بأن السياسة الإقتصادية لأية حكومة قادمة يجب ان تعمل علىٰ:

١ ـ وضع خطة شاملة لعملية اعادة البناء والترميم للمرافق الإقتصادية واعادة تشغيلها.

٢ ـ انتهاج سياسة اقتصادية تأخذ بعين الإعتبار المشاكل الإقتصادية التي خلفها النظام والموارد والعوائد المالية وحاجات البلاد.

٣ ـ إلغاء القوانين والتشريعات التي اعاقت التنمية الإقتصادية في البلاد.

٤ ـ تبني سياسة الإقتصاد الحر الملتزم، ومنع الإحتكار والربا.

٥ ـ ضمان حرية النشاط الإقتصادي وتوفير فرصاً متساوية لجميع المواطنين لممارسة الأنشطة الإقتصادية المختلفة.

٦ ـ تتولى الدولة دعم السلع الإستهلاكية الضرورية وتوفيرها للمواطنين.

النفط

٧ ـ انتهاج سياسة نفطية مدروسة تتكفل بتوفير الموارد المالية اللازمة لحاجات البلاد وتأخذ بعين الإعتبار اوضاع السوق النفطية العالمية وضمان حقوق الأجيال القادمة من هذه الثروة الوطنية.

٨ ـ السعي لتحقيق الإكتفاء الذاتي في حقل الصناعة النفطية، وتنقيب واستخراج وتصدير النفط.

٩ ـ العمل علىٰ تطوير الصناعة النفطية وصناعة البتروكيمياويات بما يغطي حاجة البلاد من منتجات هذه الصناعات وصولاً إلىٰ جعل العراق بلداً مصدراً رئيسياً لهذه المنتجات.

١٠ ـ السعي لإعداد الخبرات الفنية والهندسية في حقل الصناعة النفطية والبتروكيمياويات وانشاء مراكز دراسات وبحوث تخصصية لتطوير هذا القطاع الإقتصادي الهام.

١١ ـ تطوير صناعة الغاز الطبيعي وايقاف عملية الإهدار الحالية والإستفادة منه في توفير الطاقة محلياً وتصدير الفائض منه للخارج.

١٢ ـ استخدام عوائد النفط في تطوير القطاع الإقتصادي وتأمين حاجات الناس الأساسية والمشاريع الإنمائية والخدمية.

١٣ ـ دعم منظمة الأقطار المصدرة للنفط (اوبك) ومنظمة الأقطار العربية المصدر للنفط (اوابيك) والتنسيق مع اعضائهما بما يحقق مصالح الشعوب واستقرار السوق النفطية في العالم.

الزراعة والثروة الحيوانية

١٤ ـ إلغاء القوانين والتشريعات التي الحقت الضرر بالقطاع الزراعي وتشريع القوانين لحماية المزارعين والفلاحين وتشجيعهم علىٰ زيادة الأنتاج وتطويره.

١٥ ـ وضع خطة للتنمية الزراعية والنهوض بها لتحقيق الإكتفاء الذاتي في مجال الحبوب والمواد الغذائية والمنتجات الحيوانية بما يضمن الأمن الغذائي للشعب ووصولاً إلىٰ مرحلة تصدير هذه المنتجات إلى الخارج.

١٦ ـ وضع خطة شاملة لإصلاح الخراب والدمار الحاصلين في القطاع الزراعي والثروة الحيوانية في العراق.

١٧ ـ وضع خطة لإستصلاح الأراضي الزراعية التي تضررت بسبب الإهمال وانشاء شبكة البزل والتصريف لتغطي حاجة الأرض الزراعية.

١٨ ـ الإهتمام بشبكات الري وانشاء السدود وشق القنوات لري الأراضي الزراعية المحرومة.

١٩ ـ الإهتمام بالمكننة الزراعية وتوفير المعدات الميكانيكية الحديثة للفلاحين والمزارعين.

٢٠ ـ الإهتمام بتطوير زراعة النخيل والعناية به واصلاح الدمار الذي الحق بهذه الزراعة وايجاد الصناعات التي تعتمد على النخيل.

٢١ ـ تطوير زراعة الغابات وتوسيعها في كل أنحاء العراق وتطوير زراعة الأشجار المثمرة والفاكهة والخضروات لتأمين الحاجة المحلية ووصولاً إلىٰ مرحلة التصدير للخارج.

٢٢ ـ انشاء وتطوير الصناعات التي تعتمد على الثروة الزراعية.

٢٣ ـ زيادة عدد الكليات والمعاهد الزراعية لإعداد الكوادر العلمية والفنية في حقل الزراعة وانشاء مراكز وبحوث علمية زراعية لتحسين وتطوير الأنتاج الزراعي وايجاد مراكز ارشاد زراعي في كل المناطق الزراعية وتعميم الوعي في مدارس الأرياف وادخال الثقافة الزراعية كمادة اساسية فيها.

٢٤ ـ تطوير الريف العراقي وتوفير الخدمات العامة فيه من ماء وكهرباء وهاتف ومراكز صحية ومدارس لإيقاف الهجرة من الريف إلى المدن وتشجيع الهجرة المعاكسة.

٢٥ ـ انشاء شبكة طرق لربط الريف بمراكز المدن.

٢٦ ـ صياغة قوانين العلاقات الزراعية ولتطوير الأنتاج الزراعي وضمان مصلحة الفلاحين والمزارعين.

٢٨ ـ انشاء المصارف الزراعية لدعم المشاريع الزراعية والمزارعين والفلاحين.

٢٩ ـ تطوير الثروة الحيوانية وانشاء مشاريع انتاج اللحوم والأنتاج الحيواني الحكومية والأهلية وتشجيع الفلاحين علىٰ تربية الحيوانات والطيور والأسماك.

٣٠ ـ ايجاد صناعات تعتمد على الثروة الحيوانية والأنتاج الحيواني.

٣١ ـ تطوير كليات ومعاهد الطب البيطري والصحة الحيوانية واعداد الكوادر البيطرية وانشاء مراكز للطب البيطري في الأرياف واقامة مراكز بحوث لتحسين الأنتاج ومكافحة امراض الحيوانات.

٣٢ ـ الإهتمام بالثروة السمكية النهرية والبحرية وتطوير الصناعة السمكية وبناء اسطول بحري لصيد الأسماك.

٣٣ ـ الإهتمام بتطوير المراعي وحمايتها من آفة التصحر.

الصناعة

٣٤ ـ اصلاح المصانع والمؤسسات الصناعية المدمرة واعادة تشغيلها.

٣٥ ـ انتهاج سياسة تطوير الصناعة المحلية والعناية بالصناعات الإستهلاكية لتحقيق الإكتفاء الذاتي في هذا المجال.. كمصانع النسيج والتعليب والثروة الحيوانية.

٣٦ ـ انشاء صناعات ثقيلة لإنتاج المكائن والمعدات الضرورية.

٣٧ ـ الإهتمام بصناعة التعدين واستكشاف الثروات الطبيعية للبلاد وتطوير انتاج وتصنيع الكبريت والفوسفات.

٣٨ ـ انشاء صناعة بتروكيمياوية متطورة لتغطية حاجة السوق المحلية والتصدير إلى الأسواق العالمية.

٣٩ ـ انشاء وتطوير مراكز التدريب والتأهيل الصناعي في مختلف انحاء البلاد لتأمين الحاجة من الإختصاصيين والفنيين.

٤٠ ـ تطوير صناعة الكهرباء ووضع خطة لإيصال الكهرباء إلىٰ جميع مناطق البلاد.

٤١ ـ العمل علىٰ حماية الأنتاج الصناعي المحلي من المنافسة الأجنبية.

٤٢ ـ انشاء مصارف صناعية لدعم المشاريع الصناعية وتقوم بتوظيف استثمارات في هذا القطاع.

٤٣ ـ تشريع قوانين العمل والتي تضمن حقوق العمال وارباب العمل وتمنع استغلال العامل.

٤٤ ـ وضع ضوابط في حقل التجارة الخارجية لضمان تأمين الحاجة الفعلية للبلاد من السلع والبضائع الإستهلاكية والإنتاجية.

٤٥ ـ تعميم الوعي والثقافة الجماهيرية للحد من النزعة الإستهلاكية التي اشاعها النظام.

٤٦ ـ توفير المواد والحاجات الأساسية بأسعار مناسبة للناس.

٤٧ ـ دعم الصناعات والمنتجات الزراعية ليمكنها من منافسة السلع الأجنبية.

٤٨ ـ دعم السلع الإستهلاكية الأساسية وتوفيرها للمواطنين.

٤٩ ـ منع الإحتكار والتلاعب بالأسعار.

٥٠ ـ العمل علىٰ تعديل ميزان التبادل التجاري لصالح زيادة الصادرات بما يحقق فائضاً تجارياً للبلاد.

٥١ ـ الإهتمام بالمطارات وموانئ التصدير وتوفير شبكة مواصلات سريعة لنقل المواد والبضائع.

يا أبناء شعبنا العراقي المسلم

أيّها الممتحنون باشد ضروب التعسف والإضطهاد

أيّها الأرامل والثكالىٰ والأيتام
أيّها الصابرون الصامدون في زنزانات البعث الرهيبة
أيّها المعذبون بكل انواع الحرمان في بلد الخير والثروات
أيّها المضطهدون من أبناء القوميات والمذاهب بسبب النعرات الطائفية والعنصرية للنظام.
أيّها المشردون من مدنهم وقراهم.
أيّها المهاجرون الحاملون قضيتهم إلى العالم كله
أيّها العراقيون الشرفاء. يا من ملئتم اسماع العالم صوت رفضكم بانتفاضتكم المباركة.
يا من آثرتم مواصلة السير في درب الخلاص الدامي وفاءً لمبادئكم ولأمتكم.
يا أباة الضيم وعشاق الحرية.
أيّها العسكريون الذين زجكم صدام لمواجهة أبناء شعبكم المظلوم.
أيّها البعثيون المضللون بدعاوى السلطة الكاذبة.

هاهو العراق.. بلد العطاء الثر بكل ما حباه الله تعالىٰ من خيرات وموارد وبركات يعاني من حرمانه من أبسط مستلزمات الحياة الكريمة. وهاهو الإنسان العراقي بكل طوائفه وقومياته وقواه السياسية يعيش حالة انعدام الحرية السياسية وحق التعبير عن الرأي، بل يدفع ثمن عدم رضوخه لصدام دمه وماله وكل ما لديه. في عصر بدأت البشرية تسترجع حقها المشروع في الحرية.

واذا كانت مسيرة الجهاد الطويلة قد تطلبت كل هذه التضحيات من أجل تحرير شعبنا وتحكيم ارادته فان المسؤولية تستدعي اليوم ان نشمر جميعاً عن ساعد الجد وان نتواجد في كل خنادق المواجهة كلٌّ حسب امكاناته واختصاصه وان يكون صوت المحنة فوق كل الأصوات وهمها فوق كل الهموم، مما يتطلب منا تكريس كل الجهود والقدرات من أجل انقاذ بلدنا من المأساة التي يرزح تحت نيرها وتحقيق طموحات شعبنا في الأمن والإستقرار والرفاه والحرية، وليكن الرد على الجرائم التي اقترفها صدام ضد كل أبناء الشعب رداً يتناسب مع عمق تلك الجريمة ومعبراً عن حجم مأساة الإنسان العراقي، ولنعيد لأيتام العراق ابتسامتهم المسروقة ولكل المظلومين حقّهم المسلوب.

﴿وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾

ملحق رقم (٩)

رأي سماحة السيد فضل الله في مهمة الخطيب والمنبر الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى المجاهد السيد محمد حسين فضل الله دام ظله الوارف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا شك ان المنبر الحسيني كان ولا يزال من نعم الله تعالىٰ علىٰ عموم المسلمين وعلىٰ أبناء الطائفة بوجه خاص ـ به يهدي الله القلوب وتعطف الأنظار نحو نبي الرحمة محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين وبه نعرف فضلهم وحقوقهم ومظلوميتهم عبر التاريخ وقد وفق الله لذلك رجالاً سجل التأريخ أسماءهم في الخالدين حفظوا للمنبر قدسيته وكرامته وأدوا جزاءهم الله عن الإسلام والمسلمين وظيفتهم خير أداء.

ومما يؤسف له مؤخراً استغلال البعض المنبر لأغراض شخصية وجعله ظرفاً لأثارة الفتنة والبغضاء بين أبناء الطائفة والانتقاص من أعلام الأمة والتعريض للمؤمنين وتحريك بعضهم ضد البعض الاخر بدوافع العصبية أو الهوىٰ مما ينحرف بالمنبر الشريف عن مهمته السامية ويقدم لأعداء الأُمة والمتربصين بالطائفة خدمات مجانية تلحق بالمؤمنين الضرر والأذىٰ.

وبهذا الصعيد ومما يؤسف له أن يتحدث الخطيب الشيخ فاضل المالكي في الخامس من شهر محرم الحرام هذه السنة ١٤١٧ هـ، في مجلس عام بالكويت يحضره مختلف الناس ومن على المنبر الشريف بحديث مؤلم هاجم فيه بعض العلماء العاملين وبعض المؤسسات الشيعية المعروفة بخدمتها للطائفة والعاملة برعاية المراجع العظام وتأييدهم وأثار في حديثه الفتنة والتفرقة بين الأمة محركاً ضغائن وأحقاد عصبية كما تحدث عن قضايا تغري سلطات

البلدان المختلفة بالمؤمنين بطرح إدعاءات مفتعلة تحرك فيهم روح التوثب والخطر بالعاملين ـ وغير ذلك مما استوجب سخط عموم المؤمنين وتألمهم في هذا التوجه المنافي لحرمة المنبر الحسيني الشريف ـ والمنحرف عن معانيه السامية وتجدون نص حديثه المسجل مرفقاً ـ ومما يؤسف له إن هذه الأوضاع الشاذة تكررت منه ببلاد مختلفة كالامارات وقطر وتسبب في طرده منه، إضافة إلىٰ أوضاع مهينة في عمان أساءت إلىٰ سمعة عموم اللابسين لزي طلاب العلم الكرام.

ونحن إذ يؤسفنا إزعاج أسماعكم الشريفة بمثل هذه القضايا نأمل منكم أن تتفضلوا بتوجيه الساحة لما ترونه يصلح الأُمّة ويدفعها نحو المعروف وينهاها عن المنكر أعاذنا الله منه ـ ومن أجل حصر مثل هذه الظواهر المؤسفة وعدم تفشيها في الأُمّة.

وننتظر من مقامكم الشريف إبداء رأيكم الشرعي بشأن حفظ حرمة العلماء وحرمة المؤمنين ونفوسهم ـ فهل يجوز لا سامح الله إعانة الظالمين وتحريضهم علىٰ المؤمنين وإثارة الفرقة والفتنة بين صفوفهم والتشهير بهم علىٰ المنابر.

ونحن بانتظار توجيهاتكم الكريمة وآرائكم المباركة، نسأله تعالىٰ أن يديم وجودكم ويحفظكم علماً للدين وملاذاً للمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كاظم عبد الحسين

١١ محرم ـ ١٤١٧هـ / ٢٩ / ٥ / ١٩٩٦م

بسمه تعالىٰ

لايجوز هتك حرمة العلماء الأعلام المجاهدين في سبيل حفظ الإسلام في عقيدته وشريعته ومنهجه وحركته في الواقع الإنساني العام.

كما لايجوز التعرض للمؤمنين العاملين في سبيل الله والاساءة إلى كرامتهم وتعريضهم للأخطار لدىٰ الظالمين كما يحرم إثارة الفتنة بين صفوف المجتمع الإسلامي والتشهير بالمؤمنين لاسيما إذا

كان ذلك باستغلال المنبر الحسيني الذي أعدّه أئمة أهـل البـيت عليهم السلام للوحدة بين المسلمين ولاحياء أمر الإسلام في خط أهل البيت عليهم السلام ولاطلاق الذكرىٰ في مدىٰ الزمن من أجل اعلاء كلمة الله واعزاز المجاهدين من العلماء والمـؤمنين في الخط الإسلامي الحسـيني. وعـلىٰ ضـوء ذلك فـلايجوز ـ ومـن الناحية الشرعية ـ للمؤمنين افساح المجال في الاستفادة من المنبر الحسيني لأي شخص يمارس هذا الأسلوب كما لايجوز تأييده.

ملحق رقم (١٠)

رسالة مؤسسة دار الاسلام
إلى الشيخ جواد التبريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله علىٰ محمد خير خلقه وعلى آله الطيبين الطاهرين

سماحة آية الله الشيخ ميرزا جواد التبريزي دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: نبتهل إلى الله تبارك وتعالىٰ ان يمن عليكم بدوام الصحة، والعافية وان يديم بقائكم الشريف لخدمة الحوزة العلمية، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام ونصرة الإسلام والمسلمين.

شيخنا الكبير.. تلق المؤمنون في بلاد الغرب وفي بلدان اخرىٰ بياناتكم الاخيرة ضد سماحة آية الله العظمىٰ السيد فضل الله حفظه الله، وقد أثار ذلك إستغرابهم وقلقهم، علىٰ أساس أن ما تحدثتم به عن سماحة السيد فضل الله يدل علىٰ عدم سماعكم وقرائتكم لحقيقة آرائه وأفكاره في خصوص أهل بيت العصمة عليهم السلام، فسماحته خدم الطائفة منذ أكثر من نصف قرن مضىٰ وقدّم للعالم الإسلامي فكر أهل البيت عليهم السلام ودافع عن ظلامتهم ومدرستهم وتصدىٰ لكل المحاولات التي أرادت النيل منهم، وتشهد علىٰ ذلك مؤلفاته القيمة الكثيرة ومحاضراته التثقيفية ودروسه العلمية ومقابلاته الصحفية. كما أن سماحته مارس دوره المشكور علىٰ أحسن وجه في تعريف العالم بالشيعة والتشيع وإنتصر لهم في المحافل والندوات العالمية ودافع عن الحوزات العلمية وتصدىٰ لمحاولات النيل منها، وقارع أهل الضلال من أعداء الإسلام وأحبط حملاتهم التشهيرية ضد الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام خاصة، حتىٰ تعرض سماحته لأكثر من محاولة اغتيال من قبل الاستكبار وأعداء أهل البيت وما يزال يقف بوجه الأعداء بكل قوة وصلابة. وهذا أمر معلوم للجميع

ولا نظنه خاف علىٰ شخصكم الكريم.

إن سماحة السيد فضل الله علم من أعلام الطائفة ورمز من رموز الإسلام له أُمة من المؤيدين والمقلدين المنتشرين في بلاد الغرب ومناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وهم علىٰ دراية تامة بعقائده وآرائه، وعلىٰ معرفة أكيدة بخدماته وجهوده وجهاده، لذلك فأن التعرض له بتهم هو بريء منها يسيء إلىٰ مشاعر المؤمنين من جهة، ويخدم أعداء المذهب والإسلام من جهة اخرىٰ عندما يجدون ان أعلام الشيعة يهاجم بعضهم البعض ويتهم أحدهم الآخر وهو توهين لموقع المرجعية العامة واضعاف لمقامها في نفوس المؤمنين، وهذا ما يريده أعداء أهل البيت عليهم السلام ويبذلون من أجله الأموال ويستخدمون الرجال.

شيخنا المعظم... ان مقامكم العلمي وموقعكم في الحوزة العلمية يستدعيان ان تكون آراؤكم وأحكامكم بحق الأشخاص والموضوعات صادرة عن تثبت وتدقيق كامل، الأمر الذي جعل المؤمنين في بلاد الغرب وغيرها يستغربون من مواقفكم من سماحة السيد فضل الله علىٰ إعتبار ان ما تصفونه به من صفات يتعارض مع حقيقة أفكاره وكتاباته المدونة منذ عشرات السنين، وهذا ما دفع جموع المؤمنين إلىٰ القول ان سماحتكم وقعتم تحت تأثير البعض ممن لا يتورع عن التشكيك والاتهام او أنه غير ثبت في فهم مداليل الكلام، بل أن كلاماً راح يقال هنا وهناك يسيء بمجموعه إلىٰ مقامكم العلمي الرفيع علىٰ أساس ان قضايا الفكر والتاريخ والعقيدة لا تُطرح بهذه الصورة التشهيرية وعلىٰ عامة الناس، وأن منهج العلماء هو المحاججة العلمية القائمة علىٰ قواعد التثبت والأخذ والرد بالدليل والحجة، كما هو منهج الحوزات العلمية في قم المقدسة.

ان المؤمنين يتساءلون ما هي حقيقة القضية؟ وهل ان موضوعها حقيقة يختص بضرورات وثوابت المذهب وما هي هذه الضرورات والثوابت؟ أم انها شأن تاريخي إختلف عليه علماء الطائفة منذ القدم، كما إختلفوا على الكثير من القضايا التاريخية والفكرية والفقهية وغير ذلك، وكانوا أعلى الله مقامهم علىٰ طول التاريخ يتحاورون ويرد بعضهم البعض بالدليل والحجة، لا بطريقة التشهير والنيل والاتهام، إنما بلغة الحوار العلمي الذي تفتخر بها حوزاتنا علىٰ غيرها.

سماحة شيخنا المعظم... إن المؤمنين درسوا بدقة آراء وأفكار سماحة آية الله العظمى

السيد فضل الله، وهم يرون أن ما تتهمونه به لا ينطبق عليه بأي حال من الأحوال لأن أفكاره مدونة ومسجلة وهي واضحة المداليل والمعاني في كونها تحكي عقائد مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولم يعد الشيعة اليوم عواماً متخلفين بل بفضل بركات الصحوة الإسلامية وجهود العلماء العاملين وصلوا إلىٰ درجات عالية من الوعي والفهم والادراك بحقائق الأمور، وقد رجع المؤمنون بالسؤال والاستفسار في هذا الخصوص إلىٰ طائفة من أعلام الطائفة، فنزّهوا سماحة السيد فضل الله عما ينسب إليه وإعتبروا ذلك فتنة يراد لها شق الصف وتوهين أعلام الشيعة الذين يتصدون لأعداء الإسلام بكل قوة وثبات وصبر كما يدل ذلك دلالة واضحة علىٰ هشاشة موقع المرجعية واهتزاز الفكر من خلال تفشي روح الحسد والحقد والجهل برواد الاصلاح ورجال التغيير في مرحلتنا الراهنة الصعبة.

شيخنا الكبير.. إن هناك من أساء إلى المذهب حقيقة ونشر كتاباته الضالة التي أنكر فيها ضرورات المذهب الاصيلة ولكن للاسف لم يتصد له العلماء الاعلام... وهناك الكثير ممن يمارسون التشكيك في التشيع بمختلف الصور والأساليب دون ان يظهر من رموز الحوزة العلمية من يرد عليهم، وهذه هي المسؤولية التي ننتظرها من سماحتكم لما نعهده في شخصكم المبارك من حرص علىٰ خط أهل البيت عليهم السلام.

كما أن المؤمنين يتطلعون إلىٰ مقامكم الشريف من أجل قتل الفتن وإحباط المحاولات الضالة التي تهدف إلىٰ تمزيق الصف، وبث الخلاف بين رموز الحوزات العلمية. فسماحتكم تضطلعون بمسؤولية تاريخية شرعية في هذا المجال كما هو الحال في كل أعلامنا أدام الله تعالىٰ بقاءهم وحفظهم من كل مكروه ذخراً لمدرسة اهل بيت النبوة سلام الله عليهم اجمعين.

وفي الختام نبتهل إلى العلي القدير ان يسدد خطانا جميعاً، وان يبقيكم وسائر الأعلام عوناً وناصراً للإسلام انه ولي التوفيق ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

حسين الشامي

المشرف العام لمؤسسة دار الإسلام

٢٩ جمادي الاولىٰ ١٤١٨ هـ

١ / ١٠ / ١٩٩٧ م

ملحق رقم (١١)

بيان مؤسسة دار الاسلام
حول الأزمة المفتعلة ضد السيد فضل الله

بسمه تعالىٰ

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب﴾

يا أبناء أُمتنا الإسلامية المجيدة

أيّها المؤمنون المهاجرون في بلاد الغربة

يتعرض كيان المرجعية الدينية إلىٰ مؤامرة خطيرة تستهدف تشويه سمعة مراجعنا العظام، والإساءة إلىٰ مكانتهم في نفوس أبناء الأُمة المرتبطين بهذا الخط المبارك.

فلقد شهدت الأيام القليلة الماضية توزيع أوراق ومنشورات تفوح منها رائحة الكذب والافتراء والنفاق، وتكشف عن خيوط مخطط خبيث يستهدف إشغال الأُمة الإسلامية، التي تخوض جهادها ضد أعداء الدين، بمعارك جانبية بالنيل من أبرز رموز المرجعية الدينية الواعية سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله الوارف.

واثارة الفتنة بين أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتصويرهم وكأنهم خطوط متصارعة يكفّر بعضها البعض الآخر، والأخطر من ذلك هو الزج باسماء مراجع الدين وعلماء المسلمين في هذه الفتنة والذي هو مسلسل خبيث لا يستثني أحداً من المراجع العظام والعلماء المتصدين في الساحة الإسلامية.

.. اننا اذ نستنكر هذه الحملة الحاقدة والمنشورات المشبوهة، نحذر اخواننا المؤمنين وعلماء الدين المجاهدين وأبناء الأُمة وخاصة الجاليات الإسلامية في المهجر من الوقوع في شراك هذه المؤامرة الخطيرة.

وفي نفس الوقت نناشد مراجعنا العظام وممثلياتهم في العالم بتحمل مسئوليتهم الشرعية

باستنكار ونفي ما نسب اليهم زوراً في تلك المنشورات الصفراء، والتي جاء فيها ما يسيء إلىٰ أحد مراجع الدين المجاهدين والأساءة إلىٰ سمعة النجف الاشرف العلمية وهي تعاني من محنتها التاريخية هذا الحصار الظالم والانقطاع عن المؤمنين في الخارج.

ونطالب العلماء الأعلام والشخصيات الإسلامية الواعية وأبناء الأُمة بالتصدي لهذا المخطط الخبيث، واطفاء نار الفتنة التي يحاول مروّجو تلك المنشورات اشعالها في أوساط الأُمة.

واننا لعلىٰ ثقة تامة من انَّ وعي أبناء أُمتنا الإسلامية وتمسكهم بالمرجعية الدينية الرائدة لكفيلان في افشال أي مخطط خبيث مهما كانت الجهة التي تقف خلفه، وان أمثال هذه الاساليب الدنيئة لاعجز من ان تُضعّف العلاقة الفكرية والروحية التي تربط بين المؤمنين وعلماءهم الربانيين.

.. اننا في الوقت الذي نحييّ فيه مواقف آية الله العظمىٰ السيد فضل الله الشجاعة في خدمة الإسلام والدفاع عن فكر أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم الأصيلة، وترفعه عن الرد علىٰ تلك الأوراق المشبوهة نؤكد له بأن أبناء الأُمة الواعين لهذا المخطط، والمدركين لأبعاده الشريرة، يشدّون علىٰ يده ويعاهدونه علىٰ انهم جنود أوفياء للإسلام وقيادته الحكيمة، وانهم ماضون قدماً في التصدي لكل العابثين بمقدسات المسلمين، والساعين إلىٰ تفريق كلمتهم، واستعدادهم للدفاع عن المرجعية المجاهدة التي كانت دوماً هدفاً لسهام أعداء الإسلام ومؤامراتهم الحاقدة.

العزة والنصرة للإسلام والمسلمين

والخزي والخسران لأعداء الإسلام، أعداء المرجعية.

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين﴾

حسين الشامي

المشرف العام

ملحق رقم (١٢)

بيان العشائر العراقية

قال تعالىٰ:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾ (التوبة / ٣٢)

إلىٰ سماحة المرجع والمفكر الإسلامي الكبير آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله علىٰ رؤوس المسلمين.

في الوقت الذي يتصدىٰ فيه سماحتُكم بكل قوة وجدارة لمواجهة التحديات الكبيرة التي تعصف بالعالم الإسلامي في كل أنحائه والتي تقف من ورائها الدوائر الاستكبارية والمخابرات الصهيونية وفي الوقت الذي يبرز دوركم الريادي في نشر الوعي وقيادة الصحوة الإسلامية العالمية تظهر بين فترة وأخرىٰ في الزوايا المظلمة خفافيش الليل خائفة مرتجفة من إمتداد فكركم الإسلامي الاصيل ونهجكم الفقهي والسياسي والأجتماعي المستلهم من سيرة النبي الاكرم ﷺ وأهل بيته الاطهار الأبرار، تظهر هذه الخفافيش بأوراق صفراء تحمل بين طياتها ما يسيء إلىٰ مدرسة الوعي مبتغية بذلك ارجاع الأمة إلىٰ عصور التخلف والظلام متناغمة مع أحلام المستكبرين والطواغيت في السيطرة والهيمنة على الأُمة الإسلامية.

نحن جمع من أبناء عشائر جنوب العراق المقيمين في إيران الإسلام نشجب كلّ هذه المحاولات التي تريد النيل من شخصيتكم الكريمة المجاهدة والتي ما فتئت تذب عن الإسلام والمسلمين طيلة أكثر من ثلاث عقود من الزمان في أسخن بقعة من بقاع العالم الإسلامي ونقف إلىٰ جنبكم ومعكم في كلّ مواقفكم البطولية الشجاعة. نبتهل إلى الله أن يسددكم ويطيل عمركم.

وهاهي أسماء مجموعة من رجالات عشائر الجنوب وأبنائهم وتواقيعهم:

١ ـ الحاج أسد الخيون
٢ ـ السيد قاسم الموسوي
٣ ـ الحاج حسان الخزاعي
٤ ـ الشيخ حسيب الامارة
٥ ـ الحاج نايف الاسدي
٦ ـ الدكتور عامر الخزاعي
٧ ـ السيد رحيم الموسوي
٨ ـ الحاج موسى الاسدي
٩ ـ علي مطر الجزائري
١١ ـ السيد فاضل الشرع
١٢ ـ أنور غني فرج الله
١٣ ـ الحاج عودة الحجاج
١٤ ـ السيد فاضل الموسوي
١٥ ـ السيد حسن الجابري
١٦ ـ مصطفىٰ حسن البندر
١٧ ـ مجتبى العامري
١٨ ـ محمد الحجامي
١٩ ـ محمد العنيسي
٢٠ ـ السيد حسين المبرقع
٢١ ـ السيد يعرب الموسوي
٢٢ ـ عبد الله الاسدي
٢٣ ـ عبد الهادي الاسدي
٢٤ ـ يقظان قيس الخيّون
٢٥ ـ فؤاد حسن الخيّون
٢٦ ـ الشيخ صبيح الربيعي
٢٧ ـ السيد ناظم الموسوي
٢٨ ـ ناظم قاسم الاسدي

ملحق رقم (١٣)

بيان طلبة الحوزة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾

يا أبناء الأمّة الإسلامية المجاهدة.

ويا علماء الدين المجاهدين.

ويا رجال الفكر والوعي.

نشهد هذه الأيّام عودة الأوراق الصفراء المجهولة، التي تحاول كما في السابق أن تؤدي دوراً مشبوهاً، تريد منه تشتيت صفوف الأمّة، وتشويه صورة العلماء، من خلال إثارة الإفتراءات والتقوّلات علىٰ مراجع الدين العظام، وعلماء الأمّة ومحاولة زجّهم في محاربة بعضهم للبعض الآخر، ولكن فات هؤلاء المخرّبين، أن مراجع الدين (أدام الله ظلّهم)، ووعي شرائح الأمّة بكلّ انتماءاتها، أكبر من أن تناله المؤامرة. فإن الأمّة التي قدّمت المزيد من الشهداء في سبيل إحياء الدين، والتصدي للمؤامرات الخبيثة التي يخطط لها أعداء الإسلام، لن تنخدع بهذه اللعب الجديدة القديمة في أساليبها وفي تنفيذها وفي أهدافها.

ونحن جمع من علماء وطلبة الحوزة العلمية، نرىٰ لزاماً علينا وأداءً للتكليف الشرعي ومسئوليتنا الملقات علىٰ عاتقنا، أن نوضّح للأمّة أبعاد هذه المؤامرة وأهدافها ومن يقف وراءها، وهذا ما يزيدنا وكلّ الغيارىٰ من أبنائها، إصراراً على التصدّي لهذه الأعمال التخريبيّة، التي لا ترضي الله والرسول والمؤمنين، وبناءً علىٰ هذا نوضّح ما يلي:

١ ـ إن المنشور الذي صدر أخيراً، ينسب جملة من الأقوال المفتراة إلىٰ آيات الله

ومراجع الدين في النجف الأشرف، بشأن بعض رموز الوعي أمثال آية الله العظمى المجاهد السيد محمّد حسين فضل الله دام ظلّه، ويتقوّل عليهم، دون أن يقدّم دليلاً واحداً يثبت صحّة ما نسب إليهم، لأنّه خال من الختم والإسناد.

٢ ـ لم تتبنَّ هذا المنشور، أيّة جهة أو أي شخص، ممّا يثير حوله الشكّ في أن وراءه جهات تخريبيّة، تستهدف تشويه صورة العلماء، وإلقاء الفتنة بين صفوف الأمّة.

٣ ـ تمّ الإتّصال بما تيسّر لنا ببعض مكاتب العلماء والمراجع أدام الله ظلّهم، فكذّبوا نسبة الأقوال اليهم، ومنهم مكتب آية الله العظمىٰ السيد السيستاني دام ظلّه، في قم ودمشق، والذي أكّد أن أي قولٍ لا يحمل ختمه الشريف لا يمثّل رأي سماحته. ونحن بدورنا نحاول الإستمرار بالإتّصال بالعلماء الآخرين حفظهم الله لتكذيب ما نُسب إليهم.

٤ ـ يحاول المنشور تمزيق الأمّة، وإيقاع الفتنة في شرائحها، ويدقّ إسفين الفرقة بين علمائها، من خلال إثارة المسائل الهامشيّة، لإشغالهم عن أداء دورهم العلمي والفكري والرسالي، وفتح الأبواب أمام الإنحراف والخرافة وتسطيح الوعي الديني.

٥ ـ جاء توقيت هذا المنشور، في ظرف حسّاس تمرّ به الأمّة الإسلامية؛ فالقوّات التركيّة تساندهاالصهيونيّة تغزو شمال العراق، والطائفيّة في أفغانستان تسيطر على الوضع هناك، والمؤامرات العالميّة تستهدف الحركة الإسلامية في الجزائر والسودان، وإسرائيل تهدّد بشنّ هجوم علىٰ سوريا ولبنان، ناهيك عن الهجمة الإستكباريّة المستمرّة على الجمهورية الإسلامية في إيران، وما يتعرّض له قادتها من إتّهامات باطلة خائبة في محكمة ألمانيّة صهيونيّة ظالمة.

فهو حلقة من سلسلة مؤامرات معروفة، تستهدف الأمّة الإسلامية وعلماءها، وقد شهدت الأمّة أمثال تلك المؤامرات علىٰ مدىٰ تأريخها الطويل، حيث لا زالت دماء المرجع الشهيد الصدر ﷺ وآية الله الشهيد البهشتي وآية الله الشهيد المطهّري والدكتور باهنر (رضي الله عنهم)، تشير إلىٰ خيوط هذه المؤامرة، لأنّهم كشفوا القناع عن أوجه التخلّف والهيمنة الإستكباريّة، وليس حادث بئر العبد الذي استهدف حياة السيد فضل الله عن ذلك ببعيد.

٦ ـ إن الأمّة الإسلاميّة بلغت حالة من الوعي والنضج، لا يمكن معه إستغفالها وحرفها

بهذه الأساليب الرخيصة، عن المسار الذي رسمه الأئمّة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام وأكمله العلماء الواعون، وعلىٰ رأسهم الثائر العظيم الإمام الخميني قدس سره، والشهيد الكبير السيّد الصدر قدس سره. وإن الأمّة ستقف بالمرصاد لكلّ من تسوّل له نفسه أن ينفّذ مخطّطات الإستكبار العالمي، ويكون ذيلاً للأعداء. حيث عرفت الأمّة أمثال هؤلاء المتذبذبين الذين ينفّذون مآربهم الشريرة، بإستخدام شعارات مقدّسة في النفوس، كالولاء لأهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم، ويخفون محاربتهم للوعي والصحوة الإسلامية، من خلال دعمهم لبعض مظاهر البدع والخرافة، التي تصدّت لها الجمهورية الإسلامية وقائدها آية الله العظمى السيد الخامنئي دام ظلّه.

لذلك اتّخذ بعض الفّارين من وجه العدالة الإسلاميّة والمطرودين من أرض الإسلام إيران، مواقع في الخارج لإكمال دورهم الخياني المخزي (راجع ما نشرته مؤخراً مجلّة الشراع في مقالها المشبوه).

وفي الختام ندعو علمائنا الأعلام، وأبناء الأمّة الإسلامية جميعاً، للتصدّي ومواجهة هذه الحلقة التآمريّة، دون الإنشغال عن المهمّات الرئيسيّة الكبيرة، في تحمّل الأعباء الرساليّة، وتنفيذ المهامّ التأريخيّة المتمثّلة بعودة الإسلام إلىٰ واقع الحياة، ودعم النموذج الإسلامي المتمثّل بالدولة الإسلامية الكريمة وقادتها العظام، وحركة الوعي المنتشرة في العالم الإسلامي ومواجهة الصهيونيّة العالميّة وذيولها وفضح خططهم الخبيثة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جمع من علماء وطلبة الحوزة العلميّة

في قم المقدّسة

٣ صفر ١٤١٨

ملحق رقم (١٤)

رسالة طلبة الحوزة
إلى الشيخ الهمداني

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمىٰ الشيخ الهمداني ـ دام ظله ـ

السلام عليكم

رسالة مفتوحة / ٢

لازلنا نأمل ـ ونحن نعيش أجواء الحوار الثقافي والعلمي البنّاء في عصر الإنطلاقة الإسلامية العظيمة التي فجّرها السيد الإمام الخميني ﷺ ـ أن تظل أساليب النقد العلمي الواعي ووسائل الحوار الدقيق المتثبت بعيدةً عن الضغوط والممارسات التي تفرضها الحالات التقليدية.

وكلّنا أمل أن قادة الأمة وفقهائها ومثقفيها يتحملون مسؤولياتهم كاملة في حمل الأمانة الكبيرة في الدفاع عن الأمة والوفاء لها من خلال طرح الأفكار الأصيلة والصحيحة.

سماحة الشيخ الجليل: إننا نرىٰ من الضروة أن نبيّن لكم بعض ما خفي علكيم أو وصلكم مشوّهاً من آراء وفتاوىٰ لسماحة آية الله العظمى السيّد محمّد حسين فضل الله، وكلنا أمل أنكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

فقد ورد في رسالة جوابية لكم علىٰ سؤال باسم مجموعة من أهل الكويت: ان سماحة السيّد أنكر في خطابات متعددة وعلىٰ أشرطة مسجلة في بعض كتبه أنكر بعض المسلمات وذلك مما دعا بعض رجال الحوزة العلمية للرد عليه.

سماحة الشيخ الجليل: أنّه قد أصبح واضحاً لدى الجميع بأن سماحة آية الله العظمى السيّد محمد حسين فضل الله لم ينكر أيّة مسلّمة أو ضرورية من ضروريات المذهب التي درج عليها علماء الطائفة الأقدمون ـ رحمهم الله ـ والمعاصرون ـ حفظهم الله – حتىٰ يعترض عليه البعض بذريعة وجود ألف صفحة!!.

وما الألف صفحة المزعومة إلّا وثيقة سوداء تضاف إلىٰ ملّفات المزوّرين والمدسوسين والمأجورين الذين يحاولون تشويه الفكر الواعي والرأي السديد لرجلٍ وهب عمره وحياته وقفاً للإسلام والتشيّع.

الألف صفحة ـ يا سماحة الشيخ ـ ما هي إلّا فتاوىٰ من البعض، كنت مطلعاً عليها، واتهاماتٍ من آخرين كنت تستهزأ بها، ومقاطع مشوّهةٍ من كلام السيّد فضل الله كنت تصف كاتبيها بالجهل والعداء للثورة والإسلام.

الألف صفحة ـ يا شيخنا الجليل ـ كنا نعتقد أنّها لا تُخيف أمثالكم من أهل التحقيق والنظر الدقيق اذا ما تأملوا فيها وعرفوا من وراءها وميزوا أهدافها، فهي حشدٌ من الأكاذيب والإدعاءات، بيّن لكم السيّد الكثير من زيفها عبر مرسلاته معكم، فواعجباً والله يدمي القلب أن تخيفكم كثرة الأوراق البلهاء وكان المفروض أن تدفعكم للوقوف إلىٰ جانب السيّد لما فيها من تهافت وضعف وادعاء.

وقلت أيضاً في هذه الرسالة الجوابية ما معناه: (إذا كنت قد قلت أنّه فقيه فالفقه والإجتهاد درجات ورأي أنّه لم يكن ذا درجة عالية من الإجتهاد).

إن هذا التصريح يثير الدهشة أيضاً، فمرة في رسالتكم في ١٠ ربيع الثاني ١٤١٩ شككتم باجتهاد السيّد، ومرة أخرىٰ وفي ٦ رمضان ١٤١٨ كنتم ترون السيّد في مرتبة عالية من الفقاهة والإجتهاد بقولكم: «ونظراً لكونه عالماً عاملاً وفقيهاً واعياً ومجتهداً بصيراً يقف بوجه الأخطار والمخططات والمكائد الصهيونية ونظراً لتأكيده علىٰ كل عقائد الشيعة الإمامية فاني أرىٰ من اللازم احترام سماحته وإكرامه..» ولا ندري أيّ رأي هو رأيكم الثابت؟! ثمّ كيف ساغ لكم الإعتماد علىٰ كتابي «الندوة» و«وحي القرآن» في الحكم علىٰ درجته العلمية والفقهية رغم أنّها لم توضع أساساً كأبحاث علمية دون الرجوع إلىٰ بحوثه

الفقهيّة المفصلة في درس الخارج ومبانيه المثبتة في تقريراته[1] ومناقشتها بشكل علمي كما هو المعهود من علمائنا الأعلام.

وأما قولكم بأن السيّد لم يأتِ إلىٰ ايران لأجل الحوار: فليس هناك أية ضرورة لمجيء السيّد للحوار لأنّه ليست هناك أجواء للحوار العلمي البناء، والدليل علىٰ ذلك وجود أبحاث السيّد وأجوبته وفتاواه التي انتشرت بشكل واسع حول المسائل المثارة عليه، ولم نشاهد مناقشة علمية لها على الأطلاق وانما تمت الإجابة عليها من خلال المنشورات والشتائم متخذة من الفتاوىٰ غطاءً لها ومستخدمة شتى الأساليب غير اللائقة في تحريك عواطف الأمة بالإيحاء لها بطريقة فجّة بأن سماحة السيّد لا يؤمن بالشعائر والمسلّمات والضروريات للمذهب، هذا أولاً.

وثانياً: أن تجربة مكة وقضيّة الشريط الموجود لديكم تدلل علىٰ عدم قبول الرأي الآخر وعدم توفر فهم موضوعي له، فان قصة شريط الحج كما حصلت هي:

اتصل سماحة الشيخ النوري الهمداني مع بعثته في الديار المقدسة برئيس البعثة الشيخ مهدي غلامي حول أمرين:

الأول: زيارة بعثة سماحة السيّد فضل الله.

والثاني: دعوته في بعثته الهمداني مع شخصيات علمائية لأجل الحوار معه حول المسائل المثارة ضدّه، وقد حصل اللقاء الأول بحضور كل من السيد صالحي خونساري عضو مجلس الشورىٰ، والشيخ الرهبر رئيس المحاكم الثورية، والشيخ مهدي الغلامي رئيس بعثة الشيخ الهمداني، ومحمد ابن الشيخ الهمداني والشيخ رياض الناصري، وكان الحديث مسجلاً بشريط عادي من قبل الشيخ الغلامي ـ وهو الشريط الذي أشارت إليه رسالة الشيخ الهمداني الأخيرة ـ وقد أُعيدت نفس الأسئلة مسجلة بالشريط باضافات مفصّلة في اللقاء الثاني حيث أُقيمت مأدبة غداء في بعثة الشيخ الهمداني في مكة المكرمة حضرها قرابة أربعين شخصيّة علمائية، وقد سأل الشيخ الرحماني سماحة السيّد فضل الله عن رأيه في

---

١ - كتب السيّد فضل الله الفقهية التي صدرت لحد الآن هي: «١ ـ كتاب النكاح ج ١، ٢ ـ القرعة والإستخارة، ٣ ـ كتاب الإجارة، ٤ ـ اليمين والعهد والنذر، ٥ ـ الصيد والذباحة، ٦ ـ كتاب الجهاد، ٧ ـ كتاب الرضاع.

الحديث الوارد حول الزهراء عليها السلام: بأنّها صديقة شهيدة، فقال السيد فيما قال: تارةً يكون البحث عن هذه المسألة (الشهادة) من ناحية فقهية وعلمية، فالشهيد فقهيّاً هو القتيل في المعركة وهو الذي لا يغسل، ولا يكفّن ولا يوجد غير سيد الشهداء الحسين عليه السلام من الأئمة عليهم السلام شهيداً بهذا المعنىٰ فجميع الأئمة غسّلوا وكفّنوا.

وتارةً: نتحدث عن الشهيد بمفهومه القرآني حيث إن الشهيد: هو الشاهد كالأنبياء والأوصياء والصديقين ولا شك أن الزهراء عليها السلام في منزلتهم فهي الشاهد على الأمة وعلىٰ من ظلمها حقّها وحق زوجها.

ثمّ يتساءل السيّد فضل الله مستغرباً: إن المهدوم عليه داره والغريق والنفساء هؤلاء شهداء فهل أستكثر علىٰ جدتي الزهراء عليها السلام ان تكون شهيدة؟.

هذا خلاصة ما ورد في موضوع الشريط الذي ذكره الشيخ الهمداني في رسالته وانّه محفوظ لديهم.

ونحن نتمنىٰ علىٰ مكتب الشيخ الهمداني أن يقوم بخطوة شجاعة تُشكر له بانزال الشريط كاملاً علىٰ الورق أو تكثيره ليصل إلى المؤمنين الذين يطلبون الحقيقة ليطلعوا عن كثب وليسمعوا دون واسطة ما تحدث به سماحة السيّد وما اختاره من ألفاظ تتناسب مع عظمة الزهراء عليها السلام، وعظمة علي عليه السلام وكذلك فيما يتعلق بقضية الغدير ورده الإفتراء المنسوب إليه وذلك يكشف عن عمق ايمان السيّد ـ أدام الله وجوده الشريف ـ بهذه المفاهيم الأصيلة وترويجه لها.

أما المسائل الأخرىٰ حول السيّدة الزهراء عليها السلام التي أوردها الشيخ في رسالته والتي ناقش بها السيّد مباشرةً وفي رسائل متبادلة بينهما سابقاً، فقد اقنع الشيخ بما أجابه به سماحة السيّد مما حدا بالشيخ أن يمدح السيّد من خلال تصريحاته وكتاباته بقوله: (... ونظراً لتأكيده علىٰ كل عقائد الشيعة الإمامية فاني أرىٰ من اللازم إحترام سماحته وإكرامه...) كراس البينات ٦ رمضان ١٤١٨.

فماذا سيضيف مجيء السيّد إلىٰ ايران للحوار في هذا الجو الملغوم بالتناقضات وسوء الظن وحمل الحديث علىٰ الأسوء والتهويل والتأويل علىٰ خلاف الظاهر رغم وضوح الأدلة وكثرة البراهين القاطعة؟

أما الإشكالات الفقهية التي أوردتها يا سماحة الشيخ الجليل والتي كان مدارها بعض فتاوى السيّد فضل الله خلافاً للمشهور فانّه وقبل البدء في المناقشة نقول:

ان الشيخ الهمداني كفقيه يعرف جيّداً أن مخالفة المشهور أمر متعارف عند الفقهاء، فقد خالف المشهور علىٰ سبيل المثال من كبار فقهاء الطائفة:

الشيخ الصدوق في أكثر من (٢٧) موضعاً، والشيخ ابن أبي عقيل العماني في أكثر من (١٠) مواضع، والسيّد المرتضىٰ في أكثر من (٢٦) موضعاً، والشيخ الطوسي في أكثر من (٢٩) موضعاً، وابن ادريس الحليّ في (٢٠) موضعاً، والشيخ المفيد في (١٧) موضعاً، والفيض الكاشاني في (٤٥) موضعاً، والسيّد الخوئي في (٣٠) موضعاً، (راجع كتاب حركة العقل الإجتهادي لدىٰ فقهاء الشيعة للشيخ جعفر الشاخوري ص ٣٢ ـ ٤٨).

أما المحدثين فقد خالفوا المشهور أيضاً في الكثير من فتاواهم بما في ذلك أنت يا سماحة الشيخ كما جاء في رسالتكم علىٰ سبيل المثال لا الحصر (توضيح المسائل) باللغة الفارسية ص ٨٩ مسألة رقم ٤٣٧ [المشهور أن النساء السيدات[1] ييأسنّ بعد تمام الستين، وغير السيدات في سن الخمسين ولكن هذا المطلب محل تأمل، ولم يثبت بالنسبة للحقير].

أما المسائل الفقهية التي طرحها الشيخ فهي:

أولاً: القول بطهارة الكافر:

أن المعروف بين الفقهاء الحكم بنجاسة الكافر مطلقاً، يختلف الفقهاء بين منكر الضرورة وغيره وألحق بعضهم الغلاة والنواصب ولكن الشهيد الصدر ﷺ يناقش الأدلة القائلة بالنجاسة فالروايات واردة في أهل الكتاب فقط ولم تتعرض للمشركين (الكفّار) وحيث أن القول بنجاسة أهل الكتاب من خلال الروايات غير صحيح بنظر الشهيد الصدر لذلك فهو يفتي بطهارتهم لأن الجمع بين طائفتين من الروايات المتعارضة التي تقول بالطهارة والنجاسة مقتضاه القول بطهارة أهل الكتاب والقول بنجاستهم عرضاً، وذلك جمعاً بين الأدلّة، ولم يجد الشهيد الصدر ﷺ دليلاً علىٰ نجاسة الكفّار إلاّ الإجماع الذي يعتبره الشهيد الصدر ﷺ مبنياً علىٰ تراكم الإحتمال المولّد للإطمئنان أو اليقين ولكنه في هذا المورد بالذات (نجاسة الكافر) حينما استعرض القرائن من أقوال الفقهاء، فلم تفد هذه القرائن الإطمئنان،

---

١ - يقصد الهاشميات.

فاسقط هذا الإجماع عن الحجيّة، لأنّه لم يفد الإطمئنان فضلاً عن اليقين ولذلك لم يحكم بنجاسة الكافر، وانّما احتاط للمسألة فقال بالنجاسة علىٰ أساس الإحتياط (راجع كتاب منهاج الصالحين ج ١ ص ١٥٠).

وبامكان القارئ الكريم أن يراجع رأي الشهيد الصدر ﷺ في تقريراته (بحوث في العروة الوثقىٰ ج ٣ص ٢٣٩).

وللمزيد أيضاً يراجع المستند للنراقي، والمستمسك للسيّد الحكيم حيث يناقشون أدلة نجاسة الكتابي ولم يجدوا أدلة واضحة علىٰ نجاسة المشركين والكفّار.

ثمّ اننا لا نريد الآن ان نحدد الرأي الأقوىٰ في هذه المسألة وانّما نقول بأن اختيار السيّد فضل الله لهذا الرأي ليس أمراً مستهجناً، ولكنها فتوىٰ تستند إلىٰ حجية شرعية اقتنع بها السيّد ومن الممكن مناقشتها كأي رأي فقهي مطروح في الساحة العلمية بعيداً عن الإتهام والتشنج.

ثانياً: ما نقله عن سماحة السيّد: (لا يحرم استقبال القبلة واستدبارها عند التخلي).

إن الشيخ الهمداني يعتبر هذا الرأي مبرراً للهجوم على السيّد دون أن يبين سبب ذلك مع ان البحث العلمي يقتضي مناقشة المسألة فقهياً واتخاذ رأي معين فيها موافق للأدلّة الشرعية ولو تتبعنا أدلة الفقهاء علىٰ ذلك وآرائهم لوجدنا: جواز الإستقبال والإستدبار في البنيان وكراهة ذلك في الصحاري كما نقل عن سلاّر، ونقل ذلك عن الشيخ المفيد أيضاً صاحب التذكرة نقلاً عن المقنعة والمراسم الجزء الأول ص ١١٨، وقال ابن جنيد: يستحب ترك الإستقبال والإستدبار حكاه المحقق في المعتبر وكذا صاحب الذخيرة والفاضل الهندي وصاحب المدارك نقل كراهته في البنيان، قال في المقنعة ما نصّه: واذا دخل الإنسان داراً قد بنىٰ فيها مقعد الغائط علىٰ استقبال القبلة واستدبارها لم يضره الجلوس عليها وانّما يكره في الصحاري والمواضع التي يتمكن فيها من الإنحراف عن القبلة والقول بالكراهة مطلقاً نسبه في مجمع الفوائد إلىٰ بعض الأصحاب ومال اليه المولى الأردبيلي وتلميذه السيّد المقدّس والكاشاني، وربما ظهر من الفاضل الخراساني الميل إليه، مفتاح الكرامة ج ١ ص ٤٢.

وقال السيّد الخوئي ﷺ: نقل جماعة من متأخري المتأخرين منهم صاحب المدارك حيث ذهب إلىٰ كراهة استقبال القبلة واستدبارها ولو لا التسالم والإجماع كما قوّاه صاحب المدارك

من القول بالكراهة وفاقاً لجملة من متأخري المتأخرين هو الصحيح، التنقيح ج ٤ ص ٣٧٠.

وهناك حديث ليس هنا محلّه عن هذا الإجماع يعرفه أهل العلم والمعرفة فان الإجماع المدركي لا حجّية له عندهم فلا يبقى إلّا الأصل الذي هو الجواز.

كما أن هناك آراء ومناقشات لهذا الرأي وهو: (حرمة الإستقبال والإستدبار حال التخلّي) حيث يناقش السيّد الحكيم ﵀ في المستمسك ضعف سند الروايات أو في ظهور سياقها مساق الأدب بما يمنع من ظهورها في الوجوب، وكذا يناقش ذلك صاحب الحدائق أيضاً في الدلالة والسند، ولأجل كثير من المؤاخذات علىٰ هذه الروايات ذهب السيّد الشهيد الصدر ﵀ إلى الإحتياط في المسألة وعدم الإفتاء حيث قال: (ويحرم على المتخلي على الأحوط استقبال القبلة واستدبارها) منهاج الصالحين ج ١ ص ٢٨.

وكذا السيّد السيستاني حفظه الله فأنّه قال: (ويحرم على المتخلي استقبال القبلة واستدبارها حال التخلي على الأحوط) منهاج الصالحين ج ١ ص ٣٠.

ولا نريد الآن الخوض في مناقشة الحق في هذه المسألة والوصول إلىٰ حكم محدد فيها ولكنّا أردنا سرد بعض الآراء، فالقول الجواز ليس أمراً جديداً أو ضعيفاً أو شاذاً كما تؤهم الشيخ واعتبره من المؤاخذات المهمة على السيّد واختاره من الملف المزوّر (الألف صفحة!!) وهذا الإختيار لهذه النماذج من الإشكالات يحكي للقارئ حجم الإشكالات الأخرىٰ التي تقف هذه في قمتها، وسوف نطرح للأمة تباعاً الأدلة الرصينة في هذه المسائل وأدلة السيّد فيها ليستفيد منها أهل البحث والنظر ولتعرف الأمة الغث من السمين ولتكون المناظرة العلميّة الحقّة ونشدان الحقيقة هي الهدف الذي يغذي طلاّب المعرفة بالصحيح من الأدلة والآراء، وهذا ما يريده سماحة السيّد في اثارة الأجواء العلمية وتحريكها.

ثالثاً: قول الشيخ الهمداني ان السيّد: (يقول بجواز اسقاط الأم للجنين في بعض الأحوال).

فأن ذلك يثير الإستغراب لأن الحكم المجعول بعنوان عام اذا كان بعض مصاديقه حرجياً يرتفع عن تلك المصاديق بأدلة نفي الحرج والعسر وهذا ما يعلمه الشيخ الهمداني، وان ما اعتمده الشيخ في نقله فتوىٰ هو جواب علىٰ حالات حرجيّة خاصة أفتىٰ بها السيّد

وليس هو الحكم الأولي، واليك نماذج من اجاباته حول هذه المسألة:

١ ـ في معرض سؤاله عن جواز اسقاط الجنين في الأيّام الأولىٰ من الحمل واذا فعلت الأم ذلك فما حكمها؟ يجيب سماحته (لا يجوز ذلك إلّا في حال الحرج الشديد من مرض ونحوه وعليها دفع الديّة على الأحوط) المسائل الفقهية الجزء الأول ص ٢٦٨.

٢ ـ في مورد آخر يجيب السيّد أيضاً علىٰ سؤال حول جواز الإجهاض بعد تسعة أشهر اذا تبين أن الطفل مصاب بمرض «التلاسيميا»: والجواب: (لا يجوز الإجهاض للسبب المذكور) ثمّ يكرر السائل سؤاله عن الجزء الآخر من المسألة بقوله: في حال حدوث الإجهاض من قبل زوجتي فهل اتحمل أنا المسؤولية الشرعية مع عدم موافقتي علىٰ ذلك؟ فيجيب سماحته قائلاً: (لا تتحمل المسؤولية ولكن يجب عليك أن تمنعها من القيام بذلك) المسائل الفقيه الجزء الأول ص ٢٦٩.

٣ ـ في معرض جوابه عن اخبار الطبيب بأن الحمل مشلول هل يجوز اجهاضه؟ فيجيب صريحاً: (لا يجوز أجهاضه بمجرد ذلك) المسائل الفقيه الجزء الأول ص ٢٦٩.

أما في حالات الحرج الشديد كالخطر على الحياة كما يحدد الطبيب ذلك فالحكم في هذه الحالة هو الجواز: (يجوز اجهاضه في هذه الحالة) دفعاً للموت «المسائل الفقيه الجزء الأول ص ٢٦٩، حيث يجوّز الفقهاء في هذه الحالة الكثير من العلاجات المحرمة بالأصل للإضطرار كأكل الميتة وشرب الخمر وغير ذلك كما يذكر السيّد الخوئي ﷺ ذلك عندما يسأل عن موارد اسقاط الجنين حيث يقول: (اذا كان قبل ولوج الروح وكان حمل الجنين ضرراً عليها بحيث لا يكون قابلاً للتحمل جاز اسقاطه، وأما اذا كان قبل ولوج الروح فان كان بقاؤه مؤدياً إلىٰ هلاكها جاز اسقاطه وإلا فلا) صراط النجاة الجزء الأول، ط بيروت السؤال ٩١٢ ص ٣٣٢. ويوافقه بعض الفقهاء المعاصرين علىٰ ذلك كما في نفس المصدر.

وفي مورد آخر يجيب السيّد الخوئي أيضاً عما اذا كان بقاء الجنين موجباً لهلاك أمه: «يجوز لامه ولا يجوز لغيرها» صراط النجاة، ط بيروت ج ١ السؤال ٩٢٣ ص ٣٣٣. ويوافقه بعض الفقهاء علىٰ ذلك بل يتردد في عدم الجواز لغيرها باضافة على الأحوط كما في المصدر نفسه أيضاً.

رابعاً: اشكاله علىٰ سماحة السيّد بأنّه: (... يقول بجواز استمناء الرجل في بعض

الأحوال) وجواب ذلك هو: ان فتوى السيّد في هذه المسألة واضحة جلّية ويبدو أن الشيخ لم يطلع على الفتوىٰ من مصادرها ونحن نضع الشيخ أمام هذه النصوص الصريحة القائلة بالتحريم، وهي:

١ ـ «العادة السريّة محرمة اسلامياً لأن الإسلام يريد للمسألة الجنسية أن تشبع بالعلاقة الزوجية فحسب بعيداً عن كل الحالات الشاذة التي تمثل فيها حركة الجنسي مجرد حالة سلبية ولذلك فالعادة السريّة محرمة بأية وسيلة من الوسائل كانت حتىٰ علىٰ مستوى التخيل الجنسي...» دنيا الشباب ص ٨٣.

٢ ـ ويقول أيضاً: «الإستمناء بالنسبة للرجل هو عملية اخراج المني بغير ما أراد الله فيحرم» فقه الحياة ص ٢١٣.

٣ ـ ويقول أيضاً في معرض اجابته عن الإستمناء: «لا يجوز وعليك أن تستمع إلىٰ قول الله: وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتىٰ يغنيهم الله من فضله» الندوة ج ٢ ص ٥٩٢ ط ٢.

وهناك نصوص أخرىٰ في هذا الإتجاه يراجع فيها المسائل الفقهية ج ١ ص ٣٢٤ مسألة ٣٨، هذا هو الأصل في فتوىٰ السيّد بحرمة الإستمناء، ولكن هناك حالات حرجية قد يقع فيها المكلف أباح له الشرع فيها ما حرّم عليه انطلاقاً من قاعدة (نفي العسر والحرج) وهي قاعدة واسعة ومشهورة عند الفقهاء استدل عليها بكتاب الله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام والإجماع والعقل، وللمزيد يمكن ان يراجع كتاب (القواعد الفقهية) للسيّد البجنوردي الجزء الأول ص ٢٠٩.

فيقول سماحة السيّد في سؤال عن جواز الإستمناء في حالة معينة لفحص مني الرجل لأجل التعرف علىٰ امكانية انجابه فاجاب سماحته: (لا يجوز ذلك إلّا اذا لزم الحرج من ترك ذلك بحسب ظروفه الخاصة الصعبة) المسائل الفقهية الجزء الأول ص ٢٧١ مسألة ٢٠.

فالحرج هو الملاك في هذه المسألة كما تلاحظونه وليس جواز الإستمناء في بعض الأحوال التي ادعاها الشيخ دون أن يذكر ما هي تلك الأحوال.

وأخيراً لو سلمنا بأن الشيخ الهمداني لا يوافق رأي السيّد فضل الله في هذه المسألة أو تلك، فان الهمداني لا يوافق الكثيرين أيضاً في آرائهم وفتاواهم، كما لا يوافقه الكثير علىٰ

آرائه فليس هناك مشكلة حقيقة تدعو للصراع والمشاحنة والإتهام ما دامت كل الفتاوىٰ لها حجّة ولها مدرك ودليل، وان من حق الفقهاء مناقشة بعضهم البعض فهل يحكم كل فقيه بعدم جواز نشر أفكار الفقيه الآخر لأنّه يخالفه في الحكم أو يرىٰ أن فتواه تخالف حديثاً يظنه صحيحاً أو يُفهم فهماً خاصاً؟ إن هذا لأمر عجيب حقاً!! ان هذا المنحىٰ يسد باب الإجتهاد أو أنّه يفتحه لفقيه واحد فقط لا يعترف بالآخرين، ومن هو هذا الفقيه يا ترىٰ الذي يرفض الجميع ويحرّم أفكارهم ونشر كتبهم؟!!

جمع من طلبة الحوزة العلمية / قم المقدسة

٢٠ ربيع الثاني ١٤١٩ هـ

ملحق رقم (١٥)*

مناجاة

جـــراحُك أم جـراحُ الأنـبياءِ ... وصـــوتك أم تـــراتـيلُ السماءِ
ووجهك أم مسيلٌ مـن نجـومٍ ... تحـــــطُ بـــــعزةٍ وبكـــبرياءِ
تـــــتبعها السُراةُ بـــلاضياعٍ ... ولمـتها الشـموسُ بـلا انـطفاءِ
رداؤك ألفُ مكـــرمةٍ وطُـــهرٍ ... فكـــيفَ يُـــضمُ كـونٌ في رداءِ
وهبتَ الســائرين رؤىً تجـلت ... بـــــرفضهمُ ونمّت بـــالعطاءِ
وصيّرتَ الدمـوعَ مسـار مجـدٍ ... ولونتَ العـــــقيدةَ بـــالدماءِ

* * *

وقـــفتَ تـــردُ هـوجاً عـاتياتٍ ... عدت غـدراً وهـبّت في الخـفاءِ
يـــراعُك كـــان ســـيفاً أريحـــياً ... تجـــــردَ بــــالتمردِ والابــــاءِ
وأنت (الصدرُ) والبلوىٰ حشـودٌ ... تُـواري عـنك وجـهاً في حـياءِ
لانك مـــــن تكـــوّر في يـــديه ... مـــدارُ النـــورِ في عَـــتم المســاءِ

* * *

ذكـــرتُك والمـــصائبُ مـشرعاتٌ ... واقســــاهنَّ للـــــقلبِ التـــنائي
ولو ان البكـــاءَ يـــردُ (صـــحبي) ... و(اخـــواني) لطـــالَ لهـــم بكـــائي
ولكـــــني وانتَ هـــوىً بـــقلبي ... وذاكـــــرتي وحـــزني وانـــتمائي
تخـــذتك رايـــةً ومـدىً وجُـرحاً ... واغـــــنيةً بـــــقافلة الوفـــــاءِ
وسرتُ علىٰ خُطاك عـلىٰ ضـفافٍ ... غـــــاها المجـــدُ مـــن وردٍ ومـــاءِ

(*) مرثية كتبتها للامام الشهيد الصدر.

ملحق رقم (١٦)

قائمة باسماء العلماء الذين استشهدوا في العراق

الاسم	محل الاقامة	تاريخ الاغتيال	الملاحظات
الشيخ ابراهيم قنبر	خالص ـ ديالى	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ احمد الانصاري	النجف الاشرف	١٩٨١	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ احمد فرج البهادلي	النجف الاشرف	١٩٧١	سم بالثاليوم
الشيخ ايوب البهادلي	ميسان	١٩٨٢	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد أمين الخلخالي	النجف الاشرف	١٩٩٤	قتل في حادث سير مدبر بين كربلاء والنجف
السيد باقر عبد الصاحب الموسوي	النجف الاشرف	١٩٨٤	قتل تحت التعذيب عمره ١٤ سنة
السيد جابر ابو الريحة	النجف الاشرف	١٩٨٥	سم بالثاليوم
الشيخ جابر النعماني	النعمانية	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ جاسم الكعبي	النجف الاشرف	١٩٨٢	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ جبار فرج الله	النجف الاشرف	١٩٨٤	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ جليل ابراهيم	طوز ـ كركوك	١٩٨١	قتل من قبل سلطات الامن

السيد جواد الحلو	المشخاب ـ نجف	١٩٧٩	سم بالثاليوم
السيد جواد الخرسان	النجف الاشرف	١٩٨٢	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ حسن البهادلي	ميسان	١٩٨٠	قتل تحت التعذيب
السيد حسن الحيدري	كاظمية ـ بغداد	١٩٨٦	سم بالثاليوم
السيد حسن الشيرازي	بيروت	١٩٨٠	اغتيل في بيروت
السيد حسن عبد الهادي الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ حسين جودة	غماس ـ ديوانية	١٩٨٤	قتل تحت التعذيب
السيد حسين عباس الميلاني	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ حسين معن	النجف الاشرف	١٩٨٠	قتل تحت التعذيب
الشيخ حميد الكوتاوي	الكوت	١٩٨٥	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ خزعل السوداني	كريعات ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد د. عبد الهادي محسن الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد زين العابدين الموسوي	الكفل ـ الحلة	١٩٨٠	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ سالم البغدادي	كاظمية ـ بغداد	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ شريف الجابري	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد صابر الشرع	النجف الاشرف	١٩٨٢	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ صادق الاسدي	بغداد	١٩٧٩	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ صادق حسن اليعقوبي	بغداد	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة

الشيخ صالح الرفاعي	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ صالح هادي الحسناوي	دواية ـ ناصرية	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ صلاح الساعدي	كربلاء	١٩٨٤	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد ضياء الدين الهاشمي	النجف الاشرف	١٩٨٢	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد طاهر ابو رغيف	البصرة	١٩٧٧	حادث سير مدبر في البصرة
الشيخ عارف البصري	كرادة ـ بغداد	١٩٧٤	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عباس البهبهاني	النجف الاشرف	١٩٨١	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ عباس التركماني	كركوك	١٩٧٩	قتل من قبل سلطات الامن
السيد عباس الحلو	كوفة ـ نجف	١٩٨٢	سم بالثاليوم، مديرية امن النجف
السيد عباس الشوكي	ثورة ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عباس المطراوي	القاسم ـ ديوانية	١٩٨٥	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ عبد الامير الخويلدي	الحلة	١٩٨٨	سم بالثاليوم
الشيخ عبد الامير الساعدي	طويريج ـ كربلاء	١٩٨٠	زرق بحقنة سامة
السيد عبد الباقي الموسوي	النجف الاشرف	١٩٨٤	قتل تحت التعذيب عمره ١٧ سنة
الشيخ عبد الجبار البصري	السلام ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد عبد الجبار الهاشمي	النجف الاشرف	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عبد الجليل مال الله	بعقوبة	١٩٨٠	قتل أثناء القبض عليه
الشيخ عبد الحسين حبيب الله الحائري	كربلاء	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة

الشيخ عبد الحكيم النعماني	النعمانية	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عبد الخالق العوادي	النجف الاشرف	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عبد الخالق عماش الهدني	بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد عبد الرحيم الياسري	خالص ـ ديالى	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عبد الرزاق احمد الجواهري	كربلاء	١٩٨٠	قتل من قبل سلطات الامن
الشيخ عبد الرزاق البغدادي	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد عبد الرسول علي خان	النجف الاشرف	١٩٨٦	سم بالثاليوم
السيد عبد الرضا الصافي	كربلاء	١٩٨٧	قتل من قبل سلطات الامن
الشيخ عبد الزهراء الكعبي	كربلاء	١٩٧٣	سم بالثاليوم
السيد عبد الصاحب الحلو	مشخاب ـ نجف	١٩٨٢	اعتقل مع ابنه ولا زالا مجهولي المصير
السيد عبد الصاحب محسن الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة
السيدعبدالصاحبمحمّدحسينالحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ عبد العظيم الاسدي	جميلة ـ بغداد	١٩٧٩	قتل من قبل سلطات الامن
السيد عبد الغني الجزائري	حيرة ـ نجف	١٩٨٨	سم بالثاليوم
السيد عبد المجيد محمود الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد عبد المطلب ابو الريحة	النجف الاشرف	١٩٨٢	سم بالثاليوم
الشيخ عبد المنعم الساعدي	ميسان	١٩٨٠	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد عبد الوهاب يوسف الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة

السيد عز الدين القبانجي	النجف الاشرف	١٩٧٤	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ عزيز العماري	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم من قبل سلطات الامن
السيد عصام شبر	البصرة	١٩٨٤	اغتيال بين كربلاء والنجف
السيد علاء الدين محسن الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ علي اكبر هاشميان	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ علي العبادي	ميسان	١٩٨٨	سم بالثاليوم
الشيخ علي عزيز حسين	كاظمية ـ بغداد	١٩٨١	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ علي قبلة	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد عماد الدين الطباطبائي	النجف الاشرف	١٩٧٤	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ غالي الاسدي	الناصرية	١٩٨٣	سم بالثاليوم
الشيخ فرحان البغدادي	كاظمية ـ بغداد	١٩٨٠	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد قاسم المبرقع	ثورة ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد قاسم شبر	النعمانية	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ قاسم هادي ضيف	البياع ـ بغداد	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد كاظم الحلو	حصوة ـ بغداد	١٩٨٢	قتل تحت التعذيب
السيد كاظم شبر	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد كمال الدين يوسف الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ ماجد البدراوي	كوفة ـ نجف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة

الشيخ محسن زاير دهام	النجف الاشرف	١٩٨٦	سم بالثاليوم
السيد محسن عباس الميلاني	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ محمّد	الكرادة الشرقية ـ بغداد	١٩٥٣	اعدام بالسجن
الشيخ محمّد البشيري	كركوك	١٩٧٩	قتل من قبل سلطات الامن
الشيخ محمّد الدماوندي	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد محمّد الزاملي	كوفة ـ نجف	١٩٨٨	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد محمّد الطبطبائي	كربلاء	١٩٨١	اعتقل وحكم عليه بالمؤبد
الشيخ محمّد القوجاني	النجف الاشرف	١٩٨٩	اعتقل ولازال مجهول المصير
الشيخ محمّد اليوسفي	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعدم من قبل محكمة الامن الثورة
السيد محمّد باقر الصدر	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد محمّد تقي الجلالي	القاسم ـ ديوانية	١٩٨٢	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ محمّد تقي الجواهري	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعتقل ولا زال مجهول المصير
السيد محمّد تقي الخوئي	النجف الاشرف	١٩٩٤	قتل في حادث سير مدبر بين كربلاء والنجف
السيد محمّد حسن الحائري	النجف الاشرف	١٩٧٠	سم بالثاليوم
الشيخ محمّد حسن الكعبي	ثورة ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد محمّد حسن محمّد علي الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	زرق بحقنة سامة
السيد محمّد حسين محسن الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد محمّد رضا محمّد حسين الحكيم	النجف الاشرف	١٩٨٥	اعدم في مديرية الامن العامة

السيد محمّد صادق البطاط	الكفل ـ الحلة	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
السيد محمّد طاهر الحيدري	بغداد	١٩٨٠	سم بالثاليوم
الشيخ محمّد علي الايرواني	كوفة ـ نجف	١٩٨٨	اعتقل من قبل سلطات الامن ووجد مقتولاً
السيد محمّد علي الشهرستاني	كربلاء	١٩٨٥	قتل من قبل سلطات الامن
السيد محمّد علي الغروي	شامية ـ ديوانية	١٩٨٣	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ محمّد يونس الاسدي	البياع ـ بغداد	١٩٨٤	اعدم من قبل سلطات الامن
الشيخ مرتضى البروجوردي	النجف الاشرف	١٩٩٨	اغتيال في الشارع العام في النجف
الشيخ مسلم محمّد علي الجابري	الفهود ـ ناصرية	١٩٧٩	قتل من قبل سلطات الامن
الشيخ مهدي البشيري	طوز ـ كركوك	١٩٨١	قتل من قبل سلطات الامن
السيد مهدي الحكيم	لندن	١٩٨٨	اغتيال في هيلتون الخرطوم
الشيخ مهدي السماوي	السماوة	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد مهدي القزويني	كربلاء	١٩٨٢	اعتقل ولا زال مجهول المصير
الشيخ ميرزا علي الغروي	النجف الاشرف	١٩٩٨	اغتيال بين كربلاء والنجف
الشيخ ناظم البصري	كرادة ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ ناظم الخزاعي	غماس ـ ديوانية	١٩٧٩	اغتيل في الطريق العام
الشيخ ناظم النجفي	النجف الاشرف	١٩٨٠	اعدم في مديرية الامن العامة
الشيخ ناظم غلام المندلاوي	مندلي ـ ديالى	١٩٨٣	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
الشيخ نثار حسين الكشميري	النجف الاشرف	١٩٨١	اعتقل ولا زال مجهول المصير

السيد نجاح الموسوي	حرية ـ بغداد	١٩٧٩	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد نصر الله المستنبط	النجف الاشرف	١٩٨٥	زرق بأبرة سامة في بيته
السيد نور محمّد البلخي	النجف الاشرف	١٩٨٤	اعدم من قبل محكمة امن الثورة
السيد هادي القمي	النجف الاشرف	١٩٨١	اعتقل ولا زال مجهول المصير

ملحق رقم (١٧)

قائمة باسماء شهداءالحركة الإسلامية في العراق[1]

الاسم	المحافظة	العمر	المهنة	التحصيل الدراسي	تاريخ الاعتقال	تاريخ الاعدام
١ـأحمد ياسين أحمد الديراوي	الهارثة ـ البصرة	١٩٥٧م ـ البصرة	موظف وطالب	خريج ثانوية	كانون الثاني ١٩٨٠	شباط ١٩٨٠م
٢ـابراهيم حمود	النجف	١٩٥٥م	—	—	—	—
٣ـاحمد العكظ	كربلاء	١٩٥١م	مدرس	—	١٩٨٠/١٢/٩	—
٤ـابراهيم الحاج موحي	البصرة	١٩٥٤م ـ البصرة	—	—	—	١٩٨٠/٤/٤م
٥ـآزاد حمه خان	سليمانية	—	طالب	—	—	١٩٧٩/٩م
٦ـابراهيم النجار	—	—	—	—	—	—
٧ـالشيخ احمد الهادي	—	—	—	—	—	١٩٧٢م

---

(١) اعتمدنا في هذا الملحق على ملف: (من شهداء الدعوة الإسلامية في العراق) الصادر عن المركز الاعلامي لحزب الدعوة الإسلامية بتاريخ ربيع الثاني ١٤٠١هـ.

٨ـ احمد شافع حسن	—	—	—	—	—	—
٩ـ احمد عبد الزهرة البصري	البصرة	—	طالب	كلية الطب البصرة	١٠/٩/١٩٧٩م	١٧/١٠/١٩٧٩
١٠ـ ازهر يحيى الطيار	كربلاء	—	—	خريج كلية العلوم	—	—
١١ـ احمد مغنم المحمود	العمارة	١٩٥٢	معلم	دار المعلمين	—	—
١٢ـ ابو باقر الشيخ نوري	السليمانية		—	طالب جامعي	—	٦/١٩٧٨م
١٣ـ احمد هاما امين	—	—	—	—	—	٤/١١/١٩٧٨م
١٤ـ احمد عبد العلي	—	—	ضابط في الجيش	—	—	١٧/٥/١٩٧٨
١٥ـ احمد حميد عبدالله	السليمانية	—	—	—	—	٤/٤/١٩٧٨م
١٦ـ احسان مهدي حسين	النجف	—	—	—	—	—
١٧ـ احمد الكعبي	بغداد ـ الثورة	—	—	—	—	—
١٨ـ احمد البهادلي	بغداد ـ الثورة	—	—	—	—	—
١٩ـ احمد المياح	البصرة	—	—	—	—	—
٢٠ـ ابراهيم حمودي قنبر	ديالى	—	خطيب وامام	—	—	—
٢١ـ امين حسين محمّد	السليمانية	—	—	—	—	٤/١٩٧٨م
٢٢ـ اسماعيل عبد الحسن طاهر	نينوىٰ	—	عسكري متطوع	—	—	١٧/٥/١٩٧٨م
٢٣ـ ابراهيم فتاح رسول	سليمانية	—	—	—	—	٦/١٩٧٨م
٢٤ـ آزاد صالح	سليمانية	—	—	—	—	١/١٩٧٨م
٢٥ـ ايوب هادي الربيعي	—	—	—	خريج معهد التكنولوجيا	—	—

٢٦ـ اسماعيل محمّد ابراهيم النجار	—	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٨
٢٧ـ اسماعيل ملا كريم	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٩/٢م
٢٨ـ احد قادر خارليه	القادسية	—	شرطي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٢٩ـ احمد عبدالله اسماعيل	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤م
٣٠ـ اسماعيل حسين احمد	—	—	ضابط في الجيش	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٣١ـ ابراهيم حسين علي	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٧/٦
٣٢ـ ابراهيم العمادي	العمادية	—	—	—	—	١٩٧٨م
٣٣ـ احمد كاكا امين	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤/٤
٣٤ـ باسم محمّد علي مالك الحداد	بغداد	١٩٥٧ـ واسط	طالب	كلية الطب ـ الصف الخامس	١٩٧٩/٩/٩	١٩٧٩/١٠/١٧
٣٥ـ بشار راشد	—	—	لاعب في الشرطة	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٣٦ـ باقر هويز احمد	كوسنجاك	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٣٠
٣٧ـ تحسين هاما امين فرج	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٣٨ـ نامق محمود كريم	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/١م
٣٩ـ جعفر صادق الموسوي	النجف	١٩٥٢	موظف	خرج كلية الادارة	تموز ١٩٧٨	شباط ١٩٧٩م
٤٠ـ جاسم فرهود موسىٰ	ديالىٰ	١٩٥٤ ديالىٰ	نائب ضابط	سادس ثانوي	—	—
٤١ـ جواد كاظم الزبيدي	بغداد	١٩٤٢م	مدرس	خريج كلية اصول الدين	١٩٧٩/١٢/١٩	١٩٨٠/٣/١٩
٤٢ـ جبار ناصر الشويلي	الثورة	١٩٥٣ ذي قار	نائب ضابط	خريج كلية القانون والسياسة	—	١٩٧٩/١٢/٣١
٤٣ـ جبار السيد فرج	ميسان	١٩٥٤ ميسان	—	—	١٩٧٩/٦/١٧	١٩٧٩/٧/٢

٤٤ـ عدنان سلمان اليوسف	البصرة	١٩٤٢	مدرس	خريج كلية تجارة البصرة	—	—
٤٥ـ جلال راشد	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٤٦ـ جمال علي معروف	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/١١/٢٨
٤٧ـ جواد كريم	كوسنجك	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/١/٢١
٤٨ـ جاوار مرصيمر المندلاوي	مندلي	٢١ سنة	—	—	—	١٩٧٨/٤/١٠
٤٩ـ جواد كاظم هجول	البصرة	—	مدرس	—	—	—
٥٠ـ جودة حمد	البصرة	١٩٥٢	مساعد فيزياوي	خريج كلية العلوم	—	—
٥١ـ جاسم خضير حريز	بغداد	—	—	—	—	١٩٧٩/٥م
٥٢ـ جمعة يونس جمعة	—	—	—	—	—	—
٥٣ـ جعفر صادف سليمون	النجف	—	—	—	—	—
٥٤ـ جواد كاظم العطار	ميسان	—	مهندس زراعي	خريج كلية الزراعة	—	—
٥٥ـ جاسب عبد الزهرة الساعدي	—	—	—	—	—	—
٥٦ـ جواد كاظم الساعدي	الثورة	—	—	—	—	—
٥٧ـ جمال محمّد صادق	بغداد	—	طالب جامعي	—	—	١٩٧٩/٢/١٣
٥٨ـ جليل راشد	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٥٩ـ جواد احمد محمّد	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٧/٦
٦٠ـ جميل علي معاريف	سليمانية	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/١١/٢٨
٦١ـ حوامير سيمري مندلي	مندلي	—	—	—	—	١٩٧٨/٤/١٠

٦٢ـجاسم قادر هويز	بغداد	—	—	—	—	٧/٨/١٩٧٩
٦٣ـجاسم صادق الايرواني	النجف	—	طالب	—	—	٧/٨/١٩٧٩
٦٤ـجواد البصري	البصرة	—	طالب	كلية الطب السادس	—	١٠/١٠/١٩٧٩
٦٥ـجعفر عبد الاله	—	—	متطوع عسكري	—	—	١٧/٥/١٩٧٨
٦٦ـجبار الموسوي	النجف	—	—	—	—	—
٦٧ـجاسم محمّد ديكان	بغداد ـ زعفرانية	—	عسكري متطوع	—	—	—
٦٨ـجمال عبد الكريم	بغداد ـ الحرية	١٩٥٩م	طالب	كلية الطب	—	١٩٧٩م
٦٩ـجواد محمّد علي جواد	كربلاء	١٩٥٦م	موظف	كلية العلوم فيزياء	—	١٩٨٠م
٧٠ـجاسم نيروز	البصرة	—	—	—	—	—
٧١ـجاسم حمود عبد الرضا	البصرة	—	—	—	—	—
٧٢ـحسن علوان	بغداد	—	استاذ كلية الفقه	ماجستير الفلسفة الاسلامية	—	—
٧٣ـحسين عذار الحميداوي	التأميم	١٩٥٠ ذي قار	مدرس ثانوية	بكلوريوس اصول الدين	—	١/٣/١٩٨٠
٧٤ـحسين نعمة مخيف	بغداد	١٩٥٤ بغداد	—	خريج معهد التكنولوجيا	١١/٦/١٩٧٩	٧/١٩٧٩
٧٥ـحريز زبون فيجل	بغداد	١٩٥٢ بغداد	عسكري متطوع	—	١٢/١٢/١٩٧٩	٣/١٩٨٠
٧٦ـحاتم مزهر	البصرة	١٩٥٣ البصرة	مدرس	خريج كلية العلوم	—	٢٨/١/١٩٨٠
٧٧ـحازم يونس عبد القادر	—	—	—	—	١/٦/١٩٧٩	٨/٨/١٩٧٩
٧٨ـحسين رحمن	كوسنجق	—	—	—	—	٦/١٩٧٨م
٧٩ـحجة رشيد شهيد	السليمانية	—	—	—	—	٤/١٩٧٨م

٨٠ـ حسين عمر شيدواكالي	—	—	—	—	—	١٩٧٩/٢/٢٠
٨١ـ حامد بيروت شبخة	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٣٠
٨٢ـ حسين طاهر	بغداد	—	استاذ في جامعة بغداد	—	—	١٩٧٩/١٠/٢٨
٨٣ـ حسن صوفي	اربيل	—	—	—	—	١٩٧٨م
٨٤ـ حماد رشيد جاسم زنجانه	دهوك	—	—	—	—	١٩٧٨/٤م
٨٥ـ حسين عاجل عزام	بغداد	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٧م
٨٦ـ حبيب عبد ابراهيم	واسط	—	شرطي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٨٧ـ حسين ماجد الخفاجي	الناصرية	٣٠ سنة	مستخدم في البنك	—	—	١٩٧٩/١٠/١٠
٨٨ـ حامد قادر خير الله	القادسية	—	شرطي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٨٩ـ حيدر صالح الحميري	—	—	—	—	—	١٩٧٩/١٢/٣
٩٠ـ حسين علي الطريحي	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٢٧
٩١ـ حميد حمة امين صابر	دوكان	—	—	—	—	١٩٧٨/٤/٢٥
٩٢ـ حسين مولود	السليمانية	—	طالب جامعي	—	—	١٩٧٩/٧/٢٧
٩٣ـ حميد كشاش لفته	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٢٧
٩٤ـ حسين حمود السوداني	بغداد	—	موظف في وزارة العدل	—	—	١٩٨٠/١٢
٩٥ـ حيدر جابر حمودي	واسط	—	—	—	—	١٩٧٩/٥
٩٦ـ حسين جواد كاظم	—	—	—	—	—	رجب ١٣٩٩هـ
٩٧ـ حسين شبر حويلي	—	—	—	—	—	—

٩٨ـ حسين عبيد الخفاجي	الناصرية	—	—	—	—	١٩٧٩/١٠/١٠
٩٩ـ حسام قاسم	—	—	—	—	—	—
١٠٠ـ الشيخ حسين معن	النجف	٢٦ سنة	عالم دين	طالب بحث خارج مقدم	شهر ١٠ أو ١١ ١٩٧٩	—
١٠١ـ حسن رسن	—	—	—	—	—	—
١٠٢ـ حامد عزيز العصامي	بغداد	—	طالب	—	—	—
١٠٣ـ حمد بورة شيخا	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٣٠
١٠٤ـ حسين عمر شوكلي	—	—	دكتور	—	—	١٩٧٩/١/٢٠
١٠٥ـ حسين ناجي حمدي الهاشمي	بغداد	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٧
١٠٦ـ حسين حسن	—	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٩م
١٠٧ـ حسين راشل	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/٤/٤
١٠٨ـ حسين خلف الاسدي	—	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٧
١٠٩ـ حسين علي	دوكان	—	—	—	—	١٩٧٨
١١٠ـ حسين عبد الرحمن	كوسنجاك	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨
١١١ـ سيد حسين سيد محمّد	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٨/٧
١١٢ـ حسين نعيم مخلف	بغداد	—	—	—	—	١٩٧٨/٨/٧
١١٣ـ حسين علوان	النجف	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٧
١١٤ـ حسين عبد عبيد	—	—	عسكري متطوع	—	—	١٩٨٠/٣/١٧
١١٥ـ حمدان هاشم	بغداد	١٩٤٤	عسكري متطوع	—	١٩٧٩/١٢	١٩٨٠/٣/١٧

١١٦ـحميد حسن بندر	بغداد	١٩٤٥	نائب ضابط	—	١٩٧٩/١٢	١٩٨٠/٣/١٧
١١٧ـحكمت مجيد عبد ولي	بغداد ـ الثورة	١٩٦٠	طالب ثانوية	—	١٩٧٩/١٢	١٩٨٠/٣/١٧
١١٨ـحاذق شاكر	بغداد ـ زعفرانية	—	—	—	—	—
١١٩ـحكيم عبد علي	البصرة	—	طالب	معهد التكنولوجيا	—	—
١٢٠ـحمزة حتيت	البصرة	—	—	—	—	—
١٢١ـحسين چلوخان	كربلاء	١٩٤٧	مفتش مالي	خريج كلية الاقتصاد	١٩٧٤/٨	١٩٧٤/١٢/٥
١٢٢ـخالد عبد القادر	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٩/٢
١٢٣ـخضير رسول محمود	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/٤/٤
١٢٤ـخضير محمّد قادر	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٤
١٢٥ـخالد ابراهيم القصاب	—	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٨
١٢٦ـخضير عبدالصاحب الاطلسي	بغداد	١٩٥٤ـبغداد	استاذ مساعد	كلية الهندسة ـ جامعة التكنولوجيا	١٩٧٩/٩/٨	١٩٧٩/١٠/٢٨
١٢٧ـخلف شلش السوداني	بغداد	—	نائب ضابط درجة اولى	—	—	١٩٧٩/١٢/١٤
١٢٨ـخالد فهد أبو مقداد	بغداد	—	طالب في الطب البيطري	—	—	—
١٢٩ـخالد العثمان الكبيسي	—	—	موظف	—	—	١٩٧٩/٨/٨
١٣٠ـخضر رضا محمّد	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/٤/٤
١٣١ـخالد محمّد هيول	الموصل	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٢٨
١٣٢ـخالد محمّد هاون	الموصل	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
١٣٣ـخليل السيد عزيز	—	—	موظف عسكري	—	—	١٩٧٨/٥/٢٧

١٣٤ـ خالد علو	ـ	ـ	متطوع عسكري	ـ	ـ	١٩٧٨/٥/١٩
١٣٥ـ خميس عباس	ـ	ـ	متطوع عسكري	ـ	ـ	١٩٧٨/٥/١٧
١٣٦ـ خزعل السوداني	النجف	ـ	خطيب وامام	خريج جامعة النجف	ـ	١٩٧٩/٨/٧
١٣٧ـ خماس محمّد رضا	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٣٨ـ خالد سلمان	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٣٩ـ خلف مساعد	بغداد ـ الثورة	ـ	ـ	طالب كلية الطب	ـ	ـ
١٤٠ـ خليل ابراهيم خليل	بغداد ـ الحرية	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٤١ـ خالد صالح	بغداد ـ الكاظمية	١٩٦١ ـ بغداد	طالب	معهد الصناعات الهندسية	ـ	١٩٨٠م
١٤٢ـ خير الله البصري	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٤٣ـ خوشياد صالح مصطفىٰ	السليمانية	ـ	طالب	ـ	١٩٧٩/٦/١	١٩٨٠/١/٢٠
١٤٤ـ داخل جاسب المريزي	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٤٥ـ راضي جبار	البصرة	١٩٦٤	طالب	جامعة البصرة	١٩٨٠/١٢/١	ـ
١٤٦ـ رحيم هادي	ـ	ـ	موظف	ـ	ـ	١٩٧٨/٥/٢٧
١٤٧ـ راضي هاشم طاهر	البصرة	١٩٥٢	مهندس زراعي	خريج كلية الزراعة	ـ	١٩٨٠/٤/٢٣
١٤٨ـ رشيد ابو باقر	كوسنجاق	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٦
١٤٩ـ راضي عبد حسين	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٥٠ـ رزاق مسلم سعد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٥١ـ رياض حسن شبر	بغداد	١٩٥٣ ـ النجف	طالب	الجامعة التكنولوجية	١٩٧٩/١١/١٣	١٩٨٠/٣/١٧

١٥٢ـ راضي الهاشمي	البصرة	—	—	—	—	—
١٥٣ـ رياض باقر زيني	بغداد	—	—	—	—	—
١٥٤ـ رحيم هادي كصب	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٢٧
١٥٥ـ رسول آلوسي	بغداد	١٩٥٢	موظف	خريج متوسطة	١٩٧٩/١١/٢٩	شباط ١٩٨٠
١٥٦ـ رحيم مكطوف المياح	البصرة	١٩٤٨	مدرس	خريج كلية الآداب	١٩٧٩/١٠/٢٢	١٩٨٠/١/٢٩
١٥٧ـ رسول محمّد خابان	—	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٩/٢/٢٠
١٥٨ـ راضي الحلو	البصرة	—	—	—	—	—
١٥٩ـ راسل الامارة	البصرة	—	—	—	—	—
١٦٠ـ زامل طعمة شياع الساعدي	بغداد ـ الثورة	—	عسكري متطوع	—	—	—
١٦١ـ زهير جاسم محمّد	ديالىٰ	—	جندي مكلف	—	—	١٩٧٩/٧
١٦٢ـ زامل طعمة جاسم	بغداد ـ الثورة	—	—	—	—	—
١٦٣ـ سروان حسن ويسي	خانقين	—	—	—	—	١٩٧٩/٧/١٣
١٦٤ـ سليمان زاويتا	دهوك	—	—	—	—	—
١٦٥ـ سعدون عباس الساعدي	بغداد	١٩٥١ ميسان	—	خريج متوسطة	—	—
١٦٦ـ سليمان داود حسين	ديالىٰ	٢٥ سنة	طالب	—	—	١٩٧٨/٤/١٠
١٦٧ـ سعيد سيد سعيد جعفر الزيني	النعمانية	٢٢ سنة	—	—	—	١٩٧٩/٨/٨
١٦٨ـ سهيل شرهان	—	—	—	ضابط	—	١٩٧٨/٥/٢٤
١٦٩ـ سلوى البحراني	بغداد	—	موظفة	خريجة جامعة بغداد	—	١٩٨٠م

١٧٠ ـ سعدون محمّد احمد الربيعي	بغداد	١٩٤٤	مدرس	خريج كلية التربية / الانكليزي	١١ / ١٩٧٩	١٩ / ١٢ / ١٩٧٩
١٧١ ـ سعدي كاظم الصواف	بغداد	١٩٥٤	مهندس	ماجستير هندسة معمارية	ـ	ـ
١٧٢ ـ ساميدا خاذم	القادسية	ـ	شرطي	ـ	ـ	١٧ / ٥ / ١٩٧٨
١٧٣ ـ سليم احمد جاسم	دهوك	١٧ سنة	عامل	ـ	ـ	١٩٧٨
١٧٤ ـ سعدي صالح بياد	ـ	ـ	جندي	ـ	ـ	٧ / ١٩٧٩
١٧٥ ـ سعيد مشجل المالكي	بغداد	١٩٤٥	ضابط بدرجة نقيب	ـ	ـ	ـ
١٧٦ ـ سمير ندا سمير السعيدي	بغداد	ـ	خريج معهد الادارة	ـ	ـ	٣ نيسان ١٩٨٠
١٧٧ ـ سعيد عبد الامير	النجف	ـ	مهندس	ـ	ـ	٧ / ٨ / ١٩٧٩
١٧٨ ـ سعدي صالح فياض	ـ	ـ	جندي مكلف	ـ	ـ	ـ
١٧٩ ـ سليمان نعيم حسن	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٨٠ ـ سامي عبد الحسين	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٨١ ـ سهيل طاهر جابر	بغداد ـ الكاظمية	ـ	مدرس	خريج كلية اصول الدين	ـ	٧ / ١٩٧٩
١٨٢ ـ سعدي فرحان طهماز	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	٢ / ١٢ / ١٩٧٩
١٨٣ ـ سفانة كاظم العاصي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٨٤ ـ سلطان كاظم البهادلي	العمارة	ـ	مهندس	خريج كلية الهندسة / بغداد	ـ	ـ
١٨٥ ـ سعد علي الكناني	بغداد	ـ	ن . ص عسكري	طالب جامعي	ـ	صفر ١٤٠٠هـ
١٨٦ ـ سمير نور علي	بغداد	ـ	طالب	كلية العلوم	ـ	ـ
١٨٧ ـ سلمان عذار	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

١٨٨ـ سعيد مفتن	البصرة	١٩٥٥	مهندس	خريج كلية الهندسة / البصرة	—	٣٠/٥/١٩٨٠
١٨٩ـ سامي عودة منخي	البصرة	—	طالب	كلية الهندسة	—	—
١٩٠ـ سلمان عذافة الموسوي	البصرة	—	—	—	—	—
١٩١ـ سهران الحاج	ذي قار	—	—	—	—	—
١٩٢ـ شيرو محمّد سيد	السليمانية	٢١ سنة	طالب	—	—	١٠/٤/١٩٧٨
١٩٣ـ شاكر رحيم	بغداد	—	عضو في قوة الشرطة	—	—	١٧/٥/١٩٧٨
١٩٤ـ شافي لبان علي الكبيسي	—	—	ضابط	—	—	٢٧/٥/١٩٧٨
١٩٥ـ شيركو علي	موصل	—	—	—	—	٤/١٩٧٨
١٩٦ـ شاكر رمضان	موصل	—	عسكري متطوع	—	—	—
١٩٧ـ شاكر ضايف	البصرة	—	مدرس	خريج كلية الآداب	—	—
١٩٨ـ صلاح عبد الحسين الكناني	بغداد	١٩٥٠	—	خريج كلية الآداب	١١/١١/١٩٧٩	١٥/١١/١٩٧٩
١٩٩ـ صباح حبيب الشوكي	بغداد	١٩٥٦	طالب	الجامعة التكنولوجية صف ٣كهرباء	١١/٦/١٩٧٦	٢٧/٦/١٩٧٩
٢٠٠ـ صباح حبيب خالد	بغداد	—	مهندس	—	—	٨/١٩٧٩
٢٠١ـ صالح مهدي غائب	—	—	نائب ضابط	—	—	—
٢٠٢ـ صاحب رحيم محمّد	—	—	—	—	—	—
٢٠٣ـ صباح عباس	البصرة	—	موظف في الرقابة المالية	خريج كلية القانون والسياسة	—	—
٢٠٤ـ صالح عبد علي الحلفي	—	—	—	—	—	—
٢٠٥ـ صالح حربي	ميسان	—	مهندس	كلية الهندسة	—	—

٢٠٦ـ صالح علي	—	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٢٩
٢٠٧ـ صالح محمّد كناني	—	—	موظف عسكري	—	—	١٩٧٩/٧/٢
٢٠٨ـ صباح شيا	البصرة	—	موظف صحي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٢٠٩ـ صباح فيصل الاسدي	البصرة	١٩٥٨	طالب	خامس علمي	—	١٩٨٠/١/١٦
٢١٠ـ صباح زهير شيخ محمّد	شقلاوة	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٢٤
٢١١ـ صابر صالح محمّد	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٩/١/٢٨
٢١٢ـ صميرة خادم	القادسية	—	شرطي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٢١٣ـ صابر حسين	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٧
٢١٤ـ صاحب دخيل	النجف	—	—	—	—	—
٢١٥ـ صالح هادي الموسوي	بغداد ـ دار السلام	١٩٤٩	موظف	كلية أصول الدين	—	١٩٨٠م
٢١٦ـ صادق العيداني	البصرة	—	—	—	—	—
٢١٧ـ السيد صادق الموسوي	البصرة	—	—	—	—	—
٢١٨ـ ضياء ابراهيم	بغداد ـ الثورة	١٩٥٤	—	خريج كلية الفقه	—	—
٢١٩ـ طاهر شريف زنجانه	دهوك	—	—	—	—	١٩٧٨/٥
٢٢٠ـ طالب محمّد صويح	اردني الولادة	—	موظف	—	—	١٩٧٩/٨/٨
٢٢١ـ طه محمّد توفيق	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٢٢٢ـ طاهر فريق صالح	كركوك	—	طالب	—	—	١٩٧٨/٤
٢٢٣ـ طاهر احمد امين	—	—	موظف	—	—	١٩٧٩/٨/٨

٢٢٤ـطاهر ابورغيف	—	—	—	—	—	—
٢٢٥ـطارق جميل جاسم	دهوك	—	طالب جامعي	—	—	١٩٧٨/٨
٢٢٦ـطاهر الحيدري	بغداد	١٩٣٠	امام مسجد	—	—	—
٢٢٧ـطعمة عبد الحسين	البصرة	—	نائب ضابط	—	—	١٩٨٠/١/١٦
٢٢٨ـطه ياسين السعد	بغداد	—	سائق سيارة	—	—	١٩٧٩/٢/٥
٢٢٩ـطه حسين الياسري	بغدادـالثورة	—	نائب ضابط	كلية اصول الدين	—	١٩٧٩/١٢/١٩
٢٣٠ـطاهر نجم	البصرة	—	مهندس	خريج كلية الهندسة	—	—
٢٣١ـطالب غضبان	بغدادـجميلة	١٩٥٥	مهندس	خريج كلية الهندسة	١٩٧٩/١١/١	١٩٨٠/١
٢٣٢ـطه محمّد	بغداد	—	طبيب	خريج كلية الطب	—	١٩٧٩/١٠
٢٣٣ـطالب البغدادي	بغداد	—	—	—	—	—
٢٣٤ـطارق عبد الكريم فرج الله	البصرة	—	مهندس مدني	—	—	—
٢٣٥ـعز الدين القبانجي	بغداد	١٩٥١	روحاني	خريج كلية الفقه	١٩٧٤	١٩٧٤
٢٣٦ـعبد الرضا ماضي	بغداد	٢٧ سنة	عسكري متطوع ومصور	—	—	—
٢٣٧ـعلوان الحسناوي	البصرة	—	معيد في جامعة البصرة	خريج كلية العلوم / رياضيات	—	١٦ محرم ١٤٠٠
٢٣٨ـعلاء صادق الشهرستاني	بغداد	١٩٥٤ـكربلاء	مهندس	هندسة كهربائية/سليمانية	٢٥ رجب ١٣٩٩هـ	ايلول ١٩٧٩
٢٣٩ـعبد الامير صادق اللامي	البصرة	—	مدرس	خريج كلية العلوم / الفيزياء	١٩٧٩/١٠	١٩٨٠/١
٢٤٠ـعلي حسين الياسري	بغداد	—	مدرس	كلية التربيةـ ١٩٧١	١٩٧٩/١١/٧	١٩٧٩/١٢/١٩
٢٤١ـعطا باقر مهدي	ديالى	١٩٥٣	ن. ص موظف عسكري	خريج اعدادية الصناعة	—	١٩٨٩/٧

٢٤٢ـ عادل محمّد السويلة	الديوانية ـ الشامية	—	—	خريج معهد التكنولوجيا بغداد / قسم الري	٩/ ١٩٧٩	١٧/ ٣/ ١٩٨٠
٢٤٣ـ عزيز جمعة ماجد	العمارة	١٩٥٢	—	—	٦ محرم ١٤٠٠	٦/ ١٩٨٠
٢٤٤ـ عبد الخالق العوادي	النجف	١٩٥٥ـ ديوانية	طالب	الجامعة التكنولوجيا	—	١٩٨٠
٢٤٥ـ عارف البصري	بغداد	مواليد البصرة	فقيه	خريج كلية الفقه/ماجستير الشريعة	١٧/ ٧/ ١٩٧٤	٢١ ذي القعدة ١٣٩٤هـ
٢٤٦ـ عماد الدين الطباطبائي	النجف	١٩٤٩	طالب علم	جامعة النجف العلمية	١٩٧٤	٢١ ذي القعدة ١٣٩٤هـ
٢٤٧ـ عبد الامير العيبي	بغداد	١٩٥٤ـ ميسان	عسكري متطوع	—	٣٠/ ١٠/ ١٩٧٩	٣١/ ١٢/ ١٩٧٩
٢٤٨ـ عمران عباس فهد	كربلاء	١٩٤٨	معلم	خريج دار المعلمين العالية	١٧/ ١٠/ ١٩٧٩	٧/ ١٢/ ١٩٧٩
٢٤٩ـ عبد الطاهر الجعفري	بغداد	—	خياط	—	—	٦/ ١٩٧٩
٢٥٠ـ عزيز بابي	—	—	—	—	—	٦/ ١٩٧٨
٢٥١ـ عبد الهادي بشيري	البصرة	—	موظف عسكري	—	—	١٩٧٨
٢٥٢ـ عامر طه دوري	شقلاوة	—	—	—	—	٢٤/ ٥/ ١٩٧٨
٢٥٣ـ عامر عبد القادر أمين	السليمانية	—	—	—	—	٦/ ١٩٧٨
٢٥٤ـ عبد العظيم الاسدي	—	—	—	—	—	٦/ ١٩٧٩
٢٥٥ـ عثمان عبدالله عسكري	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	٢/ ٦/ ١٩٧٩
٢٥٦ـ علي احمد عزيز	السليمانية	—	—	—	—	٢٥/ ٤/ ١٩٧٨
٢٥٧ـ عمر طه علي	شقلاوة	—	بيشمركه	—	—	٢٤/ ٥/ ١٩٧٨
٢٥٨ـ عبدالله قادر أمين	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	١/ ١٩٧٨
٢٥٩ـ عطا عامر علي	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	٢٧/ ٥/ ١٩٧١

٢٦٠ـ عباس فاضل عباس	—	—	عسكري	—	—	١٩٧٨/٢/٤
٢٦١ـ عباس عزيز عبد الاله	اربيل	—	—	—	—	١٩٧٨/٢/٤
٢٦٢ـ عزت صالح عبد الاله	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٢٦٣ـ عزيز عبد الاله	—	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٢٨
٢٦٤ـ عزرا حسين عبد الاله	—	—	شرطي	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٢٦٥ـ عبد الرزاق عبد الصاحب	البصرة	—	محاسب	كلية الادارة والاقتصاد	—	١٩٨٠/١/١٦
٢٦٦ـ عبد الراهي سجاد	—	—	موظف عسكري	—	١٩٧٩/٧	—
٢٦٧ـ عزت هام خان	السليمانية	—	طالب	—	—	١٩٧٩/٩
٢٦٨ـ عبد الرضا قادر	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٢٦٩ـ عبد الهادي هنان	—	—	جندي	—	—	١٩٧٩/٧
٢٧٠ـ عباس عبد حسين	—	—	جندي مكلف	—	—	١٩٧٨/٥/٢٧
٢٧١ـ عماد شمخي حسين	—	—	جندي	—	—	١٩٧٩/٧
٢٧٢ـ علي عبد الهوىٰ	كوت	—	عسكري ن . ص	—	—	١٩٧٩/٧
٢٧٣ـ عثمان شفيق فرج	السليمانية	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/٤/٤
٢٧٤ـ عبد علي كاظم الدراجي	بغداد	١٩٤٦	عامل	—	—	أواخر ١٩٧٩
٢٧٥ـ عبد الامير مشكور	بغداد	١٩٥٤	موظف اهلي	خريج كلية العلوم	١٩٧٩/٦/١٩	٢٣ رجب ١٣٩٩هـ
٢٧٦ـ عبد الجبار محمود الربيعي	بغداد	١٩٤٨	ملازم اول	خريج معهد التكنولوجيا	ذي الحجة ١٣٩٩هـ	—
٢٧٧ـ عمر حسن محمّد	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٢٨

٢٧٨ـ عمر راشد مامند	السليمانية	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤	١٩٧٨/٤
٢٧٩ـ عبد الحسين محمّد	دهوك	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤
٢٨٠ـ عزيز محمّد	السليمانية	٣٤ سنة	مدرس	ـ	ـ	١٩٧٩/٣/٢٤
٢٨١ـ عبد الله قادر	اربيل	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٦/٣٠
٢٨٢ـ عبد الله محمّد قادر	كركوك	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/١/٣٠
٢٨٣ـ عمر عبدالله عبيد	السليمانية	٢١ سنة	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨
٢٨٤ـ عبدالله سيروان	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٣٠
٢٨٥ـ عبدالله وادر السايق	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/١/٣٠
٢٨٦ـ عادل صادق .	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤
٢٨٧ـ علي عبدالله قادر	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٦
٢٨٨ـ عبدالله رسول قادر	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤
٢٨٩ـ عبد المطلب ابراهيم	ـ	ـ	جندي متطوع	ـ	ـ	١٩٧٨/٥/١٧
٢٩٠ـ عبد الحسين محمّد العماري	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٥
٢٩١ـ علي محمّد علي	ـ	ـ	ضابط في قاعدة الرشيد الجوية	ـ	ـ	١٩٧٩/٧
٢٩٢ـ عباس عبد علي حسين	ـ	ـ	جندي في قاعدة الرشيد الجوية	ـ	ـ	١٩٧٩/٧
٢٩٣ـ عبد الرحمن علي رحيم	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٩/٨/٨
٢٩٤ـ عبد الرحمن علي رحيم	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٢٩٥ـ عبد الكريم عبد الله المياحي	ـ	ـ	موظف	ـ	ـ	١٩٧٨/٧/١٨

٢٩٦ـ عبد الرضا ساجي معارج	ـ	ـ	ن ضابط في قاعدة الرشيد الجوية	ـ	ـ	١٩٧٩ / ٧
٢٩٧ـ عبد الزهرة محمّد	الديوانية	ـ	مدرس	ـ	ـ	١٩٧٨ / ٥ / ١٧
٢٩٨ـ علي حسين جبر	بغداد ـ الثورة	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٩ / ٧
٢٩٩ـ عدنان شرهان	ـ	ـ	سائق في الجيش	ـ	ـ	١٩٧٨ / ٥ / ٢٧
٣٠٠ـ عبد السلام عبد الرزاق	خانقين	٢٥ سنة	طالب	ـ	ـ	١٩٧٨ / ٤ / ١٠
٣٠١ـ علي عبد محمّد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٩ / ٧
٣٠٢ـ عباس حسين مهدي الخباز	كربلاء	١٩٤٢	مدرس	ـ	١٩٨٠ / ٧ / ٨	١٩٨٠ / ١٢ / ٩
٣٠٣ـ عدنان عبد الصاحب الشاوي	البصرة	١٩٦٢	طالب	كلية الزراعة / البصرة	١٩٨٠ / ١٢ / ١٥	١٩٨٠
٣٠٤ـ السيد علي ناصر الموسوي	البصرة	١٩٤٥	حاكم جزاء البصرة	ـ	١٩٨٠ / ١٠ / ٣٠	ـ
٣٠٥ـ عبد الحسين حميد	البصرة	ـ	مساعد طبيب	ـ	ـ	ـ
٣٠٦ـ عبد الرضا ثامر	البصرة	ـ	معاون ملاحظ	ـ	ـ	ـ
٣٠٧ـ عبد الواحد سالم صيهود	البصرة	١٩٥٨	طالب صف رابع	كلية الهندسة / البصرة	ـ	١٩٨٠ / ١ / ١٦
٣٠٨ـ عبد مناف عبد علي المالكي	بغداد	ـ	طالب	الجامعة التكنولوجية	ـ	١٩٨٠ / ٢ / ٧
٣٠٩ـ عبد الحسين قاسم فضل	البصرة	١٩٦١	طالب اعدادية	ـ	ـ	١٩٨٠ / ٢
٣١٠ـ محمّد ياسين	البصرة	ـ	طالب	كلية الهندسة البحرية	ـ	ـ
٣١١ـ عطية ناصر البطبوطي	البصرة	ـ	موظف في شركة نفط البصرة	ـ	ـ	ـ
٣١٢ـ عباس حميد جلوب	كربلاء	١٩٥٢	موظف	خريج اعدادية الزراعة	١٩٧٩ / ١٠ / ١٧	١٩٧٩ / ١٢ / ١٧
٣١٣ـ عبد الامير فرهود الركابي	ذي قار	١٩٥٤	ن . ض	خريج القانون والسياسة / بغداد	١٩٧٩ / ١١	١٩٧٩ / ١٢ / ٣١

٣١٤ـعباس حسين الشوكي	بغداد	١٩٥٢	—	خريج مدرسة النجف العلمية	—	١٩٧٩/٧
٣١٥ـعبد السادة عبد الله	النجف	—	مدرس	خريج كلية التربية / انكليزي	—	١٩٧٩/١٢/٢٠
٣١٦ـعاشور	البصرة	—	—	—	—	—
٣١٧ـعلي محسن عبد الباقي العيبي	بغداد	٢٢ سنة	مهندس	خريج كلية الهندسة / بغداد	١٩٧٩/٨/١٠	١٩٧٩/١٠/١٨
٣١٨ـعبد الرزاق عودة الغالبي	البصرة	١٩٥٧	طالب	كلية الادارة والاقتصاد/البصرة	—	١٩٨٠/٦/١٥
٣١٩ـعطية ناجي بجاي	البصرة	١٩٤٦	موظف	—	١٩٧٩/١٠/٢٦	١٩٨٠/١/٢٧
٣٢٠ـعبد الفتاح عبد علي	البصرة	١٩٥٤	موظف	خريج معهد النفط	١٣ محرم ١٤٠٠	١٩٨٠/٦/١٣
٣٢١ـعمران حسن	السماوه	—	—	—	٢٠ رجب ١٣٩٩	٢٢ رجب ١٣٩٩
٣٢٢ـعبد الخضر وهيب الشعري	ديالیٰ	١٩٥٣	—	خريج كلية الزراعة	—	—
٣٢٣ـعبد الجبار البصري	بغداد	١٩٤٣	مدرس	خريج كلية الفقه	رجب ١٣٩٩هـ	—
٣٢٤ـعبد الحميد ثامر علوان	بغداد	١٩٥٢	موظف مشروع زراعي	خريج ثانوية الزراعة	١٩٧٩	—
٣٢٥ـعامر عبدالله عبد	السليمانية	—	عامل	—	—	١٩٧٨/٥
٣٢٦ـعزيز عبدالله زوراب	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٩/١/٢٨
٣٢٧ـعبد الحليم ناجي عبد فتاح الراوي	—	—	مدير مهندسي الري	—	—	١٩٧٩/١٢/١٦
٣٢٨ـعبد السلام عبد الرزاق	ديالیٰ	٢٥ سنة	طالب	—	—	١٩٧٨/٨/١٠
٣٢٩ـعبد الرحمن علي رحيم	بغداد	—	عامل	—	—	١٩٧٨/٣/١٧
٣٣٠ـعامر سلطان	هيت	—	عسكري	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٣٣١ـعبد الوهاب الطالقاني	—	—	—	—	—	١٩٧٧

٣٣٢ـ عباس عجينة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٣٣ـ عامر كاظم العلايسي	ديالىٰ	ـ	جندي عسكري	ـ	ـ	رجب ١٣٩٩
٣٣٤ـ علي عبد محمود	ـ	ـ	نائب ضابط	ـ	ـ	ـ
٣٣٥ـ عبد الهادي حنون	ـ	ـ	جندي مكلف	ـ	ـ	ـ
٣٣٦ـ عبدالله	ـ	ـ	نائب ضابط	ـ	ـ	ـ
٣٣٧ـ عبد الامير حميد المنصوري	البصرة	ـ	معلم	ـ	ـ	ـ
٣٣٨ـ عبد الرزاق الحلو	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٣٩ـ عباس السريح	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٤٠ـ عبد الشهيد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٤١ـ عبد مناف عيدان	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	صفر ١٤٠٠هـ
٣٤٢ـ عبد الامير اللعيبي كطان الشمس	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٤٣ـ علي هاشم علك	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٤٤ـ عبد الرحيم الياسري	ديالىٰ	ـ	امام مسجد	ـ	ـ	١٩٨٠
٣٤٥ـ عبد الجليل مال الله	النجف	ـ	روحاني	خريج كلية الفقه	ـ	ـ
٣٤٦ـ عبدالله سعدان	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٨٠
٣٤٧ـ عباس فاضل التركماني	النجف	ـ	روحاني	ـ	ـ	ـ
٣٤٨ـ عبد المحسن عبود الجشعمي	النجف	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٤٩ـ عبد الكريم الاسدي	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

٣٥٠ـعلي عبود	البصرة	—	—	خريج معهد التكنولوجيا/بغداد	—	—
٣٥١ـعلي محمّد علي حريز	—	—	نائب ضابط	—	—	—
٣٥٢ـعلاء هاني رزاق	—	—	—	—	—	—
٣٥٣ـعدنان طعمة غازي	—	—	—	—	—	—
٣٥٤ـعلي عبد الامير الحسن	—	—	—	—	—	—
٣٥٥ـعدنان حريز حسن	—	—	—	—	—	—
٣٥٦ـعلي سعد شاكر	—	—	—	—	—	—
٣٥٧ـعبد الوهاب عبد الكاظم مهدي	—	—	—	—	—	—
٣٥٨ـعبد الخضر عبد الصاحب المشاط	—	—	—	—	—	—
٣٥٩ـعبد الرضا	بغداد	٢٥ سنة	مصور	—	١٩٨٠	٤ / ١٩٨٠
٣٦٠ـعلي الياسري	—	—	—	—	—	—
٣٦١ـعزيز هاشم	بغداد ـ السلام	—	—	—	—	—
٣٦٢ـعبد الكريم هادي	—	—	—	—	—	—
٣٦٣ـعامر سليم العساف	بغداد ـ الثورة	—	—	—	—	—
٣٦٤ـعاصم حسين كاظم الجابري	بغداد	—	نقيب ركن	—	—	—
٣٦٥ـعلي جاسم شبر	النجف	—	—	—	—	—
٣٦٦ـعلي المكصوص	بغداد	—	—	—	—	—
٣٦٧ـعادل مجيد	بغداد	١٩٦٢	طالب ثانوية	—	—	—

٣٦٨ـ علاوي الهاشمي	البصرة	—	—	—	—	—
٣٦٩ـ علي مفتن	البصرة	—	موظف	معهد تكنولوجيا	—	—
٣٧٠ـ عبد الغفار	البصرة	—	ن. ص	—	—	—
٣٧١ـ علي گاطع	الناصرية	١٩٤٩	معلم	—	—	—
٣٧٢ـ عبد الرضا عبود الجبوري	الكوفة	—	—	معهد المهن الصحية العالي	—	—
٣٧٣ـ علي الرماحي	الكوفة	—	—	—	—	—
٣٧٤ـ عبد الكريم عبدالله وتوت	بابل	—	—	—	—	—
٣٧٥ـ عبد الحسين عبد الجبار	الديوانية	٢٥ سنة	طالب	معهد المعلمين	١٩٨٠	٤ / ١٩٨٠
٣٧٦ـ عباس فاضل صادق	كركوك	—	—	—	—	—
٣٧٧ـ عادل محمّد حسون السويلم	القادسية	—	—	—	—	—
٣٧٨ـ عبد الحسين جبار ياسين	القادسية	—	—	—	—	—
٣٧٩ـ غالي عوده ناجي	البصرة	١٩٤٧	عسكري	—	—	١٥ / ٦ / ١٩٨٠
٣٨٠ـ غازي حسن خوير	النجف	—	—	—	—	١٩٧٧
٣٨١ـ غسان محسن عبد الباقي	—	٢٦ سنة	دكتور	—	—	٢٨ / ١٠ / ١٩٧٩
٣٨٢ـ غالب ابراهيم الظاهر	—	—	نقيب مهندس	—	—	—
٣٨٣ـ غازي ثامر الحريري	بغداد	١٩٥٠	طبيب	كلية الطب	—	٥ / ١٩٨٠
٣٨٤ـ غازي ابراهيم ايوب	—	—	—	—	—	٨ / ٨ / ١٩٧٩
٣٨٥ـ غالب هاشم البطاط	البصرة	—	—	—	—	—

الاسم	المدينة	المواليد	المهنة	التحصيل	تاريخ الاعتقال	تاريخ الإعدام
٣٨٦ـ مخرى حميد شلاشه	ـ	ـ	نائب عريف	ـ	ـ	ـ
٣٨٧ـ فالح عبدالحسن الحلو	البصرة	ـ	موظف	خريج ثانوية التجارة	ـ	كانون الثاني ١٩٨٠
٣٨٨ـ فرج ابراهيم حمادي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٨٩ـ فالي حسن تقي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٠ـ فاضل عبد الامير	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩١ـ فاضل سعدون	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٢ـ فائز سعدون صيهود	بغداد	١٩٤٩	ـ	خريج كلية اصول الدين	١٩٧٩/١١/٢٥	١٩٧٩/١١/٢٧
٣٩٣ـ فرج سالم	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٤ـ فرج زاير حسين	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٥ـ فتاح عبد علي	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٦ـ فهد ابراهيم حمادي	ديالى	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٧ـ قاسم محمّد مهدي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٨ـ قاسم حسين علي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٣٩٩ـ قاسم محمّد علي الحداد	ـ	١٩٥٧	طالب	كلية الطب/صف خامس	١٩٧٩/٩/٩	١٩٧٩/١٠/١٧
٤٠٠ـ قاسم جواد السعد	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	محرم/١٤٠٠هـ
٤٠١ـ قاسم عبود	البصرة	ـ	معلم	معهد المعلمين	ـ	ـ
٤٠٢ـ قاسم هادي ضيف المفرجي	بغداد	٢٦ سنة	روحاني	ـ	ـ	ـ
٤٠٣ـ قاسم شبر	ـ	١٨٩٠ـ ٨٩سنة	عالم ديني	ـ	١٩٧٩/٦/١٧	١٩٧٩/٧/٢

٤٠٤ـقاسم المبرقع	بغداد	ـ	عالم ديني	ـ	١٩٧٩/٦/٢٣	١٩٧٩
٤٠٥ـقاسم حمود عبد الرضا	البصرة	ـ	طالب	كلية الادارة والاقتصاد	ـ	ـ
٤٠٦ـقاسم كاظم العلايسي	ديالىٰ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٠٧ـقاسم ابو ذبيح	كربلاء	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٠٨ـقيس عبدالله	الحلة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٠٩ـكاظم احمد جاسم العنبكي	ديالىٰ	١٩٥٥	موظف	خريج ثانوية التأميم	١٩٧٩/١١/٧	ـ
٤١٠ـكاظم هادي ضيف	بغداد	١٩٤٥	عسكري	خريج متوسطة	١٩٨٠/٢/١٣	١٩٨٠/٢/١٣
٤١١ـكاظم نجم عبود	كاظمية	ـ	ـ	ـ	ـ	رجب ١٣٩٩
٤١٢ـكريم حسين اسماعيل	ـ	ـ	جندي مكلف	ـ	ـ	١٩٧٩/٧
٤١٣ـكوثر محمّد حسن	ـ	ـ	نائب عريف	ـ	ـ	١٩٧٩/٧
٤١٤ـكريم حالي طاهر	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤١٥ـكامل هاتف كاظم	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤١٦ـكريم محمّد صالح	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/١/٢٨
٤١٧ـكاظم عبدالله	البصرة	ـ	مدرس	كلية العلوم	ـ	ـ
٤١٨ـكيرتس ميرو	اربيل	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨
٤١٩ـكاظم جاسم	ـ	ـ	ضابط	ـ	ـ	١٩٧٩
٤٢٠ـكاظم عبد علي جواد	كربلاء	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤
٤٢١ـكاظم عباس هايل	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٢/١١

٤٢٢ـكثير حميد البصري	بصرة	—	مهندس نفط	—	—	—
٤٢٣ـكاظم جوده منخي	البصرة	—	معلم	معهد اعداد المعلمين	—	—
٤٢٤ـكمال وحيد	كوسنجاك	—	بيشمركه	—	—	١٩٧٨/٦/٢١
٤٢٥ـكرشاش ميبرو	اربيل	—	—	—	—	١٩٧٨
٤٢٦ـكريم واحد	—	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٨
٤٢٧ـكلو صبيح طلال	البصرة	—	ضابط	—	—	١٩٧٨/٥/١٧
٤٢٨ـكمال وتاس	خانقين	—	—	—	—	١٩٧٨/٧/٦
٤٢٩ـكطان الشمس	بغداد	—	—	—	—	—
٤٣٠ـكاظم الارزقي	بغداد	—	—	—	—	—
٤٣١ـمصطفىٰ رشيد قادر	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٥
٤٣٢ـمصطفىٰ رشيد	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٤٣٣ـمحمّد عزيز محمّد	—	—	ضابط	—	—	١٩٧٩/٧
٤٣٤ـمحمّد حمه اسماعيل	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٧
٤٣٥ـمحمّد حمه جازا	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٩/٩
٤٣٦ـمحمّد جواد كاظم	ديالىٰ	—	—	—	—	—
٤٣٧ـمحمّد كاظم ابراهيم	النعمانية	—	—	—	— ١٩٧٩	
٤٣٨ـمحمود شاكر السماوي	الهندية	—	طبيب	كلية الطب	—	—
٤٣٩ـمحمّد عبد الرضا	بغداد	—	استاذ في كلية الهندسة/بغداد	دكتورا	—	١٩٧٩/١٠/٢٨

٤٤٠ـ محمّد توفيق سليمان	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٤٤١ـ السيد مهدي وعائلته	الكوفة	—	—	—	—	—
٤٤٢ـ مهدي محمّد رضا عبد الحسين السماوي	السماوه	—	روحاني	جامعة النجف	—	١٩٧٩/٨/٧
٤٤٣ـ مهدي السماوي	كربلاء ـ الهندية	—	روحاني	—	—	—
٤٤٤ـ محمّد جواد شندل	النعمانية	—	—	—	—	—
٤٤٥ـ محمّد رحمن سلطان	البصرة	١٩٥٥	مهندس	كلية الهندسة / البصرة	—	١٩٨٠/٥/٣١
٤٤٦ـ ميثم جبار	البصرة	١٩٥٥	مهندس	كلية الهندسة / البصرة	—	١٩٨٠/٥/٣١
٤٤٧ـ موسىٰ محمّد العبوسي	بغداد	١٩٥٣	عسكري	—	—	١٩٨٠/١٢/٧
٤٤٨ـ محمّد رضا رؤوف فخر الدين	النجف	١٩٥٦	مهندس	جامعة بغداد	—	—
٤٤٩ـ محمّد شاكر المبرقع	بغداد	١٩٤٠	كاسب	—	١٩٧٩/٦/١	١٩٧٩/٦/٢٨
٤٥٠ـ مجيد البغداوي	بغداد	١٩٥٤	طالب	معهد الادارة	—	١٩٨٠
٤٥١ـ موسىٰ علي موسىٰ	—	—	—	كلية الزراعة	—	—
٤٥٢ـ محمّد صادق ابو الطحين	—	—	—	—	—	—
٤٥٣ـ مهدي صالح	—	—	—	—	—	—
٤٥٤ـ مؤيد راضي سلمان	الكوت	—	معلم	معهد المعلمين	—	١٩٨٠/٢/١١
٤٥٥ـ مجيد حميد الثامر	البصرة	—	معلم	معهد اعداد المعلمين	—	—
٤٥٦ـ محمّد الميالي	النجف	١٩٦٥	طالب	ابتدائية	—	١٩٧٧
٤٥٧ـ محمود حسين	البصرة	١٩٥١	موظف	خريج معهد الصحة العالي	—	—

٤٥٨ـ السيد محمّد باقر الصدر	النجف	١٩٣٢	فقيه	مرجع	٥/٤/١٩٨٠	٨/٤/١٩٨٠
٤٥٩ـ مهدي عبد السلمان	ميسان	١٩٥٧	ـ	ـ	ـ	١٩/١/١٩٨١
٤٦٠ـ محمّد علي الجابري	النجف	١٩٤٢	روحاني	جامعة النجف	رجب ١٣٩٩	٢٥ ذي الحجة ١٣٩٩
٤٦١ـ محمّد حسين الشريف	النجف	١٩٥٥	مهندس	الجامعة العربية بيروت	ـ	ـ
٤٦٢ـ مهدي طالب هاشم ابو العيس	النجف	١٩٥٠	مدرس	ماجستير جامعة بغداد	٢٨/٩/١٩٧٩	٢٠/١٩/١٩٧٩
٤٦٣ـ محمّد رضا علي	ـ	١٩٥٩	طالب	المعهد الفني الناصرية	١/٥/١٩٧٨	١/٦/١٩٧٨
٤٦٤ـ محمّد جواد مسلم الجابري	ـ	١٩٥٢	عسكري	متوسطة	١٥ محرم ١٤٠٠هـ	٢١/١٢/١٩٧٩
٤٦٥ـ مجيد جواد كاظم	ديالیٰ	١٩٤٦	مدرس	كلية العلوم الفيزياء/البصرة	٣ محرم ١٤٠٠هـ	ـ
٤٦٦ـ محسن حبيب موسى الصايلي	النجف	١٩٥٤	طالب	معهد التكنولوجيا	١٠ محرم ١٤٠٠هـ	٢/١٩٨٠
٤٦٧ـ مجيد معيلو وزوجته	كربلاء	١٩٤٩	مساح	ـ	ـ	٩/١٢/١٩٨٠
٤٦٨ـ مهدي مجيد الفرعاوي	كربلاء	١٩٤٤	معلم	ـ	ـ	٩/١٢/١٩٨٠
٤٦٩ـ محمود المالكي	بغداد	ـ	طالب حوزه	ـ	ـ	٧/٢/١٩٨٠
٤٧٠ـ محمّد سعيد البلاغي	النجف	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٧
٤٧١ـ محمّد عباس خضير	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	١٢/٦/١٩٧٩
٤٧٢ـ ميثم حسن كاظم	ـ	ـ	جندي	ـ	ـ	ـ
٤٧٣ـ ماهر لازم	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٧٤ـ محمّد عزيز محمّد	ـ	ـ	نائب ضابط	ـ	ـ	ـ
٤٧٥ـ ماجد رزاق حسن	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

٤٧٦ـ محمود شاكر محمود	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٧٧ـ محمود راضي	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٧٨ـ محمّد غضبان العسكري	البصرة	ـ	مدرس	خريج معهد المعلمين	ـ	١٩٧٩/١٠/١٧
٤٧٩ـ محمّد بداي السالم	بغداد	ـ	مدرس	كلية الآداب	ـ	١٩٧٩
٤٨٠ـ محمّد سيد علي	ـ	ـ	شرطي	ـ	ـ	١٩٧٩/٧
٤٨١ـ مختار احمد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/١/٣١
٤٨٢ـ محمّد جواد الحكاك	النجف	ـ	مهندس	ـ	ـ	١٩٧٩/١٠/١٠
٤٨٣ـ موح عبد الساعدي	بغداد	ـ	معلم جامعي	كلية اصول الدين	١٩٧٩/١١/١٨	١٩٧٩/١٢/١٩
٤٨٤ـ محمّد مهدي العيداني	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٨٥ـ محمود حسن الكعبي	بغداد	ـ	روحاني	ـ	ـ	١٩٧٩
٤٨٦ـ محسن عضيب	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٩
٤٨٧ـ محمود صائب	ـ	ـ	شرطي	ـ	ـ	ـ
٤٨٨ـ موسىٰ ياسين	البصرة	ـ	نائب ضابط	ـ	ـ	ـ
٤٨٩ـ موسىٰ محمّد نفيس	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٩٠ـ موسىٰ جعفر هادي	الناصرية	ـ	نائب ضابط	خريج كلية القانون والسياسة	ـ	١٩٧٩/١٢/٣١
٤٩١ـ محمّد كاظم عبد	النعمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٩/٨/٧
٤٩٢ـ محمّد عبدالله ظاهر	بغداد	٢٩ سنة	مدرس	جامعة بغداد كلية الهندسة	ـ	١٩٧٩/١٠/٢٨
٤٩٣ـ محسن عبد الباقي اللعيبي	بغداد	ـ	مهندس	ـ	ـ	١٩٧٩/١٠/٢٨

٤٩٤ـ محمّد امسين اسماعيل	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٦
٤٩٥ـ محمّد هامه فرج	دهوك	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٨
٤٩٦ـ مامي رسل محمّد جعفر	السليمانية	ـ	بيشمركه	ـ	ـ	١٩٧٨/٨/٤
٤٩٧ـ محمّد كاتبن	ـ	ـ	مدرس	جامعة بغداد	ـ	١٩٧٩/١٠/٢٨
٤٩٨ـ محمّد مذخور	بغداد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٩٩ ـ مجيد جلاب حفيد	ـ	ـ	عسكري	ـ	ـ	١٩٧٨/٥/٢٧
٥٠٠ـ كاظم ظاهر	الناصرية	٢٩ سنة	موظف	خريج كلية الادارة	١٩٧٩	١٩٧٩
٥٠١ـ مجيد كريم احمد	ديالىٰ	ـ	مؤلف ومدرس	ـ	ـ	١٩٧٩/٧/١٣
٥٠٢ـ نجم عبد سلمان	ميسان	١٩٥٧	ـ	ـ	ـ	١٩٨١/١/١٩
٥٠٣ـ الشيخ فالح كاظم القره غولي	ذي قار	٢٦ سنة	طالب علم	خريج كلية الزراعة	١٩٨٠/٢	١٩٨٠/٣
٥٠٤ـ ناصر حمه رشيد	السليمانية	ـ	ـ	ـ	ـ	١٩٧٨/٤
٥٠٥ـ ناظم عباس مسعود	ـ	ـ	عسكري	ـ	ـ	ـ
٥٠٦ـ نصر الباوي	بغداد ـ كماليه	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٥٠٧ـ ناصر مهدي محمّد	بغداد ـ الحرية	٢٦ سنة	كاسب	ـ	ـ	ـ
٥٠٨ـ نعيم يوسف البصرة	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٥٠٩ـ نعيم سوادي	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٥١٠ ـ ناصر حسين الخزرجي	النجف	ـ	كاسب	ـ	ـ	ـ
٥١١ـ ناظم عباس مسعود	ـ	ـ	عسكري متطوع	ـ	ـ	ـ

٥١٢ـ نوري عوده منخىٰ	البصرة	—	نائب ضابط	—	—	—
٥١٣ـ نجاح حبيب مهدي الموسوي	بغداد	١٩٥٥ واسط	طالب ومدرس	اكاديمية الفنون الجميلة	١٩٧٩/٦/٢٢	—
٥١٤ـ ودود داود هادي	—	—	جندي	—	—	١٩٧٩/٧
٥١٥ـ وهيم الحاج عثمان	دهوك	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٥١٦ـ وارد الامارة	—	—	—	—	—	—
٥١٧ـ نادر علي	اربيل	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٥١٨ـ نوري شكري علي	اربيل	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٥١٩ـ نازد هادر احمد	جمجمال	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٥٢٠ـ ناصر صالح احمد	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٧/٦
٥٢١ـ نوري احمد	—	—	—	—	—	١٩٧٩/٨/٨
٥٢٢ـ نايف بدوي	—	—	—	—	—	١٩٧٩/١
٥٢٣ـ نعيم سلمان داود النعماني	النعمانية	٣٠ـ٤٠ سنة	موظف	ماجستير جامعة القاهرة	١٧ رجب ١٣٩٩	١٩٧٩/٨/٧
٥٢٤ـ نادر محمّد امين	شقلاوه	—	—	—	—	—
٥٢٥ـ نجم الدين عبدالله محمّد امين	—	—	—	—	—	١٩٧٨/٥/٢٤
٥٢٦ـ نديم عباس مسعود	—	—	عسكري	—	١٩٧٩/٧/٣	١٩٧٩/٧
٥٢٧ـ نافع علي الكبيسي	—	—	ضابط	—	—	١٩٧٩/٨/٨
٥٢٨ـ نامك محمّد كريم	السليمانية	—	—	—	—	١٩٧٨/٦
٥٢٩ـ نديم محمّد تايب الهيوز	—	—	رجل اعمال	—	—	١٩٧٩/١٢/١٦

٥٣٠ـ نوري طعمه	كربلاء	—	مدرس	—	—	١٩٧٤
٥٣١ـ ناصر حسين الخزرجي	النجف	١٩٥١	كاسب	خريج كلية الفقه/نجف	رمضان ١٣٩٩	محرم ١٤٠٠هـ
٥٣٢ـ هادي نجم عبود	—	—	نائب ضابط	—	—	١٩٧٩/٧
٥٣٣ـ هاما رشيد جاسم	كركوك	—	—	—	—	١٩٧٨/٤
٥٣٤ـ هادي محمّد محمود	—	—	ضابط	—	—	١٩٧٩/٧
٥٣٥ـ هاما امين حاج هويز	كوسنجك ـ كركوك	—	—	—	—	١٩٧٨/١/٢٨
٥٣٦ـ هادي راهي غزّاي	—	—	—	—	—	—
٥٣٧ـ هامل عبد الحسين	بغداد ـ الثورة	—	—	—	—	—
٥٣٨ـ هاشم صالح حبيب	البصرة	١٩٥٦	موظف	خريج معهد تكنولوجيا	—	—
٥٣٩ـ هادي اعذاري المزير علوي	البصرة	—	موظف	خريج معهد صحي	١٩٨٠/١	شباط ١٩٨٠
٥٤٠ـ هوشير صالح مصطفىٰ	السليمانية	—	طالب	—	—	١٩٧٩/١/٢٠
٥٤١ـ همام عبد الغني	بغداد ـ الحرية	—	—	—	—	—
٥٤٢ـ هادي ياسين	البصرة	—	—	—	—	—
٥٤٣ـ يوسف الحاج سعيد	دهوك	—	—	—	—	١٩٧٨/٧
٥٤٤ـ يوسف حسين	ديالىٰ	—	مهندس	—	—	١٩٧٩/٧/١٣
٥٤٥ـ يوسف ستار الاسدي	النجف	—	عامل صباغ	—	—	١٩٧٧
٥٤٦ـ يحيىٰ عبود معارج	—	—	نائب ضابط	—	—	—
٥٤٧ـ يونس خنجر علي العيداني	البصرة	١٩٤٢	معلم	خريج دار المعلمين	١٩٧٩/١٠/٢٤	١٩٨٠/١٠/٢٧

الاسم	المدينة	المواليد	المهنة	التحصيل		التاريخ
٥٤٨ـ ياسين عبد الحسين السوداني	بغداد ـ كماليه	—	طالب جامعي	كلية الآداب ـ صف ثالث	—	١٩٧٩/١٢/٥
٥٤٩ـ حسين مشكور الحلو	البصرة	—	عالم ديني	علوم دينية	—	محرم ١٤٠١هـ
٥٥٠ـ قاسم كاظم عوده	البصرة	—	رئيس ملاحظين	معهد المهن الصحية	—	—
٥٥١ـ جواد كاظم عوده	البصرة	—	مهندس	هندسة جامعة البصرة	—	—
٥٥٢ـ نعيم فاضل	البصرة	—	مهندس	هندسة جامعة البصرة	—	—
٥٥٣ـ عبد اللطيف ابو الخير	البصرة	—	مهندس	هندسة جامعة البصرة	—	—
٥٥٤ـ محمّد حمد محارب	البصرة	١٩٤٩	محاسب	ادارة والاقتصاد	—	—
٥٥٥ـ كريم ضيف	البصرة	١٩٦٢	طالب	اعدادية	—	—
٥٥٦ـ كريم صالح	البصرة	١٩٥٨	موظف	معهد تكنولوجيا	—	—
٥٥٧ـ محمّد علي خلف	البصرة	—	عامل	—	—	—
٥٥٨ـ عبد النبي خلف بصر	البصرة	—	سائق	—	—	—
٥٥٩ـ احمد محمّد	البصرة	—	مدرس	علوم	—	كانون الثاني ١٩٨٠
٥٦٠ـ جمعه محسن	البصرة	—	جندي	معهد الادارة	—	—
٥٦١ـ عدنان سلمان اليوسف	البصرة	—	مدرس	تجارة البصرة	—	—
٥٦٢ـ محمّد ياسين	البصرة	—	طالب	كلية الهندسة	—	—
٥٦٣ـ فاضل عبد الحسن الغرباوي	البصرة	—	متفرغ	خريج اعدادية	—	—
٥٦٤ـ عبد العال المياح	البصرة	—	طالب	خريج المعهد الزراعي الفني	—	—
٥٦٥ـ شاكر عبد ياس	البصرة	—	موظف	خريج اعدادية	—	—

٥٦٦ـ الحاج زيدان علوان الليبي	البصرة	١٩٠٨	متقاعد	—	—	—
٥٦٧ـ عبد الرزاق عبد الصاحب	البصرة	١٩٥١	موظف	خريج كلية الادارة والاقتصاد	—	—
٥٦٨ـ صبحي	بغداد	١٩٥٠	جندي	معهد الادارة	—	—
٥٦٩ـ السيد طاهر ابو رغيف	البصرة	—	امام مسجد	—	—	—
٥٧٠ـ جعه شنين	كركوك	—	معلم	خريج دار المعلمين	—	—
٥٧١ـ جبار جهاد	الحلة	—	نائب ضابط	—	—	—
٥٧٢ـ جميل عبيد فليفل	النجف	—	نائب ضابط	—	—	—
٥٧٣ـ جواد كاظم	بغداد ـ الثورة	—	نائب عريف	—	—	—
٥٧٤ـ الحاج سهران	الناصرية	—	معلم	—	—	—
٥٧٥ـ عبد السلام نوري	البصرة	—	طالب	اعدادية	—	—
٥٧٦ـ خالد نوري	البصرة	—	طالب	اعدادية	—	—
٥٧٧ـ كمال جمعة	كركوك	—	—	—	—	—
٥٧٨ـ جمعة كاظم	كركوك	—	—	—	—	—
٥٧٩ـ احمد محمّد علي كهيه	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٠ـ عزت افندي	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨١ـ رضا رشيد	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٢ـ ملا عباس احمد	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٣ـ مصطفىٰ كاظم	كركوك	—	—	—	—	—

٥٨٤ ـ كاظم عباس افندي	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٥ ـ محسن مقصود	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٦ ـ جمعة حسين	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٧ ـ اكرم ادهم	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٨ ـ الشيخ عباس فاضل التركماني	كركوك	—	—	—	—	—
٥٨٩ ـ الحاج قيس القرطاس	البصرة	—	مهندس كهرباء	كلية الهندسة	—	—
٥٩٠ ـ الشيخ عبد الامير الساعدي	ميسان	—	امام مسجد	خريج كلية الفقه	—	١٩٨٠/٧/٥
٥٩١ ـ شياع صبار حاتم السوداني	ميسان	—	—	—	—	١٩٨٠/٧/٥
٥٩٢ ـ كاظم عبد الزهرة	ميسان	—	—	اعدادية الصناعة	—	١٩٨٠/٧/٥
٥٩٣ ـ سامي زيدان	ميسان ـ محلة القادرية	—	—	—	—	—
٥٩٤ ـ زكي عوده عبد الجليل	البصرة	—	—	—	—	١٩٨٠/٧/٥
٥٩٥ ـ زهير راضي العمادي	ميسان ـ محلة المحمودية	—	—	—	—	—
٥٩٦ ـ جاسم محمّد	ميسان ـ حي الاسكان	—	نائب ضابط	—	—	—
٥٩٧ ـ عباس جمعة لازم اللامي	ميسان ـ حي الحسين	—	—	—	—	١٩٨٠/٧/١٥
٥٩٨ ـ نجم عبدالله الغرباوي	ميسان ـ قضاء الكحلاء	—	—	—	—	١٩٨٠/٧/١٥
٥٩٩ ـ عبد الحسن سلمان الغرباوي	ميسان ـ قضاء الكحلاء	—	—	—	—	١٩٨٠/٧/١٥
٦٠٠ ـ عزيز جمعة ماجد	ميسان ـ محلة القادرية	—	—	—	—	—
٦٠١ ـ قاسم خلف	ميسان ـ محلة المحمودية	—	—	—	—	—

٦٠٢ـ صالح حربي سلمان	ميسان ـ محلة الهادي	—	مهندس	—	—	—
٦٠٣ـ صالح عبد علي الحلفي	ميسان ـ محلة الهادي	استاذ	—	—	—	—
٦٠٤ـ عبد العالي المياحي	البصرة	—	طالب	كلية الادارة والاقتصاد	—	—
٦٠٥ـ شاكر عبد علي	البصرة	—	موظف	خريج اعدادية	—	—
٦٠٦ـ حاج زيدان الكعبي	البصرة	—	متقاعد	—	—	—
٦٠٧ـ حسين عبد	كاظمية	١٩٥٦	جندي مكلف	خريج معهد التكنولوجيا	—	—
٦٠٨ـ امل محمّد جواد العامري	بغداد	—	ربة بيت	—	١٩٨٠ / ٥ / ٢٧	١٩٨٠ / ٥ / ٣٠
٦٠٩ـ سالم البغدادي	بغداد ـ الحرية	—	—	—	—	—
٦١٠ـ مهدي عداي ابراهيم	بغداد ـ حي السلام	—	موظف صحي	خريج معهد المهن الصحية	—	١٩٨٠ / ٥ / ٢٧
٦١١ـ هاشم عبد عوده	—	—	—	—	—	—
٦١٢ـ صلاح عبد عون	—	—	—	—	—	—
٦١٣ـ موفق جبوري	بغداد ـ السلام	—	نقيب مهندس	—	—	—
٦١٤ـ خالد	العمارة	٢٢ سنة	طالب	كلية الطب البيطري	١٩٧٧	١٩٧٧
٦١٥ـ قحطان حسن الخشالي	البصرة	١٩٤٨	موظف	اعدادية	—	—
٦١٦ـ مناتي ـ ابو عمار	البصرة	—	نائب ضابط	—	—	—
٦١٧ـ اكرم صالح هاني	الحلة	١٩٥٩	جندي مكلف	خريج معهد	—	—
٦١٨ـ عبد الكريم شهيد عبدالله	الهندية	١٩٦٠	طالب	الجامعة التكنولوجيا قسم الميكانيك	—	—
٦١٩ـ فاخر عبد النبي البصري	البصرة	—	—	—	—	—

٦٢٠ـ فائز سعدون	الزعفرانية	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٢١ـ جمال عبد الكريم	الحرية	١٩٥٩	طالب	كلية الطب البصرة	ـ	١٩٨٠
٦٢٢ـ مجيد	الحرية	١٩٥٤	طالب	معهد الادارة	ـ	١٩٨٠
٦٢٣ـ عادل مجيد	الحرية	١٩٦٢	طالب	ثانوية عامة	ـ	١٩٨٠
٦٢٤ـ خالد صالح	الكاظمية	١٩٦٢	طالب	معهد فني	ـ	١٩٨٠
٦٢٥ـ طالب عضبان	شارع فلسطين	ـ	مهندس	ـ	ـ	ـ
٦٢٦ـ جواد محمّد علي الموسوي	كربلاء	١٩٥٥	مدرس	كلية العلوم الفيزياء	ـ	١ / ١٩٨٠
٦٢٧ـ الشيخ صالح هادي عود السعيدي	ذي قار	٢٧ سنة	طالب علم	خريج ثانوية	ـ	٢ / ١٩٨٠
٦٢٨ـ الشهيد فتحي	البياع	١٩٦٠	طالب	ثانوية عامة	ـ	١٩٨٠
٦٢٩ـ الشهيد ناصر مهدي عبد	الحرية	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٠ـ احمد محمّد	البصرة	ـ	ـ	خريج كلية العلوم	ـ	١ / ١٩٨٠
٦٣١ـ عبد السلام نوري	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٢ـ خالد	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٣ـ محمّد	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٤ـ سيد جليل حسن العلوي وزوجته واطفاله (٣)	واسط	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٥ـ محمّد حسون عبد	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٦ـ محمّد رضا علي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٦٣٧ـ راضي هاشم طاهر	البصرة	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ

الاسم	المدينة	المواليد	المهنة			
٦٣٨ـعباس حسين مهدي الخباز	كربلاء	١٩٤٢	مدرس	—	—	—
٦٣٩ـمحمّد صالح الحسيني	النجف	١٩٤٢	مسؤول التنسيق بين الثورة الاسلامية والثورة الفلسطينية	خريج كلية العلوم	ـ	١٩٨١/٣/٥
٦٤٠ـخليل ابراهيم	ديوانية	٢٧ سنة	موظف	خريج ثانوية	١٩٧٩	١٩٨٠
٦٤١ـرحيم حسن عبدالله	ديوانية	٢٧ سنة	موظف	خريج المعهد الزراعي الفني	١٩٧٩	١٩٨٠

الفهرس

الباب الأول
المؤسسة الدينية الشيعية

الباب الثاني
اشكالية العلاقة بين المرجعية الدينية والأحزاب الإسلامية

الباب الثالث

دور المرجعية في تنقية المنبر الحسيني

الباب الرابع
مرجعيات اصلاحية رائدة

الباب الخامس حسين فضل الله
من الذات إلى المؤسسة

الملاحق

اصدارات مؤسسة دار الاسلام

- مختصر الميزان
- محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره
- الزمن في حركة العاملين
- دروس في العقيدة والاخلاق
- فلك النجاة
- أزمة العراق
- التوازن في الشخصية الاسلامية
- رؤساء العراق : دراسة في اتجاهات الحكم
- زمن الحجارة : دراسة في شعر الانتفاضة
- الحسين لغة ثانية
- مباديء الرؤساء الامريكان
- موجز أحكام الحج
- مجلة الفكر الجديد (١ ـ ١٧)
- تهذيب التفسير الكبير